من يَحْكم الأُسرة فى الإسلام
الرجل أم المرأة؟



دكتور محمد سعيد المكاوي

يونيو 2022
ذو القعدة 1443



مَن يَحكُم الأُسرة فى الإِسلام

الرجل أم المرأة ؟



دكتور/ محمد سعيد المكاوي

الناشر: منصة أمازون للكتب الرقمية

رقم أمازون: ASIN: B0B4DVM942

2022م - 1443 هجرية

المؤلف



دكتور/ محمد سعيد المكاوى ، باحث فى قضايا الفكر الإسلامى. ولد عام 1976م بمحافظة المنوفية فى مصر. تخرج من كلية الطب عام 2000م. حصل على الدكتوراة فى طب الأطفال عام 2011م ، ويشغل حاليا منصب أستاذ مساعد طب الأطفال بكلية طب المنوفية. نشرت للمؤلف عدة أبحاث فى المجلات الطبية العالمية، وعدد من الكتب فى الفكر الإسلامي. يؤمن المؤلف أن ظهور الإسلام هو أعظم حدث شهدته البشرية قاطبة ، ورغم مرور أكثر من 1400 سنة على مجيء هذا الدين العظيم إلا أن ما نعرفه عن الإسلام أقل كثيرا مما نجهله ، ولا يزال هذا الدين يحمل فى جعبته ما لا يحصى من الكنوز والأسرار والبراهين التى ادخرها الله عز وجل للبشرية فى آخر الزمان توازيا مع الصعود المضطرد لمنحنى الضلال الذى يقترب بالإنسانية من النهاية المحتومة.

هذا الكتاب

لا يهدف هذا الكتاب إلى الزج بالبيت المسلم فى صراع جديد بين الرجل والمرأة، وإنما يرمي إلى إقناع المرأة بأن تنسحب فورا ودون أى شروط من حلبة الصراع بين الجنسين، ذلك الصراع الذي ضرب أغلب بيوتنا، وترك مجتمعنا على شفا الانهيار. ونحن لم نكتب هذا الكتاب لنحرض الرجل على تطليق زوجته المتمردة، بل لنقنع الزوجة المتمردة بأنها ترتكب جريمة فى حق الله.

لقد علت مكانة المرأة فى العصر الحديث، فاغترت، وتجاوزت الحدود التى رسمها الله تعالى لها، وثارت على المهمة التى هيأها لها ربها، وباتت تتطلع إلى حكم البيت، وقيادة الأسرة، وتعمل على تجريد الرجل من سلطاته، التي منحه الله تعالى إياها، وهو الأدرى بطبائع النفوس ومواهب البشر. فالمرأة فى الحقيقة لا تخوض صراعا ضد الرجل، بل ضد الله. وهذا ما يجب أن يُعَلمه كل رجل لبناته، فأملنا الأكبر في فتيات المستقبل لأن الجيل الحالي من الزوجات فقد عقله، وأسلم فكره للشيطان، وسار بجنون على طريق التعصب.

على المرأة أن تفض بشكل كامل تحالفها مع أنظمة البطش، والحركة الماسونية، واليهودية العالمية الذين ينفذون بوحشية خطة الشيطان فى تدمير الحياة البشرية وتشويه الفطرة التى فطر الله الناس عليها. ولتعلم المرأة أن الولى الحق لكل مخلوق هو الله، وليس إبليس ورجاله. ولتكن على يقين أنه حين تقوم الساعة فلن ينفعها الراتب، ولا الوظيفة، ولا الإعلام، ولا الرؤساء، ولا التمويل الأجنبي. وستكتشف بعد فوات الأوان أنه لا قيمة إلا لشيء واحد هو التقوى. والله تعالى ولي التوفيق

د. محمد سعيد المكاوي

الفهرس

خطورة الكتاب

كتاب عن المرأة؟ ما الجديد الذى سـيقدمه فى ظل الكلام اليومي المكرر عن حقوق المرأة، وتحرير المرأة، وإنصاف الإسلام للمرأة؟

الجديد أنه ينسف هذه الأفكار معتمدا على الأدلة، وليس على الميول أو التعصب. الجديد أنه يعتمد بشكل مكثف على الأدلة العقلية. الجديد أن الأدلة التي يقدمها كثيرة جدا. الجديد أن كثير من البراهين جديد تماما. الجديد أنه يمثل صرخة فى عصر قلَّ فيه الصارخون فى وجه عالم يغط فى ثبات عميق بعد أن سلب الإعلام عقله، وجمَّد فكره، فقَلَّ مَن يعترض على تحرير المرأة واستقلال المرأة وعمل المرأة وكرامة المرأة وتبرج المرأة وتكبر المرأة وتمرد المرأة وعبقرية المرأة وإهمال المرأة لأسرتها، وهدم المرأة لبيتها. أصبحت حقوق المرأة غير قابلة للنقاش، وصار التشكيك فيها من قبيل المحرمات أو الطرائف التى تعرض قائلها لوابل من التشويه المعنوي أو السخرية اللاذعة.

ولا يعنينا أبدا أن يقال أننا نجحنا فى تقديم الجديد، أو اكتشفنا ما لم يكتشفه أحد قبلنا، وذلك لأن المخ البشري من صنع الله، وكل الأفكار التى تتولد فيه تأتى من الله، ولا فضل لأحد منا فى إبداعه. كل ما يهمنا أن نحرك المياة الراكدة المتعفنة التى أزكمت رائحتها أنوف الثابتين على الحق، واستساغتها الجموع الغفيرة اللاهثة وراء المادة. وأصارحكم القول بأننى ألفت هذا الكتاب مرغما، فقد كان فى ذهنى مشروعات فكرية أخرى أكثر قربا إلى قلبى، وكنت عازما على أن أتمها بعد أن سيطر علىَّ إحساس بأن قطار العمر يتسلل شيئا فشيئا نحو منتهاه، بيد أنني أدركت أننى سأكون مقصرا إن لم أتكلم الآن عن قضية المرأة فى هذه اللحظة الفارقة، لأن **قضية المرأة أضحت السكين التى يُذبح بها الإسلام فى غفلة من الجميع**. إنهم لا يقولون لنا: "سنلغي شريعتكم"، بل يقولون: "سنرد للمرأة حقوقها، وسنجعلها مساوية تماما للرجل". ولكن هذا لا يمكن أن يتحقق إلا باغتيال ناعم للشريعة. وعلى هذا فالانتصارات المتلاحقة للمرأة المعاصرة هي رصاصات صامتة فى قلب الإسلام. وهذا الكتاب محاولة أخيرة لمنع اكتمال الجريمة.

لقد كتبت هذا الكتاب ليس لأننى رجل، وليس لأننى عدو للمرأة، ولكن لأننى مسلم. ليس هدفي أن أحث الرجال على استرداد شرفهم المسلوب، واستعادة رجولتهم الضائعة. لم أقصد قط أن

أثبت أن الرجل هو المخلوق الأرقى، والجنس الأعلى، ولا يعنينى أن أبرهن على أن المرأة بلا عقل ولا قيمة. لقد أردت أن أدعو الناس إلى بناء الأسـرة على القواعد التى شـرعها الله تعالى، وليس على القواعد التى فرضها علينا النظام العالمي الماسوني اليهودى.

إن شريعة الله تجعل الرجل فى الصدراة، وتوكل إليه مهمة حكم الأسرة وحكم الدولة، لكن العالم كله الآن يتحرك فى تيار معاكس جارف، يعصـف بكل من يقف فى طريقه. إنهم يريدون هدم الأسـرة. ولكي تهدم الأسـرة فعليك أن تثير الفتنة بين الرجل والمرأة، وهذا يتطلب تقوية المرأة، ونصرها على الرجل. إنهم يعلمون أن الرجل هو الأقوى، والمرأة هى الأضعف، ولو نصروا الرجل لزادت الأسرة استقرار، تماما كما لو كانوا يقوون من شوكة حاكم على معارضيه، لكنهم إن منحوا المرأة الضعيفة قوة تجرأت على الرجل الأقوى، وأثارت القلاقل والفتن، وضاع استقرار الأسرة في ظل شد وجذب من قوتين متساويتين.

إن النظام العالمى المعاصر هو منتج شيطانى بامتياز. وإبليس لا يطيق أن يرى الفضيلة على وجه الأرض. وتخريب الأسرة هو أهم خطوة لمحو الدين والأخلاق من الوجود. أعلم أن الكثيرين سيقولون ما دخل إبليس بالنظام العالمى؟ وهذا سؤال ينم عن سذاجة خطيرة. **إنهم يظنون أن إبليس كائن له قرون طويلة وعينان جاحظتان وملابس سوداء، ولا يعيش إلا فى دورات المياه والمقابر وبيوت الدجالين**. إبليس يا إخوانى كائن ذكى جدا، ومبتكر جدا، ومبدع جدا. ولهذا طور من خططه، فبدلا من أن يغوى هذا الشخص أو ذاك صار يعمل على نطاق واسع، فيضل الملايين بفيلم إباحي، ويظلم البلايين من خلال منظمة كمجلس الأمن، ويفرق بين الأبناء والآباء من خلال اختراع بسيط كمواقع التواصل الاجتماعى، ويزهق ملايين الأرواح من خلال جمعية تدعو لإباحة الإجهاض. وبنفس الطريقة قرر إبليس أن يهدم الأسرة من خلال المنظمات الدولية المشبوهة التى لا عمل لها إلا الأخذ من سلطات الرجل، وتسليمها للمرأة، حتى تقوى المرأة، ويضعف الرجل، ويتساوى الاثنان، فتشتعل الحرب بين ندين، فتكون الخسائر فادحة.

والخسارة فى حالة الحرب بين الرجل والمرأة هى الطلاق، وضياع الأولاد، واندثار القيم، وموت الأخلاق. وهذا ما تحقق الآن بنجاح منقطع النظير، فقد ارتفعت معدلات الطلاق فى بلادنا فى السنوات الأخيرة بشكل مرعب. أذكر أننى طوال ثلاثين عاما لم أسمع عن رجل طلق امرأته إلا

مرة أو مرتين، لكن الآن نحن نسمع عن حالات الطلاق بشكل يومى. والسبب الأول هو أن المرأة أصبحت أقوى، والرجل صار أضعف، فتساوت الكفتان، وهذه هى الحالة المثلى التى تمهد للحرب، إذ ما الذى يجبر المرأة اليوم على طاعة زوجها؟

إن الله تعالى لم يرد هذا. **لقد خلق الله البشر بحكمة بالغة، فجعل أحد الطرفين أقوى كى يكون مؤهلا للقيادة، وجعل الطرف الآخر أضعف حتى يرضخ للطرف الأقوى**، فتسير الحياة فى سلام بين قائد يأمر ومقود يطيع، وينشأ الأولاد فى بيئة مستقرة، فيتعلمون الدين والقيم والفضيلة.

هذا النظام الإلهي لا يعجب إبليس، ويكاد يصيبه بالجنون، ولهذا حشد كل قواه على جبهة الأسرة، وقد نجح فى تحقيق انتصارات كبيرة. إن برنامجا واحدا تقدمه مذيعة فاسقة نجح فى خراب آلاف البيوت. هذه المذيعة لا تكف عن إشعال النيران داخل البيوت، والنفخ فى الأحقاد، وتحريض النساء على الرجال. وما ترفضه المرأة العاقلة اليوم ستقبله غدا إن ظل يتردد على مسامعها دون وجود منطق معارض له، فالإعلام فى كل دول العالم يسيطر عليه جنود إبليس المخلصون، الذين لا يسمحون لأى مذيع بالظهور إلا إذا كان ذا هوى ماسونى، ومزاج شديد العداء للدين. وكل رجال الإعلام تقريبا هم أذرع إعلامية لأجهزة أمنية واستخباراتية محلية وأجنبية.

وجن جنونى ذات يوم حين شاهدت فيديو لامرأة تشاجرت مع زوجها، فضربها، فاستنجدت بإحدى هؤلاء المذيعات. ألهذا الحد وصلت السذاجة بالنساء! أتحسبون أن هذه المذيعة ومثيلاتها أصحاب مباديء، وأنهن انتفضن إشفاقا على المرأة المضطهدة؟ المسألة أكبر من ذلك. هذه المذيعة مجرد ترس فى آلة عالمية جبارة، تدور بلا توقف من أجل تمزيق ما بقى من القيم والدين على كوكب الأرض. إنها وأمثالها يعبدن المال والشهرة، وهن لسن أكثر من مأجورات يقرأن منشورات تصل إليهن بشكل دوري من رؤسائهن الذين يعملون من وراء الستار. ولو طلب من إحداهن غدا أن تقدم برنامجا عن حقوق الرجل ما ترددت لحظة، فكل ما يعنيها أن تقبض راتبها الضخم كل شهر، وتعود إلى بيتها منتشية بجمالها الذى خلب ألباب الرجال، ثم تقضى ليلتها مع عشيقها فى دفء ووئام.

يجب أن نقول بكل وضوح أن **أهم سبب لوباء الطلاق الذى استشرى فى بلادنا هو أن المرأة لم تعد ترى أن من واجبها طاعة زوجها**. لا توجد امرأة تقول فى نفسها: "لقد أمرنى زوجى، ويجب أن أطيعه حتى يرضى الله عنى". هذا المنطلق غائب تماما عن بال النساء.

لقد نجح النظام العالمى اليهودي الماسونى مع الأسف فى ترسيخ مبدأ المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، ونحن **نكتب هذا الكتاب لنؤكد بكل صراحة أن الرجل يجب أن يكون هو الأقوى والأعلى صوتا، وأن يعود كما كان فى الماضي صاحب الكلمة** والآمر الناهى الذى تخضع له المرأة، وتمتثل لحكمه وترضى بقيادته. وبمصطلح اليوم نقول **أننا نريد مجتمعا ذكوريا لا يَطغى فيه الرجل، ولا تُظلم فيه المرأة.**

لقد كتبت هذا الكتاب ليس لأحكي تجربة زوج باطش من نوعية "سى السيد"، أو زوج مغلوب على أمره يريد أن ينفث عن غضبه. أنا رجل عادي مثل بقية الناس. وأقسم لكم أن **الفكرة الرئيسية لهذا الكتاب تبلورت فى ذهني وأنا فى سن الثانية والعشرين قبل أن أتزوج لما كنت أراسل سيدة ألمانية، وأدعوها إلى الإسلام، وأبرهن لها على عدالة شريعة الإسلام الخاصة بالمرأة**؛ فالأفكار التى ستقرأونها فى هذا الكتاب ليست فى مجملها خواطر زوج بقدر ما هي قواعد دين استخرجها مسلم بعيدا عن العواطف التى تكتنف الأزواج. إننى أدافع عن نظام اجتماعى إلهى يريد إبليس وجنوده أن يقلبوه ليقف على رأسه. والمرأة اليوم مع الأسف فى غاية السعادة بوقوف الشيطان إلى جانبها، وتبنيه لقضيتها، فماذا تتوقعون منا؟ أن نساير الإعلام فى تدليل المرأة، وتبديل شريعة الله؟ والله لا يكون هذا أبدا.

أعلم أننى أسبح ضد التيار، لكن هذا لا يهزني، فأنا على يقين أن الموجة العالمية الجارفة المناصر للمرأة لا بد لها من يوم تتحطم فيه، فعما قريب ستقوم الساعة فتحطم كل موجات الضلال التى أغرقت بنى آدم، وحولت كوكب الأرض إلى مستنقعات عفنة ترتع فيها الجراثيم. إن المسلم لا يخشى الهزيمة، ويعلم أن النصر مضمون حتى لو مزقه جنود إبليس. ومن يؤمن بالآخرة لا يمكن أن يستسلم لهذا العالم الكافر أو يحاول أن يرضيه على حساب دين الله.

إن المعركة ضـد إبليس لن تكون أبدا سـهلة، واسـتعادة الرجل لقيادته للأسـرة لن تتم بين عشـية وضحاها. **وليس هدفى أن يقرأ الرجل هذا الكتاب، فيذهب إلى امرأته، فيشبعها ضربا وسبا، أو يطلقها ويرتاح منها.** إننا نريد بدلا من ذلك **خطوات عملية مرحلية** هى:

أولا: أن يُعلم كل رجل بناته أن طاعة الزوج فريضة دينية، يأثم تاركها.

ثانيا: أن يتعلم الرجل كيف يقف مع زوج ابنته إن وجد أن ابنته هى التى تتمرد عليه وتعصـــى أوامره.

ثالثا: أن نعلم شـبابنا أن عليهم أن يبحثوا عن الزوجة المطيعة الهادئة غير المشـاكسـة قبل أن يلهثوا وراء الجمال، حتى تجد المرأة القوية أن بضاعتها قد أصيبت بالكساد.

رابعا: أن ننشر فلسفة الإسلام الصحيحة فى الإعلام، ونحاول أن نجعل صوتنا يعلو فوق صوت النظام العالمي والجمعيات النسائية[1] التى تتلقى دعما بلا حدود من الداخل والخارج.

خامسا: أن نخلق تيارا نسائيا، تتحمس فيه المرأة لشريعة الله أكثر من حماسها لحقوقها، وأن تعلو بفكرها فوق صـــراعها الضـــيق مع زوجها. نريد نســـاء عاقلات، يغلب على قلوبهن اعتزازهن بالإسلام أكثر من اعتزازهن بأنوثتهن.

هذه الخطوات غير كاملة، لكنها حاسمة، وإن بدأنا بها، كان ما بعدها أسـهل بإذن الله. المهم أن نتحرك، وألا ندير خدنا الأيمن لمن لطمنا على خدنا الأيسر، ولنعلم أن المسلم عليه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. المسـلم يغير العالم، ولا يترك العالم الكافر يغيره. المسـلم يسـتنير بنور الله، لا بنار إبليس.

أخيرا يجب أن يعلم القارىء أن أعمق ما فى هذا الكتاب من أفكار لا يرجع الفضـل فيه إلىَّ، بل إلى الله تعالى وحده، فكثيرا ما كنت أصـل إلى طريق مسـدود فى بعض القضـايا، ولا أجد حلا

[1]) سنستخدم فى هذا الكتاب مصطلح "ألحركة النسائية" وليس "الحركة النسوية" مع أن كليهما صحيح. ورد فى **"معجم اللغة العربية المعاصرة"**: نِسائيّ [مفرد]: اسم منسوب إلى نساء: "جمعيّة نسائيّة- اتِّحاد نسائيّ". والحركة النِّسائيَّة: حركة اجتماعيّة إصلاحيّة تنادي بتحسين وضع المرأة والدّفاع عن حقوقها وتأكيد دورها في المجتمع. وورد أيضا: نسْويّ/ نسَويّ [مفرد]: اسم منسوب إلى نُسْوَة/ نِسْوَة: على غير قياس "مدرسة الفنون النِّسْويّة- قائدت الحركة النِّسْوِيَّة". نسويَّة [مفرد]: 1-اسم مؤنَّث منسوب إلى نُسْوَة/ نِسْوَة. 2 - مصدر صناعيّ من نُسْوة/ نِسْوَة. 3 - (مع) حركة فكريّة مُهتمَّة بحقوق المرأة، تنادي بتحسين وضعها وتأكيد دورها في المجتمع وتشجيعها على الإبداع. انظر: **"معجم اللغة العربية المعاصرة"** (3/ 2207). تأليف:د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. الناشر: عالم الكتب. الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م

يرجح رأيا على رأي، فكان الله تعالى يهديني لأن أدعوه طالبا منه أن يرشـدني إلى الحق. والحمد لله كنت فى المرة التى أخلص فيها الدعاء تأتينى الإجابة على شـكل أفكار جديدة تماما، فأصـل إلى الحل الصحيح.

أدعو الله تعالى من أعماقى أن يفتح القلوب والعقول لما أقول، وأن يعصـــــمنى من الخطأ، وأن يجعل هذا الكتاب نورا لى يوم القيامة، وأن يغفر لى ذلاتي، فما أنا إلا بشــــر، وكل بنى آدم خطاء.

والله تعالى ولى التوفيق

د/محمد سعيد المكاوي

17 يونيو 2022 م- 18 ذو الحجة 1443 هـ

mekkawy55@gmail.com

الحركة النسائية تغزو عقول المسلمات

قديما كنا نسمع عن مشجع كرة متعصب لفريقه، أو مواطن عربي متعصب لبلده، أو قروي متعصب لعائلته. وكنا ندين هذا التعصب، ونقول أن المسلم ينبغي أن يتعصب لشيء واحد فقط، هو دينه. **اليوم أضيف إلى هذا التعصب نوع جديد، هو تعصب المرأة لبنات جنسها**. فمن حين لآخر يتناول الإعلام مشكلة بين رجل وزوجته، أو اعتداء من رجل على امرأته، فتشعر وكأن هناك من ضغط على زر كي تنطلق جحافل من الوحوش، لتفترس كل الرجال، مع أن العدل يملي على المرء أن يبحث ليعرف أولا من المظلوم ومن الظالم. ومع الأسف لا أحد من النساء اليوم يفعل ذلك، فالمرأة فى نظرهن دوما ملاك، والرجل دوما شيطان. وهذه حماقة، بل انحطاط، **فمن الوقاحة أن تسمع المرأة عن رجل خنق زوجته فتندد، ولكنها تتعامى حين تسمع عن امرأة صبت على زوجها الماء المغلى، أو قطعت عضوه التناسلي بسكين وهو نائم، أو اتفقت مع عشيقها على ذبحه، وتقطيع جسده.**

إن كنت تسير فى الطريق، فشاهدت رجلا ينزل من سيارة فارهة ليصفع شابا فقيرا على وجهه، فمن الخطأ أن تسارع لتتهم الغنى بالاستعلاء والتجبر. أليس من المحتمل أن يكون هذا الفقير قد تحرش بزوجة الغنى، فنزل الرجل يدافع عن شرفه؟ المرأة اليوم ترتكب نفس الخطأ حين تنحاز لأى امرأة ضد أى رجل دون أن تفكر ولو مرة فى احتمال أن تكون الزوجة هي التى أوصلت زوجها لهذه الحالة.

لقد نجح الإعلام فى خلق حالة من الغليان والاستنفار الدائم لدى المرأة ضد كل ما يتعلق بالرجل. لقد ابتلي النساء بنفس التعصب الذي ابتلي به المسيحيون في بلادنا. لقد أدى تعصب المسيحيين إلى إحداث شرخ حقيق داخل المجتمع المصري. واليوم أضيف إلى هذا الشرخ شرخ آخر أخطر، نشأ نتيجة شعور المرأة العميق بأن كل امرأة مضطهدة ومظلومة، وكل رجل جبار وظالم. إن المسيحي يعتبر دفاعه عن دينه مسألة حياة أو موت، والمرأة أيضا تعتبر دفاعها عن المرأة مسألة حياة أو موت. والحقيقة أن **تعصب المرأة أسوأ من تعصب المسيحيين، فالمسيحي يعتقد أنه سيدخل الجنة إن انتصر لدينه، وأعلى كلمته، لكن المرأة المسلمة لا تعتقد أنها بدفاعها عن بنات جنسها تفعل شيئا يقربها إلى الله**، فهي تبتغي الدنيا، ولا شأن لها أبدا بالآخرة، بل إنها

تتجاهل تماما نصوص الشريعة، وتضع أيديها في أيدي الملحدين والعلمانيين والطغاة الذين يخططون لنزع الدين من القلوب.

وفى مقابل تعصب المرأة لقضيتها خبا فى نفس الوقت تعصبها لدينها، وانطفأت غيرتها على عقيدتها. إن اقتحام اليهود للمسجد الأقصي، وذبح المسلمين فى بورما والصين، وانتشار الإلحاد بين المسلمين لا يحرك ساكنا فى المرأة، لكن منشورا قصيرا على الفيسبوك لزوجة تشكو من أهل زوجها كفيل بإشعال ثورة المرأة، وجعلها تنتفض من مكانها.

الجيل الجديد من النساء سقط تماما فى براثن الحركة النسائية. لقد نشأن وتربين فى ظل ظروف سياسية واجتماعية وإعلامية تحابي المرأة، فنسين الشريعة التى أنزلها الله، وأصبح من الصعب عليهن التنازل عن مكتسبات هائلة حتى لو علمن أنها أتتهن من لدن أنظمة حكم، أهون ما يقال فيها أنها علمانية.

من النادر اليوم أن تسمع امرأة متدينة تهاجم قوانين الأسرة التى أذلت الرجل، وحرمته من أولاده بعد الطلاق. **لو كان لدى المرأة غيرة على الدين لردت للحكام الطغاة هديتهم، وقالت فى إباء: "لا نريد شيئا من أعداء الله، ولا نقبل أن يأتينا النصر من جهة إبليس"**. ومن حين لآخر نسمع دعوات عن مساواة المرأة بالرجل فى الميراث، فتسكت كل النساء –حتى المتدينات منهن– على هذا التحدي السافر لشرع الله. ويجن جنوني حين يثار موضوع تعدد الزوجات أمام أى امرأة متزوجة، إذ تجدهن جميعا يهاجمن التعدد، ويؤكدن أن الشريعة لا تبيحه. وما هذا بجهل، بل مهزلة. لقد كنت أظن فى مطلع شبابي أن المستشرقين والملحدين والمسيحيين هم وحدهم الذين يهاجمون شريعة تعدد الزوجات، ولكن مر الزمان، وانضمت كل المسلمات إلى قافلة الطاعنين فى الدين. لو قالت إحداهن أنها تعرف أن تعدد الزوجات من الشريعة لكنها لا ترضاه لنفسها، لما غضبنا. لكن المرأة اليوم تؤكد أن التعدد ليس من الإسلام فى شيء. وهذا القول أقرب للكفر منه إلى الإيمان، لأنه يتضمن إنكارا لنصوص القرآن الصريحة، فضلا عن أن هذا الرأى لا يصدر عن دراسة للشريعة، بل كترديد لكلمة سمعتها من هنا، وأخرى سمعتها من هناك.

لقد **كانت الحركة النسائية فى البداية محصورة فى دائرة ضيقة جدا لمجموعة من النساء الأرستقراطيات المنعزلات عن المجتمع**، لكنها تحولت فى السنوات القليلة الأخيرة **إلى حركة شعبية**

تضم كل بنات الجيل الجديد. أذكر أن أحد البرامج منذ ثلاثين عاما استضاف مؤلفة كتاب يتناول قضية المرأة، وكانت المؤلفة سيدة أرستقراطية، فسألها مقدم البرنامج: "لمن تكتبين هذا الكتاب؟" فأجابت: "للمفكرين". فى ذلك الوقت كانت قضية المرأة موضوعا سخيفا مملا، لا يهتم به أحد إلا قلة قليلة من المثقفين، ولهذا شعر مقدم البرنامج بضرورة تقديم تفسير للمشاهد يبرر هذا الحوار. أما اليوم فقد اختلفت الأوضاع، وصارت كل امرأة نصيرة لقضية المرأة.

كما التهمت الحركة النسائية فى طريق زحفها نساء الحركة الإسلامية، التى تخلى كثير من أتباعها عن دينهم، ومالوا أكثر وأكثر ناحية العلمانية، وانتهى الأمر بهم إلى أن صاروا لا يختلفون فى أحوالهم وتربيتهم لأبنائهم عن عامة الناس. كما تحولت الأحزاب الإسلامية إلى أحزاب شبه علمانية، بل أصبحت تنافس الأحزاب العلمانية فى التطرف، فوجدنا حزب النهضة فى تونس يقبل بمساواة الرجل والمرأة فى الميراث، ضاربا عرض الحائط بكتاب الله، متخيلا أن هذا سيبقيه على الساحة السياسية. وطبعا لم يفلح هذا التنازل الضخم فى إنقاذهم من انقلاب قيس سعيد الذي خطط له منذ سنوات اليهود وعملاؤهم فى المنطقة. وصدق الله العظيم حين قال: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: 120].

وواصلت الحركة النسائية مسيرتها، لتخترق صفوف الدعاة المسلمين، فألبستهم لباسها، وصبغتهم بصبغتها، وصنعت منهم خطباء مفوهين، ينافحون عن قضيتها.

بعض هؤلاء الدعاة هم في حقيقتهم رجال أمن، لا يفعلون أكثر من تلاوة بيانات تُملى عليهم من جهات عليا تحارب الإسلام.

وهناك فئة أخرى من النساء اللائى عملن بالدعوة الإسلامية، واكتسبن شهرة فى خضم تيار جارف يحتفى بكل أنثى فى كل مجال. هؤلاء الداعيات ينظرن إلى أنفسهن على أنهن إناث قبل كونهن مسلمات. والواحدة منهن تغضب لجنسها قبل أن تغضب لشريعة ربها.

وكثير من الدعاة تحجرت عقولهن، وبُرمجت على قضية المرأة كما عرفوها منذ خمسين عاما حين كانت المرأة ضعيفة. وهؤلاء الدعاة لا تسمع منهم إلا عبارات مكررة تدافع عن المرأة، وتثبت

تكريم الإسلام لها، مع أن المرأة اليوم باتت الفتى المدلل لكل أنظمة الحكم المستبدة والمنظمات الدولية المدعومة من المال اليهودي.

وبعض الداعيات يتعاملن مع قضية المرأة بسذاجة تدعو للعجب، فالقضية فى نظرهن ليست أكثر من مشاجرة بين رجل وزوجته، تحتاج لمن يوفق بينهما، مع أن قسما كبيرا من الخلافات الزوجية هو مجرد عرض لتغلل الفكر النسوى دخل كل البيوت.

وهناك نساء علمانيات، تبنين بالكامل قضية المرأة من البداية، ولا يمثل الإسلام بالنسبة لهن فى الحقيقة أكثر من وسيلة لتأييد قضيتهن الأصلية. وهذه النوعية **ترى أن تخلى المسلمين عن الشريعة أمر بعيد الاحتمال، وأن الأجدى أن يُنقبن فى التراث، ليستخرجن منه ما ينصر قضايا المرأة**، وفي نفس الوقت يقمن بالتكتم على كل ما لا يعجبهن من القرآن والسنة وآراء الفقهاء التى لا تناسب المرأة المتحررة.

وهناك فئة أخرى من الدعاة المخلصين الذين يرفضون العلمانية ويناوئون الحركة النسائية بشكل عام، لكنهم يوافقون على بعض مطالب الحركة النسائية درءا لشبهة التطرف عنهم وعن التيار الإسلامى الذي يمثلونه. **وبعض هؤلاء الدعاة تقرأ تصريحاته، فتحس بأنك أمام سياسى، وليس أمام رجل دين، فهو لا يتكلم عما فى قلبه، بل يختار كلماته بعناية حتى لا يغضب الرأي العام، مع أن رجل الدين يفترض أن يغير الجماهير، لا أن تغيره الجماهير.**

إذن أين أهل الحق؟ إنهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة بعد أن وطأتهم جحافل جيش الشيطان.

هذه هي الكارثة. وهذا هو حجمها. فماذا نحن فاعلون؟

الباب الأول: الأُسرة فى قلب المعركة

ما الأهم: المرأة أم الأسرة؟

يقتنع البعض بأن الحركة النسائية تهدف إلى إنصاف المرأة، ورد حقوقها التى سلبها الرجل عبر آلاف السنين. وبفرض حسن نوايا هذه الحركة إلا أنها **فى خضم استعادتها لحقوق المرأة دمرت الأسرة.**

الحركة النسائية جعلت الهدف الأول للمرأة هو "ذاتها"، وحقرت من شأن رعايتها لأسرتها، حتى **أهملت أولادها تاركة أمر تربيتهم لدور الحضانة. كما أهملت زوجها، فبحث عن العاطفة لدى زميلته فى العمل.** كانت هذه مجرد بداية. وبمرور الوقت **أصبحت المرأة لا تتردد فى طلب الطلاق إن تعارض عملها مع زواجها، بل أصبحت من الأصل ترفض الزواج، أو تعزف عن الحمل** حتى لا تتعطل مسيرة نجاحها العملية. وأصبحت تربية القطط والكلاب بديلا أسهل لتربية الأطفال فى ظل مشاغل العمل العصرية.

الحركة النسائية والأسرة ضدان، لا يجتمعان. ولا يمكن للحركة النسائية أن تنتصر إلا على جثة الأسرة. فأيهما نختار؟ هل الأسرة مؤسسة مهمة للبشرية بحيث نطالب المرأة أن تضحى بنفسها من أجلها؟ هذه نقطة محورية فى الكتاب.

لماذا جعل الله تعالى البشر يعيشون على شكل أسر؟ لماذا لا يعيش كل بضعة أصحاب معا فى بيت واحد، أو يعيش كل واحد فى بيته، ليتقي بأصحابه كما يشاء فى الصباح أو المساء، ثم يعود إلى بيته ليمكث وحده؟

إننا نؤكد أن للأسرة أدوارا، لا غنى عنها للبشرية:

1- الأهمية المادية للأسرة

لقد أراد الله تعالى أن يقدم للبشر من خلال مؤسسة الأسرة أقصى درجات الرعاية والحماية المادية. إن الإنسان كائن ضعيف، لا يستطيع وحده أن يجابه الطبيعة الجبارة بما فيها من أخطار لا تنتهى. ومن أجل ذلك **أراد الله تعالى للبشر أن ينتظموا فى جماعات صغيرة على أساس رابطة الدم القوية، فيتحول الجميع إلى بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا.** فى ظل الأسرة يشعر كل فرد

بواجبات نحو أقاربه، ويحس أن عليه مسئولية حماية مصالحهم والدفاع عنهم، فللكل حياة واحدة ومصير مشترك، وقديما قال المثل: "الاتحاد قوة".

هب أنك كنت تعيش وحدك، فاقتحم بيتك لص، أو اعتدى عليك مجرم، فماذا كنت تفعل؟ وإن مرضتَ لا قدر الله بخلل فى وظائف الكليتين، فمن يحملك ثلاث مرات كل أسبوع إلى المستشفى، ثم يبقى معك عدة ساعات حتى تنتهى جلسة الغسيل الكلوي؟ إن كنت غنيا فستستأجر من يرافقك للمستشفى، لكن أغلب الناس ليسوا أغنياء. وإن أصبت بالشلل فى شيخوختك فمن يرعاك، وينظف ملابسك ويساعدك على قضاء حاجتك؟ وماذا يحدث إن أصبتَ بأزمة قلبية أو جلطة فى المخ فى منتصف الليل، وأنت وحيد فى البيت؟ وماذا يحدث إن انخفضت نسبة السكر فى دمك، فتوقف قلبك، ولم يكتشف الناس موتك إلا بعد أن فاحت رائحة جثتك؟

وفى الغرب لما انهارت الأسرة، وعاش كل إنسان منفردا حدثت فواجع، تدمى لها القلوب. منها ما **ورد في تقرير للتليفزيون السويدى[2،3]، ذكر أنه فى الفترة من عام 2018 حتى 2020م مات أكثر من 400 شخص فى السويد داخل بيوتهم لمدة شهر كامل أو أكثر دون أن يدري بهم أحد.** ومن بين هؤلاء بقيت جثث أكثر من مائة شخص ملقاة فى البيوت لمدة تزيد على ثلاثة أشهر دون أن يكتشفها أحد. وعشرة منهم ظلوا لأكثر من عام موتى دون علم من أحد. وواحد منهم ظلت جثته غير مكتشفة لمدة أربعة أعوام. وموت هؤلاء لا يكتشفه أحد لأن إيجار البيت وبقية مدفوعاتهم المالية كانت تقتطع آليا من حساباتهم البنكية. ويقول أوستين ساهلين الذى عمل لسنوات طويلة في نقل جثث مثل هؤلاء الأشخاص: "هذا هو الجانب المظلم للمجتمع. أشعر بالرغبة فى التقاط هؤلاء الناس كي لا يضطروا إلى الرقود هناك فى وحدتهم. لا أعتقد أنه ينبغي عليك أن تختفى بهذه الطريقة". وذكر فى نفس التقرير أنه فى كثير من الأحيان عُثر على كلاب ميتة بجوار أصحابها، فالناس فى هذه البلاد أصبحوا يستعيضون عن الأسرة بتربية الحيوانات كى تخفف عنهم ألم الوحدة، كما لو كانت الحيوانات بنين وبنات من أصلابهم.

---

2) **"Vi ser den mörka sidan av samhället"** published December 21, 2021. https://www.svt.se/nyheter/inrikes/over-400-personer-lag-doda-minst-en-manad-innan-de-hittades ; accessed February 8, 2022

3) **Hundreds die alone and bodies undiscovered for months.** Published December 21, 2021. https://sverigesradio.se/artikel/hundreds-die-alone-and-bodies-undiscovered-for-months ; accessed February 8, 2022

لقد خلق الله تعالى الأسرة ليرسخ التكافل والتعاون بين الناس، فلا يصير الإنسان كالريشة فى مهب الريح. فى ظل الأسرة ترى الإنسان أكثر ثباتا، فهو يعلم أنه إن ألم به مكروه فسيجد حوله مَن يمدون إليه أيديهم، وكأن المصيبة مصيبتهم. وهنا نجد فرقا بين القريب والصاحب: الأصحاب أكثرهم غير مخلص. وإن وجدت صديقا وفيا، فلا بد لعطائه من حدود. ومن الصعوبة بمكان أن يفضلك صديقك على نفسه، فإن كنت لا تجد عملا، فلن يقتسم معك راتبه بالتساوي، وإن كنت مريضا فلن يترك عمله ليرافقك شهورا فى المستشفى. وانظر بشكل عام إلى أى إنسان يمر بكارثة، فستجد أن من يقفون بجواره هم أقاربه، لا أصحابه. الإنسان قد يحب صديقه أكثر من أهله، لكنه إن وقع فى أزمة، فأول من يساعده هم أهل بيته، وليس أصحابه. إن التكافل الحقيقي لا يوجد إلا بين أولي الأرحام، ولا يمكن لأى نظام اجتماعي أن يحل محل الأسرة.

وفضلا عن ذلك **توفر الأسرة للإنسان الرعاية المادية الأولية،** فالطفل يولد ضعيفا، لا حول له، ولا قوة، فيجد حوله أسرة ترعاه، فأمه ترضعه وتنظفه وتلاعبه وتمرضه، وأبوه يوفر له الطعام والكساء والدواء والحماية من الأعداء. وتخيل أن البشرية لم تعرف يوما نظام الأسرة، وأن الأم بعد أن تلد، تترك طفلها على قارعة الطريق، وتمضى لحالها، فهل يستقيم للطفل عيش؟ وهل تستمر الحياة على الأرض؟ وبفرض أن الأم لا تترك أولادها، ولكنها تعيش وحدها معهم بلا أب لأن الرجال يتنقلون بين العشيقات بلا قيود، ألن يكون ذلك ظلما للمرأة لأنها ستضطر للعمل وتربية صغارها فى نفس الوقت، بينما لا يتحمل الرجل إلا مسئولية نفسه؟

إن نظام الأسرة يمثل قيدا على الرجل، وتكبيلا لنزوعه الجامح نحو الشهوة. وأكثر المستفيدين من نظام الأسرة هي المرأة. ومن العجيب أن تكون المرأة المعاصرة هى التى دمرت بيديها نظام الأسرة لما ثارت على الرجل، فأضرت بنفسها وأولادها بحماقة منقطعة النظير.

2- الأهمية النفسية للأسرة

خلق الله تعالى الإنسان، وفى نفسه ميل شديد للاختلاط بالآخرين. الإنسان كائن اجتماعى بطبعه، والشخص المنطوى يمثل حالة استثنائية. وهنا **تلعب الأسرة دورا مهما فى تبديد الشعور بالوحدة.**

إن أقسى اللحظات هى تلك التى يعيش فيها الإنسان منفردا. وكم يحزن المرء حين يرى امرأة لم تتزوج، أو تزوجت ثم طلقت، أو توفي زوجها، فعاشت فى وجوم بين أربعة جدران بعد وفاة أبويها، وزواج إخوتها. وما أتعس أُم تخلى عنها أولادها بعد أن تزوجوا، فعاشت فى بيت كئيب، لا يؤنسها فيه إلا ذكريات لا تسمن ولا تغنى من جوع. ومن يسافر إلى الخارج يذق طعم الوحدة حين يعود من عمله، فلا يجد من ينتظره فى البيت. وقد أخبرنا أحد الأصدقاء المغتربين أنه كان يبكى إذا جلس فى البيت يوم الجمعة دون أسرته، فكان يخرج إلى الشوارع هائما على وجهه حتى ينسى مرارة الوحدة. ولو كان البشر يعيشون فى أسر مكونة من الأصدقاء – وليس من الأقارب– لكان من السهل أن يترك الواحد منهم البيت مع أى خلاف بينه وبين رفاقه، أما إن حدث خلاف مماثل داخل الأسرة القائمة على صلة القرابة فمن الصعب أن ينفصل أحد أفرادها، وذلك لأن رابطة الدم لا تنفصم عراها بسهولة.

حقا لن يموت الإنسان إن عاش وحيدا، لكنه لن يكون أبدا سعيدا. لقد أراد الله لنا عيشة هنية بأن جعل لنا حياة أسرية، لكن المرأة المعاصرة ضحت بالأسرة من أجل إثبات الذات، فيا لها من شقية!

ومن أهم الفوائد النفسية للأسرة أنها تجعل الإنسان يحيا من أجل هدف. إن الرجل إن ابتلى بالعقم عاش فى كآبة وملل، لأنه لا يجد فى نفسه دافعا للحياة والنشاط والعمل. أما الرجل الذي لديه أولاد فهو يجتهد، ويصل الليل بالنهار كى يلبي حاجات أولاده، وهذا يدفع عنه الفراغ، ويذهب عنه السآمة. ونفس الكلام ينطبق على الأم العاقر. الأسرة نعمة عظيمة لا يقدرها حق قدرها إلا من حرم من نعمة الولد. فهل من شكور؟

ومن الفوائد النفسية للأسرة أنها تجعل الكبار يسعدون بالصغار. الأطفال نعمة عظيمة. ومن حرم منهم حرم من خير كثير، فهم يملأون الدنيا ضجيجا، وضحكا، ومرحا. وتراهم يتسمون بالبساطة والسذاجة، فيجبرونك على الابتسام والضحك. ولو كان الرجل يترك رفيقته بعد الجماع، ويحيا وحده بلا أسرة لحرم من بهجة الأطفال. وفي نفس الوقت ستكون مسئوليات المرأة أشق وأكبر، ولن يكون لديها راحة البال اللازمة لتمرح معهم، وتسعد بهم.

3- الأهمية الأخلاقية للأسرة

إن تفككت الأسرة ضاعت الأخلاق. كيف؟

الأسرة تتكون من أبناء وآباء. والأبناء الصغار والمراهقون يندفعون وراء أهوائهم وشهواتهم، ولا يبدون اهتماما كبيرا برأي المجتمع فيهم، وقليلا ما يفكرون في عواقب تصرفاتهم. أما الآباء والأمهات فيمثلون الحكمة والخبرة، ويعلمون أبناءهم الصواب والخطأ، ويضبطون الميزان حتى لا يميل ناحية الأهواء الحمقاء. ولو كانت الأسرة مكونة من أصحاب –وليس من آباء وأبناء– لأفسد كل منهم الآخر، فقليلا ما يقول الصاحب لصاحبه: " أنت مخطىء"، لأن كليهما له نفس العمر، ونفس الفكر، ونفس الاندفاع، أما الوالد فهو أكثر نضجا. الابن مثلا يحب أن يقلد زميله الذى يدخن، أما الأبوان فيدركان أن التدخين هو الخطوة الأولى نحو المخدرات لأنهما شاهدا شبابا انحرفوا بنفس الطريقة من قبل. الابن المتهور قد يعتدى على شخص بريء، أما الأب فينهر ابنه، ويعاقبه حتى لا يكرر تطاوله على الناس. والفتاة تحب أن تظهر مفاتنها أمام الناس، لكن أباها يغار عليها، وأمها تخاف عليها من ذئاب البشر. الابن يحب أن يقف مع أصحابه في الشوارع، ليشاهدوا المارة، ويضايقوا النساء، لكن الأبوين لا يرضيان بهذه المهازل الأخلاقية.

وبشكل عام فكلما شددت الأسر من قبضتها على الأبناء ارتفع مستوى الأخلاق فى المجتمع. **ومن الحقائق التي تعرفها أجهزة الاستخبارات جيدا أنك لكى تدمر دولة فعليك أن تدمر أخلاق شعبها، ولكى تدمر الأخلاق عليك بتدمير الأسرة. وهذا هو سبب الدعم اللانهائي الذى تقدمه حكومة العالم الخفية للحركة النسائية.**

وإذا نظرنا إلى ظاهرة أطفال الشوارع المشردين الذين لا يعرفون الأخلاق لوجدنا أنها غائبة عن القرى المصرية، لكنها منتشرة في المدن، خاصة المدن الكبرى. والسبب هو أن الأسرة لا تزال تتمتع بتواجد قوى في القرى. وهذا يدل على أن تراجع دور الأسرة يتسبب فى تراجع الأخلاق. وطبقا لرئيس برنامج "حماية الأطفال بلا مأوي" فإن أعداد أطفال الشوارع الذين تم إحصاؤهم بواسطة البرنامج يبلغ 16 ألف طفل[4] ، بينما يرى آخرون أن عددهم يبلغ 2 مليون[5]. والشيء الذى

[4]) **بعد عامين من إطلاقه.. هل نجح برنامج "أطفال بلا مأوى" في مكافحة ظاهرة "أطفال الشوارع"؟** بوابة الأهرام. بتاريخ 25 يونيو 2019م.
https://gate.ahram.org.eg/News/2237399.aspx

[5]) **ارتفاع كبير في عدد أطفال الشوارع في مصر**. تقرير/ عمرو جميل. موقع بى بى سى. 12 أبريل- 2014م
https://www.bbc.com/arabic/multimedia/2014/04/140412_egypt_street_children

يقلق الجميع من ظاهرة أطفال الشوارع ليس فقط الخوف على هؤلاء الأطفال، ولكن أيضا الخوف منهم، **فهم بلا أخلاق، ولا يتورعون عن ارتكاب أي جرائم. وسبب افتقارهم للأخلاق أنهم لم يتربوا في كنف أسرة ترشدهم إلى الخير والشر.** ولعلكم تذكرون ما انكشف منذ سنوات عن المجرم المسمى ب"التوربينى"، الذى كان يغتصب أطفال الشوارع، ثم يرمي بهم من فوق القطارات، ليلقوا حتفهم. وبعد القبض على التوربينى ظهرت نسخ مكررة منه، أحدهم مسجل خطر بالمنيل، جند 40 طفلا من أطفال الشوارع، واغتصبهم، وأجبرهم على إدمان الكلة، ودفعهم لعالم التسول والجريمة، وقتل اثنين منهم لأنهما حاولا الهرب[6]. وهكذا **تتجلى الصلة الوثيقة بين تماسك الأسرة والأخلاق.**

إن القوانين وحدها يستحيل أن تنشر الفضائل، وتحارب الرذائل بشكل كامل، وهنا يتجلى دور الأسرة. القوانين لا تستطيع أن تحاسب شابا نظر بشهوة إلى فتاة، أو قال لها خلسة كلمة خادشة للحياء. قوانين الدولة يستحيل أن تعاقب شخصا سعى بالنميمة بين صديقين، أو نهر فقيرا استجدى منه صدقة. القوانين يستحيل أن تجبر الإنسان على الوفاء بوعد قطعه على نفسه. وفى كل هذا تسد الأسرة ثغرات القوانين لأنها تحرص على أن ينشأ أبناؤها على الفضائل. وبما أن الدولة – بحكم طبيعتها– عاجزة عن بسط سيطرتها التامة على الناس، فلهذا أوجد الله تعالى مؤسسة الأسرة بحيث تمارس رقابة إضافية على الأفراد، **فالأبناء يقعون تحت سلطة الأب والأم، والأم تقع تحت سلطة الأب، والأب يقع تحت سلطة الأسرة الممتدة المكونة من الجد والعم والخال.**

ولكن ربما قيل أن الأم تكفى وحدها لتهذيب الأبناء، وحمايتهم من الانحراف دون حاجة للأب، ودون حاجة للأسرة بالشكل التقليدي.

ونحن نقول: **إن كانت الأم حريصة على تهذيب أبنائها، فما المانع من أن يوجد بجوارها من يعينها على هذه المهمة؟ لماذا لا يكون هناك مربيان للأبناء بدلا من مرب واحد؟ لماذا لا يكون هناك رقيبان بدلا من رقيب واحد؟** إن الابن إن نهرته أمه لأنه يدخن فقد يُعرض عنها، أما إن لقى تعنيفا من الأم والأب معا فسيكون الضغط عليه أعظم.

[6]) **توربيني جديد بالمنيل: اغتصب 40 طفلا وقتل اثنين حاولا الهروب من جحيم**. تحقيق: هاني بركات. بوابة الأهرام. 30 مارس 2013م.
https://gate.ahram.org.eg/daily/News/201572.aspx

وإضافة إلى ذلك **فالأب فى العادة يتميز بالشدة، وهذه صفة مطلوبة لتهذيب الأبناء**، خاصة الذكور والمراهقين، الذين لا يجدى معهم النصح. إن الشدة ضرورية للتعامل مع جموح الأبناء. وافتراض أن كل ابن سيستجيب للنصيحة هو افتراض فى غاية السخافة. حقا هناك أبناء يمكن تربيتهم بالموعظة الحسنة، لكن هناك أيضا من لا ينفع معهم إلا القوة، وهؤلاء كثيرون. والرسول عليه الصلاة والسلام استخدم كلا الأسلوبين مع الكفار والمسلمين، فوعظ وعاقب، فالحياة لا تستقيم بدون عقاب. ومن لا يعجبه أن يعاقب الآباء أبناءهم، فليطالب الدول بإلغاء قوانين العقوبات، وإخراج القتلة وتجار المخدرات من السجون بحجة أن العقاب أسلوب غير حضاري.

وقد يقول قائل: "إن العقاب ليس دائما ذا جدوى، فكم من ابن انحرف رغم شدة أبيه". ونحن نقول نعم، هذا صحيح ، لكن **إذا كان العقاب يخفق أحيانا فهو ينجح فى أحيان أخرى**. وبدلا من أن تقول: "أخفق العقاب فى تغيير فلان وفلان"، لماذا لا تقول: "نجح العقاب فى تهذيب فلان وفلان"؟ إن نسبة نجاح العقاب لا تصل إلى 100% ، لكنه على أى حال يحقق نجاحا ليس بالقليل. ومن الحماقة أن يتوقف الأطباء عن علاج مرضى الالتهاب الرئوى بعقار السيفترياكسون بحجة أن بعض المرضى أخذوه، ولم يبرأوا من مرضهم؟ إن من الصعب جدا أن تعثر على دواء يشفى كل داء.

وأخيرا نحن لا ننكر أن الأسرة تدفع أبناءها أحيانا إلى الفساد، فقد ينشأ الابن ليجد أباه تاجر مخدرات، فيعمل معه في نفس المهنة. وفى المقابل قد تصاحب البنت صديقة مهذبة، فتجعلها تكره مهنة البغاء التي تعمل بها أمها. نعم هذا محتمل، لكنه ليس الشائع. وفى أغلب الأحوال تنزع الأسر لتربية أبنائها وتهذيبهم. ولو حدث يوما أن رفعت كل الأسر قيودها من على أبنائها فسينحرف بعض الأبناء، وسيهتدى بعضهم، لكن نسبة المنحرفين ستكون أكبر بكثير.

4- الأسرة وحسن توظيف قدرات الأفرد

لو عاش البشر مثل الحيوانات بحيث يترك الرجل المرأة بعد الجماع لتربي الأولاد، ثم يمضي إلى عشيقة أخرى لكان فى هذا إهدار لطاقات البشر، وسوء توظيف لإمكانياتهم، وذلك لأن الرجل يتصف بالقوة البدنية، وهذه القوة يجب استغلالها في إعمار الأرض، وتقدم البشرية. ولو عاش الرجل بلا أسرة، لما كان بحاجة إلى العمل الدءوب لأنه لا يعول إلا نفسه، ويكفيه أقل قدر من

المال كى يعيش مرتاحا، فإن كان تاجرا جلس فى متجره ساعتين أو ثلاثة فقط، وإن كان فلاحا زرع قيراطين بدلا من فدانين. أما الأب المكبل بواجبات الأسرة، فيعمل بأقصى طاقته كى يوفر سبل العيش لزوجته وأولاده. وإن عمل الرجل بجد ازدادت البشرية تقدما ونهضة، وانعكس هذا بالخير على النساء والأطفال.

ونفس الكلام ينطبق على المرأة التى تتصف بالرقة وضعف الجسد والحنان والعطف والحب، فلو كانت تعيش وحدها دون رجل، لاضطرت للخروج من البيت للعمل، فتهمل أولادها، وتهدر قدراتها فى مجال لا تتميز فيه. وعلى ذلك فنظام الأسرة أمر لا مفر منه إن أردنا الاستغلال الأمثل لطاقات البشر. **غياب الأسرة يصاحبه سوء توزيع للأفراد، فيجلس الرجل القوى فى البيت لأنه لا يحتاج للعمل، بينما تخرج المرأة الضعيفة من البيت، وتهمل الأولاد لأنها مضطرة للعمل. وهذا عبث إداري**، لا يختلف عن تعيين طبيب كمدير لمصنع، أو تعيين مهندس كمدير لمستشفى.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

كيف رسخ الله مؤسسة الأسرة

أكبر عدو لمؤسسة الأسرة هو الزنا. الزنا يأتى للرجل بأولاد ليسوا من صلبه، فلا يعطف عليهم كما يعطف الآباء على الأبناء، بل قد يعتبرهم أعداء، يستحيل أن يربوا فى كنفه. والزنا يأتى للمرأة بأولاد، فرَّ أبوهم بعد أن قضى شهوته، ومضى يبحث عن امرأة أخرى. ولهذا فلكي يتمتع الأبناء برعاية أبوين اثنين فلا بد من زواج وأسرة، ولا بد من محاربة الزنا.

ومن يتأمل أحوال البشر يلاحظ عددا من الظواهر التي لا تفسير لها إلا أن الله تعالى أراد أن يحارب الزنا، ويدعم الأسرة كوحدة بنائية للمجتمع. ونسوق الآن تلك الوسائل التى استخدمها الله تعالى لمحاربة الزنا فى الأرض:

1-قِصَر عمر الجمال

جاذبية المرأة تقل بسرعة مقارنة بالرجل، خاصة بعد الحمل والولادة. لاحظت ذلك أول مرة حين عرفنى أحد الأصدقاء على رجل فى الستين من العمر، يسير فى الشارع بجوار زوجته، فوجدت أن الرجل يتمتع بالصحة والقوة، بينما تمكنت علامات الشيخوخة من وجه زوجته رغم أنها أصغر سنا منه. ولما فكرت وجدت فى ذلك حكمة من الله تعالى، إذ لو كانت المرأة تحتفظ بجمالها وحيويتها إلى سن الستين مثلا، لسار الرجل فى الشارع، ليجد أن غالبية النساء حوله لا زلن يتمتعن بالنضارة والجمال، وسيكون عليه أن يبذل جهدا هائلا كى يغض بصره، ويمنع نفسه من الزنا. إنك إذا سرت فى أحد الشوارع اليوم، وقابلت 100 امرأة، لكان 40 منهن مثلا شابات جميلات. لكن لو جعل الله المرأة تحتفظ بشبابها حتى سن الستين لكان عدد النساء الفاتنات 80 أو أكثر. ومن هنا يتبين كم كان الله تعالى حكيما حين سلب الجمال بسرعة من المرأة، فهذه إحدى وسائل منع الزنا.

ولكن قد يقول البعض: "إن فقد المرأة لجمالها بسرعة سيدفع زوجها للزنا". ونحن نقول: أكثر الناس ميلا للزنا هم المراهقون والشباب غير المتزوجين، ولذا فهذه النقطة التي تطرحها هي فى أحسن الأحوال ضعيفة الأثر. وإضافة إلى ذلك الرجل فالمتزوج الذى وصل إلى سن الخمسين مثلا، ووجد أن زوجته لم تعد جميلة، فيمكنه أن يتزوج بأخرى طبقا لشريعة الإسلام، وسيتجنب بذلك الزنا.

وعلينا أن نلاحظ أن المرأة تفقد جمالها فى سن 35-40 عاما أو أكثر، وسيكون عمر زوجها حينئذ 45 عاما أو أكثر. والميل للزنا فى هذا السن يكون أقل من ميل الشباب له فى سن العشرين والثلاثين. وأخيرا دعك من كل هذا، فقد أظهر لنا الواقع أنه مع التقدم الرهيب لوسائل التجميل فى السنوات الأخيرة زاد الانحلال والزنا. وهذا الدليل العملي يكفي.

2-الغيرة

خلق الله تعالى الغيرة في قلب الرجل والمرأة، فأضحى الرجل يحذر أن يتودد إلى امرأة لا تحل له حتى لا يَغضب زوجها وأبوها، وحتى لا تَغضب زوجته. وبالمثل إن حاولت امرأة إغراء رجل غريب فسيَغضب زوجها وأبوها، وستغضب كذلك زوجة الرجل الذي تتودد إليه. ويمكنك أن تلاحظ أن المجتمعات التى يتمتع فيها الرجال بالغيرة (مثل قرى الصعيد فى مصر) يقل فيها الزنا كثيرا مقارنة بالمدن الكبرى، التى انتشرت فيها الدياثة. كما أن الرجل الفاسق يعمل ألف حساب لزوجته وللحصار الذى تفرضه عليه بأسئلتها وشكوكها. والغيرة تجعل الأب يسأل ابنته، والأخ يسأل أخته: لماذا تخرجين وحدك ليلا؟ ولماذا ترتدين هذه الملابس الضيقة؟ وكثيرا ما تعرضت النساء في الماضي للقتل بسبب سلوكهن السيء. وبذلك أدت الغيرة إلى الحد من انتشار الزنا، ورسخت مؤسسة الأسرة.

3-الحياء

خلق الله عز وجل فى قلوب البشر الخجل من كشف العورة، فأصبح الناس جميعا يسترونها، مع اختلافهم فى تعريف العورة. المهم أن لكل مجتمع حدا لا يصح تجاوزه. وكلما زاد الجزء المكشوف من جسد المرأة زاد انتشار الزنا كما نرى الآن فى أوربا وأمريكا. وأذكر أننى قرأت للدكتور مصطفى محمود أنه شاهد فى إحدى رحلاته قبيلة إفريقية اسمها "نم نم"، كان كل أفرادها عراة، فأدى هذا إلى فوضى جنسية هائلة[7]. يقول مصطفى محمود: «وهذه القبيلة عارية تماما إلا من ورقة توت. ولهذا فإن "الجنس الحر" منتشر بدرجة كبيرة فى هذه القبيلة، فالقبلات والأحضان والملامسات الجنسية والمفاخذة مباحة فى القبيلة بشرط ألا تحمل الفتاة».

[7]) **اعترافات مصطفى محمود**. صفحة 74. حوار أجراه الصحفي محمود فوزى. دار النشر هاتييه. الطبعة الرابعة. 1991م.

وهذه القبيلة تمثل استثناء يثبت القاعدة، ويؤكد أنه لولا الخجل لعم الزنا في كل مكان. حقا بعض الرجال والنساء لا يخجلون أبدا، ولكن هؤلاء قلة، ولا يمثلون التيار الغالب.

4-المرض

كثير من الأمراض تنتشر عن طريق الجماع مثل الإيدز والزهري والسيلان والتهاب الكبد الوبائي وسرطان عنق الرحم. وقد يمثل هذا رادعا لمن تحدثه نفسه بالزنا. أذكر أنني قرأت منذ عدة سنوات في ذروة وباء الإيدز أن هذا المرض قد أدى إلى انخفاض ملحوظ في معدل تردد الرجال على بيوت الدعارة في الغرب. وأصبح الرجل يفكر طويلا قبل أن يدخل في علاقة مع امرأة غير زوجته. ومنذ سنوات أنتج فيلم عربي عن شباب مصريين أصيبوا بمرض الإيدز نتيجة علاقة مع نساء إسرائيليات، فنجح الفيلم وقتها في إثارة الذعر من عاقبة الزنا[8].

5-غشاء البكارة

نجح غشاء البكارة على مدى آلاف السنين في صد الفتيات عن الزنا. كان على البنت أن تفكر ألف مرة قبل أن تسلم جسدها لرجل قبل الزواج لأن أمرها سيُكتشف حتما ليلة الزفاف. وقد أبدعت الأفلام السينيمائية في الماضي في تصوير مأساة مثل هؤلاء الفتيات اللائي زنين ثم ندمن. وقد تجلت في السنوات الأخيرة أهمية غشاء البكارة مع ابتداع الأطباء لجراحة تستطيع أن تعيد للفتاة بكارتها، واختراع أغشية صناعية تشبه غشاء البكارة، فأصبح من الممكن للفتاة أن تزني قبل الزواج دون أن يكتشف زوجها فيما بعد أنها كانت على علاقة برجل قبله.

6-نعمة القبح

لم يخلق الله تعالى كل النساء في جمال نجمات هوليود، ولم يجعل كل الرجال في وسامة يوسف عليه السلام. وهذه حكمة بالغة، فلولا ذلك لأضحت المرأة هي الشغل الشاغل للرجل، والرجل هو الشغل الشاغل للمرأة، فينتشر الزنا في كل الأرجاء. فمن فضل الله تعالى أن خلق من النساء الجميلة والقبيحة ومتوسطة الجمال، ولولا ذلك لعمت الفاحشة.

---

[8]) لسنا من أنصار السينما، ولكننا فقط نرصد ظاهرة اجتماعية.

كما جعل الله تعالى أذواق البشر مختلفة، فقد ينبهر الرجل بجمال امرأة، يُعرض عنها صديقه. كما يمكن أن تحب المرأة رجلا، تكرهه صديقتها. وقد ترتب على ذلك انخفاض نسبة النساء اللائي يؤثرن فى الرجال، وانخفاض نسبة الرجال الذين يؤثرون فى النساء. وقد ساعد ذلك على خفض معدل حدوث الزنا.

7-انخفاض الرغبة الجنسية لدى المرأة

جعل الله تعالى شهوة المرأة (أى الرغبة الداخلية التى تدفعها للجماع) أقل من شهوة الرجل، وهذه ظاهرة معروفة، والطب يؤكدها. وحتى المرأة الجميلة تراها فى أغلب الأوقات غير راغبة فى الجماع، فتصد الرجل إن غازلها أو راودها عن نفسها. ولو كانت المرأة شديدة اللهفة على الجماع لانتشر الزنا بصورة خيالية، لأن قوة الجذب بين الجنسين ستكون حينئذ قوة متبادلة في أغلب الأحيان، ولن يكون الانجذاب من طرف واحد كما هو الحال الآن بوجه عام. إن المرأة تحتاج إلى تمهيد ومقدمات قبل أن تبدأ عملية الجماع، أما الرجل فما أن يقع بصره على امرأة جميلة حتى يخر ذليلا. ولهذا نندهش حين نرى امرأة متبرجة غاضبة بسبب تحرش أحد الرجال. ولو كانت كل امرأة جميلة سهلة المنال لفشا الزنا فى الأرض.

******

وهكذا رأينا كيف أن الأسرة نظام لا غنى عنه لأى مجتمع سليم ، فعلى كل عاقل أن يقف ضد كل محاولة لهدم الأسرة. وهذا ما سنحاول القيام به فى الصفحات التالية إن شاء الله.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

لماذا نستميت دفاعا عن الأسرة

لديَّ يقين كامل أن الشيطان يقف وراء الخلافات الزوجية التى تضرب كل البيوت. الرجل لا يقيم فى البيت فقط مع زوجته، بل يوجد معهما شخص ثالث هو إبليس. وإبليس يعرف الاثنين جيدا، ويُلم بكل صغيرة وكبيرة فى حياتهما، ويدرك جيدا كيف يفكر كل منهما، وماذا يحب، وماذا يكره.

إن أغلب الخلافات الزوجية تكون بسبب أمور تافهة، لا يصدق أحد أنها يمكن أن تكون سببا فى خراب البيوت. وأحيانا يدبر الشيطان مكائد فى غاية المكر كى يفسد بين الرجل وزوجته. ومن أهم الأساليب التى يطبقها الشيطان باحتراف "سوء الظن"، فتراه يجعل كل من الزوجين يسيء تفسير تصرفات الآخر، ويتخيل أنه يقصد إهانته أو إغضابه، مع أنه كان يسعى لإرضائه. **والأدهى أن ترى رجلا غاضبا من زوجة فاضلة جدا**، أو تجد امرأة غاضبة من زوجها الذي يشهد له لجميع بالصلاح.

إن الجهد الذي يبذله الشيطان للإفساد بين الزوجين جهد خرافي، وكأنه يريد أن يثبت فشل نظام الأسرة، ويعود بالبشرية إلى حالة الانحلال الحيواني، حيث يجامع كل إنسان من يشاء وقتما يشاء دون أي التزامات. وأقسم لكم أننى كلما رأيت زوجين على خلاف شعرت بغيظ شديد، وأحسست برغبة عارمة فى الانتقام من الشيطان كي أثبت للعالم أن نظام الأسرة هو النظام الأمثل والأفضل لحياة البشر.

وبرغم المشاكل الزوجية التي لا يخلو منها بيت إلا أنه لا محيص عن نظام الأسرة. **الأسرة أفضل البدائل المتاحة. والخلافات الزوجية تشبه الآثار الجانبية التى تصاحب كل الأدوية**، فالعقار الذي يتناوله المريض يجلب له الشفاء، لكنه يسبب له بعض المتاعب. وهذه المتاعب تكون أقل من فوائد الدواء. ولو بحث الناس عن عقار خال من كل الآثار الجانبية لأعدموا 99% من الأدوية. لقد قضت سنة الله ألا تكون الحياة على الأرض جنة، فالجنة الحقيقية توجد فقط فى الآخرة. كما أن البشر ميالون دوما لاقتراف الذنوب، ولذا فهم يستحقون العقاب مهما بلغ صلاحهم. **ومن صور عقاب الدنيا الخلافات الزوجية، فالرجل عقاب للمرأة، والمرأة عقاب للرجل**؛ قال الْفُضَيْلُ بْنُ

عِيَاضٍ: «**إِنِّي لَأَعْصِي اللَّهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خلق حماري وخادمي وامرأتي وفأر بيتي**»[9]، أى أن الرجل إن عصى الله عاقبه بأن جعل زوجته وخادمه وحماره يتمردون عليه.

إن عقاب الدنيا أهون من عقاب الآخرة. فلا تلوموا نظام الأسرة، ولكن لوموا أنفسكم. نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة. والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

[9]) **البداية والنهاية** (10/ 215). تأليف أبو الفداء بن كثير الدمشقي. تحقيق علي شيري. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى 1408، هـ - 1988م

الباب الثاني: من يحكم الأسرة؟

الرجل هو الحاكم طبقا للشريعة

الناس فى بلادنا أَلِفوا الكبائر. ألفوا المخدرات والربا والزنا والعرى والرشوة والمحسوبية والفن الهابط والغش فى الامتحانات. ومن الأمور التى ألفها المسلمون فى السنوات الأخيرة معصية المرأة لزوجها، فقد أصبح المجتمع ينظر إلى المرأة على أنها مساوية تماما لزوجها، ومن حقها أن تعصاه إن لم تقتنع بأوامره. ووصل هذا المنطق إلى درجة البديهيات والمُسَلَّمات.

هذا ما يراه المجتمع، أما ما يراه الإسلام فأمر آخر: **حقا الرجل من حيث المبدأ مساو للمرأة فى القيمة، لكنه فى نفس الوقت رئيس لها، وله أن يأمرها، وعليها أن تطيعه، وهى "فاسقة" إن عصته.** أما المرأة التى تعتقد أن الله لم يفرض على النساء طاعة أزواجهن فى المعروف فهى قد دخلت إلى دائرة الكفر بقصد أو بلا قصد. قس هذا على الصلاة، فتارك الصلاة تكاسلا "فاسق"، أما من يعتقد أن الصلاة ليست فرضا فهو "كافر".

ونحن لا نزعم أن الرجل أفضل من المرأة، فالتقوى هي المعيار الحقيقي للتمايز بين البشر: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]. **ولذا فرئاسة الرجل للمرأة ليست تشريفا، بل تكليفا.**

إن نص القرآن شديد الوضوح فى إثبات رئاسة الرجل: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) [النساء: 34].

ويمكن للقارىء المتعجل الذى يريد برهانا سريعا أن ينظر إلى قوله تعالى "فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا". **إن طاعة الزوج مذكورة هنا بصراحة، وذلك فى كلمة (أطعنكم).** وهذه الآية لا يمكن أن تُفهم إلا بطريقة واحدة، وهي أن المرأة إن أظهرت الطاعة لزوجها، فلا يحق له أن يبغى عليها سبيلا، أى لا يحق له أن يلتمس الطرق لعقابها. وهذا يعنى بالضرورة أن الزوجة إن عصت زوجها حق له أن يعاقبها، وهذا بالفعل ما ورد قبل ذلك مباشرة حين تكلمت الآية عن أشكال العقاب التى يجوز للرجل أن يوقعها على زوجته الناشز (المتمردة)، وهي تشمل الهجر فى المضجع والضرب. وبالله عليكم **هل يمكن لله تعالى أن يمنح الزوج الحق فى عقاب زوجته إن كان قد**

أعفاها فى نفس الوقت من واجب طاعته؟ علام يعاقبها إذن؟ إن من يزعم أن القرآن لا يوجب على المرأة طاعة الزوج ليس مخطئا، بل يستخف بعقول مستمعيه.

والآن لننظر إلى قوله تعالى: (الرجال قوامون على النساء)، ونتساءل: ما معنى (قوامون)؟

كلمة "قوامون" جمع "قوَّام"، وهى صيغة مبالغة من فعل "قام". وحالة القيام أو الوقوف تدل على النشاط واليقظة والحذر والرقابة والجدية، فالقيام يختلف عن القعود والجلوس والرقود والاتكاء. وصاحب العمل الذى يراقب موظفيه، وهو جالس على مكتبه فى أحد الأركان يختلف عن صاحب العمل الذى لا يخلد إلى الراحة، ويظل واقفا طوال الوقت ليراقبهم، ويُشعرهم بوجوده وسلطته. إذن القرآن يعبر عن سلطة الرجل على زوجته من خلال لفظ (قوامون) الذى يدل على أن **الرجل يجب أن يكون حاكما نشيطا يقظا، وليس مجرد حاكم صوري بلا تأثير.**

وفضلا عن ذلك فإن **القرآن يقول:** "**قوامون**"، **وليس** "**قائمون**". **ولفظ** "**قوامون**" **كما قلنا** "**صيغة مبالغة**"، وصيغة المبالغة تدل على شدة الفعل أو كثرة حدوثه، وهذا يدل على درجة أكبر من يقظة الرجل ورقابته لزوجته. إن لفظ "قوامون" أشد خذلانا للحركة النسائية مما نظن.

وعلينا أن نلاحظ أيضا أن الله تعالى يقول: "**قوامون على النساء**"، **وليس** "**قوامون للنساء**". والفرق بين الاثنين كبير. إن **حرف** "**على**" **يدل على الاستعلاء، أى أن الرجل فوق المرأة**، بمعنى أن له سلطة عليها، وله أن يراقبها، ويعاقبها إن تطلب الأمر. أما **لو قال القرآن** "**قوامون للنساء**" **فإن حرف اللام يدل على أن الرجل يعمل** "**من أجل المرأة**" **ومن أجل تدبير شئونها**. وهذا المعنى صحيح فى ذاته ، لكنه ليس المقصود هنا لأن الآية لم تقل: (قوامون للنساء).

لقد **اقترنت كلمة** "**قوام**" **بحرف اللام فى آية أخرى**، تتضمن عبارة "قوامين لله": (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ)[سورة المائدة 8]. وفى هذه الآية الأخيرة نجد أمرا للمؤمنين بأن يقوموا لله، أي يعملوا ويجدّوا من أجل الله، ومن أجل رفعة دينه. وليس المقصود طبعا أن يمارس المؤمنون سلطة على الله أو رقابة عليه.

أما **القيام** "**على**" **الشىء، فقد ورد فى مواضع أخرى من القرآن**، منها قوله تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ

قَائِمًا) [سورة آل عمران 75]. وفى هذه الآية الأخيرة نجد أن الرجل الذى يَلقى مماطلة من أحد اليهود أو النصارى فى رد الأمانة يظل "قائما عليه"، أى يكون جادا ونشطا وملحا فى مطالبته برد ما أخذ، كما يراقب تحركاته ودخله ونفقاته ليعرف مبلغه من الصدق والكذب. وواضح هنا معنى الاستعلاء في حرف "على"، فصاحب المال يكون ولا شك أعلى ممن يماطل ويتهرب.

وفى آية أخرى نجد أن الله عز وجل قائم "على" كل نفس بما كسبت: (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ)[الرعد 33]. وقيام الله تعالى "على" كل نفس ليس معناه هنا أنه يرعاها ويحميها ويرزقها. حقا الله تعالى يفعل ذلك، لكن ليس هذا مقصد الآية بدليل قوله "بما كسبت" الذى يجبرنا أن نفهم قيام الله هنا على أن معناه محاسبته تعالى لكل إنسان على ما كسب من أعمال، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء[10]. ولهذا قالت الآية الأخيرة: "قائم على كل نفس"، وليس: "قائم لكل نفس".

إذن معنى قوله تعالى: "الرجال قوامون على النساء" هو: الرجال لهم سلطة قوية على النساء، تخول لهم الرقابة والتوجيه والتأديب.

ولكن ما الذى يجعل الرجال مستحقين للقوامة على النساء؟

القرآن يعزو ذلك إلى شيئين: **أولا:** « **بما فضل الله بعضهم على بعض**»، أى بسبب المزايا التي منحها الله تعالى للرجال على النساء. **ثانيا:** « **بما أنفقوا من أموالهم**».

أولا: عبارة "بما فضل الله بعضهم على بعض" تشير إلى أن الله تعالى فضل الرجل على المرأة بصفتين جعلتاه قادرا على القوامة، ألا وهما القوة الجسدية والقوة النفسية، اللتان جعلتاه أكثر ارتباطا بالعالم الخارجى (خارج البيت)، وأكثر قدرة على العمل فيه والتعامل معه، وبالتالي أقدر على تحقيق مصالح الأسرة والدفاع عنها.

---

[10]) قوله تعالى: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يتضمن كلاما محذوفا ، يمكن فهمه من سياق الآيات السابقة التى تتوعد الكفار بعقاب شديد فى الدنيا والآخرة:(وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)[سورة الرعد 32]. المعنى إذن هو: هل يمكن لله الذى يقوم على كل نفس بما كسبت أن يتركك يا محمد دون أن يتدخل لينصرك ويعاقب الكفار الذين يكذبونك ويستهزئون بك؟ إن هؤلاء الكفار ليسوا استثناء من سنة الله ، وأنت أولى من كل الخلائق بالنصر ورد الاعتبار.

إن جسد الرجل أقوى من جسد المرأة، فأصبح لهذا أقدر على الخروج إلى العمل، واكتسب خبرة بالحياة، ودراية بمشاكلها، وقدرة على التعامل مع الناس، والحذر من شرورهم، ومعرفة بالوسائل المطلوبة لتحقيق شتى الغايات العملية .

ويضاف إلى ما سبق أن من الطبيعى أن تُمنح القيادة للأقوى، وليس للأضعف (بفرض التساوي فى الصفات الأخرى)، فسُلطة الضعيف ستكون سلطة شكلية، لا تغير من الواقع شيئا.

ومما ساعد على تنمية خبرة الرجل أن الله تعالى وهبه العقل، وسلب منه العاطفة (نسبيا) على عكس المرأة التى تميزت بالعاطفة، وحُرمت من العقل (نسبيا)، وهذا جعل الرجل أكثر قدرة على الصمود فى وجه المشاكل، وأشد صلابة وقت الشدائد، وأكثر قدرة على التفكير بهدوء، مما جعله أولى بأن يأمر، فيُطاع لأن قراراته ستكون فى الغالب هى الصائبة.

ثانيا: الشىء الثانى الذى أهل الرجل للقوامة على المرأة هو ما نجده فى قوله تعالى: " **وبما أنفقوا من أموالهم**". إن الرجل بحكم كونه أكثر قدرة على العمل من المرأة صار أكثر امتلاكا للمال، وبالتالى أصبح هو الذى ينفق على المرأة، ويوفر لها الطعام والشراب والكساء والدواء، وهذا يجعله أحق بالقيادة، **فمن المنطقي أن يكون صاحب المال موافقا على الأوجه التى ينفق فيها ماله، والمثل يقول:** "**من حكم فى ماله فما ظلم**". ومن ينفق من مال لا يمتلكه فقد يسيء التصرف فيه لأنه لن يضار من ضياعه.

ولم تكتف الآية بإقرار قوامة الرجل، بل حثت المرأة على الرضوخ لسلطته: "فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله". وكلمة "قانتات" مأخوذة من "القنوت"، والقنوت يعني الطاعة. وكلمة (قانتات) كما نرى مُطْلَقة، أى أنها لا تحدد بوضوح لمن تكون المرأة قانتة: لله أم للزوج؟ ونحن نؤكد أن **المقصود فى هذه الآية هو القنوت للزوج.** نعم من الممكن للإنسان أن يكون قانتا لغير الله، ألم تقرأ قول الله تعالى: (وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنّ للّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً) [الأحزاب: 31]؟ وفى هذه الآية الأخيرة نجد أن المرأة يمكن أن تكون قانتة لشخص غير الله تعالى، هو محمد عليه الصلاة والسلام، وهو إنسان.

ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ حرف "الفاء" فى كلمة "فالصالحات" ، وهذا الحرف يدل على أن ما بعده مترتب على ما قبله، أى أن قوله: "الصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله" مترتب

على قوله: "الرجال قوامون على النساء". **ولو قلنا أن قنوت الصالحات فى الآية يقصد به القنوت لله لكان هذا لغوا** لأن اعتبار أن القنوت لله من أوجه الصلاح (الصالحات قانتات) ليس نتيجة مترتبة على حقيقة أن الرجال قوامون على النساء؛ الآية بهذا تصبح بلا معنى. أما إذا قلنا أن القنوت هنا هو قنوت المرأة لزوجها فستصبح الآية مفهومة تماما لأن الإخبار بأن قنوت المرأة لزوجها شكل من أشكال الصلاح مترتب على الإخبار بأن الرجل قوام على المرأة، فإنه إذا كان الله تعالى قد عين الرجل حاكما للمرأة، فيترتب على ذلك أن من واجبها طاعته إن كانت حقا تحب الله، وتحرص على رضاه ، فطاعة الزوج من طاعة الله الذى وضعه فى منصبه. وبشكل عام فإن طاعة المرءوس لرئيسه فضيلة، فلا نجاح لمنظومة يصدر فيها المدير الأوامر، فلا يجد من ينفذها.

والمرأة فى كثير من الأحيان تظن أنها ملزمة فقط بطاعة الله تعالى، وأن من الممكن لها أن تكون صالحة محبوبة من ربها حتى لو عصت زوجها، فالزوج فى نظرها مجرد إنسان لا يقارن برب العالمين. ولذا عقَّب الله تعالى بقوله: "فالصالحات قانتات" حتى تعلم المرأة أن طاعة زوجها شرط لاكتساب صفة الصلاح.

ثم إن الآية قالت: "**حافظات للغيب**" بعد "قانتات". وكلمة "الغيب" هى الأخرى "مُطْلَقة" مثل "قانتات"، أى لا تحدد لنا بصراحة مَن الغائب، لكن من البديهى أن الغيب المقصود هنا هو غيبة الرجل عن بيته، لا غيبة الله، فالله تعالى لا يغيب، أما الرجل فيغيب عنه بيته للعمل أو السفر، وفى أثناء غياب الرجل يمكن للمرأة أن تفعل شيئا يغضب زوجها، ولهذا أوصاها الله بحفظ غيبته. إذن **بما أن قوله "حافظات للغيب" يتعلق بالزوج، فكذلك كلمة "قانتات" تتعلق بالزوج،** أى أن المرأة الصالحة هى التى تقنت لزوجها، وتحفظ غيبته.

ومما يؤكد أن القنوت المذكور فى قوله تعالى (فالصالحات قانتات) هو قنوت للزوج، وليس قنوتا لله أن **بقية الآية تتحدث عن كيفية التعامل مع المرأة التى تعصى زوجها**(الموعظة والهجر فى المضجع والضرب)، **وليس عن جزاء المرأة التى تعصى الله.**

على أى حال **طاعة الزوج مذكورة بصراحة كما قلنا فى قوله تعالى بعد ذلك: (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا).**

وإذا عدنا إلى كلمة "قانتات" لوجدنا أنها تعنى الطاعة كما قلنا. هذا أكثر معانى الكلمة شيوعا طبقا لأهل اللغة ، لكننا نرى أن المعنى الأصلى الدقيق للقنوت هو حالة الخضوع والخشوع والإجلال والانقياد والتذلل والتوقير لشخص ما، وهذه الحالة النفسية يترتب عليها حتما الطاعة. ومن الممكن للإنسان أن يطيع الأوامر وهو كاره ومتذمر، وهذه فى رأينا طاعة بلا قنوت. وعلى ذلك فالطاعة ليست مرادفا للقنوات، ولكنها تنشأ بالضرورة من حالة القنوت، فكل قانتة مطيعة، لكن ليس كل مطيعة قانتة. وعلى ذلك **فكلمة "قانتات"– فى رأينا– أكثر بلاغة من "مطيعات". وعلى كل امرأة أن تعلم أن الصلاح الحقيقى يوجب عليها ليس فقط أن تطيع زوجها، بل أن تطيعه دون أن تبدى الامتعاض والتذمر**[11].

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: **(فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا)** لوجدنا أن الله تعالى يقول: "فإن أطعنكم" وليس "فإن قنتن لكم"، وفى هذا تخفيف عن النساء، فلو قال: "فإن قنتن لكم فلا تبغوا عليهن سبيلا" لكان معناه أن من حق الرجل أن يعاقب زوجته إن لم يكن قلبها منقاد وخاشع لأوامره، ولكن هذا صعب، فيكفى أن تطيع المرأة زوجها ولو على مضض كى يعصمها هذا من عقابه. وليس من حق الرجل أن يستمر فى العقاب بحجة أن المرأة ليست سعيدة بأوامره. وفى هذا رفق بالمرأة لأن من الصعب على الإنسان فى بعض الأحيان أن يسيطر على قلبه، مع أن المرأة الصالحة حقا هى تلك التى تقنت لزوجها. ويقول الطبرى فى تفسير قوله: (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا): «فَلَا تَطْلُبُوا طَرِيقًا إِلَى أَذَاهِنَّ وَمَكْرُوهِهِنَّ ، وَلَا تَلْتَمِسُوا سَبِيلًا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ مِنْ أَبْدَانِهِنَّ وَأَمْوَالِهِنَّ بِالْعِلَلِ ، وَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ لِإِحْدَاهِنَّ، وَهِيَ لَهُ مُطِيعَةٌ: إِنَّكِ لَسْتِ تُحِبِّينِي وَأَنْتِ لِي مُبْغِضَةٌ، فَيَضْرِبُهَا عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُؤْذِيهَا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلرِّجَالِ: {فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ} [النساء:

---

[11]) فى معجم **"**لسان العرب": [القنوت الطاعة، هذا هو الأصل، ومنه قوله تعالى: والقانتين والقانتات ؛ ثم سمي القيام في الصلاة قنوتا، ومنه قنوت الوتر. وقنت اللهَ يقنته: أطاعه. وقوله تعالى: كل له قانتون أي مطيعون". ويَرد القنوت بمعان متعددة: كالطاعة، والخشوع، والصلاة، والدعاء، والعبادة، والقيام، وطول القيام، والسكوت؛ فيصرف في كل واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه. وقال ابن الأنباري: القنوت على أربعة أقسام: الصلاة، وطول القيام، وإقامة الطاعة، والسكوت]. هذا كلام أهل اللغة، **ونحن نرى أن كل هذه المعاني التى تعبر عنها كلمة القنوت مشتقة من تلك الحالة النفسية الأصلية من الخشوع والتوقير والإجلال ولين القلب.** وبالنسبة لقول أهل اللغة أن من معانى القنوت الدعاء ، فإننا نرى بالمثل أن الدعاء سمى قنوتا لأنه يكون مصحوبا بتلك الحالة النفسية التى تتضمن لين القلب والخشوع والخضوع والتذلل والانقياد. وسنجد أيضا أن القنوت ليس مرادفا للصلاة ، ولكنه يمثل حالة نفسية من الخشوع والإجلال والتذلل أثناء القيام فى الصلاة ، كما فى قوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)[سورة البقرة 238]. **وتفسير القنوت بالخشوع فى هذه الآية هو أحد التفسيرات التي أوردها الطبري فى تفسيره**: «وقالوا في تأويل الآية: وقوموا لله في صلاتكم خاشعين، خافضي الأجنحة، غير عابثين ولا لاعبين....عن مجاهد:"وقوموا لله قانتين"، قال: فمن القنوت طول الركوع، وغض البصر، وخفض الجناح، والخشوع من رهبة الله. كان العلماء إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يلتفت، أو أن يقلب الحصى، أو يعبث بشيء، أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسيا». **ونحن نرى أن البنية الصوتية لفعل (قنت) تعبر عن معنى الخضوع ولين القلب ، والبعد عن التمرد والتذمر وقسوة القلب**. وهذا أمر شرحه يطول ، وليس هذا مقامه.

34] أَيْ عَلَى بُغْضِهِنَّ لَكُمْ فَلَا تَجْنُوا عَلَيْهِنَّ، وَلَا تُكَلِّفُوهُنَّ مَحَبَّتَكُمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِنَّ فَتَضْرِبُوهُنَّ أَوْ تُؤْذُوهُنَّ عَلَيْهِ»[12]

وإذا ذهبنا إلى السنة النبوية لوجدناها تؤيد ما جاء به القرآن الكريم من ضرورة طاعة المرأة لزوجها:

عن أبي هريرة قال: **سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: " الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا، وَلَا فِي مَالِهِ** ". أخرجه أحمد والنسائى والبيهقى. وإسناده قوى[13]. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي فى التلخيص[14].

وعن عبد الله بن سلامٍ؛ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**خَيْرُ النِّسَاءِ تَسُرُّكَ إِذَا أَبْصَرْتَ، وَتُطِيعُكَ إِذَا أَمَرْتَ، وَتَحْفَظُ غَيْبَتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ**». رواه الطبرانى فى المعجم الكبير. ورجاله ثقات.[15] ولاحظ أن الرواية الأخيرة تقدم لنا تفسيرا لآية القوامة، فقول الرسول: (وَتُطِيعُكَ إِذَا أَمَرْتَ) يقابل قوله (فالصالحات قانتات)، أى طائعات. وقول الرسول: (وَتَحْفَظُ غَيْبَتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ) يقابل قول الله تعالى: (حافظات للغيب).

وعن ابن عباس ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ مَا يُكْنَزُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ**». قال الحاكم فى المستدرك: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ".

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: « **لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظيم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان**

---

[12]) **تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن** (8/ 316). تأليف محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. تحقيق أحمد محمد شاكر. الناشر مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م

[13]) إسناده قوي، ابن عجلان -وهو محمد- صدوق لا بأس به، روى له مسلم متابعة. انظر تعليق المحققين على: "**مسند الإمام أحمد بن حنبل**" (15/ 360). تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

[14]) رواه الحاكم عن ابْنُ عَجْلَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «خَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ تَسَرُّ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا». انظر: "**المستدرك على الصحيحين للحاكم**" (2/ 175). تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

[15]) ذكره الهيثمى فى "**مجمع الزوائد" (4/ 273)**، وقال: « رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ زُرَيْكُ بْنُ أَبِي زُرَيْكٍ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ. وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ». بيد أن زريك بن زريك ليس مجهولا ، فهو – كما قال الذهبى فى "**تاريخ الإسلام**" (4/ 366)- قد روى عَنْ: الْحَسَنِ، وَابْنِ سِيرِينَ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ. وَوَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وَغَيْرُهُ. وقال البخارى فى "**التاريخ الكبير**" (3/ 451): سَمِعَ الْحَسَن، وعطاء، وابْن سِيرين، ومُعاوية بْن قُرَّة، عَنْ أَبي السَّليل. يُقالُ: أَبو نَضرة العُطَارديّ، ويُقال: أَبو النَّضر. وورد فى كتاب: "**الثقات ممن لم يقع فى الكتب الستة**" (4/ 310) أن ابن معين قال: زريك أبو النضر العُطَارِدي ثقة. وقال علي بن الحسين بن الجُنيد: زريك بن أبي زريك ثقة. وروى عنه عفان، وشيبان بن فَرُّوْخ وأهل البصرة.

حتى تؤدي حق زوجها. ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب». أخرجه الحاكم، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. ووافقه الذهبى[16].

(سألها نفسها): طلب منها الجماع. (القتب): هو ما يوضع على سنام البعير تحت الراكب.

وفى لفظ آخر للطبرانى عن زيد بن أرقم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا عَلَى قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ»**.[17] وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.[18]

وقال صلى الله عليه وسلم: **«إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»**. متفق عليه، واللفظ للبخارى. وقال أيضا: **«إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتُجِبْهُ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التنور»**. رواه ابن حبان، وصححه الألبانى.[19] ومعنى (وإن كانت على التنور) أى حتى لو كانت تصنع الخبز فى الفرن، وهذا عمل شاق لأن الفرن شديد الحرارة، ومن يجلس أمامه يتصبب عرقا، ولا يكون مهيأ نفسيا للجماع. وهذه كناية عن وجوب تلبية المرأة لطلب زوجها للفراش مهما كانت متعبة[20].

---

[16]) **المستدرك على الصحيحين للحاكم** (4/ 190). ونص الحديث كاملا كما يلى: روى الحاكم عن القاسم بن عوف الشيباني حدثنا معاذ بن جبل رضي الله عنه : أنه أتى الشام فرأى النصارى يسجدون لأساقفتهم و قسيسيهم و بطارقتهم و رأى اليهود يسجدون لأحبارهم و رهبانهم و ربانيهم و علمائهم و فقائهم فقال : لأي شيء تفعلون هذا ؟ قالوا : هذه تحية الأنبياء عليهم الصلاة و السلام قلت : فنحن أحق أن نصنع بنبينا فقال نبي الله : إنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرفوا كتابهم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظيم حقه عليها و لا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها و لو سألها نفسها و هي على ظهر قتب".

[17]) نص الحديث كاملا كما رواه الطبرانى فى المعجم الكبير: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، أَنَّ مُعَاذًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ أَهْلَ الْكِتَابِ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ؟ أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا عَلَى قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ»

[18]) قال الألباني: أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير". وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال البخاري؛ غير القاسم الشيباني، وهو صدوق يغرب؛ كما قال الحافظ في "التقريب "، وهو من رجال مسلم. وموسى بن هارون ثقة حافظ مشهور، مترجم في "تاريخ بغداد"، و"تذكرة الحفاظ " وغيرهما. ثم رواه الطبراني من طريق صدقة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (7/ 1097). تأليف محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة الأولى (لمكتبة المعارف). 1422 هـ - 2002 م

[19]) **"التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان"** (6/ 250) تأليف محمد ناصر الدين الألباني. دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م. وفى لفظ الترمذى: "إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور". قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

[20]) قال الملا على القاري: المعنى: وَإِنْ كَانَتْ تَخْبِزُ عَلَى التَّنُّورِ مَعَ أَنَّهُ شُغْلٌ شَاغِلٌ لَا يُتَفَرَّغُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ إِلَّا بَعْدَ انْقِضَائِهِ. انظر: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** (5/ 2126). تأليف أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري. دار الفكر، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م
وقال مظهر الدين الزيداني: يعني: إذا دعاها الزوجُ، فَلْتَأتِه وإن كان خبزُها يحترقُ في التنُّور، وهذا بشرط أن يكونَ ذلك الخبزُ للزوج؛ لأنَّ الزوجَ إذا دعاها في هذه الحالة، فقد رضيَ بإتلافِ مالِهِ، وتلفُ المالِ أسهلُ من وقوع الزوج في الزِّنا إن لم تُجبْه الزوجةُ. انظر: **المفاتيح في شرح المصابيح** (4/ 89). تأليف الحسين بن محمود مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ، المشهورُ بالمُظْهِري. تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية. الطبعة الأولى، 1433 هـ - 2012 م

وأخرج الطبرانى بإسناد صحيح عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمَرْأَةُ لَا تُؤَدِّي حَقَّ اللهِ عَلَيْهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ نَفْسَهَا**»[21].

وفى روايةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْتُجِبْ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ**"». رَوَاهُ الْبَزَّارُ[22].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثْنَانِ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمَا رُءُوسَهُمَا: عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، وَامْرَأَةٌ عَصَتْ زَوْجَهَا حَتَّى تَرْجِعَ**»[23].

وروى الحاكم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا، وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ**»[24]. صححه الحاكم ووافقه الذهبى.

عن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الحاجة فقال: "**أي هذه أذات بعل؟** " **قلت: نعم قال:** "**كيف أنت له؟** " **قالت: ما آلوه** (أى لا أقصر في طاعته): **إلا ما عجزت عنه قال:** " **فانظري أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك**"[25]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تَصُومُ المَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ**» رواه البخارى. وهذا الحديث ينهى المرأة عن صيام التطوع (كالاثنين والخميس) إذا كان زوجها حاضرا (غير مسافر) إلا بإذنه لأن الصيام يحرم الرجل من حق الجماع. وإذا كان من واجب المرأة استئذان زوجها قبل فعل إحدى الطاعات كالصيام، فالأولى أن تستئذنه في غير ذلك من أمور الحياة

---

[21]) قال الألبانى: هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات. وقال المنذري في "الترغيب": "رواه الطبراني بإسناد جيد". وقال الهيثمي في "المجمع ": "رواه الطبراني في " الكبير" و" الأوسط " بنحوه، ورجاله رجال " الصحيح "؛ خلا المغيرة بن مسلم، وهو ثقة". انظر: **"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** للألباني (7/ 1098).

[22]) قال الهيثمى: "رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ خَلَا مُحَمَّدَ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَوَاءٍ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ، وَلَمْ يُضَعِّفْهُ أَحَدٌ". انظر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (4/ 312) للهيثمي.

[23]) قال الألبانى: أخرجه الطبراني في " المعجم الصغير" و" الأوسط " ، والحاكم في " المستدرك " وقد سكت عنه هو والذهبي، وإسناده حسن عندي، رجاله ثقات رجال الشيخين، سوى ابن مهاجر فإنه من رجال مسلم وحده، وفيه ضعف يسير. قال الحافظ في " التقريب ": " صدوق، لين الحفظ ". وأورده الذهبي في " الضعفاء " تمييزا فقال: " ثقة ". والحديث قال المنذري:" رواه الطبراني بإسناد جيد، والحاكم ". وقال الهيثمي:" رواه الطبراني في " الصغير " و" الأوسط " ورجاله ثقات ". انظر: **"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** (1/ 580)

[24]) أخرجه الطبرانى والحاكم والبيهقى والخطيب والنسائى والبزار. وقال الحاكم فى المستدرك: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ، ووافقه الذهبى. وقال الهيثمى فى **"مجمع الزوائد":** رواه البزار بإسنادين والطبرانى وأحد إسنادى البزار رجاله رجال الصحيح.

[25]) رواه ابن أبي شيبة وابن سعد والنسائي في "عشرة النساء" وأحمد والطبراني في "الأوسط" من "زوائده" والحاكم وعنه البيهقي والواحدي في الوسيط وابن عساكر وإسناده صحيح كما قال الحاكم ووافقه الذهبي وقال المنذري: "رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين". انظر: **"آداب الزفاف في السنة المطهرة"**. صفحة: 285. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. دار السلام. الطبعة الشرعية الوحيدة 1423هـ/2002مـ

اليومية. وفى رواية أخرى عن أَبى هُرَيْرَةَ، أن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَصُمِ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنْ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ كَسْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ، فَإِنَّ نِصْفَ أَجْرِهِ لَهُ**» متفق عليه، واللفظ لمسلم[26].

ووصف الرسول عليه السلام النساء بأنهن "عوان"، أى "أسيرات" ، وذلك حين قال فى حجة الودا ع: «**ألا واسْتَوْصوا بالنساءِ خَيْراً، فإنما هنَّ عَوانٍ عندَكم**». رواه الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح"، وصححه ابن القيم[27]. **واعتبار المرأة أسيرة عند الرجل معناه أنها واقعة تحت قيود الزوجية، فالزواج يوجب على المرأة التزامات، ويقيد من حريتها، ولهذا شُبهت بالأسيرة**. وهذا الوصف لا يمثل إهانة للمرأة لأن الأسرى فى الإسلام تجب لهم حسن المعاملة: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} [الإنسان: 8، 9]. ثم إن من يقرأ نص الحديث كاملا يجد أنه ما قيل إلا لإظهار التعاطف مع المرأة: «ألا واسْتَوْصوا بالنساءِ خَيْراً، فإنما هنَّ عَوانٍ عندَكم، ليسَ تملكونَ منهُنَّ شيْئاً غير ذلك، إلا أنْ يأْتينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنةٍ....ألا إنَّ لكُم عَلى نِسائكم حقّاً، ولنِسائكُمْ عليكم حقّاً، فحقَّكم عليهِنَّ أنْ لا يوطِئْنَ فُرُشَكم مَنْ تكرهونَ، ولا يأْذَنَّ في بيوتِكُم لِمنْ تكْرَهون، ألا وحَقُّهُنَّ عليكم أنْ تُحْسِنوا إليْهِنَّ في كِسْوَتِهنَّ وطعامِهِنَّ».

وهكذا اتفق القرآن والسنة على وجوب طاعة الزوج، فعلى المرأة أن تستسلم، وترضى، ولا تكرر نفس خطأ بني إسرائيل حين اعترضوا على تعيين الله طالوت ملكا، ظنا منهم أنهم أفضل منه، فبين لهم نبيهم مؤهلات طالوت، ثم ختم كلامه قائلا: {وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 247].

ونفس المنطق يسري على قوامة الرجل: إنها ببساطة اختيار الله. وقد قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: 36].

---

[26]) لفظ البخارى: «لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ»

[27]) **"آداب الزفاف في السنة المطهرة"** للألباني. صفحة: 270. ونص الحديث كاملا: "ألا واسْتَوْصوا بالنساءِ خَيْراً، فإنما هنَّ عَوانٍ عندَكم، ليسَ تملكونَ منهُنَّ شيْئاً غير ذلك، إلا أنْ يأْتينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنةٍ، فإنْ فَعلْنَ، فاهْجُرُوهُنَّ في المضَاجع واضْربوهُنَّ ضَرْباً غيرَ مُبَرِّح، فإنْ أطعْنَكم فلا تَبْغوا عليهِن سَبيلاً، ألا إنَّ لكُم عَلى نِسائكم حقّاً، ولنِسائكُمْ عليكم حقّاً، فحقَّكم عليهِنَّ أنْ لا يوطِئْنَ فُرُشَكم مَنْ تكرهونَ، ولا يأْذَنَّ في بيوتِكُم لِمنْ تكْرَهون، ألا وحَقُّهُنَّ عليكم أنْ تُحْسِنوا إليْهِنَّ في كِسْوَتِهنَّ وطعامِهِنَّ".

ومن المؤسف أن يرضى بنو إسرائيل فى النهاية باختيار الله لطالوت ملكا، بينما تصر المرأة المعاصرة على الاستكبار، وترفض قوامة الرجل التي شرعها الله.

إن كانت المرأة تنظر إلى قوامة الرجل على أنها شكل من أشكال الرئاسة أو المُلك، فلتعلم أن مالك المُلك هو الله، ومن حق الله أن يؤتي مُلكه لمن يشاء، وليس أمام المسلم إلا الاستسلام:
{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: 26، 27]

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل من الضرورى أن يكون للأسرة قائد

رأينا كيف قضت الشريعة الإسلامية بأن الرجل هو قائد الأسرة. والآن نلتمس برهانا على تلك القضية باستخدام العقل، سائرين معه خطوة خطوة.

إن إلغاء سلطة الرجل على المرأة معناه بقاء الأسرة بلا رئيس، وهذا هو الجنون بعينه، فهو أشبه بمن يطالب بإلغاء سلطة قائد الجيش قائلا: "آن الأوان لتحرير الجنود من سلطة قائد الأركان، فالجندى إنسان، وله شخصية، ويجب أن يتصرف فى المعركة طبقا لوجهة نظره المستقلة دون وصاية من أحد."

بالله عليكم هل هذا كلام معقول؟ هذا سيؤدى إلى فوضى عارمة، وستكون نهاية محققة للجيش. وليس هذا شأن الجيش فقط، **فكل جماعة لها قائد، وكل دولة لها رئيس، وكل وزارة لها وزير، وكل مدرسة لها مدير، وكل فريق رياضى له مدرب، فلماذا نستثنى الأسرة، ونستنكر وجود قائد لها؟ هل مصير فريق الكرة أهم من مصير الأسرة؟** لابد لكل جماعة من قائد يكون بمثابة عقل مدبر يدرس الأمور، ويتخذ القرارات. ولا بد كذلك من وجود مرءوس، ينفذ هذه القرارات التى يصدرها القائد، ويحولها من مجرد حبر على ورق إلى واقع مؤثر. ومن المستحيل أن تنجح فئة من الناس يجمعها مصير مشترك، بينما يُترك لكل فرد فيها الحق فى أن يحكم نفسه بنفسه مستقلا عن الآخرين.

أتذكر الآن جماعات الفوضويون (الأناركيين Anarchists)[28] الذين سمعنا عنهم لأول مرة فى مصر فى الفترة التى أعقبت ثورة 25 يناير. والأناركية موجودة فى مختلف بلاد العالم، لكن لا أحد يأخذها على محمل الجد، فهي تدعو إلى إلغاء كل الحكومات فى كل البلاد، ليس لكى تأتى بحكومات أكثر عدلا، ولكن لتترك المجتمع بلا أى حكومة، فيحيا الناس معا على أساس التعاون والتطوع دون حاجة لحكومة تقودهم. وأقل ما يقال عن هذا الكلام أنه سذاجة وعبث لأن الاختلاف بين البشر أمر حتمي، ولا بد من قائد حتى لا يتمزق المجتمع بين قوى متصارعة يحاول كل منها أن يقود الجماعة فى اتجاهه الخاص.

---

[28]) **Anarchism**. By Arif Dirlik. Encyclopedia Brittanica. https://www.britannica.com/topic/anarchism/English-anarchist-thought ; Accessed May 26, 2022.

ونفس هذا العبث قالت به طائفة من الخوارج قديما. يقول أبو الحسن الأشعري عنهم: «أنهم لا يحتاجون إلى إمام وإنما عليهم أن يعلموا كتاب الله سبحانه فيما بينهم»[29]

وهكذا نجد أن الحركة النسائية حين طالبت بإلغاء سلطة الرجل، ومساواته بالمرأة داخل الأسرة فهي تكرر نفس الهراء الذى نادى به الخوارج وجماعات الفوضويين من قبل. إنها نكسة فكرية، وليس تحضرا.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

[29]) ليس هذا رأى جميع الخوارج، فأغلبهم يرون ضرورة وجود إمام؛ يقول الأشعري: « والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان رضوان الله عليهم في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري، ويرون أن الإمامة في قريش وغيرهم إذا كان القائم بها مستحقاً لذلك ولا يرون إمامة الجائر، وحكى زرقان عن النجدات أنهم يقولون أنهم لا يحتاجون إلى إمام وإنما عليهم أن يعلموا كتاب الله سبحانه فيما بينهم». انظر: **"مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين".** صفحة 125. تأليف أبو الحسن الأشعري.عنى بتصحيحه: هلموت ريتر. الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا). الطبعة الثالثة، 1400 هـ - 1980 م

قائد واحد أم قائدان للأسرة

لابد للأسرة من قائد واحد، **فالسفينة التى لها قائدان تغرق**. إن وجود قائدين للأسرة يؤدى إلى التنازع والتناطح، فهذا يريد شيئا، وذاك يريد شيئا آخر، وسيصر كل منهما على إمضاء رأيه، وإنفاذ كلمته لأنه يرى أنه ليس أقل شأنا من الآخر، فتنمو الضغينة، وتتأجج الكراهية، ويعمل العناد عمله، فيصبح إثبات الذات – لا المصلحة العامة– هو الدافع وراء اتخاذ القرارات. وستغرق السفينة لا محالة.

لا بد للأسرة من قائد واحد: إما الرجل، وإما المرأة. اختر أيهما شئت، لن أجادلك الآن، لكن لا تقل لى أن كليهما سيكون قائدا. لا تقل لى أن كليهما يجب أن يكون له صوت مثلما يصوت المواطنون فى الانتخابات. هذا مستحيل. **مستحيل أن تكون هناك انتخابات عدد الناخبين فيها اثنان، لأن النتيجة فى أحيان كثيرة ستكون التعادل: صوت ضد صوت. وستصاب الأسرة بالشلل**، فالرجل مثلا يريد أن يشترى دارا، بينما تريد المرأة شراء ذهب؛ الرجل يريد أن يقتصد فى النفقة، بينما تحب المرأة الترف؛ الرجل يريد أن يقدم هدية لجيرانه، لكن المرأة ترى أنهم لا يستحقون. وهكذا.

إن شعار "المساواة" الذى ترفعه الحركة النسائية جريمة. المساواة بين الرجل والمرأة داخل الأسرة يسلب الأسرة من الآلية المنطقية لحسم الصراعات والاختلافات، فيكون مصيرها الانهيار والدمار. **المساواة فى غير موضعها خطيئة، المساواة المطلقة جنون**، وإلا لوجب أن نسوى دائما بين إرادة الطفل وإرادة الأب، وبين رأى المدرس ورأى التلميذ، وبين قرار الموظف وقرار المدير.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

مَنْ الأصلح لقيادة الأسرة: الرجل أم المرأة؟

الرجل بشكل عام أصلح من المرأة لقيادة الأسرة، وهذا شيء بديهي للغاية، لكننا نعيش الآن عصر الجنون. على أى حال سننحنى للعصر، ونبرهن بعون الله على أن الرجل هو الأصلح. وإليكم الأسباب:

1- الرجل أقوى من المرأة

الرجل أكثر قوة وخشونة من المرأة. الرجل أكثر طولا، وأصلب عُودا، أما المرأة فأقصر وأرق. عضلات الرجل قوية، أما المرأة فعضلاتها ضامرة، وتمثل الدهون نسبة أكبر من جسدها. ومن يتابع شئون الرياضة يعرف أن الأرقام القياسية التى يحققها الرجال أكبر من تلك التى تحققها النساء. والرجل صوته غليظ ومرتفع، أما المرأة فصوتها رقيق ومنخفض. المرأة تبكى، وتنهمر دموعها بسهولة، أما الرجل فيرى فى البكاء عارا. ولهذا إن نشب خلاف بين الزوجين، وامتدت الأيادي فإن الغلبة تكون للرجل. وهذا سبب مهم يسوغ للرجل أن يكون هو القائد، فلا بد للقائد من قوة يهدد بها أو يستخدمها لتنفيذ قراراته.

وأسخف شيء أن ترى ملكا منزوع السلطات كملكة انجلترا، أو رئيس دولة قيل له يوم توليه الحكم: "هنيئا لك على المنصب الجديد، لكن هناك شيء واحد: الحرس والجيش والشرطة غير موالين لك!" أسوأ الحكام شخص ضعيف يوجد بين رعيته من هو أقوى منه. وكلنا نعرف ما جرى أيام جمال عبد الناصر حين سيطرت مراكز القوى على الدولة المصرية، فكان الجيش مثلا تحت سلطة رئيس الجمهورية فى الظاهر، بينما الحاكم الفعلى له هو المشير عبد الحكيم عامر، فأفضى هذا الوضع المزري إلى هزيمة ١٩٦٧. والأمثلة المعاصرة كثيرة.

الرجل إذن أحق بالقيادة لأنه الأقوى. ولنتخيل سويا أن الإسلام جاء ليمنح المرأة قيادة الأسرة بدلا من الرجل، فماذا كان يمكن أن يحدث حينئذ؟ بالتأكيد كنا سنرى مهازل. هب أن زوجين اختلفا حول أحد الأمور كالعلاقة مع بعض الجيران، فأرادت الزوجة مقاطعتهم، بينما أصر الزوج على التودد إليهم، وبما أن المرأة هى القائد فستطلب من الزوج بحزم ألا يتصل بهم، فهل كان الزوج سيطيعها؟ فى الغالب لن يحدث ذلك، إذ كيف يطيعها، وهو الأقوى منها؟ ما الذى يجبره على طاعة أمر لن يترتب على مخالفته عاقبة تذكر؟ وهل يمكن من الأصل تصور أن يُصدر الضعيف

أمرا، وهو يعلم مقدما أنه عاجز عن تنفيذه؟ إن الأمر سيكون فى هذه الحالة أقرب إلى الرجاء منه إلى أمر واجب التنفيذ.

ولعلكم تذكرون قصة طالوت الذي اختاره الله تعالى ليكون ملكا لبني إسرائيل، وقد كان ذلك لعدة مؤهلات، منها تمتعه بقوة الجسد: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 247].

ويجب أخيرا أن نؤكد أن **القوة مؤهل** "**ضرورى**" **للقيادة، لكنه ليس** "**كافيا**". وقد منح الله تعالى الرجل القوة، وهذا مؤهل لا غنى عنه، لكنه لا يكفي وحده ليجعل الرجل أصلح للرئاسة. وسنرى فيما يلى أن الرجل يتمتع بمؤهلات أخرى تميزه على المرأة. فأكملوا معنا.

2- الرجل أكثر قدرة على الكسب

الرجل أكثر قوة من المرأة. الرجل خشن، والمرأة ناعمة. الرجل لديه قدرة أكبر على التحمل والصبر، أما المرأة فتتعب بسرعة، وتشكو من أقل مجهود، وتنهار بسبب أصغر ألم. وقوة الرجل الجسدية جعلته أصلح من المرأة للخروج من المنزل، والسعى للرزق. كان من المتعذر على المرأة أن تخوض الأدغال لتصطاد الفرائس، أو تضرب بالفأس لتفلح الأرض، أو تقطع الصخور لتبنى الدور، أو تطرق الحديد لتصنع السيوف، أو تنشر الأخشاب لتنتج الأَسِرة والأبواب، أو تجوب الصحارى القاحلة سيرا مع قوافل التجارة.

وإضافة إلى ذلك فالرجل لا يمر بتجارب الحمل والولادة والإجهاض والحيض والنفاس مثل المرأة، وهذا أعطاه ميزة إضافية، زادت من قدرته على العمل خارج البيت. وستجد كذلك أن على المرأة أن تبقى داخل البيت لرعاية الأطفال خاصة الرضع، الذين لا يستغنون عنها ولو لدقائق. الرجل إذن متفرغ للعمل، أما المرأة فمثقلة بأعباء النسل فى القسم الأكبر من سن الشباب الذى يفترض أنه يمثل أكثر الفترات قوة وصحة فى حياتها، ولهذا فالرجل يتفوق على المرأة فى عنصر "الاستمرار"، أعنى استمرار القدرة على العمل، بينما قدرة المرأة على العمل يعيبها "التقطع" و"عدم الانتظام". ولهذا ليس من المتوقع أن تؤدى المرأة عملها خارج البيت بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل. وهكذا أصبح الرجل مصدر الرزق الأساسي للأسرة.

وبما أن الرجل هو الذى يعمل، ويوفر المال للأسرة، فلذا أصبح هو الأجدر بالقيادة، وهذا مضمون قوله تعالى حين تكلم عن قوامة الرجال: **(**وبما أنفقوا من أموالهم**)**.

وبما أن الرجل هو الذى يملك المال فمن حقه أن يكون حاكم الأسرة، فمن غير المعقول أن تتحكم المرأة فى شئون الأسرة لأن هذا يستدعي تصرفها فى مال لا تملكه، فمثلا إن أحبت المرأة أن تنقل الأسرة إلى بيت جديد فهذا يتطلب الأخذ من مال الزوج، وإن رأت أن توسع على أولادها فى الكساء والطعام، فلن يتأتى لها ذلك إلا إذا استعانت بمال الزوج. وهكذا فأغلب شئون الأسرة تتضمن معاملات مالية، ولذا وجب أن يكون حكم الأسرة بيد من يملك المال.

وعجز المرأة النسـبى عن العمل خارج البيت لا ينتقص من قدرها مثلما لا يعيب الطفل أو الرجل المريض عجزه عن العمل. وإن كنت ترى أن المشـلول الذي لا يقدر على توفير الطعام لأسـرته مسـتحق للذم فمن حقك أن تقول حينئذ أن المرأة تسـتحق اللوم لضـعف قدرتها على العمل خارج البيت، واعتمادها على زوجها فى توفير المال.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

3- الرجل يحمي المرأة

قوة الرجل وشجاعته ضرورية لدفع شر الأعداء. وقدرته على استعمال العصا والسلاح والسيف والرمح كفيلة بجعل المرأة والأولاد يشعرون بالأمان. وبدونه يسهل سلب حقوق الأسرة، ويطمع فيها الطامعون، ويحوم حولها المتربصون.

لتسأل المرأة نفسها: هل تشعر بالأمان حين تجلس وحدها فى البيت مساء، وزوجها غائب؟ هل تسير المرأة فى الطريق وحدها فى وقت متأخر من الليل دون خوف على نفسها؟ ألا تبحث المرأة دائما عن رجل يصحبها ليَزُود عنها، ويدفع شر الأشقياء؟ وحتى المرأة الغربية المتحررة لا تزال إلى اليوم مستضعفة، وكثيرا ما تتعرض للمضايقات والاعتداء والاغتصاب، وبالتالي لا تزال فى حاجة إلى حماية الرجل، أو على الأقل إلى الإحساس بالأمان فى التواجد معه.

وقد ترتب على ذلك أن **أصبحت القيادة من حق الرجل لأن القرارات التى يتخذها القائد يجب أن تكون نابعة من تقدير دقيق لقوته فى مواجهة قوى الآخرين**. أما المرأة فلا تملك القوة، ولو كانت

هى القائد لرأيناها فى بعض الأحيان تشفق على زوجها، وتمنعه من مواجهة عدو للأسرة حتى لا يصيبه أذى، مع أن الزوج يقدر على تأديبه وسحقه. وبالعكس قد تدفع المرأة الغاضبة زوجها إلى صراع غير متكافىء مع جار شديد القوة، فينهزم شر هزيمة. ولهذا نجد أن رئيس دولة إن كان ذا خلفية عسكرية أفضل من رئيس مدنى، إن تساوى الاثنان فى مؤهلات الرئاسة، وجاءا باختيار الناس الحر. وفى كثير من الدول المستبدة يتحول وزير الدفاع إلى مركز قوة، ولا يستطيع الرئيس المدنى أن يتخذ قرارا عسكريا أو سياسيا خطيرا دون موافقته. ونفس الشىء يحدث حتى فى الدول الديمقراطية العريقة، لكن بشكل صامت، كما فى أمريكا التى يحكمها البنتاجون (وزارة الدفاع) من وراء الستار.

ومن العوامل التى جعلت الرجل أقدر على توفير الحماية قوته النفسية، فالرجل أكثر جرأة وشجاعة، وذلك بسبب قوته الجسدية، إضافة لهرموناته. أما المرأة فهي بشكل عام أكثر خجلا لأسباب منها أنها الأجمل والأكثر فتنة وإغراء، فإن سار الرجل فى الطريق وساقه عارية ما التفت إليه أحد، أما إن فعلت المرأة نفس الشيء أضحت محط أنظار الجميع. ولهذا اعتُبر منذ القِدَم أن من فضائل المرأة أن تخفى مفاتنها حتى لا يقال أنها تشتاق للرجال، تماما مثلما يمتنع الفقير العفيف عن مد يده إلى الناس حتى لا يقال أنه محتاج إليهم. حقا بعض النساء لا يعرفن الحياء، كما أن فحش النساء بشكل عام تزايد فى السنوات الأخيرة، إلا أن معدل الخجل بين النساء لا يزال أكبر من معدله لدى الرجال بفارق كبير.

وفي السعودية كان المجتمع منذ سنوات قليلة لا يزال على فطرته السليمة، فلم يكن هناك اختلاط بين الرجال والنساء إلا فى أضيق الحدود، ولذا كانت المرأة تخجل حين تتكلم مع الرجل، وكان كثير من النساء لا يقدرن على التكلم مع الطبيب مباشرة، بل كن يتحدثن بصوت منخفض مع أزواجهن، فينقل الزوج كلام المرأة للطبيب. وفى قرى مصر منذ حوالى أربعين عاما كان هذا الخجل الفطرى حاضرا بقوة، وشاهدناه بأعيننا، وإن كان أقل وضوحا مما فى السعودية.

وقد جاء الإسلام ليبارك هذا الحياء الفطرى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» رواه مسلم. وفى رواية البخارى عن أبى

هريرة: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». وعن عبد الله بن عمر، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ، وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الحَيَاء (أى يلوم أخاه لأنه خجول)، يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي، حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَضَرَّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ» متفق عليه، واللفظ للبخاري[30].

وهكذا ففى المجتمع المسلم تكون المرأة أكثر خجلا فى حضرة الرجال، وبالتالى **أقل قدرة على إدارة الشئون الخارجية للأسرة فى خضم صراعاتها** ومفاوضاتها وعلاقاتها مع الآخرين. **فإن تعرضت الأسرة مثلا للعدوان فإن المرأة فى كثير من الأحيان لن تمتلك الجرأة الكافية للشجار مع الآخرين** والصراخ فى وجوههم، ومطالبتهم بحقوق أسرتها. وبسبب هذا الخجل كان العرب قبل الإسلام يشعرون بالعار من ولادة البنات لأن البنت لا تجدي نفعا فى الخصام، ولا تجيد عرض قضيتها، وسرعان ما تبكي لأقل سبب، أما الرجل فهو يصمد ويقاوم، ويظل مستجمعا لقواه النفسية، ويلقى بالحجج فى وجه الخصوم حتى يسترد حقه. وقد عبر القرآن عن ذلك حين قال على لسان الكافر الذى صُدم لما علم أن امرأته ولدت له بنتا: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف: 18]. والآية تعنى أن البنت تنشأ وتربى فى الزينة، وهي لا تجيد بيان حجتها فى حالة الخصام والجدال بسبب الخجل، والميل السريع للبكاء. وقد يستغرب البعض من هذا الكلام، لكن المرأة كانت بشكل عام خجولة عبر التاريخ، والجرأة التى نشهدها اليوم أمر طاريء عليها إلى حد كبير.

وهكذا **فالرجل يتمتع بالقوة البدنية والقوة النفسية**، ولذا فهو مؤهل بدرجة أكبر لتوفير الحماية للأسرة.

أعلم أن المرأة ستقول فى صلف: "أنا لست مخلوقا قاصرا، ولست بحاجة لحماية الرجل بالمفهوم الرجعي المتخلف". ويندهش المرء من هذه الثقة الزائدة لأن دور الشرطة فى كثير من الأحيان – حتى فى الدول المتقدمة– هو عقاب المجرم، وليس منعه من ارتكاب جريمته.

---

30) وفى لفظ آخر للبخاري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ». وقوله: (يعظ أخاه في الحياء) أي ينهاه عنه ويعاتبه.

ثم **كيف لا تكون المرأة بحاجة للحماية مع أن الرجل نفسه يحتاج للحماية؟** الرجل يحتاج إلى من يحميه فى العمل من ظلم المدير، ويحتاج إلى من يحميه فى الشارع من اللصوص، ويحتاج إلى من يحميه من التزاحم أمام طابور الخبز، ويحتاج إلى من يحميه فى المصالح الحكومية من المرتشين.

والأمر أكبر من ذلك، فكل المخلوقات فى الكون تحتاج للحماية. والله تعالى وحده هو الذى لا يحتاج لحماية أحد. النملة تحتاج للحماية، والبقرة تحتاج للحماية، وحتى الديناصور –أكبر المخلوقات– انقرض لأنه لم يستطع أن يحمى نفسه من نيزك هائل ضرب الأرض، فأثار غبارا كثيفا، حجب أشعة الشمس، فماتت كل الديناصورات. وانظر إلى الجنس البشري فى مجموعه تجد أنه فى حاجة للحماية من الزلازل والبراكين والأعاصير والسيول. وانظر إلى كوكب الأرض الضخم تجد أنه سيكون فى حاجة للحماية بعد عدة بلايين من السنين حين تتمدد الشمس، وتصبح عملاقا أحمر، يلتهم الأرض في طريقه. والشمس –التي هي أكبر من الأرض بمليون مرة – لا تستطيع أن تصمد إن اقتربت من ثقب أسود، لأنه سيجذبها بلا رحمة، ويبتلعها، ولا يترك لها أثرا. وحتى الثقب الأسود يحتاج للحماية، فكتلته تتناقص بالتدريج بسبب سقوط جسيمات تقديرية سالبة داخله، إلى أن ينتهى الأمر بانفجاره.

كلنا ضعفاء، وليس عيبا أن نبحث عن الحماية. هل سمعتم عن رجل هاجمته عصابة، فتقدم إليه شرطي كي ينقذه، فنهره قائلا: "اتركنى، فأنا أعرف كيف أدافع عن نفسي"؟ **ألا تبحث الدول الصغرى عن الحماية عن طريق التحالف مع الدول العظمى؟** بل ألم تلجأ الولايات المتحدة –أكبر دول العالم اليوم– إلى دول أصغر منها لتشترك معها فى حربها على العراق كالسعودية ومصر وسوريا وانجلترا؟

ثم **ألستم يا أنصار المرأة أول الباحثين عن الحماية؟ ألا تقيمون التحالفات الوثيقة مع الأنظمة الاستبدادية** فى مختلف بلاد المسلمين كي تنصركم بالحديد والنار على الشريعة؟ ألم يساعد المجلس القومي للمرأة في مصر المرشحات فى انتخابات البرلمان وغيرها؟ ألا يحتمي أنصار المرأة بالأمم المتحدة والمواثيق الدولية والماسونية واليهودية العالمية؟

لماذا إذن ترفض المرأة المعاصرة حماية الرجل ورعايته؟ من حقها أن تفعل ذلك إن كانت تنظر إلى الرجل على أنه عدو. فلتقل لنا المرأة المعاصرة: هل الرجل من حيث المبدأ عدو أم صديق؟

ومن حق المرأة أن ترفض حماية الرجل إن كان يمن عليها بقوته، ويسخر من ضعفها، ويسبها، ويضربها، ويسلب أموالها مستغلا وهنها وعدم قدرتها على الرد، ففي هذه الحالة يشبه الرجل "الفتوة" أو "البلطجي" الذى كان فى الماضي ينصب نفسه حاكما للحي، زاعما أنه يحمي الناس، وفي نفس الوقت يشبعهم جورا ونهبا. وفى مثل هذه الحالات يحق للمرأة أن تطلب تدخل أهلها، أو تسأل الطلاق إن تعذر الإصلاح، لكن رفض حماية الرجل من حيث المبدأ –حتى لو كان الزوج حسن المعاملة– يدخل في باب الغرور والتنطع.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

4-الزوج أكبر سنا من الزوجة

في الغالبية العظمى من الحالات يكون الرجل أكبر سنا من المرأة عند الزواج، فالمرأة تصل إلى سن البلوغ وتصبح مؤهلة للزواج قبل الرجل. أولى علامات البلوغ الخارجية عند الفتاة (كبر حجم الثديين) تظهر عادة فى سن 10–11 عاما، بينما تبدأ أولى علامات البلوغ عند الذكر (كبر حجم الخصيتين) عادة فى سن 11–12 عاما. ويصاحب البلوغ زيادة فى سرعة نمو الجسد، خاصة زيادة الطول الذي يصل إلى ذروته فى سن 11–12 عاما عند البنات، لكن ذروة النمو تتأخر بمقدار عامين عند الذكور إلى سن 13–14 عاما، وقد يستمر النمو إلى سن 18 عاما أو بعدها[31]. كل هذا يجعل **الأنثى تتزوج فى سن صغيرة، بينما يتأخر سن الزواج لدى الرجل حتى يكتمل بلوغه وينمو جسده.**

وإضافة إلى ذلك **فالرجل يحتاج إلى عدة سنوات كى يبحث عن عمل، ويدخر مالا للزواج**. ولهذا تجد الزوج في العادة أكبر سنا من زوجته.

وهذا الفرق في العمر يولد حاجزا أدبيا، يجعل المرأة تهاب زوجها كما تهاب كل من هو أكبر سنا منها. وفضلا عن ذلك فمن حسن الأخلاق احترام الصغير للكبير. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وعَنْ عَبْدِ

31) **Luigi R. Garibaldi and Wassim Chemaitilly.** Physiology of puberty. In Robert M. Kliegman et al (editors). Nelson Textbook of Pediatrics. Chapter 577. 21st edition. Philadelphia, PA: Elsevier Inc., 2020.

اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حق كبيرنا، فليس منا". وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُجِلَّ كَبِيرَنَا، فَلَيْسَ مِنَّا"[32].

وعلى ذلك فإن تساوى اثنان فى المؤهلات كان أكبرهما سنا أحق بالقيادة. وبفرض أن المرأة مساوية للرجل كما يزعمون، ففارق السن يرجح كفة الرجل.

حقا من الممكن أن يتزوج رجل امرأة أكبر سنا منه ، لكن هذا قليل الحدوث ، وقواعد الشريعة تُبنى على ما هو غالب، وليس على ما هو نادر، إلا إذا أمكن مراعاة حالة الأقلية. وبالنسبة لمسألة القوامة نقول: حتى لو كانت الزوجة أكبر سنا فهي لا تزال تفتقر لمؤهلات القوامة الأخرى التى يتميز بها الرجل.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

5- الرجل أكثر خبرة بالحياة العملية

ترتب على عمل الرجل خارج البيت أن أصبح أكثر ارتباطا بالحياة العملية، وأكثر قدرة على تدبير الأمور ؛ مثلا إن أرادت الأسرة أن تنتقل إلى بيت جديد، فالرجل يعرف كيف يعثر على قطعة أرض مناسبة، ويعرف البناء الذى يمكن أن يبنى البيت، والنجار الذى يصنع الأبواب، والطريقة التى سيحمل بها الأمتعة، والإجراءات الواجب اتخاذها لدى الحكومة. الرجل أقدر من المرأة على معرفة كل هذا بحكم عمله خارج البيت.

كما أن **الرجل أكثر سفرا وتنقلا بين الشوارع والبلاد سعيا للرزق**، خلافا للمرأة التي تبقى فى البيت لأنها ليست مضطرة للعمل وكسب المال. كما أن المرأة تعزف عن السفر وحدها حتى لا تكون عرضة للتحرش والعدوان. وإن سافرت بمفردها إلى بلد غريب شعرت بالقلق، أما الرجل فهو أشد قوة وجرأة، وأكثر استعداد لمجابهة مثل هذه الأخطار، فضلا عن أنه ليس مطمعا للشهوات مثل المرأة.

---

[32]) أحاديث صحيحة، رواها البخارى في الأدب المفرد. انظر: **"صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري"** (141/1). تأليف محمد ناصر الدين الألبانى. تأليف محمد بن إسماعيل البخاري.حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني. دار الصديق للنشر والتوزيع. الطبعة الرابعة، 1418 هـ - 1997 م

ومن الملاحظ أن **المرأة بشكل عام أكثر عرضة من الرجل لأن تقع فى الخديعة**، ربما بحكم طبيعة تكوينها النفسي، أو بسبب ابتعادها بدرجة أكبر عن الحياة العملية، وقلة تعاملاتها مع الغرباء. أما الرجل فهو أكثر قدرة على اكتشاف احتيال المحتالين. على سبيل المثال إن تقدم شاب لخطبة فتاة، فربما استطاع أن يخدعها ويخدع أمها ببعض المزاح والكلام المعسول، لكن الأب لن ينطلى عليه مثل هذا الأسلوب. وهكذا نجد أن خبرةِ الرجل تؤهله لقيادة الأسرة، وتوجب على المرأة أن تسمع له وتطيع.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

6- المرأة بحاجة إلى الرقابة

المرأة مخلوق جميل مثير، ولذا فهى العامل الأهم فى وقوع الزنا. المرأة هى التى تغرى الرجل، وتحرك شهوته سواء قصدت أو لم تقصد. وبنظرة سريعة على القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت ستجد نساء ونساء ونساء، وكأنك فى سوق لبيع الجوارى. لقد أمست المرأة هي البضاعة الرئيسية لترويج كل البضائع، من ملمع الأحذية إلى أدوات التجميل، بل حتى الأفكار. أما الرجل فمسكين، لا يقدر على جذب انتباه المرأة كما تقدر هي على جذب انتباهه. ولو كان الرجل مغريا للمرأة بنفس قدر إغراء المرأة له لتساوى الجنسان فى المساحة التى يحتلها كل منهما فى وسائل الإعلام. ولهذا نجد الرسول عليه الصلاة والسلام يقول أن النساء قادرات على جعل الرجل الحازم الجاد الوقور يفقد صوابه: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» رواه البخارى. كما تقدمت الزانية على الزانى فى قوله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[سورة النور 2]. وفى هذه الآية الأخيرة نجد أن عقوبة الجلد أشد قسوة على المرأة. حقا عدد الجلدات للرجال والنساء سواء، إلا أن جسد المرأة أقل قدرة على التحمل، وبهذا سيكون عليها أن تفكر ألف مرة قبل أن تُقدِم على الزنا، وما ذلك إلا لأن دورها فى حدوث الزنا أهم من دور الرجل.

وهناك تناسب عكسي بين انتشار الزنا وفرض القيود على سلوك النساء، فكلما راقب المجتمع النساء بصرامة قل حدوث الزنا. ولذا كان من الضرورى أن تمنح الشريعة للرجل سلطة عامة

على المرأة تشمل ضبط سلوكها وتقويمه، ليس لأن المرأة مخلوق منحرف وفاسد بطبعه، ولكن لأنه حتى سلوكها التلقائي المعتاد كثيرا ما يؤدى إلى إغراء الرجال. وهذا شيء معروف للكافة، لكنني انتبهت إليه أول مرة حين رأيت رجلا ينهر زوجته – وهى سيدة فاضلة– لأنها أخذت تنظف الطريق أمام البيت بمكنسة من النوع القصير الذى كان الفلاحون يستخدمونه قديما، فكانت تضطر للانحناء والجلوس، فرأى الزوج أن هذا العمل قد يثير شهوة بعض المارة، رغم أنها لم تكن تقصد سوءا على الإطلاق. وقد أدى اعتراض الزوج فى هذه الحالة إلى منع وقوع شكل من أشكال الفتنة فى المجتمع. وفى كثير من الأحيان يطلب الرجل من زوجته ألا تشترى ثوبا أعجبها، وذلك لأنه يبرز مفاتنها أمام الغرباء. وقد يأمر الرجل زوجته ألا تزور بعض أقاربها لأن أحد أبنائهم سيء السمعة. وقد يأمرها أن تقطع صلتها بصديقة متبرجة منحرفة حتى لا يطولها القيل والقال.

ولا شك أن المرأة تشعر فى كثير من الأحيان بأن أوامر زوجها يشوبها التعسف، وأنها حسنة النية، ولا تتعمد أبدا إغراء الرجال بتصرفاتها التلقائية من قبيل المزاح المتكرر مع الرجال الغرباء، فهي لا تفعل ذلك لرغبتها فى استمالتهم، بل لأنها بطبعها تحب الفكاهة. ولكن مع الأسف كثيرا ما تؤدى النوايا الحسنة إلى المهالك. إن المرأة لا تدرك – فى كثير من الأحيان– أنها مخلوق مثير للشهوة، وأن أبسط حركاتها وسكناتها وكلماتها وتعبيرات وجهها لها تأثير هائل على قلوب الرجال، ولذا **فالمرأة الصالحة تَعتبر زوجها كالمرآة التى تكشف لها أخطاءها غير المقصودة، فالرجل أعلم بما يغري الرجال. المرأة العاقلة لا تغضب من زوجها إن انتقد سلوكها أو ملابسها، بل تشكره لأنه لم يتركها نهبا لأعين الرجال، وقلوبهم الزائغة.**

إنني أندهش من الثورة العارمة التى تنتاب المرأة إن أمرها زوجها ألا ترتدى ملابس معينة. إن هذا دليل على أنه يحبها ويغار عليها، كما أنه دليل على أنها جميلة، فلو لم تكن جميلة لتركها وشأنها. فلنقل بوضوح شديد أن المرأة التى لا تريد من زوجها أن يراقب ملابسها وتصرفاتها هى امرأة دنيئة لأنها تريد أن تجعل من جسدها بضاعة يقلب فيها الغرباء.

ولو أيقنت كل امرأة أن طاعة الزوج واجبة لاستطعنا تجنب كثير من المهازل الأخلاقية التى نشأت بسبب الحرية الزائدة التى أتيحت للمرأة المعاصرة، التى لم يعد زوجها يسألها: "أين ذهبت؟" و"لماذا تلبسين هذا؟" و"لماذا تكلمين هذا الرجل؟"

لقد أراد الله تعالى أن يجعل المرأة مخلوقا ضعيفا حتى تكون واقعة تحت سيطرة الرجل. ولو مُنحت المرأة قوة الجسد بجانب الجمال لما استطاع زوجها أن يحاسبها، ولفعلت ما تشاء دون خوف، فيكثر الزنا. والدليل على ذلك أن المرأة لما اكتسبت قوة اجتماعية هائلة فى العصر الحديث، خفَّت وطأة رقابة زوجها عليها، وبدا وكأنها أُنْشِطَت من عِقالٍ، فانطلقت تتسابق فى فنون التجميل وضروب الإغراء، وأصبحت تخرج من بيتها متى تشاء، وتعود متى تشاء، وتكلم من تشاء، فانتشرت الرذيلة، وعمت الفاحشة. فسبحان مَن جعل للرجال سلطة على النساء، تقِيم الفضيلة، وتحفظ الأخلاق.

أعرف أن كلامنا لن يروق للكثيرين، وسنُتهم بالتخلف والتشدد، لكن العيب ليس فينا، بل فى هذا العصر الفاسد الذى ثارت فيه المرأة على تعاليم الدين، وعلت أصوات المدافعين عن العري والزنا والشذوذ. وما التخلف عن قطار الانحلال إلا شرف لأي مسلم.

وستسمع من يقول: ولماذا تُفرض على المرأة سلطة تقيد سلوكها، بينما يُترك الرجل حرا دون رقابة؟ هل الرجل ملاك كامل الأخلاق؟

ونحن قطعا لا ننزه كل الرجال عن سوء الأخلاق، ولكن خبروني: مَن ينبغي له أن يراقب الرجل؟ هل تراقبه زوجته؟ من الصعب جدا أن يكون للمرأة سلطة على الرجل لأنه أقوى منها، كما أن إعطاء سلطة لكل من الزوج والزوجة على الآخر سينشأ عنه صراع، يقوض أركان الأسرة. ولهذا لم يكن هناك بد من أن يكون الزوج هو الرقيب. **إن عجْزنا عن فرض رقابة على فئة من الناس لا يعنى أن نترك الرقابة على بقية الفئات بحجة المساواة، فما لا يدرك كله لا يترك كله، وهذا يذكرنا بالعلاقة بين الآباء والأبناء،** فالآباء لهم سلطة على الأبناء الصغار، لكن الأبناء ليس لهم سلطة على الآباء لأنهم أقل علما وخبرة وقوة. ولم يقل عاقل يوما بأن من العدل رفع سلطة الآباء عن أبنائهم طالما أن الأبناء محرومون من ممارسة نفس السلطة على آبائهم تجنبا لازدواج المعايير.

ومع ذلك فالرجل يتعرض مثل المرأة للرقابة، ولكن ليس من زوجته، بل من جهات أخرى.

أولى هذه الجهات هي الأسرة الكبيرة أو الممتدة، التى تشمل الجد والأعمام والأخوال وغيرهم، وهؤلاء لن يسكتوا إن رأوا من أحد الرجال فى أسرتهم الكبيرة فسادا أو فاحشة. **ثانيا** المجتمع المسلم الذى تسود فيه الفضيلة يمارس دورا رقابيا على الرجل. وسيجبر مثل هذا المجتمع الفاضل (من

خلال النقد والمقاطعة) كثيرا من الرجال على الابتعاد عن الرذائل دون سوط أو سجان. **ثالثا الرجل مكبل بسلطة الدولة وقوانينها التى تراقبه**، وتمنعه من السرقة والقتل والرشوة وقطع الطريق. والرجل بحكم كونه أكثر خروجا من البيت تراه أكثر عرضة لسيف القانون من المرأة، فهل شكا الرجل يوما من عدم المساواة بسبب ذلك؟

إن الرقابة على الأفراد فضيلة، لا تقوم بدونها الأمم. ومن السذاجة أن يترك المجتمع كل إنسان لضميره. وشكوى المرأة المعاصرة من رقابة زوجها مهزلة، لا ينصت إليها إلا سفيه.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

7- الرجل يتمتع بالصلابة النفسية

إن سرت فى جنازة فستلاحظ أن البكاء والعويل يصدر أساسا من النساء، أما الرجال فيسير أغلبهم دون ضجيج. المرأة مخلوق عاطفي. الرجل والمرأة كلاهما يحزن، لكن حزن المرأة أشد، وقد تظل حزينة على زوجها أو أبيها سنوات طويلة. ومن أعجب ما رأيت امرأة عجوز، كانت تتردد على عيادتى كل شهر تقريبا لما كنت طبيبا مبتدئا، وكانت شكواها كل مرة لا تتغير رغم العلاج، ورغم أنها ذهبت إلى عدد كبير من الأطباء. بدا لى أن المرأة لا تعانى من أى مرض عضوى، وأن شكواها ذات طبيعة نفسية، وقد تأكدتُ من ذلك حين قالت لى ذات مرة أن كل آلامها قد بدأت عقب وفاة زوجها منذ عشر سنوات، ولم تفارقها من يومها. لقد كانت السيدة شديدة التعلق بزوجها، فلما مات لم يعد لحياتها معنى، خاصة بعد أن لقيت الإهمال من الأولاد والأحفاد.

وكلنا يعرف كيف أن الأم تكون أكثر قلقا من الأب على طفلها إن مرض، فتظل ساهرة بجواره طوال الليل، وتجرى به إلى المستشفى إن أحست بتزايد الخطر، بينما يبدو الأب أكثر تماسكا وهدوءا، وكثيرا ما عانينا نحن الأطباء من الأمهات اللائى يدفعهن فرط الخوف على أولادهن إلى اتهامنا ظلما بالإخفاق أو الإهمال. كما لاحظت أن الأم أكثر فرحا وامتنانا ودعاء للطبيب إن شفى ابنها على يديه. وهكذا نجد لدى المرأة قوة فى المشاعر فى شتى الاتجاهات. وأذكر أن جدتى رحمها الله كانت كلما ودعتنى وأنا صغير أتبعتنى بعدد كبير من الأدعية حتى أختفى عن أنظارها، أما جدى فلم يكن يفعل شيئا من ذلك رغم أنه كان رجلا طيبا بشكل يفوق الخيال.

ومما يدل على أن المرأة مخلوق عاطفى ما يعرفه كافة الأطباء من أن النساء أكثر عرضة من الرجال للإصابة بالحالات الهستيرية، إذ من الشائع فى أقسام الطوارىء بالمستشفيات أن تأتي امرأة مصابة بحالة إغماء، أو نوبة تشنجات، أو فقدان للنطق، أو ألم شديد فى البطن، أو صداع لا يطاق، أو شلل نصفى. وعندما يفحص الطبيب المريضة يكتشف أنها لا تعانى من أى مرض عضوى، وأن الحالة المفزعة التى ألمت بها سببها نفسى بحت، كأن تكون قد تشاجرت مع زوجها أو إسرتها.

ومن أطرف ما قابلت حالة فتاة فى العشرين من عمرها، تشاجر أبوها مع خطيبها، فانهارت، وفقدت النطق، فحملتها أمها إلى المستشفى، وهى تظن أن ابنتها أصبحت خرساء. ولما فحصتُ الفتاة، وسمعت ملابسات الواقعة أيقنت أن سبب فقدان القدرة على الكلام نفسى بحت، فأخبرتها أننى سأقوم بتنبيه مركز الكلام فى المخ لديها عن طريق رش محلول معين فى أنفها، وقلت لها: "عليك أن تساعدينى بأن تحاولى أن تتكلمى بمجرد أن تحسى بأن مركز الكلام بدأ ينشط." وبمجرد دخول المحلول إلى الأنف شعرت الفتاة بألم شديد، فصرخت، ولما وجدَتْ أن صوتها بدأ يخرج توهمَتْ أن مركز الكلام قد عاد إلى العمل بسبب هذا العلاج، فتشجعَتْ، واستمرتْ فى الصراخ، وتكلمتْ بعد ثوان بشكل طبيعى. ومثل هذه الحيل مشهورة بين الأطباء، وقد تعلمتها أول مرة من أحد زملائنا النابغين.

ولما كنا أطباء مبتدئين قال لى يوما أحد زملائي أنه يهرب من قريته كلما أعلن فى المسجد عن نبأ وفاة رجل لأن أهالي الموتى تعودوا أن يستدعوه لفحص أحد المرضى، ولما يذهب يجد أن الأمر لا يعدو إغماء لامرأة أو بضعة نساء من أهل المتوفى بسبب الحزن الشديد دون وجود مرض حقيقى. وطبعا لم يكن أحد يعطى زميلى أجرا بحجة أن الطبيب يجب أن يظهر المشاركة الوجدانية مع أهل قريته!

المرأة إذن تنفعل بشدة، وتتأثر بالأحداث المحيطة بها أكثر من الرجل، وليست هذه سمات القائد المحنك. القائد يجب أن يتمتع بالثبات، ورباطة جأش، ويتعالى على الانفعالات حتى يستطيع أن يفكر، ويُقلب الأمور، ويوازن بين الخيارات، ويصل إلى الحلول. أما القائد الذى يخاف ويبكى وينهار فأنى له بالفلاح؟

القائد الناجح يعلو لديه العقل على العاطفة. وهذا سبب مهم يجعل الرجل أصلح لقيادة الأسرة من المرأة. **يجب أن يكون العقل دوما هو القائد. القيادة تحتاج إلى التروى والتمهل والحساب والموازنة، بينما المرأة مندفعة متحفزة، وغالبا ما تستسلم لما تمليه عليها عاطفتها، وفى ساعة الشدة من السهل أن تنهار، ويصاب ذهنها بالشلل، وتفقد القدرة على التفكير والفعل.**

إن المرأة أكثر حساسية من الرجل، ومن السهل أن تبكى إن نهرها أحد، أو سمعت كلمة تغضبها، بينما يمكن للرجل أن يسمع نفس الكلمة المؤلمة، لكنه يواصل حياته بشكل طبيعى، فدموع المرأة قريبة كما يقال. وقد عبر القرآن عن تلك الحقيقة حين ذكر أحد الأسباب التى تجعل الكفار يكرهون إنجاب البنات: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف: 18] ومعنى الآية أن الواحد من الكفار إن أخبر أن امرأته ولدت أنثى شعر بالخزى لأن الأنثى مخلوق لين يربَّى على الزينة، ويُهيأ فقط ليكون جميلا، لكنها لن تكون سندا له فى صراعاته مع خصومه، إذ سرعان ما تنهمر دموعها، وتفقد القدرة على الكلام، ولا تستطيع أن تظهر حجتها وتدافع عن حقها.

إننا لا نزعم أن كل الرجال بلا عواطف، ولا ننكر أن بعض النساء لديهن نضج وحكمة، ولكننا نقصد أن عواطف "أغلب" الرجال أقل تأججا من عواطف "أغلب" النساء. وكل الشرائع تقوم على مراعاة الغالب فى طبائع البشر، وليس الحالات الاستثنائية طالما تعذر التوفيق بين الاثنين. إن الرجل ليس قائدا مثاليا، والمرأة ليست قائدة مثالية، لكن إن خيرنا بين الاثنين وقع الاختيار على الرجل لأن احتمال نجاحه أكبر.

وهنا يبرز سؤال: لماذا منح الله تعالى المرأة عاطفة قوية خلافا للرجل؟

فى رأينا أن هناك عدة أسباب:

1. عاطفة المرأة القوية تعين الأم على رعاية أولادها. على سبيل المثال من المعروف أن الطفل الرضيع فى الأشهر الأولى من العمر يبكي أغلب الأوقات، وكثيرا ما يغادر الأب الغرفة، وينام وحده فى هدوء، خاصة أنه يعلم أن هذا البكاء طبيعي، وليس نابعا من مرض خطير. أما الأم فتسهر بجوار طفلها طوال الليل، محاولة أن تعيد الطمأنينة إليه ، وتظل تروح به وتجيء عبر جوانب الغرفة دون كلل، ولا تقر لها عين حتى ينام فى سلام. فسبحان الذى

خلق الحب والحنان فى قلب الأم تجاه الأطفال، ولولا هذه العاطفة الجياشة لخسرت البشرية كثيرا.

2. لو ترك الله تعالى قوة الرجل دون قيود لطغى وبغى على زوجته، ومزقها كالفريسة بين أنيابه. لقد منح الله تعالى كل المخلوقات وسائل حماية للحفاظ على حياتها، وحتى الجراثيم التى لا تُرى بالعين وهبها الله تعالى أسلحة تمكنها من البقاء. وعلى ذلك فالمتوقع ألا يضع الله تعالى الرجل على قمة هرم القوة، بينما تبقى المرأة في سفحه. فماذا فعل الله عز وجل لتحقيق بعض التوازن بين الجنسين؟

لقد فعل الله تعالى شيئين: الأول أنه أعطى الرجل العقل، وسلب منه العاطفة. ولو كان الرجل يتمتع بالعاطفة القوية بجانب القوة البدنية لكان سريع الغضب، قليل التسامح، متقلب المزاج، ولأصبح كالثور الهائج الذى لا يتردد فى استخدام يديه للتعبير عما يجيش به صدره من مشاعر حتى فى أتفه المواقف، ولاستحالت حياة المرأة إلى جحيم. وعلى الجانب الآخر سنجد أن المشاحنات والأحقاد بين النساء أضعاف مثيلاتها بين الرجال، ولو كانت المرأة ذات قوة عضلية كبيرة لنفثت عن غضبها وحقدها على شكل طغيان وبطش يأكل الأخضر واليابس، ويتواضع بجواره ما يظهره الرجال من بطش. إذن قوة الرجل البدنية يكبح جماحها عقله وبروده العاطفى، وهذه نعمة أنعم بها الله تعالى على المرأة.

الشىء الثانى الذى فعله الله تعالى لتحقيق التوازن بين الجنسين هو أنه سلب التعقل من المرأة وأعطاها بدلا منه العاطفة الوهاجة، فأكسبها هذا قوة غريبة، يسميها الرجال بالنكد. المرأة قادرة على تكدير حياة الرجل بسبب جيشان عاطفتها، وقلة تسامحها، وصغر عقلها. إنها تطلق العنان لمشاعرها كى تعبر عن نفسها مهما كان الأمر تافها، ومن السهل عليها أن تغضب وتثور، وتبكى وتنوح. وهى لا تنسى الإساءة بسهولة، وإن أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت: "ما رأيت منك خيرا قط" كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم[33]. ولهذا أصبح الرجل يعمل لها ألف حساب، ويتجنب إثارتها درءا للمشاكل ووجع الدماغ. وبهذا تحولت

---

[33]) متفق عليه ، ونصه فى البخارى كما يلى: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ "

المرأة إلى مركز قوة وراء الستار، واستحوذت على جزء معتبر من سلطة الرجل، فأمست المرأة أشبه بالمعارضة السياسية التى تمتلك تأثيرا على الأحداث من خلال الصراخ والصوت العالى فى ظل نظام حكم يمتلك جيشا وشرطة وقضاء وصحافة. وهكذا نجد أن عاطفة المرأة رحمة من الله لها.

3. عاطفة المرأة نعمة للرجل. كل الرجال يحبون أن يروا من زوجاتهم الحب والحنان والعطف. إن مرض الرجل أو ألمت به مصيبة كان أحوج ما يكون إلى مواساة المرأة. وإن سالت دموعها شفقة عليه كانت بلسما يخفف آلامه. وإن أصابه خير تضاعفت سعادته إن رآها تبتسم أو سمعها وهى تزغرد[34]. والمرأة الباردة الجامدة لا يحبها الكثيرون. بدون عاطفة المرأة تصبح الحياة بالنسبة للرجل كالصخرة الجامدة الكئيبة.

ملحوظة: اقتضت سنة الله أن يكون مع كل نعمة نقمة، لأن السعادة الخالصة لا توجد إلا فى الجنة. الأطفال على سبيل المثال نعمة إذ يضفون بهجة على البيت، ولكنهم فى نفس الوقت يسببون الإزعاج، ويكسرون أثاث البيت، ويحتاجون للنفقة. ولكى يربح الإنسان المال فعليه أن يضحى براحة البال. ومن أراد الصحة ابتعد عن الطعام. وبالمثل تضفي عاطفة المرأة بهجة على الحياة إلا أنها تسبب المتاعب للرجل الذى يفكر بطريقة عقلانية تصطدم فى كثير من الأحيان مع منطق المرأة العاطفى. الحمد لله على كل حال.

4. الرجل ليس حسن المنظر كالمرأة. وإذا كان الرجل ينجذب للمرأة بسبب جمالها، فما الذى يجذب المرأة للرجل؟ أحد الأسباب أن العاطفة القوية تجعل قلب المرأة يخفق عند سماع كلمات الغزل والثناء والحب من الرجل. الرجل يتحفز للجماع بمجرد أن يرى مفاتن المرأة، أما المرأة فمخلوق رومانسى، وكثيرا ما لا تتحرك للجماع إلا بعد أن تسمع كلمات الحب من الرجل. ولو كانت المرأة باردة عاطفيا مثل الرجل لقل كثيرا انجذابها للرجل، ولأصبحت كل النساء مصابات بالبرود الجنسي، ولعاش الجنسان فى علاقة من طرف واحد بدلا من علاقة الانجذاب المتبادل، ولأثر هذا على التناسل، وزاد من المشاحنات داخل البيوت.

---

[34]) زغردت المرأةُ أي ردَّدت صوتَ الفرح في حلقِها بلسانها. انظر: **"معجم اللغة العربية المعاصرة"** (2/ 986). تأليف دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. الناشر: عالم الكتب. الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م

ولعلك لاحظت عزيزى القاريء كيف أن عاطفة المرأة كانت نعمة لها ولأولادها ولزوجها، لكنها فى نفس الوقت سببت الإزعاج للرجل. وليس هذا تناقضا أو تخبطا من الله، فلا بد لكل دواء من آثار جانبية. والله عز وجل لم يشأ أن يجعل الدنيا دار سعادة خالصة لأن بني آدم خطاءون، ويستحقون شيئا من العقاب، كما أن الحياة إن خلت من المنغصات اغتر بها الناس، ونسوا خالقهم.

ومن أعمق ما يمكن أن يقرأه المرء عن عاطفة المرأة حديث رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ». متفق عليه. وهذا الحديث معناه أن المرأة بحكم طبيعتها تفتقر نسبيا إلى العقل، وتغلب عليها العاطفة. ورغم أن هذا الاعوجاج فى الطبع يسبب المتاعب للرجل إلا أن له فى نفس الوقت فائدة ووظيفة، ولئن حاول الرجل أن يجرد المرأة تماما من عاطفتها لأفسد حياته وحياة المجتمع، لأن المرأة مثل الضلع الذى يحمى الصدر، فهو لا يؤدى وظيفته إلا إذا كان أعوج. فسبحان الخالق!

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

8- المرأة تميل لقطع الأرحام

المرأة سريعة التأثر بالظروف المحيطة بها، **وكثيرا ما تغضب بسبب أشياء بسيطة**، وهذا ينعكس على سلامة قراراتها بشكل عام. وكم رأينا من مشاحنات ضخمة ومشاكل كبرى تسببت فيها المرأة. إن **المرأة "تصنع من الحَبة قُبة"** كما يقول المثل، فكثيرا ما تدخل فى خصومات شديدة مع زملائها أو أقاربها أو زوجها لأيام طويلة بسبب موقف صغير، أو خطأ هين كان يجب أن يمر مرور الكرام. ولا يمكن لأحد أن ينكر أن الخلافات التى تقع بين النساء أكثر من الخلافات التى تقع بين الرجال، فالرجل أكثر قدرة على التسامح وتجاهل أخطاء الآخرين مقارنة بالمرأة التى تحول كثيرا من المشاكل الصغيرة إلى معارك حياة أو موت. ولو منح الله تعالى النساء السلطة على الرجال لفتح لها باب الظلم على مصراعية.

ومن أخطر الجرائم التى تفعلها النساء قطع الأرحام، فالزوجة لا تكف عن تحريض زوجها ضد أمه وإخوته وعامة أقاربه، فتقول له أمك فعلت كذا، وأختك قالت كذا، وأخوك صفته كذا، وأولاد أخيك ضربوا أولادك، وأعمامك وأخوالك كذا وكذا. وكثيرا ما توغر الزوجة صدر أولادها على أبيهم

وجدهم وجدتهم وبقية أقارب أبيهم، وترسخ فى نفوسهم الاعتقاد بأنهم أعداء ألداء، يسلبونهم حقوقهم، ويكنون لهم كل شر.

ولا يقتصر الأمر على الزوجة، فالأم أيضا تحرض ابنها ضد زوجته، وتكره أن تجده على علاقة طيبها معها. والأخت كذلك تكن الكره لزوجة أخيها، وتكره أن تكون علاقتها طيبة بحماتها.

ومن كل هذا جاء المثل القائل "الأقارب عقارب"، فقد أصبح كثير من الناس يعتقدون أن أخطر أعدائهم هم أقاربهم، مع أن الله تعالى أوصانا بأولى القربى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36]. ولاحظ هنا تقديم الوالدين وذوى القربى حتى على اليتامى والمساكين، بينما **تظن كثير من النساء المتدينات أن الإحسان للفقراء يغني ثوابه عن ثواب صلة الرحم.**

وأروع ما يمكن أن يقرأه الإنسان عن صلة الرحم تلك الآية التى نزلت فى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ الذي كان أحد أقارب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، لكن أثناء حادثة الإفك خاض مسطح فى عرض السيدة عائشة بنت أبى بكر، فاستشاط أبو بكر غضبا، وأقسم ألا ينفق على مسطح الذى كان فقيرا، ويتلقى المعونة منه. ولكن نزل قوله تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 22]. فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا" متفق عليه.

وتعتقد بعض الزوجات المتدينات أن حماتها ليست من ذوى الأرحام أو أولى الأرحام، وأنها ليست ملزمة بالإحسان إليها، ولن تكون مقصرة فى دينها إن عادتها، ووصلت بالعداء إلى منتهاه. ونفس الاعتقاد راسخ فى ذهن الحماة تجاه زوجة ابنها. وهذا خطأ فادح، لأن الزوجة يربطها بابنها صلة رحم هى صلة الأمومة، كما يرتبط ابنها بجدته بصلة رحم لأنها أم أبيه، وهذا يعني أن **هناك صلة رحم غير مباشرة بين الزوجة وحماتها،** وبالتحديد هناك اثنان يفصلان بين كل زوجة وحماتها، هما ابن الزوجة وأبيه. وطبقا لهذا فالزوجة يربطها بحماتها درجة قرابة مساوية لتلك التى تربط

الزوجة بابنة خالتها، ففي هذه الحالة الأخيرة أيضا يفصل بين الزوجة وابنة خالتها اثنتان، هما أم الزوجة وخالتها.

وفضلا عن ذلك **فمن أشنع الأخطاء أن يتوهم المسلم أنه مأمور فقط بالإحسان لمن يرتبط معهم برابطة النسب** كأبيه وأمه وإخوته وأعمامه وأخواله، **مع أن هناك رابطة أخرى تصل الناس هي رابطة المصاهرة، أى رابطة الزواج**[35]**. ورابطة المصاهرة لا تربط فقط بين الزوج والزوجة، بل تربط بين الزوجة وحماتها وحميها**[36] **وإخوة زوجها. المصاهرة تربط بين عائلتين كاملتين. وقد منَّ الله تعالى على البشر بأن ربطهم معا ليس فقط برابطة النسب، بل أيضا برابطة المصاهرة:** {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} [الفرقان: 54].

ويحضرنى فى هذا المقام كيف سارع المسلمون إلى إطلاق سراح أسرى بنى المصطلق لما علموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام تزوج من ابنة زعيم بنى المصطلق السيدة جويرية بنت الحارث: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ققَالَتْ: «وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا»[37].

لقد فهم المسلمون أن الزواج خلق على الفور رابطة من نوع جديد بين الرسول وبني المصطلق هي رابطة المصاهرة، فسارعوا إلى تعزيزها وتقويتها. فهل تتعظ المسلمة المعاصرة، وتتوقف عن الإساءة إلى حماتها أو زوجة ابنها

إن المرأة تمزق الوشائج بين الأقارب، وهى بالتالى تمزق المجتمع، ولذا كان لا بد من قوة تكبح جماحها، وهذه القوة هي قوة الزوج. وماذا جرى فى العصر الحديث؟ لقد استسلم الرجل لزوجته،

---

35) تصاهرتِ العائلتان: كانت بينهما قرابة بالزَّواج. وصاهرَ القومَ/ صاهرَ إلى القوم/ صاهرَ في القوم: أَصهَر، تزوَّج منهم فصار صِهْرًا لهم. انظر: **"معجم اللغة العربية المعاصرة"** (2/ 1327)

36) حَمْوُ المرأَة وحَمُوها وحَماها: أَبو زَوْجها وأَخُو زَوْجِهَا، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْ قِبَلِه. يُقَالُ **هَذَا حَمُوها ورأَيت حَمَاها وَمَرَرْتُ بحَمِيها،** وَهَذَا حَمٌ فِي الِانْفِرَادِ. انظر: **"لسان العرب"** (14/ 197)

37) أخرجه أحمد. وإسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث هنا فانتفت شبهة تدليسه. وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. يعقوب: هو ابن إبراهيم بن سعد الزهري. وهو عند ابن إسحاق في "السير والمغازي" ص263، ومن طريقه أخرجه ابن راهويه في "مسنده" (725) ، وأبو داود (3931) ،وابن الجارود فى "المنتقى" (705) ، وأبو يعلى في "مسنده" (4963) ،والطبرى فى "التاريخ" 610/2، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (4748) ،وفى "شرح معانى الآثار 21/3،" وابن حبان في "صحيحه" (4054) و (4055) ، والطبرانى فى "الكبير" (159) /24،والحاكم في "المستدرك" 26/4، والبيهقى فى "السنن" 9/74-75، وابن الأثير في "أسد الغابة"،75-7/56 بهذا الإسناد. وأورده ابن هشام في "سيرته" 2/294-295. وأخرجه الواقدي في "المغازي"،411/1 وابن سعد فى "طبقاته" 116/8، والحاكم 4/26-27 من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن عائشة، به. انظر تعليق المحققين على **"مسند الإمام أحمد بن حنبل"** (43/ 385).

فتركها تدمر علاقته بأهله، فقطعت الأرحام، وعم الخراب كل بيت. فالحمد لله الذى حرَم المرأة من القوامة.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

9- الرجل أقرب للعدل

أى حاكم هو قاض بين رعيته. وقوامة الرجل تجعله أشبه بالقاضي. والقاضي يجب أن يكون عادلا، والعدل يتطلب الهدوء، والتروي، وتنحية العاطفة، وإعمال العقل، وهذه صفات يتفوق فيها الرجل. إننا لا نزعم أن الرجال ملائكة والنساء شياطين، فلكل منهما نصيب من الخير، ونصيب من الشر، ولكن عاطفة المرأة كثيرا ما توقعها فى الظلم، ولهذا وجب أن تكون القيادة للرجل.

إن المرأة إن اتجهت عاطفتها نحو شيء اندفعت إليه، وهان فى عينيها كل ما عداه، فمثلا إن مرض طفلها، أو ماتت أمها، شعرت كما لو كانت هذه نهاية العالم، واستهانت بغير ذلك من شئون البيت والأولاد، ولم تعطها حقها من التفكير، فتتوقف عمليا عن قيادة الأسرة، لأنها لا ترى فى العالم إلا مصابها. وإن أصدرت قرارا فسيكون فى الغالب مفتقدا للعدل والحكمة. والأدهى أن حزن المرأة وتأثرها بالأحداث المحيطة بها يطول، وقد يمتد لشهور طويلة، وهذا يعطل مصالح الأسرة بشكل كبير.

وعاطفة المرأة تجعلها أحيانا تتخذ قرارات ظالمة ليس فى حق أسرتها، ولكن فى حقوق الآخرين، فقد يعتدى ابنها على أحد أصدقائه، فتنحاز الأم لابنها، بينما يعتذر الأب لأهل الطفل المضروب، ويعاقب ابنه أمامهم ويؤدبه. ونكرر: نحن لا نزعم أن الرجل ملاك لا يظلم، ولكن نقصد أن جمود العاطفة لديه يجعله أكثر ميلا للعدل من المرأة.

ومن المعروف أن المرأة أقل قدرة على تحمل الألم وأكثر مبالغة فى إظهاره من الرجل، ومن الشائع أن ترقد فى الفراش بسبب مرض بسيط أو ألم خيف، وهذا يجعلها أقل قدرة على قيادة الأسرة، فالمرأة المتألمة ينحصر تفكيرها فى ألمها، وقد تتسرع فى اتخاذ القرارات بلا موضوعية لمجرد وضع نهاية بأى شكل للمشاكل حتى لو كان ذلك على حساب العدل. إنها لا تملك ترف التروى والتأمل،

فكل شيء تتوارى أهميته إذا ما قورن بما تحس به من صداع أو وجع فى العظام أو ضيق فى التنفس، ولهذا كثيرا ما تصرخ فى وجه أولادها قائلة: "أنا مش فايقة لكم".

وقد لاحظ علماء الاجتماع من قبل وجود فرق بين الرجل والمرأة فى العدل[38] ، فأظهرت مثلا دراسة كوهلبيرج أن الأفراد يتقدمون عبر سلسلة من مراحل التفكير الأخلاقى، يبلغ عددها ست مراحل. **والمرحلة الثالثة خاصة بالنساء،** وهى تتميز بالحفاظ على العلاقات مع الآخرين والاستجابة لتوقعاتهم. أما **المرحلة الرابعة الأعلى،** فهى خاصة بالرجال الذين يتميزون بالتمسك بالقانون ويحاولون الحفاظ على النظام العام. وقد تعرض كوهلبيرج للاتهام بالانحياز ضد المرأة ، وتعرضت دراسته للتشكيك بزعم وجود أخطاء منهجية، وحاولت العالمة المعروفة كارول جليجان عام 1982م إنقاذ المرأة من هذا المأزق الأخلاقى، فبدلا من أن تقول ببساطة أن هذه القاعدة ليست شاملة، وأن بعض النساء لديهن حرص شديد على العدل، إذا بها تقوم بحركة بهلوانية لتمييع فكرة العدل، وإضفاء مسحة أخلاقية على فكرة الظلم، فقررت أن تعتبر الظلم الذى ترتكبه المرأة أحيانا بدافع الشفقة نوعا من أنواع الخلق القويم. لقد قالت جليجان أن **كلا من الرجل والمرأة يتكلم بصوت أخلاقى مختلف: الرجال يتكلمون بصوت العدالة، بمعنى أنهم يحرصون على العدل بمعناه المعروف أى إعطاء كل ذى حق حقه. أما النساء فيتكلمن بصوت الرعاية، بمعنى أنهن يحافظن على العلاقات، ويستجبن لرغبات الآخرين.** وقد لاقت آراء جليجان إشادة كبيرة من وسائل الإعلام العالمية التى تتلقف كل صوت ينحاز للمرأة. ولا يهمنا الحركة البهلوانية التى قامت بها جليجان، بل **يكفينا أنها اعتبرت أن الرجل أكثر حفاظا على العدل والقسط بالمعنى المعهود.** من حقها أن تعتبر أن حنان المرأة المفسد نوع من أنواع الأخلاق، لكن هذا لا وزن له فى نظر أصحاب الفطرة السليمة، ولا وزن له كذلك فى نظر المسلم لأن الله تعالى أمرنا بالتمسك بأقصى درجات العدل حتى إن لاح لنا يوما أن نظلم الغنى شفقة على خصمه الفقير: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 135]

---

[38]) **Jaffee S, Hyde JS.** Gender differences in moral orientation: a meta-analysis. Psychol Bull. 2000;126(5):703-26.

وقد أحدثت نظرية جليجان ضجة كبيرة ، ظهر على إثرها سيل من الدراسات التى حاولت اختبارها تجريبيا. وفى تحليل بَعْدى ل 113 دراسة[39] تناولت موضوع التفكير الخلقى لدى الرجل والمرأة وُجد أن **الرجال تفوقوا على النساء فى "التفكير القائم على العدالة"** Justice reasoning، بينما **تفوق النساء فى "التفكير القائم على الرعاية"** Care reasoning . حقا كان الفارق بين الجنسين ضئيلا (حجم تأثير قدره: (0.19 و 0.28 على الترتيب)، لكن سنرى فيما بعد كيف أن الغالبية العظمى من الفروق بين الجنسين ضئيلة، ولكنها ذات أثر عملى كبير. وقد لاحظ هؤلاء الباحثون أن الفارق بين الجنسين يكون أشد لدى الكبار الناضجين مقارنة بطلبة الجامعات.

إن من يحكم الأسرة يجب أن يكون كالقاضى فى عقله ورزانته وبعده عن الانفعال. والرجل أقرب لهذه الصفات من المرأة. حقا هناك استثناءات، لكن الشرائع توضع من أجل ما هو غالب وشائع.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

[39]) **Jaffee S, Hyde JS.** Gender differences in moral orientation: a meta-analysis.

10- الرجل أقل إسرافا من المرأة

المرأة تحب الشراء، وتنبهر بالبضائع، وتتعلق بالزينة، وتُفتن بالألوان، وتهيم بالرفاهية. وأغلب الرجال يشكون من حب النساء المفرط للتسوق. وكثيرا ما تتندرت الأفلام والمسلسلات على هذه الصفة. وفي أحدها اصطحب رجل مسكين زوجته لمتجر كبير، فتركته على وعد بأن تعود بعد قليل، لكنها نسيت نفسها بين البضائع، فلم تعد إليه إلا بعد أن شاب شعره، وانحنى ظهره.

المرأة تحب شراء الملابس، وتغيير أثاث البيت، وتجديد ألوان الشقة. المرأة تعشق الذهب والحلى والهدايا. ونفس الكلام ينطبق على الذهاب إلى المصايف وشراء السلع الكمالية والأجهزة المنزلية التى يمكن بسهولة الاستغناء عنها. وإن خُطبت الابنة بالغت أمها فى تجهيزها بأشياء كثيرة لن تستعملها حتى لو اضطرت إلى أن تستدين أو تمد يدها للآخرين. وميل المرأة للإسراف يرجع إلى طبيعة شخصيتها، لكن قد يكون من أسبابه أيضا أنها تنفق من مال زوجها، ولا يعنيها أن تحافظ عليه.

المرأة تريد أن تنفق، وتشبع رغباتها الآن فقط دون أن تفكر فى المستقبل. حقا كثير من الرجال ابتلوا بالإسراف وحب المظاهر إلا أن هذه الصفة تبقى ولا شك أشد ارتباطا بالنساء. وكم من رجل انساق وراء شهوات زوجته، وظل ينفق على ملذاتها حتى أفلس، وجلس يبكي ندما بعد أن حاصرته الديون. ولو جعل الله تعالى القوامة بيد المرأة لأضاعت ثروة زوجها وثروة الأسرة على ما لا جدوى منه، ولا طائل من ورائه.

المرأة مولعة بتقليد الأخريات، وتكره أن تكون صديقاتها أفضل منها، وتتطلع للعيش فى مستوى رفاهية لا يقل عن قريباتها. وتصر كثير من الأمهات هذه الأيام على إلحاق أولادهن بمدارس أجنبية ذات مصاريف خيالية لمجرد أنها لا تطيق أن يكون أولادها أقل فى مستواهم الاجتماعي من أولاد صديقتها. وإن قال لها الزوج: من أين نأتى بالمال؟ هاجت وماجت واتهمته بالبخل وإهمال مستقبل الأولاد، واعترفت بأنها أخطأت حين تزوجت من رجل دون مستواها، فلا يجد الرجل المسكين بدا من أن يرضخ حتى لا ينهار البيت، ويضيع الأولاد. حقا كم كان الله تعالى حكيما حين سحب زمام القيادة من المرأة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

11- الرجل يحتاج إلى تعدد الزوجات

هناك أسباب فى غاية الوجاهة تحتم إباحة تعدد الزوجات. ولو كانت القوامة للمرأة ثم أراد الرجل يوما أن يتزوج من امرأة ثانية فسيكون من حق زوجته الأولى أن تمنعه. وإن تزوج الرجل رغما عنها فستقوم بالانتقام منه بشكل غير مباشر من خلال إرهاقه بالأوامر والطلبات والواجبات. وقد تتعمد الإكثار من الأوامر فى اليوم الذى يقضيه مع زوجته الثانية حتى لا يهنأ له عيش معها.

والأخطر من ذلك أن الرجل سيصبح له رئيسان اثنان هما زوجته الأولى وزوجته الثانية. وسيكون عليه واجب طاعتهما. وهذه ستكون مصيبة إذ سيكون عليه أن يرضيهما فى نفس الوقت، وهذا مستحيل خاص إذا كان بينهما نوع من التنافس كما يحدث عادة بين الزوجات، فقد تأمره إحداهما بأن يصطحبها في رحلة إلى الاسكندرية أثناء العيد، فترفض الزوجة الثانية لأنها تريد أن تذهب إلى الغردقة فى نفس الوقت. فأيهما يطيع؟

وعلى ذلك فمنح القوامة للمرأة يتعارض بشكل تام مع تعدد الزوجات. وتعدد الزوجات شريعة إسلامية ثابتة، لا ينكرها إلا متطاول على الله ودينه. وتفصيل ذلك يحتاج لكتاب كامل.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

12- شخصية الرجل والمرأة طبقا للدراسات

أولا: الدراسات النفسية

أ- جوانب الشخصية الخمس

الاتجاه السائد فى علم النفس منذ أكثر من ثلاثين عاما لدراسة شخصية الإنسان هو تقييم خمس جوانب رئيسية، وهو ما يعرف ب "نموذج العوامل الخمس الكبرى للشخصية" The Big-Five Model of Personality أو اختصارا The Big Five. وهذه الجوانب تشمل "المقبولية"، و"يقظة الضمير"، و"العَصَّابية"، و"الانبساط"، و"الانفتاح على التجربة". وكل جانب من هذه الجوانب له جوانب فرعية، يقدرها البعض بجانبين[40]، ويقدرها آخرون بستة[41]. وقد حاول العلماء التفرقة بين شخصية الرجل والمرأة من خلال هذه الجوانب الخمس للشخصية.

وتتفق الدراسات على وجود اختلافات بين الرجل والمرأة فى الشخصية، ولكن بين هذه الدراسات بعض الاختلافات. والمهم **أنه لا أحد يقول بأن شخصية الرجل مطابقة لشخصية المرأة تماما**. وصدق الله تعالى حين قال: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} [آل عمران: 36]. **وإذا كان العلماء يتفقون على أن المرأة تختلف عن الرجل فى الشخصية، فما وجه الغرابة فى أن تفرق الشريعة الإسلامية بينهما فى بعض القوانين؟** وإليكم الآن نبذة عن هذه الصفات أو الجوانب الخمس الكبرى للشخصية[42، 43، 44، 45]:

<u>الصفة الأولى: المقبولية Agreeableness</u>

تترجم المراجع العربية هذه الصفة فى العادة بالمقبولية، ويترجمها البعض بالانسجام أو الوفاق. وفى رأينا أن **أدق كلمة تعبر عن هذه السمة هى "الطيبة"، أو "الخير"**.

---

40) يصنف مقياس The Big Five Aspect Scales (BFAS) كل واحد من الصفات الخمسة الرئيسية إلى جانبين فرعيين

41) يصنف مقياس The Revised NEO Personality Inventory (NEO PI-R) كل واحد من الصفات الخمس إلى ست جوانب فرعية

42) **Weisberg YJ, Deyoung CG, Hirsh JB.** Gender Differences in Personality across the Ten Aspects of the Big Five. *Front Psychol*. 2011; 2:178. Published 2011 Aug 1. doi:10.3389/fpsyg.2011.00178

43) **DeYoung CG, Quilty LC, Peterson JB**. Between facets and domains: 10 aspects of the Big Five. J Pers Soc Psychol. 2007 Nov;93(5):880-96. doi: 10.1037/0022-3514.93.5.880. PMID: 17983306.

44) **Costa, Paul & Mccrae, R..** (1992). Neo PI-R professional manual. Psychological Assessment Resources. 396. https://www.researchgate.net/publication/240133762_Neo_PI-R_professional_manual

45) **العوامل الخمسة للشخصية ، وعلاقتها بالاكتئاب لدى المرضى المترددين على مركز غزة المجتمعى – برنامج غزة للصحة النفسية**. رسالة ماجستير ، مقدمة من الباحث/ نضال عبد اللطيف الشمالى. إشراف الدكتور نبيل كامل دخان. كلية التربية. الجامعة الإسلامية- غزة. 2015م- 1436 هجرية.

وهذه فقط نماذج من المراجع عن الموضوع.

ويرى البعض أن المقبولية لها جانبان: أولا: الشفقة أو العطف Compassion، ثانيا: الأدب Politeness.

والشخص الذى لديه قدر كبير من الشفقة تراه أكثر حنانا ودفئا ورقة وعطفا وودا وحبا وتعاونا. إنه يتميز بالمشاركة الوجدانية، أى يشارك الآخرين مشاعرهم وأحزانهم وأفراحهم، ويسأل عن أحوالهم، ويبغى مساعدتهم، ويُؤْثرهم على نفسه.

أما الشخص الذى يتمتع بدرجة عالية من صفة "الأدب"، فهو يحترم الناس، ولا يهينهم، ولا يتكبر عليهم، ويتجنب فرض إرادته على الآخرين، ولا يضعهم تحت ضغط، ويبتعد عن الصراعات، ويحترم السُلطات.

والبعض يقسم صفة المقبولية إلى ستة جوانب فرعية هى: الثقة فى الآخرين – الاستقامة (عدم اللف والدوران) – الإيثار – التجاوب[46] – التواضع – طيبة القلب.[47]

أما الشخص الذى لديه حظ قليل من صفة المقبولية، فأنا أميل إلى تسميته بالشخص الشرير. هذا الشخص يتسم بالسخرية والشك، وهو على استعداد لنفاق الآخرين وخداعهم، ويقدم مصلحته على مصلحة غيره، وينافس الآخرين بشدة، وعلى استعداد للحرب من أجل آرائه إن تطلب الأمر، كما أنه شديد الإعجاب بنفسه والفخر بإنجازاته، وهو أيضا متصلب الرأس ("دماغه ناشفة" كما نقول)، وآراؤه الاجتماعية والسياسية تعكس واقعية وبراجماتية.

الصفة الثانية: العَصَّابية Neuroticism

الأفراد الذين لديهم قدر كبير من العصابية **حساسون، ومتقلبو المزاج**، وعندهم مستوى عال من المشاعر السلبية، أى المشاعر السيئة غير المبهجة **كالقلق، والخوف، والإحباط، والعصبية، والغضب من الآخرين**. ويمرون أحيانا **بنوبات من المحن النفسية**. كما تحدث لهم مشاكل فى التعامل مع الناس بسبب الشعور **بالخجل والإحراج**. وتراهم غير راضين عن جوانب عديدة من

[46]) التجاوب Compliance هو الميل لتسوية الصراعات عن طريق التعاون والتأجيل، وليس عن طريق العنف الصدام والعداء والشجار والانتقام.

[47]) مصطلح طيبة القلب Tender-mindedness استخدمه لأول مرة ويليام جيمس. ويمكننا أن نَعرف درجة طيبة القلب إذا علمنا إلى أى مدى تتأثر أحكام الإنسان واتجاهاته بالعاطفة، ويمكن أن يسمى هذا المصطلح بإيجاز "التعاطف". ونقيض طيبة القلب هى "قسوة القلب" Tough-mindedness

حياتهم. كما أن لديهم قدرا منخفضا من تقدير الذات، ولا يشعرون بالأمان، ويفتقرون إلى القدرة على ضبط دوافعهم ورغباتهم. **وبشكل عام يصفهم زملاؤهم بأنهم قلقون، وعاطفيون بشكل مبالغ فيه.**

وتشمل العصابية جانب الانسحاب Withdrawal وجانب التقلب Volatility.

والشخص الذى لديه قدر عال من "الانسحاب" تجده أكثر ميلا إلى الإحساس بالعواطف السلبية كالقلق، والخوف، والاكتئاب، والغضب، والشك، والإحراج، وفقدان الحماسة، وقلة الثقة بالنفس، والإحساس بالتهديد، وتأرجح المزاج، أو عدم استقرار الحالة النفسية بما لا يتناسب مع الموقف والظروف المحيطة. أما الشخص الذى لديه قدر كبير من "التقلب" فتجده عصبيا، سريع الغضب، مفتقرا للقدرة على التحكم فى المشاعر.

ويقسم البعض صفة العصابية إلى ستة جوانب هى 1- القلق 2- العداء/الغضب 3- الاكتئاب 4- الوعى الذاتى[48] 5- الاندفاعية 6- التعرض للتوتر/الخوف/العجز المكتسب

<u>الصفة الثالثة: يقظة الضمير Conscientiousness</u>

الشخص الذى يتمتع بقدر كبير من يقظة الضمير هو الشخص **المسئول، الجاد، الذى يمتلك الطموح والرغبة فى التفوق.** أما الشخص الذى لديه قدر قليل من يقظة الضمير فهو الشخص **المستهتر، الذى لا يشعر بالمسئولية،** والذى لديه رغبة قليلة فى الإنجاز، ولا يميل لتنظيم وقته جيدا، ويفتقد لضبط النفس، وينزع إلى تقديم اللذة على العمل، كما أن لديه تراخيا تجاه مسئولياته والتزاماته، وهو يوصف بأنه **مهمل، ولا يعتمد عليه.**

ويقظة الضمير لها جانبان، هما الجدية Industriousness والنظام Orderliness .

والإنسان الذى يتمتع بقدر كبير من صفة "الجدية" أو الجد تجده أكثر نشاطا، ويجد صعوبة أقل فى النزول إلى العمل كل يوم، وينفذ خططه، ولا يهدر وقته، وينهى ما بدأه، ويعرف دائما ما يفعل، ولا يؤجل قراراته، ولا يتشتت انتباهه بسهولة.

---

48) الوعى الذاتى Self-consciousness يقصد به انشغال الإنسان بنفسه ، أى بالكيفية التى يرى بها نفسه ، وبالكيفية التى يراه بها الآخرون. ويشمل الوعى بالنفس عواطف الفخر والإحراج والغيرة والندم أو الشعور بالذنب.

ومن لديه قدر كبير من صفة "النظام" تجده يحب الترتيب، ولا يترك الأشياء الخاصة به متناثرة، ويعمل دائما على الحفاظ على الأشياء منسقة، ويحافظ على الروتين، ويراعى القواعد، ويهتم بكل التفاصيل.

ويمكن تقسيم يقظة الضمير إلى ستة جوانب هى: 1- الكفاءة/الكفاءة الذاتية 2- النظام 3- الإحساس بالواجب/الالتزام 4- السعى للإنجاز 5- ضبط النفس/قوة الإرادة 6- المداولة/الحذر

<u>الصفة الرابعة: الانبساط أو الانبساطية Extraversion</u>

تشير هذه الصفة إلى ميل الإنسان لتحقيق الرضا والسعادة من خارج نفسه. الشخص المنبسط هو **الشخص الاجتماعى غير المنطوى.** المنبسط يفضل صحبة الآخرين، والحياة وسط الضجيج والحشود، ويعشق حضور الحفلات، ولو مع أشخاص يقابلهم لأول مرة. وهو لا يحب الخلوة والبعد عن الناس، كما يكثر من الكلام، ويوصف بأن لديه مستوى عاليا من الطاقة، ويحب أن يكون باستمرار نشيطا ومشغولا، وتستهويه الإثارة بشدة، ويميل إلى المرح والتفاؤل، ويفضل أن يكون قائدا ومهيمنا على الآخرين، وليس تابعا.

والانبساط له جانبان هما الحماس Enthusiasm والإصرار Assertiveness. الحماس صفة تجعل الإنسان اجتماعيا، وممتلئا بالمشاعر الإيجابية، فيقيم صداقات بسهولة مع الآخرين، ويقربهم من نفسه، ويشعر بالدفء تجاههم، ويكلمهم عن خباياه وأسراره، كما يُظهر شعوره إن أحس بالسعادة، ويضحك كثيرا. أما الإصرار فصفة تشير إلى التأثير على الآخرين، والهيمنة عليهم، والتسلط، وقوة الشخصية، وتحمل المسئولية، ولعب دور القيادة.

ويقسم البعض الانبساط إلى ستة جوانب هى: 1- الدفء/اللطف 2- الاجتماعية 3-التأكيد 4- النشاط/الطبع الحيوى 5-البحث عن الإثارة 6-العواطف الإيجابية/المرح/الحيوية

<u>الصفة الخامسة: الانفتاح على الخبرة</u>

هناك اختلاف حول تسمية هذا الجانب، حيث يسميه البعض "الانفتاح على الخبرة" Openness to Experience ، لكن هناك تسمية تحظى بقبول متزايد هى "الانفتاح/العقل" Openness/Intellect.

ويمكن تلخيص هذه الصفة فى أنها تعبر عن اهتمام الإنسان بالحقيقة أو الجمال. وبعبارة أخرى هي تمثل الانفتاح على الأفكار Openness to ideas أو الانفتاح على الجماليات Openness to esthetics.

والأفراد الذين يحققون درجات عالية فى هذه الصفة يتميزون بأنهم يهتمون بالتجربة فى ذاتها. إنهم يستمتعون بكل ما هو جديد ومختلف، ولديهم قدرة كبيرة على التعرف على مشاعر الآخرين، **وعندهم تقدير كبير للجمال فى الفن والطبيعة والشعر والموسيقى، ويمتلكون خيالا جامحا، وفضولا فكريا**، كما يأخذون الأفكار والقيم الجديدة فى الاعتبار، وهم غير تقليديين، وتجدهم ليبراليين فى آرائهم الاجتماعية والسياسية والخلقية.

والانفتاح على التجربة له جانبان هما "الانفتاح" Openness والعقل أو الحكمة Intellect. والانفتاح صفة تتعلق بالجمال والمشاعر. الانفتاح صفة تجعل الإنسان يستمتع بجمال الطبيعة، ويؤمن بأهمية الفن، ويغرق فى الموسيقى والشعر وأحلام اليقظة، ويحب التأمل فى الأشياء، ويرى الجمال فى أشياء عادية لا يلحظها الآخرون، ويستشف الجوانب العاطفية فى الصور والرسوم. أما صفة العقل فتجعل المرء يفكر بسرعة، ويفهم الأشياء بسرعة، ويتعلم بسرعة، ويفهم الأفكار المجردة بسهولة، ويصيغ الأفكار بوضوح، ويجيد التعامل مع المعلومات الكثيرة، ويحب حل المسائل أو المشاكل المعقدة، ويحب المناقشات الفلسفية، ولا يعزف عن قراءات المواد الصعبة.

ويقسم البعض صفة الانفتاح على التجربة إلى ستة جوانب فرعية هى: 1- الخيال 2- الجماليات/الاهتمامات الفنية 3-المشاعر/العواطف 4- العمل/المغامرة/الاستكشاف 5- الأفكار/الاهتمامات الفكرية/الفضول 6- القيم/الليبرالية النفسية/التسامح مع الغموض.

ب- اختلاف الرجل والمرأة فى الشخصية

كانت هذه فكرة عامة عن جوانب الشخصية الخمسة الكبرى. فماذا تقول الدراسات عن نصيب كل من الرجل والمرأة منها؟

لنبدأ بدراسة تحليلة بعدية، شملت أكثر من 17 ألف شخص من سبعة بلاد[49]. وجدت الدراسة أن **صفة طيبة القلب** tender-mindedness، **وصفة الثقة فى الآخرين، وكذلك صفة القلق موجودة**

49) **Feingold A**. Gender differences in personality: A meta-analysis. Psychological Bulletin 1994; 116 (3), 429–456.

بدرجة أكبر لدى النساء (حجم تأثير 0.97 و0.25 و 0.28 على الترتيب)، **بينما تفوق الرجال فى صفة الإصرار** Assertiveness (حجم تأثير 0.5).

وفى دراسة لوايزبرج وفريقها على حوالى 2600 شخص، أغلبهم من أمريكا الشمالية، وجد أن **المرأة تتفوق على الرجل فى صفة المقبولية (بجانبيها: الشفقة والأدب) والعصابية (بجانبيها: الانسحاب والتقلب)**. كما تفوقت النساء بدرجة طفيفة جدا فى صفة الانبساط (لأن **الرجال تفوقوا فى جانب الإصرار، بينما تفوقت النساء فى جانب الحماس**، فقلت المحصلة). أما بالنسبة لصفة يقظة الضمير فلم يكن هناك فرق بين الجنسين لأن **الرجل تفوق فى جانب الجدية**، بينما **تفوقت المرأة فى جانب النظام**، فألغى كل منهما الآخر. وبخصوص صفة الانفتاح على التجربة لم يكن هناك فرق بين الجنسين، لكن أظهر التحليل الدقيق أن **النساء تفوقن على الرجال فى جانب الانفتاح** (أى الاهتمام بالجمال والمشاعر)، بينما **تفوق الرجال فى جانب العقل** (أى الاهتمام بالأفكار)، فألغى الاثنان بعضهما [50].

ومن المفاجآت فى الدراسة السابقة أن الاختلافات فى الشخصية بين الرجل والمرأة كانت أكبر بين البيض مقارنة بالآسيويين مع أن البيض يتمتعون بدرجة أكبر من التقدم والمساواة بين الجنسين. <u>**وهذه النتيجة الغريبة تدمر ما توهمه البعض من أن المجتمع هو الذى صنع الفروق بن الرجل والمرأة فى الشخصية، وأنهما من حيث الخلقة متطابقان، إذ لو كان الأمر كذلك لزالت الفروق بين شخصية الرجل والمرأة فى الدولة المتقدمة التى ألغت التمييز بين الجنسين. والأغرب أن كل الدراسات توصلت إلى نفس النتيجة، ووجدت أن الفروق بين الجنسين أكبر فى الدول المتقدمة التى تضمن المساواة بين الرجل والمرأة مقارنة بالدول الفقيرة التى تميز بين الرجل والمرأة**</u>. وبهذا ثبت أن الفروق بين شخصية الرجل والمرأة فروق حقيقية، وليست نابعة من مجرد تربية المجتمع للمرأة بطريقة تختلف عن الرجل.

كما أجرى ماكجيولا وكاجونيوس عام 2019م دراسة على أكثر من ألف شخص من 22 دولة، فتبين أن هناك اقترانا قويا بين اختلافات الجنسين فى الشخصية ومؤشر المساواة بين الجنسين. ووجدت الدراسة أن **النساء لهن نصيب أكبر من الرجال فى صفات خمس هى العصابية والانبساط**

---

[50]) **Weisberg YJ, Deyoung CG, Hirsh JB.** Gender Differences in Personality across the Ten Aspects of the Big Five.

والانفتاح على التجربة والمقبولية ويقظة الضمير. وهذه الاختلافات كانت أكبر فى الدول التى يتمتع فيها الجنسان بقدر أكبر من المساواة.[51]

وقد توصلت إلى نتيجة مشابهة دراسة أهم وأضخم، أجراها شميت ورفاقه على أكثر من 17 ألف شخص من 55 دولة، فوجد أن **النساء تفوقن على الرجال فى صفات العصابية والمقبولية والانبساط ويقظة الضمير** فى أغلب بلاد العالم، كما كانت الفروق بين الجنسين أكبر كلما زاد تقدم الدول فى الاقتصاد والتعليم والصحة[52].

وأجرى كوستا[53] دراسة على 23 ألف شخص من 26 ثقافة مختلفة، فوجد أن **النساء تفوقن على الرجال فى صفة المقبولية والعصابية والدفء والانفتاح على المشاعر** Openness to feelings بينما **تفوق الرجال فى صفة الإصرار أو الحزم** assertiveness **والانفتاح على الأفكار** Openness to ideas. وكانت الفروق بين الجنسين أكبر عند الأشخاص من أوروبا وأمريكا.

وفى دراسة أخرى كبيرة أجراها مك كرى وتيراسيانو على أفراد من خمسين دولة، طُلب من كل فرد أن يصف شخصية فرد يعرفه جيدا (رجل أو امرأة)، فوجد أن **النساء يتفوقن بشكل عام على الرجال فى الصفات الخمس، وهى بالترتيب (من الأكبر للأصغر): العصابية والمقبولية** والانبساط ويقظة الضمير والانفتاح على التجربة. ولكن أظهر التحليل الدقيق **تفوق الرجال فى صفة الإصرار أو الحزم** Assertiveness **وطلب الإثارة** Excitement seeking **والانفتاح على الأفكار**، بينما **وجد لدى النساء صفة القلق والوهن والجماليات والمشاعر والرقة أو اللطف**. ووجد أن الفروق بين الجنسين زادت فى المجتمعات الغربية المتقدمة مقارنة بالدول النامية.[54]

---

[51]) **Mac Giolla, E. and Kajonius, P.J.** Sex differences in personality are larger in gender equal countries: Replicating and extending a surprising finding. Int J Psychol. 2019; 54: 705-711. https://doi.org/10.1002/ijop.12529

[52]) **Schmitt DP, Realo A, Voracek M, Allik J**. Why can't a man be more like a woman? Sex differences in Big Five personality traits across 55 cultures [published correction appears in J Pers Soc Psychol. 2009 Jan;96(1):118]. *J Pers Soc Psychol*. 2008;94(1):168-182. doi:10.1037/0022-3514.94.1.168

[53]) **Costa PT, Terracciano A, McCrae RR.** Gender differences in personality traits across cultures: robust and surprising findings. J Pers Soc Psychol. 2001;81(2):322-331.

[54]) **McCrae RR, Terracciano A**; Personality Profiles of Cultures Project. Universal features of personality traits from the observer's perspective: data from 50 cultures. *J Pers Soc Psychol*. 2005;88(3):547-561. doi:10.1037/0022-3514.88.3.547

وفى دراسة قام بها العالم ليبا[55] على أكثر من ربع مليون شخص من 53 دولة وجد أن **النساء تفوقن على الرجال فى صفة المقبولية، ثم العصابية**، وأخيرا الانبساط.

وفى دارسة للعالم كاجونيوس وماك جيولا[56] على 130 ألف شخص من 22 دولة وجد أن **النساء يتفوقن على الرجال فى صفة المقبولية ثم العصابية** ثم الانفتاح. كما تفوقن بدرجة طفيفة جدا فى صفة الانبساط، وصفة يقظة الضمير.

وأضخم دراسة أجريت حتى الآن[57] شملت أفرادا من 105 دولة. وقد أكدت الدراسة وجود الاختلاف بين الرجل والمرأة، وزادت الفروق بين الجنسين فى الدول التى تتمتع بدرجة أعلى من التقدم والفردية تماشيا مع الدراسات السابقة. ووجدت الدراسة أن **الرجال تفوقوا على النساء بقدر متوسط من الاستقرار العاطفى** Emotional stability ، على حين **تفوقت النساء على الرجال بفارق صغير فى صفة المقبولية**، وبفارق طفيف جدا فى صفتى يقظة الضمير والانبساط.

وحين يطالع المرء الدراسات الأحدث حول هذا الموضوع يشعر أن الباحثين يخجلون من القول بأنهم أثبتوا وجود فروق بين شخصية الرجل والمرأة، باعتبار أن هذه مسألة محسومة، ولا جديد فيها. ولهذا يقومون بدلا من ذلك بإبراز جوانب أخرى من جوانب تميز أبحاثهم مثل المقارنة بين الدول والحضارات فى الفروق بين الجنسين، أو طرح نظريات تفسر سبب نشأة الفروق بين الجنسين.

ج- الفروق فى الشخصية ترجح كفة الرجل كقائد

لعل القاريء قد لاحظ وجود بعض الاختلافات بين نتائج الدراسات السابقة، لكن هذا شأن البحث العلمي فى أغلب الأحوال. ومع ذلك يمكننا من مجمل الدراسات السابقة أن نلاحظ أن تفوق النساء كان أشد وضوحا فى صفة **المقبولية ثم العصابية**. وأظهرت بعض الدراسات تفوق الرجل فى **صفة الحزم**. وكل هذا يرجح كفة الرجل كما سنبين الآن:

55) **Lippa RA.** Sex differences in personality traits and gender-related occupational preferences across 53 nations: testing evolutionary and social-environmental theories. Arch Sex Behav. 2010;39(3):619-636. doi:10.1007/s10508-008-9380-7.

56) **Kajonius P, Mac Giolla E.** Personality traits across countries: Support for similarities rather than differences. PLoS One. 2017 Jun 16;12(6):e0179646.

57) **Sara A. Murphy, Peter A. Fisher, Chet Robie**. International comparison of gender differences in the five-factor model of personality: An investigation across 105 countries, Journal of Research in Personality, Volume 90, 2021, 104047, ISSN 0092-6566, https://doi.org/10.1016/j.jrp.2020.104047.

1-صفة المقبولية

صفة المقبولية تجعل المرأة من ناحية مؤدبة خاضعة للسلطة، وهذا يجعل قيادة الرجل لها وللأسرة شيء طبيعى، ولا غرابة فيه. كما أن المقبولية تجعل المرأة تثق بنوايا الآخرين، وتجعلها رقيقة حنونة رحيمة متعاطفة مشفقة. وهذه صفات حسنة جدا فى ذاتها، لكنها كثيرا ما تؤدي بالمرأة إلى اتخاذ قرارات خاطئة، أو توقعها فى شَرَك الأوغاد، وتجعلها ضحية للخداع حتى من المقربين. على سبيل المثال قد ترق المرأة لدموع ابنها الذى يريد شراء لعبة غالية رغم أنه يستحق العقاب بسبب سوء سلوكه مع إخوته. كما يمكن للأم الرحيمة أن تستجيب لتوسلات ابنتها التى تريد شراء ثوب غير محتشم. وحدث ذات مرة أن صدقت امرأة أنات أحد المتسولين الذى كان يخطط لسرقة البيت فى غفلة منها. ورقة المرأة وحنانها قد تجعلها تشفق على ابنها المدمن، فتمنحه المال رغم علمها أنه سيشترى به المخدرات، لأنها لا تطيق رؤيته وهو يتألم من الحرمان من المخدر. كما يؤدى الحنان المفرط بالأم إلى أن تنصر ابنها رغم علمها أنه اعتدى على جاره ظلما. وهكذا رغم روعة صفة المقبولية فى المرأة إلا أنها كثيرا ما تؤدى لكوارث ، ولذا فمن أهم صفات القائد الناجح تنحية العاطفة جانبا.

2-صفة العصابية

والصفة الثانية التى تفوقت فيها المرأة على الرجل هى صفة العصابية ، وهذه تبعدها أكثر عن قيادة الأسرة لأنها تجعلها معرضة أكثر من الرجل لصفات الخوف والقلق. والقائد الناجح لايقع فريسة لمثل هذه الصفات، بل يتميز بالجرأة والشجاعة فى أحلك المواقف.

كما أن العصابية تجعل المرأة أكثر عرضة للاكتئاب. والاكتئاب يجعل الإنسان قعيدا، غير قادر على العمل والتخطيط والتفكير. ومن كان هذا حاله لا يصلح أبدا للقيادة. والعصابية تجعل المرأة أكثر شعورا بالخجل والإحراج، بينما يكون على القائد أن يتعامل مع الآخرين فى جرأة.

والعصابية تجعل المرأة متقلبة المزاج بما لا يتناسب مع الظروف الواقعية المحيطة بها، وهذا يجعلها غير صالحة للقيادة لأنه يؤدي بها لظلم الآخرين، وتعسا لقائد ظالم. أما الرجل فيتميز بالاستقرار النفسى، وهو من أهم صفات القائد الناجح.

3-صفة الحزم

نلاحظ من الدراسات السابقة تفوق الرجل على المرأة فى صفة الحزم، أى الهيمنة والتسلط على الآخرين، وقوة الشخصية، وتحمل المسئولية، والتأثير على الآخرين، ولعب دور القيادة. وهذا يجعل الرجل بطبعه مؤهلا لقيادة المرأة والأسرة ، وغير ذلك هو الشذوذ بعينه. ورغم أن الدراسات لا تتفق على وجود هذا الفرق بين الجنسين إلا أنه لا توجد دراسة واحدة – على حد علمنا– تقول أن المرأة تتفوق على الرجل فى صفة الحزم.

4-العواطف القوية والعاجزة

قامت دراسات أخرى بالبحث عن الفروق بين الجنسين من خلال تقييم نوعين من العواطف، هما العواطف القوية Powerful emotions **(الغضب والاحتقار والاشمئزاز)** والعواطف العاجزة Powerless eomtions **(الخوف والحزن والخجل والإحساس بالذنب)**، فوُجِد دائما أن **العواطف العاجزة تكون أشد لدى المرأة**، بينما يتفوق الرجل فى شدة عواطف الغضب والاحتقار (وإن كان إجماع الدراسات على هذه النقطة الأخيرة أقل وضوحا). ووجدت الدراسات أيضا أن النساء يَمِلن للتعبير عن هذه العواطف عن طريق البكاء مقارنة بالرجال[58]. **وهذه الفروق تجعل المرأة أقل قدرة على القيادة من الرجل** لأنها ستنهار وتبكى وقت الأزمات، وتقع فريسة للخوف والقلق والحزن والخجل.

2-الدراسات العصبية لمخ الرجل ومخ المرأة

حاول علماء الأعصاب العثور على اختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة ، فصدرت دراسات كثيرة فى هذا الموضوع. أكبر هذه الدراسات أجريت عام 2018م فى بريطانيا على أكثر من خمسة آلاف شخص[59]، وأظهرت أن **الحجم الكلي للمخ، وحجم المادة البيضاء والمادة الرمادية** كان أكبر لدى الذكور مقارنة بالإناث. كما كان **حجم ما تحت القشرة المخية** أكبر لدى الرجال، وهذا يشمل اللوزة Amygdala وقرن آمون hippocampus والمهاد Thalamus والنواة الذنبية

---

[58]) **Fischer AH, Rodriguez Mosquera PM, van Vianen AE, Manstead AS**. Gender and culture differences in emotion. Emotion. 2004 Mar;4(1):87-94. doi: 10.1037/1528-3542.4.1.87.

[59]) **Ritchie SJ, Cox SR, Shen X, et al.** Sex differences in the adult human brain: Evidence from 5216 UK Biobank participants. Cerebral Cortex. 2018; 28 (8): 2959–2975.

Caudate وغيرها. وكثير من هذه الاختلافات يرجع إلى الاختلاف في الحجم الإجمالي للمخ. ووجدت الدراسة أيضا أن **مساحة سطح المناطق المختلفة فى القشرة المخية** كانت أكبر لدى الرجال. وخلافا للحجم ومساحة السطح وجدت الدراسة أن **سُمك القشرة المخية وتعقيد ممرات المادة البيضاء**[60] كان أكبر لدى النساء مقارنة بالرجال.

وقبل ذلك فى عام 2014م أظهر تحليل بَعدي ل126 دراسة[61] أن الرجال يتفوقون على النساء فى حجم المخ والمخيخ والمادة البيضاء والمادة الرمادية والسائل المخي النخاعي وحجم الجمجمة الداخلي[62]. كما يتفوق الرجال فى الحجم والكثافة النسيجية لمناطق معينة مثل اللوزة وقرن آمون والقشرة المخية المعزولة[63] والبَطامة[64]. بينما تتفوق النساء فى كثافة القطب الأيسر الأمامي[65]، ولديهن حجم أكبر للقطب الأمامي الأيمن[66] والمهاد (على الجانبين)[67] والجانب الخارجي من القشرة المخية الخلفية[68].

لكن بعض الباحثين يحاولون التقليل من أهمية مثل هذه الدراسات. ومن هؤلاء مجموعة بقيادة "ليز إليوت" ترى أنه لا يمكن الخروج من الدراسات فى هذا الشأن بنتيجة قوية تثبت اختلافا كبيرا بين مخ الرجل ومخ المرأة. والاختلاف الحقيقى بين الجنسين هو أن مخ الرجل أكبر حجما من مخ المرأة منذ لحظة الولادة، ويصل هذا الفرق إلى حوالى 11% عند البالغين، أما الاختلافات الأخرى بين مناطق معينة فى المخ فلا يوجد دليل قوى عليها. إن هذا الفرق فى حجم المخ يعنى – فى نظرهم– أن ما لا حظته الدراسات السابقة من تفوق لمخ الرجل (كزيادة نسبة المادة البيضاء/المادة الرمادية، وزيادة الترابط داخل نصف كل مخ وبين كل من نصفيه، والزيادة المحلية فى أحجام بعض المناطق فى القشرة المخية وما تحتها)، هذا التفوق يرجع إلى زيادة حجم المخ بشكل عام لدى الرجل. وإذا استبعدنا هذا الفرق العام فى الحجم لوجدنا أن نوع الجنس يفسر فقط واحد فى المائة من مجمل الاختلاف. على سبيل المثال اشتهر أن هناك اختلافا في حجم اللوزة وقرن آمون

---

[60]) White matter tracts

[61]) **Ruigrok AN, Salimi-Khorshidi G, Lai MC et al**. A meta-analysis of sex differences in human brain structure. Neurosci Biobehav Rev. 2014; 39 (100): 34–50

[62]) Intracranial volume

[63]) Insular cortex

[64]) Putamen

[65]) Left frontal pole

[66]) Right frontal pole

[67]) Bilateral thalami

[68]) Lateral occipital cortex

بين الرجل والمرأة ، وقيل أن هذا يفسر اختلاف الجنسين فى الذاكرة والتعلم والميل للاكتئاب والقلق، لكن الدراسات الحديثة أظهرت أن هذا الاختلاف متواضع. كما أخفقت الدراسات القائمة على الرنين المغناطيسى الوظيفى فى العثور على اختلافات قابلة للتكرار فى المعالجة المكانية واللفظية والعاطفية. كما شكك هؤلاء الباحثون فى مجمل نتائج الدراسات السابقة على اعتبار أن الدراسات التى لم تجد فروقا بين مخي الجنسين لم تكن تُقبل للنشر فى المجلات العلمية، وهو ما يعرف ب "انحياز النشر".[69]

وللرد على هذه الدراسة الأخيرة –وكل دراسة يمكن أن تصدر فى المستقبل محاولة إثبات أن مخ الرجل يشبه مخ المرأة تماما – يمكننا أن نقول ما يلى:

<u>**أولا**</u>**:** رغم أن الدراسة الأخيرة وأمثالها تحاول إثبات تشابه مخ الرجل والمرأة إلا أنها **لا تزعم غياب فروق بين الجنسين فى الشخصية** والطبائع والتصرفات والعاطفة. على سبيل المثال تقول هذه الدراسة أن من الظواهر المعروفة أن المرأة تتفوق على الرجل فى الجوانب اللغوية (خاصة فى الطلاقة اللفظية Verbal fluency)، ولكن لم يعثر العلماء على فروق يعتد بها بين مخ الرجل ومخ المرأة بما يفسر هذا الاختلاف فى اللغة[70]. إذن **هناك اختلافات واضحة بين الرجل والمرأة فى الشخصية والملَكات والطبائع والعواطف، لكن الاختلافات فى تركيب المخ أقل وضوحا. وتركيب المخ لا قيمة له فى بحثنا عن سبب تفريق الشريعة بين الرجل والمرأة**، فالشريعة ينبغي لها أن تراعي الفروق فى الشخصية والطبائع والملكات بصرف النظر عن الآليات التى سببت هذه الفروق.

<u>**ثانيا**</u>**:** بفرض –مجرد فرض– أن العلماء قد أخفقوا في العثور على اختلافات بين تركيب مخ الرجل ومخ المرأة، **فمن الناحية العلمية هذا لا يعني أكثر من ضرورة البحث عن آليات أخرى تفسر اختلافات الشخصية بين الجنسين. وعدم معرفة هذه الآليات حاليا لا يعنى أنها غير موجودة.** ومن المحتمل جدا أن يكتشفها العلماء فى المستقبل مع التطور المتواصل لتقنيات البحث العلمي. على سبيل المثال قد يتبين أن الاختلافات فى شخصية الرجل والمرأة ترتبط بوجود اختلافات فى

---

[69]) **Eliot L, Ahmed A, Khan H, Patel J.** Dump the "dimorphism": Comprehensive synthesis of human brain studies reveals few male-female differences beyond size. Neurosci Biobehav Rev. 2021 Jun;125:667-697. doi: 10.1016/j.neubiorev.2021.02.026.

[70]) **Eliot L, Ahmed A, Khan H, Patel J.** Dump the "dimorphism": Comprehensive synthesis of human brain studies reveals few male-female differences beyond size.

بعض الجينات أو البروتينات أو الإنزيمات رغم تشابه الشكل التشريحي الخارجي للمخ لدى الجنسين.

<u>ثالثا</u>: صغر الاختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة أو غيابها كلية لا يهم المسلم كثيرا لأن المسلم يعتقد أن المخ ليس هو اللاعب الوحيد على الساحة. المخ مجرد أداة تتوسط بين "النفس" و"الجسد"، **والاختلاف الأساسى بين شخصية الرجل والمرأة هو اختلاف فى "النفس"**. والنفس لا يدركها أحد من العلماء، ولا يعرف أحد كيف تؤثر على المخ أو تتأثر به. ولو قُدر لنا أن ندرك النفس، ونخضعها للتجربة لعلمنا يقينا لماذا تختلف شخصية الرجل عن شخصية المرأة. **إن غياب الفروق القوية بين مخ الرجل ومخ المرأة يجب أن يُفهم فقط على أن المخ غير قادر وحده على تفسير الاختلافات بين شخصية المرأة والرجل، وليس أنه دليل على غياب هذه الاختلافات فى الشخصية من الأساس.** إذن هناك ظواهر نفسية تؤكد أن الرجل يختلف عن المرأة، لكن ما تفسير هذه الظواهر؟ إن أثبت العلماء أن تركيب المخ ليس تفسيرا قويا فليبحثوا عن تفسير آخر. وسواء عثروا عليه أم لم يعثروا، فالمسلم يمتلك التفسير النهائي، ألا وهو النفس، أما الملحد الذى لا يؤمن بوجود النفس فسيتوهم أن الرجل مطابق للمرأة.

<u>رابعا</u>: عدم رصد العلماء حاليا لوجود اختلافات تشريحية بين مخ لاعب كرة القدم ومخ الممثل لا يمكن أن يكون مبررا للقول بأن لاعب الكرة يمتلك نفس مهارات الممثل. وستجد بالمثل فرقا هائلا بين ستالين ورجل صالح يتبرع لعلاج ضحايا ستالين. والفرق كبير بين تاجر مخدرات وشرطي يكافح المخدرات، وبين ممثلة إغراء وراهبة. ورغم ذلك لا يعرف العلماء أى فروق تشريحية بين هؤلاء الأشخاص. وعلى ذلك فمن العبث القول بأن صغر الاختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة – أو غيابها– دليل على تساوي شخصية الرجل والمرأة.

<u>خامسا</u>: العلماء الذين يحاولون جاهدين إثبات تساوي مخ الرجل ومخ المرأة –مثل ميليسا هاينس– يعترفون بوجود اختلافات بين الجنسين، لكنهم يقولون أن عدد هذه الاختلافات صغير، ودرجتها أيضا صغيرة بعد أخذ الحجم الإجمالي للمخ فى الاعتبار[71]. وهنا تراهم يقعون فى خطأ حين

[71]) **Melissa Hines.** Neuroscience and sex/gender: looking back and forward. J. Neurosci. 2020; 40(1):37– 43.

يميلون إلى إهمال هذه الفروق، ويعتبرونها هى والعدم سواء، مع أن الفرق الصغير قد يكون ذا أثر بالغ، كما سنبين بعد قليل بإذن الله.

3-الحذر من الدراسات

نحن من المشتغلين بالبحث العلمى، ونعرف جيدا أن نشر الأبحاث لا يتم دائما بشكل مستقيم، بل تعتريه الأهواء أحيانا. مثلا أغلب المجلات الدولية المشهورة ترفض نشر الأبحاث التى تخفق فى العثور على نتائج جديدة مثيرة، وهذا يدفع بعض الباحثين لتزوير بعض نتائج أبحاثهم، ويدفع الآخرين إلى نشرها فى مجلات محلية صغيرة، فتفقد كثيرا من تأثيرها. وهذا الأمر يحدث حتى فى الأبحاث العلمية المادية كالطب، وهو عرضة للحدوث بشكل أشد فى القضايا التى ترتبط بالحركة النسائية.

إن المناخ الفكرى العالمى يلقى بظلاله على الدراسات العلمية، فالعالم الآن يحكمه اليهود الذين فرضوا عقيدة الحركة النسائية فرضا على كافة الدول، وجعلوا من المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة مطلبا أهم من الطعام والشراب. ويشتم المرء رائحة التحيز للمرأة من بعض الأبحاث التى تحاول أن تثبت بطرق بهلوانية التساوى الكامل بين الجنسين. على سبيل المثال كتب بعضهم بحثا طويلا، بذل فيه جهد مضنيا فى الاطلاع على عدد ضخم من الأبحاث السابقة من أجل تفنيد فكرة اختلاف مخ الرجل عن مخ المرأة، بيد أنه فى ثنايا البحث طرح فكرة معينة، وبنى عليها استنتاجات خطيرة، وهذه الفكرة مستمدة من نتائج دراستين. ولكن لما عدت إلى هذه البحثين وجدت أن كلا منهما شمل عددا صغيرا من الأفراد، بما يجعله غير ذى قيمة علمية كبيرة تؤهله لبناء فكرة محورية. وطبعا القارىء المسكين – وحتى الباحث المتخصص- لن يفكر فى التثبت من كل مرجع من المراجع التى تكتظ بها سطور هذا البحث، وسيسقط فريسة لهذا المكر. كما يشم المرء رائحة التعصب إذا كان الباحث أنثى، فهي تميل للانتصار لقضية بنى جنسها، ولو على حساب الحقيقة العلمية. ورغم ذلك هذه الشبهات إلا أن الدراسات بشكل عام تثبت وجود فروق بين الرجل والمرأة، وتثبت أن شخصية الرجل تؤهله بدرجة أكبر لقيادة الأسرة، وهذا يكفينا. وبالله التوفيق.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

13-فروق صغيرة تؤدي إلى نتائج كبيرة

سأتقمص الآن دور المعارض، وأقول: "ولكننا لا نلحظ فى الواقع العملى فروقا كبيرة بين الرجل والمرأة بالشكل الذى ذكرته. **إنك تصور المرأة، وكأنها مخلوق فضائى، قادم من كوكب آخر، ومصنوع من طينة تختلف عن تلك التى خلق منها الرجل، مع أن ما بينهما من اختلافات لا تعدو أمورا بسيطة.** المرأة تفكر، والرجل يفكر. المرأة تحزن، والرجل يحزن. المرأة تخاف، والرجل يخاف. المرأة تفرح، والرجل يفرح. المرأة تضعف، والرجل يضعف. المرأة تظلم، والرجل يظلم. المرأة تُخفق، والرجل يُخفق. وفى إحدى الدراسات قامت العالمة هايد بفحص 46 تحليلا بعديا عن الفروق بين الجنسين فى شتى المجالات الجسدية والنفسية والعقلية (عددها 124 مجالا)، فوجدت أن أغلبها كان صغيرا، حيث كان 30% من أحجام التأثير[72] Effect sizes قريبة من الصفر، و48% من الاختلافات كانت صغيرة، و15% منها فقط كانت متوسطة. وتركزت الاختلافات الكبيرة بين الجنسين فى مجالات الأداء الحركى (سرعة الرمى ومسافة الرمى) وممارسة العادة السرية والميل للجنس العابر والعدوان الجسدى"[73]

ومن جانبنا نحن نؤكد **أن الدراسة السابقة وما يشبهها لم تأت بجديد، فالشريعة الإسلامية لم تزعم أن الاختلافات بين الرجل والمرأة كالاختلافات بين الإنس والجن أو بين السماء والأرض. إن الرجل والمرأة ينتميان إلى نفس الجنس البشرى، ومن الطبيعى أن تكون الفروق بينهما صغيرة نسبيا، وهى بلا شك أقل من الفروق بين الإنسان والنملة، أو بين الإنسان والفيل.**

لكن **هب أن الرجل أفضل قدرة على قيادة الأسرة من المرأة بفارق ضئيل– وليكن 5% ، أو حتى 1%**– فهل يجب أن يهمل الله تعالى هذا الفارق؟ قطعا لا، **فالله تعالى إله كامل، ومن الطبيعي أن يفعل ما هو أقرب للكمال، وإن كان أمامه خياران فعل الأصلح منهما حتى لو كان الفرق بينهما واحد فى المائة فقط.**

وعلينا أن نعلم أن الاختلافات الصغيرة قد تؤدى إلى نتائج كبيرة. ألا ترى أن الفروق بين أصحاب الميدالية الذهبية والفضية والبرونزية فى دورات الألعاب الأولمبية تكون ضئيلة جدا، ومع ذلك لم

---

[72]) يقاس حجم التأثير فى مثل هذه الدراسات بقيمة تعرف ب d للعالم كوهين، وهى تساوى الفرق بين متوسط الرجل ومتوسط المرأة مقسوما على متوسط الانحراف المعيارى. والقيمة الموجبة لحجم التأثير تعنى أن الرجل أكبر من المرأة ، والقيمة السالبة تعنى أن المرأة أكبر من الرجل.

[73]) **Hyde JS. 2005.** The gender similarities hypothesis. *Am. Psychol.* 60:581–92

يدع داع إلى إهمال تلك الفروق الطفيفة، ومنح كل اللاعبين نفس الميدالية الذهبية حتى لا نسيء لمشاعر صاحب المركز لثاني والأخير؟ خذ مثلا سباق مائة متر عدو للرجال، تجد أنه فى أحد سباقات دورة طوكيو الأولمبية كانت الميدالية الذهبية من نصيب لاعب قطع المسافة فى 9.80 ثانية، وذهبت الميدالية الفضية للاعب قطعها فى 9.84 ثانية، بينما ذهبت البرونزية للاعب استغرق 9.89 ثانية[74]. إن صاحب المركز الأول سبق صاحب المركز الثاني بزمن تافه جدا هو أربعة من مائة من الثانية الواحدة! وهذا الفارق الضئيل قد يجعل صاحب الميدالية الفضية يبكي لأنه فقد الميدالية الذهبية، وحرم من مجد عظيم كان سيفخر به طوال حياته.

وقارنت إحدى الأسر بين بيتين، كلا منهما يقع فى مدينة القاهرة، وفى نفس الحي الراقي، ونفس الدور. وكلاهما مكون من أربع غرف، وصالة، وحمام، ومطبخ. وكلا منهما يحتوي على أبواب وشبابيك وسلم ومصعد (أسانسير) و وستائر وسجاد ومقاعد وأسرة وزهور ولوحات، وغيرها من عشرات المحتويات. فرق واحد بين البيتين هو أن البيت الأول يطل على النيل، بينما يطل البيت الثاني على شارع مزدحم بالسيارات. فمن بين عشرات الأشياءالتي يتشابه فيها البيتان كان هناك اختلاف واحد جعل الأسرة تفضل الشقة التى تطل على النيل لأن منظر المياه جميل. وإن افترضنا أن عدد صفات ومكونات كل بيت يبلغ مائة، فسيكون الاختلاف بين البيتين قدره واحد فى المائة (1%) فقط. **وهذا الفرق الصغير جدا فى صفات البيتين ترتبت عليه نتيجة هائلة**، فقد منح ميزة كبيرة للبيت المطل على النيل، وجعل الأسرة تفضل السكن فيه، ورفع سعره بشدة عند البيع.

وأحد البروتينات فى الجهاز التنفسي للإنسان مكون من 1480 حامضا أمينيا، فإن نقص هذا البروتين حامضا أمينيا واحدا (أى صار مكونا من 1479 حامضا أمينيا) حدث مرض التليف الكيسي Cystic fibrosis الذي يسبب التهابات متكررة فى الرئتين، وصعوبة فى التنفس، وخلل فى وظائف البنكرياس، فيموت المريض فى النهاية[75]. **فهذا الفرق الشديد التفاهة فى تركيب الجين سبب ضررا بالغا لصحة الإنسان.**

---

[74]) **الإيطالي جاكوبس يحصد ذهبية سباق 100 متر، ويحطم الرقم الأوروبي.** جريدة الشرط الأوسط. 1 أغسطس 2021. تم الدخول على الموقع يوم 6 يونيو 2022.

[75]) **Cystic fibrosis transmembrane conductance regulator; CFTR**. https://omim.org/entry/602421#geneStructure ; accessed June 6, 2022.

وإن تأمل المرء فى أحوال حشرة النحل لوجد أن الأنثى هى التى تقوم بجمع العسل وصنع الشمع والدفاع عن الخلية، بينما الذكر لا وظيفة له إلا تلقيح الملكة. ورغم هذا الاختلاف العميق إلا أن من ينظر إلى خلية النحل إذا فُتحت أمامه سيصعب عليه أن يفرق بين الذكر والأنثى إلا إذا كان خبيرا. وهذا يقدم لنا نموذجا رائعا لما يمكن أن نسميه ب"**الاختلاف النسبى**"، **أى اختلاف وتشابه في آن واحد، فمن ينظر من بعيد لا يلحظ اختلافا، لكن من يدقق النظر يكتشف أن الفرق مهم، وتترتب عليه نتائج خطيرة.**

إننا لا ننكر التشابه الكبير بين الرجل والمرأة، **فالرجل لديه عقل وعاطفة، والمرأة أيضا لديها عقل وعاطفة. لا يوجد رجل بلا عاطفة، ولا توجد امرأة بلا عقل.** لكن بشيء من التدقيق سنكتشف أن عاطفة المرأة أكبر، وعقل الرجل أكبر. قد يكون هذا الفرق صغيرا في نظرك، لكنه يؤدي إلى آثار هائلة على أرض الواقع.

انظر إلى اثنين من لاعبي الكرة تراهما لأول مرة فى التدريب، تجد أن الفرق بينهما أقل كثيرا جدا من الفرق بين الرجل والمرأة، فكلا اللاعبين يتمتع بقوة البنيان واللياقة البدنية، ويستطيع الجري بسرعة، ويركل الكرة بقدمه، ويضربها برأسه، ويوقفها حين تقترب منه، ويركلها بدقة، فتخال أنه لا فرق بين الاثنين، فإذا بدأت المباراة وجدت أحدهما لاعبا فى خط الوسط، بينما الآخر لاعبا فى خط الهجوم، وذلك بسبب فرق طفيف بينهما فى المهارة. وهذا الفرق الطفيف ترتبت عليه نتائج ضخمة على أرض الملعب، منها أن أحد اللاعبين صار فى قمة الشهرة لأنه يحرز الأهداف، بينما الآخر أقل شهرة لأنه لا يحرز الأهداف، رغم أنه يصنعها.

وكثيرا ما نجد محلين فى نفس الشارع يبيعان الفول والطعمية، فنتعجب لأن أحدهما مكتظ بالزبائن، بينما الآخر خاو، ونتساءل: ما السر فى هذا الاختلاف الكبير رغم أن كلا المحلين يستخدم نفس نوع الخبز، وكلاهما يضع الفول فى الخبز، وكلاهما يضع الملح والزيت على الفول، وكلاهما يضع نفس الكمية من الفول فى السندوتش؟ وبعد التقصي نجد أن أحد المحلين يضع قدرا قليلا جدا من أحد أنواع التوابل على الفول، فيكسبه طعما لذيذا. هذا هو كل الفرق. وقد ترتب على هذا الفرق الصغير جدا نتائج هائلة، إذ أصبح أحد المحلين يربح أضعاف ما يربحه المحل الآخر.

وقد نلاحظ أن طبيبين شديدا التشابه فى تخصصهما وعلمهما وخبرتهما وأمانتهما وشهاداتهما وعمرهما، ومع ذلك تجد أحدهما ناجحا جدا فى عمله، وعيادته مزدحمة بالمرضى، بينما الآخر

عيادته خالية تماما. وحين ندقق فى أحوال كل منهما نجد أن أحدهما يبتسم فى وجوه المرضى، بينما الآخر متجهم بعض الشيء. وهذا الفرق الطفيف فى الشخصية لم يكن أحد يظن أن تأثيره العملى على أرض الواقع بهذا الحجم.

والحقيقة أن المسألة أعم من ذلك، **ففى كثير من الأحيان يظن الإنسان أن الفرق بين رأيين صغير جدا، إلى أن يثبت الواقع أن أحدهما نقمة والآخر نعمة.** على سبيل المثال يقول البعض: "ما المشكلة فى انتشار الإباحية والشذوذ؟ إن هذا لن يغير شيئا فى اقتصاد البلد، أو مؤسساتها العلمية أو مصانعها أو مزارعها. ولن يقلل الشذوذ من ساعات العمل، ولا إنتاجية العامل". ولكن حين نأتى إلى الواقع العملى نجد أن الإباحية والشذوذ أديا إلى العزوف عن الزواج وانخفاض النسل بشدة فى أوربا التى تعيش الآن فى هلع من شبح الانقراض.

وهكذا نجد أن التفاوتات فى السمات الشخصية لا تبقى بنفس أحجامها حين يحدث الاحتكاك بالواقع، بل تتضخم وتتضاعف. وهذه الحقيقة يجب أن يأخذها فى الاعتبار كل من لا يلحظ فروقا عميقة بين الرجل والمرأة. إننا نتفق معهم فى أن الفروق بين شخصية الرجل والمرأة تبدو صغيرة نسبيا من الناحية النظرية، لكنها ترتفع كالجبال على أرض الواقع.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

لماذا أصبحت المرأة قوية ومتمردة

أغلب الناس يلاحظون أن نجم المرأة قد علا فى السنوات الأخيرة، لكن قليلين هم الذين يتساءلون: كيف حدث هذا؟ ولماذا سُحب البساط تدريجيا من تحت أقدام الرجل؟

وبالنسبة لى فقد عشت منذ أكثر من أربعين عاما فى إحدى قرى مصر، حيث كانت قبضة الرجل على الأسرة حديدية، وكان عدد البيوت التى تتسلط فيها امرأة قوية الشخصية على زوجها أقل من أصابع اليد الواحدة، وكان أفراد هذه الأسر هدفا للسخرية والتعايُر. وبمضي الزمن اختل الميزان، ليهبط الرجل، وتقفز المرأة. وقد حاولت البحث عن الأسباب التى أدت لذلك، فكانت كما يلي:

1- العمل

عمل المرأة خارج البيت هو أهم أسباب قوتها، إذ أنه أتى لها بالمال، فصارت تنفق على نفسها، وأصبح الرجل هو الذى يمد يده إليها آخر الشهر كى تعاونه فى نفقات البيت، فاختل ميزان القوة. كما جعل العمل المرأة لا تهاب الطلاق لأنها إن طلقت لن تحتاج إلى من يعولها، وسيكون راتبها ميزة تجذب الخطاب إليها، فازدادت بهذا جرأة وتحديا لزوجها، بينما كانت المرأة فى الماضى ترتعد إن سمعت زوجها يقسم قائلا: "عليَّ الطلاق".

كما أدى العمل إلى اكتساب المرأة خبرة كبيرة بالحياة العملية، فأصبحت تتحرك، وتسافر، وتعرف كيف تتعامل مع الرجال، وكيف تقضى حوائجها، وتتعامل مع المؤسسات والهيئات.

وقد ساعد المرأة على الانخراط فى العمل أن أغلب الوظائف هذه الأيام لا تحتاج لجهد عضلى كبير، فقلت الحاجة لقوة الرجل، وتساوت الفرصة بين الجنسين فى كثير المهن، بل صار أصحاب الأعمال يفضلون المرأة فى وظائف الدعاية والتسويق والبيع بسبب جمالها.

2- الجمال

لم يتقدم عصرنا فقط فى الصناعة والزراعة والعلم، بل تقدم أيضا فى الأزياء والعطور ومستحضرات التجميل وجراحات التجميل. ولم يؤد التقدم فى وسائل التجميل إلى إكساب المرأة مزيدا من الجاذبية فقط، بل منحها إضافة إلى ذلك مزيدا من القوة. ومن المعروف أن الرجل يخر صعقا حين يرى امرأة جميلة. وكلما ازداد جمال المرأة ازداد الرجل ضعفا تجاهها، فاكتسبت المرأة المعاصرة قوة

نفسية، وتضخم إحساسها بالذات، فأضحت تفرض شروطها على الرجل قبل الزواج، كما أصبحت أقل حرصا على طاعة زوجها لأنها لا تخشى الطلاق إذ أن جمالها سيجعلها أمنية لكل الرجال. وتقدم وسائل التجميل لم يجعل شدة الجمال تزيد فقط، بل جعل الجمال يستمر لفترة أطول. لقد طال سن الشباب، فمنذ سنوات قليلة كانت نضارة الوجه تضيع عند كثير من النساء فى الثلاثينات من العمر، لكن اليوم تبدو المرأة ذات الخمسين أو الستين عاما مثل فتاة في الثلاثين.

وقد فتح جمال المرأة أمامها أبوابا بلا حدود للعمل، فأصحاب الأعمال يعتقدون أن المرأة الجميلة المتبرجة ضرورة لا غنى عنها، ليس فقط لجذب العملاء، ولكن أيضا لإضفاء طابع حضارى على المكان، فالتبرج صار رمزا للتحضر والرقى، أما الحجاب فقد أمسى رمزا للفقر والتخلف.

3- التعليم

كان الرجل فى الماضى أكثر حظا من التعليم مقارنة بالمرأة. ولكن فى السنوات الأخيرة تعلمت المرأة، فزادها التعليم خبرة بالحياة، كما جعلها تشعر أنها ليست أقل من زوجها فهما وعلما، بل وصل الأمر إلى أن أصبحت المراكز الأولى فى مراحل التعليم المختلفة من نصيب البنات في كثير من الدول العربية. وأغلب أعضاء هيئات التدريس بالجامعات اليوم من النساء. ومن الشائع أن تجد طبيبة أو مهندسة متزوجة من خريج كلية عادية، وأحيانا من ثري جاهل. وأغلب الحاصلات على الدكتوراة متزوجات من رجال ليس لهم أى حظ من الدراسات العليا.

أحد أسباب تفوق المرأة فى التعليم في بلادنا أنها أصبحت تعتبره سبيلا لا غنى عنه للزواج من رجل أفضل. كما أن إحباط الرجال من الفائدة القليلة التى تعود عليهم من التعليم جعلهم يهملون أمره، ويبحثون عن موارد للدخل من طرق أخرى. وفضلا عن ذلك فقد فتح الإعلام باب الشهوات على مصراعيه أمام الرجال، فابتلوا بالاستهتار، وافتقروا للجدية اللازمة للتعلم. أيا ما كان الأمر، فلا ريب أن الشهادة الجامعية أصبحت من أكبر العوامل التى تحدد مكانة الإنسان فى هذا العصر، وهذا جعل المرأة المتعلمة تشعر أنها مساوية لزوجها أو أفضل منه.

4- سهولة الحياة العصرية

سهَّل تقدم وسائل المواصلات من قدرة المرأة على التنقل بعد أن كان سفرها من بلد إلى بلد عملا شاقا، يوجب مرافقة رجل لها. كما أتاح تقدم وسائل المواصلات مزيدا من فرص التعليم والعمل

أمام المرأة، إذ أصبح بإمكانها الذهاب يوميا إلى الجامعة أو إلى عمل، يبعد عن مسكنها ستين أو سبعين ميلا، وقد كان هذا من ضروب الخيال حتى عهد غير بعيد.

كما أدى تطور الحياة الحديثة إلى سهولة قضاء المرأة لكثير من حوائجها دون عون من الرجل، فأصبحت مثلا تحتفظ بأموالها فى المصارف، وتديرها من على هاتفها الذكي دون حاجة لرجل قوى يحرسها. كما صارت المرأة تستأجر محاميا ليسترد حقوقها من المعتدين دون حاجة لقوة زوجها. وجاءت شبكة المعلومت الدولية (الإنترنت) لتلقى بسيول من التفاصيل فى كل المجالات، فجعلت الحياة أيسر وأيسر.

5- دعم الدول والمنظمات الدولية

كل الدول العظمى وكل المنظمات الدولية الكبرى تناصر قضية المرأة، وتعتبرها مسألة حياة أو موت بالنسبة للبشرية. وليس ذلك إشفاقا على ما تتعرض له المرأة من مظالم، ولكن بهدف تدمير الأسرة، وهدم القيم والأخلاق. وسيصدم القاريء حين يعلم أن الأمم المتحدة –تلك المنظمة الوقورة– قد شنت حملة دولية[76]، عنوانها "حُر ومتساو" UN Free & Equal بهدف الدفاع عن مختلف أنواع الشواذ[77]، وعلى رأسهم السحاقيات واللواطيون والمتحولون جنسيا، والخِناث Intersex، ومزدوجو التوجه الجنسي Bisexual (أى الأشخاص الذين لديهم شهوة تجاه أشخاص من نفس جنسهم وأشخاص يختلفون عنهم فى الجنس. مثلا: رجل يقيم علاقات جنسية مع ذكور وإناث).

والضغوط تمارَس على كل الدول لتمكين المرأة. ونظم الحكم المستبدة فى بلاد المسلمين تجد أن الغرب يساند المرأة ويساند الديمقراطية. لكن من المستحيل أن يتنازل النظام المستبد عن الحكم، ولذا فالأسهل بالنسبة له أن يرفع شعار تمكين المرأة أملا فى نيل حد أدنى من رضا الغرب. والحقيقة أن الغرب لا تعنيه الديمقراطية فى شيء، وهي بالنسبة له ليست أكثر من ورقة ضغط، تجبر الأنظمة الفاسدة على اختيار البديل الأسهل، ألا وهو تمكين المرأة، الذي يخرب الدول الإسلامية من الداخل.

---

[76]) **Transgender**. United Nations Free & Equal. 2017. Accessed January 30, 2022 https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:0HfgJ25pTSgJ:https://www.unfe.org/wp-content/uploads/2017/05/UNFE-Transgender.pdf+&cd=4&hl=ar&ct=clnk&gl=eg&client=firefox-b-d

[77]) للاطلاع على تفاصيل هذه الحملة يمكن زيارة الموقع التالي: https://www.unfe.org/about-2/

إن قوة المرأة اليوم من قوة الحكومات والجيوش ووسائل الإعلام. والقوانين يتم تفصيلها لتحابى المرأة، وتذل الرجل. والإعلام مشغول على الدوام بحقوق المرأة، ولا يعرف شيئا اسمه حقوق الرجل أو حقوق الأسرة. ويندهش المرء: إذا كانت المرأة اليوم قد نالت كافة الحقوق، ولم تعد تشعر بعقدة النقص، فلماذا تُذرف الدموع عليها إلى اليوم بهذا الشكل؟ التفسير الوحيد هو أن هناك رغبة عارمة لدى قوى عالمية خفية فى هدم الأسرة، وأفضل وسيلة لتحقيق ذلك هى تقوية الجنس الأضعف (المرأة) على الجنس الأقوى (الرجل) حتى تتزن القوتان، فتنهار الأسرة تحت وطأة الصراعات، وتمسي أثرا بعد عين. ولو ساند النظام العالمي الرجل ضد المرأة لاستقرت الأسرة تحت حكم قوة واحدة كما كان الحال عبر التاريخ.

6- الطلاق لم يعد كارثة

قديما كان يُنظر إلى المرأة المطلقة على أنها أخفقت فى حياتها الزوجية، ولم تنجح فى إسعاد زوجها، والمحافظة على بيتها. لكن فى هذه الأيام لعبت وسائل الإعلام دورا خطيرا فى تقوية المرأة، وجعلها تستهين بالطلاق، باعتباره شيئا لا يدعو للخجل على اعتبار أن للمرأة كرامة وقيمة بصرف النظر عن رأى الرجل ورأى المجتمع فيها. فأدى ذلك إلى انكسار الحاجز النفسى المنيع بين المرأة والطلاق.

ولا ننكر أن كثيرا من النساء يتعرضن للظلم من أزواجهن، ويكون إخفاق الزواج خارجا عن إرادتهن، لكن وسائل الإعلام لا تميز بين النساء، بل تعتبر أن كل مطلقة مظلومة، وعليها أن ترفع رأسها، وتتحدى نظرة المجتمع دون شعور بالخزى، حتى لو كانت هى التى هدمت البيت بحماقتها، وتسببت فى الطلاق نتيجة لسوء خلقها. وبتكرار الكلام أصبحت النساء المتزوجات بشكل عام أقل خوفا من الطلاق، فصرن أكثر تمردا على أزواجهن.

والأخطر من ذلك أن قوانين الأسرة فى كثير من البلاد أصبحت تدلل المرأة، وتجور على الرجل. وفى بلدنا مصر وصلت المهازل إلى الذروة، وأصبح الرجل هو الذى يخشى من الطلاق لأنه سيحرم من أولاده، ولن يكون له رأى فى شئونهم رغم أن القانون يلزمه بالإنفاق عليهم. لقد حولت قوانين الأحوال الشخصية الرجل إلى امرأة، والمرأة إلى رجل. **والمرأة فى البلاد العربية مستمتعة بهذه المهازل، وتأوى كل يوم إلى فراشها قريرة العين بعد أن تؤدى صلاتها، وتذكر ربها، ولا**

ترى تناقضا بين إيمانها وبين قبولها لقوانين سنها حكام، تعلم جيدا أن أمرهم يتردد بين الكفر والفسوق.

وقد ترتب على كل هذا أن أصبحت المرأة هي التى ترحب بالطلاق، وتندفع نحوه، وتعتبره الحل الأسهل لكثير من الخلافات، فما أصعب أن تغير طباعها لترضي زوجها، وتحافظ على بيتها! الأيسر أن تطلب الطلاق لتستمتع بحياة خالية من القيود.

7- الإفراط فى التدليل

من الظواهر التى تفشت فى مجتمعاتنا فى السنوات الأخيرة تدليل الآباء المفرط لبناتهم. وليس التدليل مقتصرا على البنات، بل شمل الذكور أيضا.

ومنذ أربعين عاما لم يكن هناك تدليل للأطفال فى القرى المصرية بعد عمر ست سنوات ، فقد كان يُنظر للولد على أنه رجل صغير، وللبنت على أنها امرأة صغيرة ، بمعنى أن على الولد أن يسلك مسلك الرجال ويساعد أباه فى الحقل أو يلتحق بأى مهنة مع الدراسة أو فى الإجازة كى يزيد دخل الأسرة. كما كانت البنت تتعلم أشغال البيت، وتساعد أمها من سن السابعة أو الثامنة. لقد كانت الحياة شاقة، والفقر شامل، ولم يكن هناك مجال للتدليل.

اليوم تغيرت الأوضاع، وتراجع الريف، وزحف التمدن، وظهرت موارد أخرى للدخل كالسفر للخارج والعمل بالمهن المكتبية، فأصبحت الأسرة غير محتاجة لمساعدة الأبناء. كما أدى انتشار التعليم الإلزامى إلى تفرغ الأبناء للدراسة، وانصرافهم عن مساعدة آبائهم. وترتب على هذا أن أصبح لدينا زوجة تربت على التدليل، وعدم تحمل المسئولية، وعدم تلقى الأوامر من أحد. كما صار لدينا زوج مفتقد لكثير من صفات الرجولة. فكانت المحصلة اختلالا لميزان القوى: امرأة أقوى نفسيا لأنها لم تُرَبَّ على الشدة، ورجل أضعف نفسيا لأنه يتلق لم حظا كافيا من الرجولة، فبات من الصعب أن يكون الزوج آمرا، والزوجة مطيعة، فضاعت الأسرة.

8- الأيام دُوَل

بنظرة عامة على كل ما سبق يتذكر المرء قول الله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)[آل عمران: 140]. إن الله تعالى يقسم الدنيا بين خلقه، فيرفع من يشاء اليوم، ويخفض من يشاء

غدا، فلا دوام للعز، ولا بقاء للذل، والله وحده هو الذى لا يتغير. ولقد ظل الرجل متربعا على القمة منذ فجر التاريخ حتى جاء العصــــر الحديث، فازدادت المرأة قوة، وعلا نجمها، وتســاوت رأسـها برأس الرجل، بل إن تيار التاريخ يسـير بثبات نحو عالم تحكمه المرأة. وهذه سـنة الله فى خلقه، فقد أراد الله أن يوزع الابتلاءات على كل الناس فى الزمان والمكان. ففى أحد الأيام كانت بلاد اليونان ومصر والعراق وفارس والشام على قمة الحضارة فى العالم، أما اليوم فهذه الدول فى القاع، بينما أصبح سكان أوروربا –الذين لم يكونوا فى العصور الوسطى يستحمون– على قمة هرم الحضارة. فالعلو فى الدنيا اختبار، والذل فى الدنيا اختبار. وعلو المرأة اختبار للمرأة واختبار للرجل؛ اختبار للمرأة حتى يرى الله هل تغتر وتتمرد على دورها فى الأســـرة أم لا. وهو أيضـــا اختبار للرجل حتى يرى الله تعالى هل يستسلم للواقع، وينحنى لتيار النظام العالمي، ويتخلى عن مهمة قيادة الأسرة التي أوكلها الله تعالى له أم لا.

إن الله عز وجل لم يصنع قوة القوى كى تكون قدرا نستسلم له، ولا بد للمسلم أن يقول "لا" لكل قوة لا تسير وفق منهج الله. على كل مسلم أن يقف فى وجه ذلك العالم الجهول الذى تحكمه المرأة، ليس لأن الرجل أكرم عند الله من المرأة، ولكن لأن العالم الذى أراده الله هو عالم يحكمه الرجال، فهذا أقرب للعدل ولتحقيق الخير للبشرية.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل لا يزال الرجل مستحقا للقوامة

يهلل الكثيرون لبزوغ عصر المرأة، وأفول عصر الرجل، ويرون أن المرأة أصبحت ندا للرجل، وصار من المحتم على المجتمع تجاوز مبدأ القوامة. لقد كان الرجل – فى رأيهم– مؤهلا للقوامة فى العصور القديمة لأنه كان يعمل، وينفق على المرأة، ويقدم لها الرعاية والحماية. أما اليوم فالمرأة تعمل مثل الرجل، وتنفق مثله على الأسرة، وقد خاضت غمار الحياة، واكتسبت خبرات عملية كبيرة، وأصبحت تعرف كيف تقضى حوائجها، وتحصل على حقوقها، فأى فضل بقى للرجل عليها؟ وأى مكان لفكرة القوامة التى أصبحت بالية وغير منطقية؟

هذا كلام أهل الجرأة، أما الخبثاء فيقولون أن تغير ظروف العصر يوجب التخلى عن بعض النصوص الدينية لأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان.

وللرد على ذلك نقول أن العصر الحديث لم يتغير بالشكل الكبير الذى يدعيه أنصار المرأة. لقد تغيرت فقط بعض الأسباب التى أهلت الرجل تاريخيا للقوامة، لكن أغلب الجوانب والاعتبارات لا تزال ترجح كفة الرجل بشكل حاسم، وهذه الجوانب ستبقى مهما بلغ تقدم المرأة فى المستقبل. فليبق القارىء معنا:

<u>أولا</u>:

نحن أمام قضية مفتعلة، فعلو مكانة بعض النساء فوق أزواجهن ليس وليد العصر الحديث، فمنذ أقدم الأزمان كان من غير النادر أن تتزوج المرأة الثرية من الرجل الفقير. وكلنا نعرف أن رسولنا عليه الصلاة والسلام كان فقيرا، ومتزوجا من السيدة خديجة الأرملة الثرية. ومع ذلك وجدنا آية سورة النساء تعطى القوامة للرجل بشكل مطلق دون تخصيص أو استثناء. **لا توجد آية – ولا حديث– يفهم منها أن من حق المرأة الغنية أن تعصى زوجها الفقير، أو تتولى حكم الأسرة بدلا منه.**

وسنجد فى الإسلام نماذج أخرى لزيجات غير متكافئة بين امرأة حرة ذات حسب ورجل كان يوما عبدا[78]. ومن هؤلاء الصحابى "سالم مولى أبى حذيفة"، الذى كان فى الأصل عبدا لثُبَيْتَةُ بِنْتُ يعَار

---

[78]) تكلمنا عن هذا الموضوع فى كتابنا: **هل أهان الإسلام الرقيق؟ نظرات جديدة فى قضية قديمة**. دار فينكس للنشر والتوزيع. 2019.

زَوْجَةُ أَبِي حُذَيْفَةَ بنِ عُتْبَةَ، فأعتقته، ثم تبناه أبو حذيفة ، وَأَنْكَحَهُ بِنْتَ أَخِيهِ هِنْدَ بِنْتَ الوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ. كَمَا زوج رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنت عمه زينب بنت جيش إلى زَيْدً بن حارثة الذى كان عبدا فى الماضى، بينما كانت زينب ذات نسب فى قريش. وأشار الرسول عليه السلام أيضا على فاطمة بنت قيس أن تتزوج من مولاه أسامة بن زيد، فتزوجته لأنها علمت أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (من أحبنى فليحب أسامة) رواه مسلم[79]. وتزوج بلال بن رباح – وكان فى الأصل عبدا– بهالة أخت عبد الرحمن بن عوف، وهو أحد كبار أغنياء الصحابة[80].

وروى أن فتاة شكت إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن أباها زوجها من ابن أخيه الخسيس (أى الدنيء الفقير) كى يرفع مكانته بزواجه منها لأنها كانت امرأة كريمة شريفة، فلم يقل الرسول عليه السلام أن زواج المرأة الشريفة برجل غير كفء لها حرام، بل خيرها، فاختارت المرأة البقاء مع زوجها الفقير لأنها كانت فقط تريد أن تثبت أنه ليس من حق الأب إجبار ابنته على الزواج بغير رضاها: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ[81] قَالَ: جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ إِلَى الْآبَاءِ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ (واللفظ له)، وأَحْمَدُ وَالنَّسَائِيّ. ورجاله رجال الصحيح كما قال الشوكاني[82]. **وهذا الحديث يدل بشكل قاطع على إباحة زواج المرأة برجل أقل منها فى المكانة الاجتماعية**. وهذا شيء بديهي، فلو حرم الإسلام زواج المرأة الغنية برجل فقير لكان هذا ظلما للنساء، فكم من امرأة ثرية ودميمة، وليس أمامها فرصة للزواج إلا من رجل فقير.

وأكثر من ذلك سنجد أن الإسلام أباح زواج الحرة بالعبد، بل حث عليه حين قال تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور: 32]، وهذه الآية تأمر الأولياء بتزويج بناتهم الحرائر للفقراء غير المتزوجين وللعبيد

---

[79]) روى مسلم عن فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ، أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ – أنها قالت: خَطَبَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ» فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ.

[80]) روى الدّارقطنيّ من طريق حنظلة بن أبي سفيان الجمحيّ، عن أمه، قالت: رأيت أخت عبد الرحمن بن عوف تحت بلال، وسمّاها الإمام الرّافعي في شرح الوجيز في كتاب الكفاءة منه: هالة. انظر: **"الإصابة في تمييز الصحابة"** (8/ 339). تأليف ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى - 1415 هـ

[81]) روى الإمام أحمد الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ يَرْفَعُ بِي خَسِيسَتَهُ " فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا " قَالَتْ: فَإِنِّي قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ لِلْآبَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ

[82]) **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار** (6/ 152). تأليف محمد بن علي الشوكاني. تحقيق عصام الدين الصبابطي. دار الحديث، مصر. الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م

الصالحين. وورد فى السنة أن الرسول عليه الصلاة والسلام توسط كى تعود بريرة إلى زوجها. وبريرة كانت جارية، ثم صارت حرة بعد أن أعتقتها السيدة عائشة، لكن زوجها بقي عبدا، فخيرها الرسول عليه السلام بين البقاء مع زوجها أو الطلاق منه، فاختارت الطلاق. ولاحظ أن الرسول عليه السلام لم يجبر بريرة على الطلاق، بل ترك لها الخيار، وهذا يدل على أن غياب الكفاءة فى الزواج لا يبطله. كما أن توسط الرسول عليه السلام كي تعود بريرة لزوجها يدل على أن الحرة يمكن أن تكون زوجة لعبد. روى البخارى: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا» فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ.

إذن غياب التكافؤ فى المكانة الاجتماعية بين الزوج والزوجة كان موجودا بين المسلمين الأوائل، ورغم ذلك لم ينزل القرآن ليستثنى المرأة الشريفة الثرية من القوامة، ويسمح لها بأن تعصى زوجها.

إن الزواج فى الإسلام يجب أن يؤخذ كحزمة واحدة؛ فيُقبل كله أو يُترك كله: إما أن تعيش المرأة مع زوج، هو رئيس لها، أو لا تتزوج به من الأصل. لكن لا يجوز تغير العلاقة بين الرجل والمرأة داخل الأسرة وتحويل المرءوس إلى رئيس.

<u>**ولقصة بريرة مدلول فى غاية العمق**</u>: لقد انقلب الوضع الاجتماعى فجأة بين هذين الزوجين، فقد أصبحت بريرة بين عشية وضحاها حرة، بينما بقى زوجها عبدا، **فصارت أعلى مكانة منه. وهنا لم يقم الرسول عليه الصلاة والسلام بتعطيل شريعة القوامة**، ولم يقل لبريرة: "لا تطيعى زوجك لأن الظروف الاجتماعية تغيرت بما يوجب تعطيل شريعة الله، وإبطال القوامة". لم يقل الرسول عليه السلام كلاما كهذا لبريرة، ولكنه منحها خيار الطلاق، **فالزواج فى الإسلام له قواعد ثابتة، إما أن تُقبل كلها، أو يمضى كل واحد من الزوجين لحاله. ولا زواج فى الإسلام بلا رئاسة للرجل.**

نكرر القول أن الزواج فى الإسلام يجب أن يؤخذ كحزمة واحدة، **وعلى المرأة المعاصرة التى ترى أنها ذات مكانة اجتماعية عالية أن ترفض الزواج من الرجل الذي ترى أنه غير كفء لها،**

وتبحث عن زوج آخر يكون أعلى منها فى المكانة الاجتماعية كى تخضع لقوامته دون عُقَد نفسية، لكن من المستحيل تغيير شريعة الله، وتحويل المرأة إلى رئيس، والرجل إلى مرءوس.

<u>ثانيا</u>:

حتى لو أدى عمل المرأة إلى امتلاكها للمال، واكتسابها للخبرة بالحياة العملية، وإجادتها للتعامل مع المجتمع، فستظل بحاجة للرقابة والقيود أكثر من الرجل لأنها مخلوق جميل قادر على إشعال الغرائز. وكلنا نرى اليوم كيف نخر سوس الانحلال فى عظام المجتمع لما ترك الرجل للمرأة الحبل على الغارب، فامرأة واحدة متبرجة يمكن أن تغوى مئات الرجال. وهذا أحد الأسباب التى تبرر قوامة الرجل على المرأة. وهذا السبب لن يتغير أبدا، **فمهما علت المكانة الاجتماعية للمرأة فى المستقبل فستظل مخلوقا جميلا جذابا** يحتاج أن يُضبط سلوكه وتُقيد تصرفاته (من خلال سلطة الزوج) حتى لا تعم الرذيلة. ولا أتخيل أن المرأة ستحاول يوما أن تتخلص من جمالها كى ترتاح من سلطة الرجل الخلقية عليها. وهل سمعتم عن امرأة تعمدت إلقاء ماء النار على وجهها كى يصير وجهها قبيحا، فتنعم بحق الخروج من البيت والكلام مع الرجال دون أن يحاسبها زوجها؟

<u>ثالثا</u>:

مهما بلغت مكانة المرأة وخبرتها بالحياة، فستبقى مختلفة فى خصائصها النفسية عن الرجل. الرجل يتمتع بالصلابة النفسية التى تجعله أكثر تماسكا وموضوعية فى أوقات الشدة وساعات الخطر، التى تتطلب الهدوء والروية، أما المرأة فتنهار، وتسقط فريسة للخوف والحزن والاكتئاب، فلا تدرى كيف تتصرف، أو تتصرف بشكل سيء.

<u>رابعا</u>:

الرجل أقرب للعدل من المرأة بسبب خفوت عاطفته وميله للعقل مقارنة بالمرأة، وهذا شيء فطرى، وسيظل باقيا مهما ارتفعت المكانة الاجتماعية للمرأة. حقا المرأة المؤمنة تستطيع بإيمانها أن تتغلب على عاطفتها إن تعارضت مع الحق والواجب، لكن مثل هؤلاء النساء قليلات لأن الإيمان القوي بالله عزيز فى هذا العالم.

<u>خامسا</u>:

الفروق بين الرجل والمرأة فى سمات الشخصية – تلك الفروق التى أهلت الرجل للقوامة– لا يتوقع أن تختفى تماما مهما ارتفعت مكانة المرأة الاجتماعية، وذلك لأنها ترتبط بطبائع البشر التى جبلوا

عليها. وقد سبق أن ذكرنا كيف **فوجئت كل الدراسات الأجنبية بأن الفروق بين شخصية المرأة والرجل تزداد وضوحا فى الدول المتقدمة التى تتمتع فيها المرأة بالمساواة مع الرجل.** وهذا يعنى أن **تغير العصر وتطور المجتمع لا يوجب إلغاء شريعة القوامة، بل يحتم العودة إليها.**

ولإن استطاع العلم فى الغد البعيد اللعب فى الجينات البشرية بحيث يكسب المرأة صفات القوة والغلظة والعنف والبرود العاطفى والعضلات القوية والبنية الصلبة والصوت الأجش، فلا أحسب أن أحدا سيكون حينئذ سعيدا بفقد العالم لذلك المخلوق الجميل الرقيق الحنون الذى يسمى المرأة. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين **شبه المرأة بالضلع الأعوج** الذى إن أردت أن تقومه كسرته. **إن رأت الحركة النسائية فى عاطفة المرأة شرا يجب التخلص منه حتى لا يعوق المرأة عن القيادة والسلطة، فالتخلص من هذا الشر المزعوم سيفضى حتما إلى شر أكبر**، يتمثل فى تشوية طبيعة المرأة الجميلة التى تضفى بهجة على الأسرة والحياة كلها. يجب أن تدرك المرأة أنها بعاطفتها وضعفها تؤدى خدمة جليلة للبشرية. ولاحظوا جيدا أن **الطفل يحول البيت إلى جنة بسبب سذاجته وخفة ظله رغم أنه لا يعمل ولا يكسب المال ولا يحكم الأسرة، فلماذا تتصور المرأة أنها لن يكون لها قيمة إلا إذا عملت وحكمت الأسرة؟**

يجب أن نحمد الله تعالى على ضعف المرأة، ففى كثير من الأحيان تؤدى القوة إلى مصائب، فلو كان جدار البطن مخلوقا من العظم الصلب الذي لا يتمدد لحمى الأحشاء من الحوادث بدرجة أفضل، لكن سيصبح من المستحيل أن تحمل المرأة جنينا فى رحمها، وسيندثر البشر.

وعلى ذلك فالرجل لم يفقد بعد مزاياه التى ذُكرت فى قوله تعالى: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض". وبالتالى لا يحق لأحد أن يقول أن العصر قد تغير، وأن المرأة أصبحت قادرة مثل الرجل على قيادة الأسرة. ونحن نقول: **حقا تغير العصر، لكن بشكل عام تبقى المرأة هى المرأة، والرجل هو الرجل. حقا فقد الرجل بعضا من مؤهلات القوامة، لكنه لا يزال هو الأصلح لقيادة الأسرة بفارق كبير**. وهذا الفارق لن يزول إلا إذا زالت الحياة الطبيعية السوية.

سادسا:

هناك مسألة فى غاية الخطورة، وهى أنه بفرض (مجرد فرض) أن المرأة قد أصبحت بسبب مكانتها الاجتماعية الحديثة مؤهلة مثل الرجل للقوامة، فما القول فى قوامة الرجل؟ إن الرجل سيظل هو

الآخر مؤهلا للقوامة، فهل نجعل كلا من الرجل والمرأة حاكما للأسرة، فيصبح للأسرة حاكمان متصارعان، أم نسلب القوامة من الرجل، ونمنحها للمرأة، فيكون هذا ظلما للرجل؟ إذن هل نجعل الرجل رئيسا للأسرة فى عام، والمرأة رئيسا فى العام التالى؟ إن هذا سيؤدى إلى فقدان الاثنين للسلطة الحقيقية، فمثلا إن طلب الرجل من زوجته فى فترة رئاسته أن تترك العمل، وتجلس فى البيت فإن المرأة ستهدده بأنها ستحرمه بالمثل من العمل فى فترة رئاستها القادمة ، فيضطر الرجل للتراجع عن قراره. وهكذا فى كل الأمور.

إن ثورة المرأة على قوامة الرجال ثورة غير واقعية ، ثورة تعبر عن أمانى أكثر مما تعبر عن حقائق.

سابعا:

أخطر من كل ما سبق أن نتساءل: إذا كنتم تقولون أن مكانة المرأة التى حققتها اليوم تجعلها مؤهلة للقوامة، فهل بُنيت هذه المكانة على الحق أم على الباطل؟ **هل أتت من مصدر حلال أم حرام؟** إننا نؤكد أن إنجازات المرأة فى العصر الحديث حدثت بطريقة تجافى الشرع، وما بني على باطل فهو باطل. ومن الواجب علينا **أن نغير الظروف الفاسدة التى رفعت شأن المرأة، لا أن نغير شريعة الله كي تتوافق مع هذا الباطل. علينا أن نطوع البالطل للحق، لا أن نطوع الحق للباطل.**

إن العامل الأكبر الذى رفع مكانة المرأة فى المجتمع هو العمل. وعمل المرأة على وجه العموم غير مشروع، وذلك لأسباب كثيرة سنتعرض لها لاحقا، ومن أهمها أن العمل طغى على رعاية المرأة لأسرتها. وأخطر من ذلك أن أصحاب الأعمال يفضلون هذه الأيام توظيف المرأة بدلا من الرجل كى يستفيدوا من جمالها فى ترويج البضائع وجذب العملاء. لقد أصبحت أغلب الوظائف فى هذا العصر تتطلب جهدا قليلا بعد أن حلت الآلات محل العضلات، فأصبح هناك وظائف كثيرة يمكن لكل من الرجل والمرأة أن يلتحق بها، بيد أن المرأة تتميز بالجمال والجاذبية والرقة، وهذا جعل أصحاب الأعمال يفضلونها كبائعة ومندوب دعاية ومحصلة ومدرسة وسكرتيرة ومقدمة برامج وموظفة استقبال وعاملة نظافة ومضيفة جوية وفتاة إعلانات. لقد صار أصحاب الأعمال يرون أن وجود المرأة الجميلة أمر لا غنى عنه، فكما لا توجد شركة كبيرة بدون زينة على الحوائط والأرضيات والمكاتب، فكذلك لا توجد شركة كبيرة بدون سكرتيرة جميلة تزين المكان. وهكذا أدت الثورة الجنسية فى العصر الحديث إلى تفضيل المرأة على الرجل فى كثير من الوظائف دون وجه

حق، بل وصل الأمر إلى تعيين المرأة فى وظائف يتفوق فيها الرجال مثل المؤسسات الحكومية التى يتكدس أمامها المواطنون فى فوضى، فتجد الموظفة تنهار بعد قليل لعجزها عن فرض النظام والسيطرة على الجماهير بسبب ضعف صوتها وافتقادها للهيبة. ورغم ذلك يظل مديرو هذه المؤسسات مصرين على الاستعانة بالمرأة فى هذه الوظائف لأن هذا فى نظرهم مظهر حضارى لا غنى عنه.

وفى أغلب البلدان الإسلامية رفعت الحكومات شعار تمكين المرأة رضوخا لضغوط الغرب ومنظماته المدعومة من اليهود، فترتب على ذلك اكتساح غير منطقى من المرأة لأغلب الوظائف، ليس لأن هذه الوظائف تحتاج لقدرات المرأة، ولكن لأن هذا هو ما يرضى النظام العالمى الضال.

إن اكتساب المرأة للقوة والمال والمكانة فى العصر الحديث تم من خلال ظلم الرجل، والجور على حقوق الأسرة، ومخالفة شريعة الله التى حرمت التبرج. وبدلا من أن ننادى بإلغاء قوامة الرجل، وتغيير شرع الله كى يساير العصر فعلينا أن نغير حياتنا، ونصحح أوضاعنا، ونعيد المرأة إلى أحضان أسرتها، ونمنعها من التبرج، وحينئذ لن تكون لدينا مشكلة مع شريعة الله. **لقد أنزل الله تعالى شريعته لتغيرنا، لا لنغيرها.**

ثامنا:

من الأمور التي تؤهل الرجل للقوامة أنه يكون فى العادة أكبر سنا من المرأة عند الزواج. وهذا الأمر لن يتغير فى المستقبل إلا إذا رضيت المرأة بتغيير عادات المجتمع، وأصبحت هى التى تدفع المهر، وتجهز مسكن الزوجية، وتنفق على الأسرة، وتعفى الرجل من كل التزاماته، بحيث يجلس الرجل فى البيت، وينتظر امرأة جاهزة ماديا، تطلب الزواج منه، وتنفق عليه!

تاسعا:

من أسباب حرمان المرأة من القوامة أنها أكثر ميلا لقطع صلة الرجل بذوى رحمه، فهي تعتبر حماتها عدوا لها، وتجعل أولادها يكرهون أقارب أبيهم. والحماة هى الأخرى تفعل نفس الشيء، فتعتبر زوجة ابنها عدوا لها. وهذا الأمر يدخل فى طبيعة المرأة، ولم يفلح التعليم ولا العمل ولا التحضر فى تخليص المرأة منه. وبالعكس كانت المرأة قديما فى أغلب الأحيان تعتبر حماتها مثل أمها التى تجب لها الطاعة، وكانت تخاف أن تغضبها تفاديا لغضب زوجها، أما اليوم فالمرأة لا

تحترم زوجها، ولا تحترم بالتالي أهله. وعلى ذلك فتغير ظروف العصر يفرض علينا تمسكا أشد بقوامة الرجل خلافا لما تروج له الحركة النسائية.

عاشرا:

رأينا كيف أن تعدد الزوجات يتعارض مع قوامة المرأة لأنه سيجعل الرجل خاضعا لسلطة امرأتين، وهذا سيعود عليه بالأذى، وسيتسبب فى الفوضى والهرج والمرج داخل الأسرتين. وشريعة تعدد الزوجات أمر ثابت بالكتاب والسنة. ومن أراد أن يبطل شريعة القوامة فسيجد نفسه مضطرا لإبطال شريعة تعدد الزوجات فى نفس الوقت، وهذا عدوان أكبر على شريعة الله عز وجل.

أحد عشر:

مبدأ إلغاء –أو تغيير– حكم واضح فى القرآن أو السنة بحجة أن الظروف قد تغيرت هو مبدأ فى غاية الخطورة، ويجب أن يُسمح به فقط فى حالات نادرة جدا لأنه يفتح الباب للعبث بكل ما أنزل الله من نصوص وتعاليم بحجة أنها لم تعد تناسب العصر، فينصرف جهد المسلم إلى محاولة تغيير الدين ليناسب العصر مع أن المفروض أن يحاول أولا تغيير العصر الذى ضل وانحرف، وحينئذ لن يجد تعارضا بين الدين والحداثة. لقد أصبح من السهل على كل واحد أن يقول أن نصا معينا لم يعد يلائم الحياة الحديثة، وأن من المستحيل تطبيقه فى الظروف الحالية، وأن إهمال هذا النص حاليا يدخل فى باب الضرورات التى تبيح المحظورات. هذا التساهل جعلنا نشهد المهازل، فسمعنا من يقول أن من الجائز للاعبى الكرة أن يفطروا فى رمضان أثناء البطولات الدولية حتى يرفعوا اسم مصر عاليا، وقال آخر أن منع الرقص الشرقي خطأ لأنه يضر بالسياحة!

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

لماذا لا تكون القوامة نسبية

لماذا تكون القوامة دائما من نصيب الرجال؟ لماذا لا تكون نسبية، فتُعطَى لمن هو أصلح بصرف النظر عن جنسه، فإن كانت المرأة هى الأصلح لقيادة إحدى الأسر فلتكن هى القائدة، وإن كان الرجل هو الأصلح لقيادة أسرة أخرى فليكن هو القائد؟

قرأت هذا الرأى منذ سنوات لإحدى المتخصصات فى الشريعة الإسلامية من أصحاب الهوى العلمانى، فهالتنى جرأتها. **ألم تسأل تلك الحمقاء نفسها: كيف غاب ذلك الاقتراح العبقري عن الله؟** أتراها أكثر ذكاء وعدلا من خالقها وخالق البشر؟

إن فكرة القوامة النسبية تنطوي على قدر كبير من التبسيط والسذاجة، إذ **مَن ذا الذى يحكم بأن امرأة ما قوية الشخصية، وأن رجلا ما ضعيف الشخصية؟** مَن له الحق فى أن يقول أن امرأة ما أكثر قدرة من زوجها على قيادة الأسرة؟ إن الزوج والزوجة كلاهما يدعى أنه الأحق بالرئاسة، فبقول أيهما نأخذ؟ هل نُحَكم الأقارب؟ أقارب الزوج أم أقارب الزوجة؟ أم ترى أن الحل هو الذهاب إلى القاضى؟ وكيف يصدر القاضى حكمه؟ هل يعقد لهما امتحانا نظريا على الورق؟ مثل هذا الامتحان لا يمكن أن يعبر عن الحياة العملية بصدق لأن الإنسان يمكن أن يحفظ القيم والمبادىء والقواعد دون أن يطبقها على أرض الواقع. ثم هل يكون هناك امتحان واحد لجميع الأزواج؟ أليس من الواجب أن يكون امتحان الفقير غير امتحان الغنى، وامتحان الوزير غير امتحان الخفير، وامتحان أهل الريف غير امتحان أهل الحضر؟ المسألة فى غاية التعقيد.

ثم إن القاضى لا يمكن أن يصدر حكمه بدقة على شخصية كل من الزوجين فى جلسة واحدة أو اثنتين، ولا يمكن لأحد معرفة شخصية أحد إلا عن قرب وثيق لعدة شهور أو سنوات. وكم رأينا من شخصيات تبدو فى غاية الضعف، لكن تبين فى الحقيقة أنها فى غاية القوة والدهاء، ولعلكم تعرفون كيف كان الرئيس السادات شخصية مسالمة طوال حكم سلفه عبد الناصر، لكنه لما تولى الحكم دمر مراكز القوى، وغير وجه البلاد. وأحيانا يُظهر الرجل لزوجته لين الجانب، ليس لأنه ضعيف الشخصية، ولكن لأنه يحبها أو يرى أنها أولى الناس بالإحسان والتجاوز عن الأخطاء، فيظن الناس به الضعف مع أن شخصيته تتغير تماما إن وضع فى موقف خطير، يحتم عليه إيقاف جموح الزوجة. ومن الناس من يظنه الحمقى ساذجا مع أن هذا الشخص فى الحقيقة يتصرف

بمنتهى الحكمة، فهو يغفر للناس ذلاتهم كى يغفر الله له خطاياه، عملا بقوله تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 22] ، كما يحسن الظن بالآخرين عملا بقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: 12].

ثم إن **تفوق المرأة على زوجها فى أحد المجالات لا يعنى بالضرورة أنها تتفوق عليه فى كل المجالات**. على سبيل المثال إن تزوجت امرأة ثرية رجلا فقيرا، فهل نعطى لها القيادة بسبب ثرائها؟ قطعا لا، لأن الله تعالى لم يعط الرجل القيادة بسبب ماله فقط، وهذا ما تقوله آية النساء بوضوح حيث تعزو القوامة إلى شيئين هما: "**ما فضل الله بعضهم على بعض**"، و"**ما أنفقوا من أموالهم**": {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء: 34]. وهذا يعنى أن النفقة ليست وحدها هى ما يجعل الرجل مستحقا للقوامة، ولكن هناك مزايا أخرى للرجل تؤهله لهذه المهمة. وبالمثل فقدان الرجل لإحدى هذه المزايا الأخرى لا يعنى بالضرورة أنه مفتقد لها جميعا. ولهذا، فحين تتسلط امرأة غنية على زوجها على اعتبار أنها ابنة رجل أعمال أو وزير أو مستشار، هذا السلوك مرفوض تماما شرعا وعقلا.

وإن وجدت امرأة ذات شخصية قوية كالرجال، امرأة صلبة، تعرف كى تتصرف فى الحياة، ولا تهتز أمام المشاكل، ولا ترتجف عند الأزمات، بينما زوجها ذو شخصية ضعيفة وطبع لين وخبرة عملية أقل، إن وجدت مثل هذه المرأة فإن تفوقها على زوجها فى هذه الناحية لا يعطيها الحق فى أن تكون قائدة للأسرة، وذلك لأن زوجها يتفوق عليها فى جوانب أخرى متعددة، فهو مثلا الذى ينفق عليها، ولذا فهو لم يفقد بعد "**كل**" مؤهلات القيادة.

وإن افترضنا وجود امرأة ثرية، وحاصلة على الدكتوراة، ولكنها متزوجة من رجل فقير، وغير مثقف، ويعمل موظفا صغيرا فى شركة، فهل يحق لهذه المرأة أن تطالب بالقوامة؟ الإجابة هى: لا، وذلك لأنه رغم تفوقها على زوجها فى المال والعلم إلا أنه بحكم كونه رجلا يمتلك المؤهلات النفسية للقيادة كالقوة والصمود ورباطة الجأش وخفوت العاطفة والميل للعدل والبعد النسبي عن الأحقاد وتقطيع الأرحام. كما أن من واجبه كزوج أن يراقب سلوكها، حفاظا على شرفه وعلى الفضيلة فى المجتمع.

والمرأة التى تغيرت ظروفها فجأة، وأصبحت تشعر أنها فى مكانة أرفع من زوجها (بسبب الميراث أو الحصول على شهادة عليا مثلا) ، فيمكنها أن تطلب الخلع، وتبحث عن زوج فى نفس مستواها الاجتماعى، لتحيا معه، وتكون خاضعة له. بعبارة أخرى: **يمكن للمرأة أن تغير "الزوج"، لكن لا يحق لها أن تغير "الزواج"، فـالزواج فى الإسلام له قواعد غير قابلة للتغيير. الزواج يجب أن يُنظر إليه كحزمة واحدة، فإما أن يؤخذ كله أو يُترك كله.**

ويجب أن نعلم أن **الشريعة الإسلامية – مثلها مثل كل الشرائع– تراعى الغالب فى شئون الناس، لا الشاذ والنادر منها.** إن استطاع القانون أن يحقق مصالح جميع الأفراد كان هذا خيرا، لكن إن تعارضت مصالح الأقلية مع مصالح الأغلبية، وتعذر التوفيق كان على القانون أن ينحاز إلى الأغلبية، فالجماعة أهم من الفرد. على سبيل المثال تقضى قوانين الجندية أن يتناول أفراد الجيش كلهم الطعام فى نفس الوقت بحيث يأتى طعام الغذاء فى الساعة الثالثة بعد الظهر مثلا، وذلك مراعاة لطبيعة أغلب الجنود الذين يشعرون بالجوع عادة فى هذا الوقت، لكن هذا الموعد لا يناسب كافة الجنود، إذ من الممكن أن يجوع جندى أو اثنان الساعة الواحدة ظهرا، وقد لا يشعر آخرون بالجوع إلا الساعة الرابعة أو الخامسة. وواضعو لوائح الجندية وجدوا أن من غير الممكن مراعاة رغبات كل جندى لأن ذلك يؤدى إلى خلل كبير فى نظام الجيش، فلم يكن هنا مفر من تخصيص ميعاد واحد يناسب الغالبية. وقياسا على ما سبق يمكن أن نقول أن **الغالب فى طبائع البشر أن يتفوق الرجل على المرأة فى القدرة على إدارة الأسرة، ولذلك منحه الله تعالى القوامة حتى لو وُجدت قلة من النساء أفضل من الرجال فى مؤهلات القيادة.**

ونحن نؤكد مرة أخرى أن **إيقاف عمل نص دينى صريح يجب أن يُسمح به فقط فى حالة الضرورة القصوى.** وبالنسبة لقوامة الرجل فيمكن إلغائها مثلا إن أصيب الرجل بمرض أذهب عقله، وشل جسده، وأعاقه عن تدبير شئون الأسرة. أما أن تحاول المرأة الحجر على زوجها، وهو سليم العقل، معافى البدن، فهذا عدوان لا يغتفر على شريعة الله.

وهناك نقطة أخرى لا يلتفت إليها أحد، وهي أن المسلمين إخوة مترابطون، وصلة الرحم واجب عليهم، وهذا يجعل **الأسرة فى الإسلام أسرة ممتدة، تشمل الجد والعم والخال، وليس الزوج والزوجة فقط،** وذلك كما كان الحال فى القرى منذ سنوات غير بعيدة. ويترتب على هذا أن **الزوج إن ظهر**

منه نقص أو خلل فى قيادة الأسرة، فهذا لا يعنى أن الزوجة تصبح أحق منه بالقيادة، وذلك لأن كبراء العائلة – كوالد الزوج أو عمه– سيتدخلون ليرشدوه للصواب ويقوموا اعوجاجه.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل الرئيس أفضل من المرءوس

أهم ما يُغضب المرأة المعاصرة من قوامة الرجل هو اعتقادها أن الرئيس أفضل من المرءوس. فهل هذا صحيح؟

الإسلام يعتبر الناس من حيث المبدأ سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]. واعتداد الإسلام أساسا بمعيار التقوى يزيل التمايز الحقيقي بين الحاكم والمحكوم. فالمرءوس التقي أفضل عند الله من الرئيس الفاسق. وعامل نظافة مجتهد أفضل عند الله من وزير بيئة فاسد. وزوجة تتفانى فى رعاية أسرتها أفضل من زوج يقيم فى المقاهي، ولا يعرف شيئا عن أسرته. وزوجة مدبرة أفضل من زوج ينفق ماله على المخدرات والعاهرات. فليعلم الجميع أن قوامة الرجل على المرأة تكليف، لا تشريف.

أختى المسلمة: تذكرى أن كلا من هولاكو وستالين وشارون كانوا "رؤساء"، لكن كلا منهم يحمل لقب "سفاح"، فهل ستشفع لهم "الرئاسة" إذا ما حوسبوا أمام الله؟ وهل شفعت لهم "الرئاسة" أمام الشعوب والتاريخ؟

أختى المرأة: ليست الرئاسة ببرهان أكيد على الفضل بدليل أن **الرسول صلى الله عليه وسلم عين أسامة بن زيد – وهو الشاب الصغير– قائدا لجيش يضم كبار الصحابة، ومن بينهم أبو بكر وعمر بن الخطاب، ليس لأن أسامة أفضل الصحابة، ولكن لأنه كان الأنسب لمهمة محددة.** يقول ابن الأثير عن هذه الواقعة[83]:

«ضَرَبَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بَعْثًا إِلَى الشَّامِ، وَأَمِيرُهُمْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ مَوْلَاهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُوطِئَ الْخَيْلَ تُخُومَ الْبَلْقَاءِ وَالدَّارُومِ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، فَتَكَلَّمَ الْمُنَافِقُونَ فِي إِمَارَتِهِ، وَقَالُوا: أَمَّرَ غُلَامًا عَلَى جِلَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ، وَكَانَ أَبُوهُ خَلِيقًا لَهَا. وَأَوْعَبَ مَعَ أُسَامَةَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ، مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»

---

[83]) **الكامل في التاريخ** (2/ 180). تاليف عز الدين بن الأثير. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م

فلْتَقتدِ المرأة المعاصرة بأبى بكر وعمر وكبار الصحابة الذين رضوا بأن يكونوا مرءوسين تحت إمرة أسامة بن زيد، الذي كان أقل منهم سنا وسبقا فى الإسلام.

إن طمع النساء فى القوامة ينم عن حماقة أكيدة. **العاقل يشفق على نفسه من السلطة لأنه يعلم أن الله تعالى سيسأله عنها يوم القيامة،** طبقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه البخارى ومسلم. ورجل حكيم مثل أبى بكر الصديق كان يتمنى لو أن الله تعالى خلقه شجرة بلا قيمة، فقال: «يَا لَيْتَنِي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ ثُمَّ تُؤْكَلُ»[84]. وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يتمنى لو أن الله تعالى خلقه تبنة لا قيمة لها، فقال: «يَا لَيْتَنِي مِثْلُ هَذِهِ التِّبْنَةِ، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا»[85]

واعلمى عزيزتى المرأة أنك حين تطيعين زوجك فأنت فى الحقيقة لا تطيعينه، بل تطيعين الله الذى أمرك بطاعة زوجك، فسَيِّدُك فى الحقيقة هو الله، وليس زوجك.

واعلمي أن **من الكرامة أن يكون المسلم ذليلا للمسلم،** وفى هذا قال الله تعالى مادحا القوم الذين يحبهم: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: 54]. إن المؤمنين إخوة، ومن واجب الأخ أن يظهر التواضع ولين الجانب لأخيه، قال تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: 88]

وتكلم معى أحد الأجانب يوما، فاتهم الإسلام بالظلم لأنه أخضع المرأة لسلطة الرجل، فقلت له: هل تعتقد أن المجتمع الأمريكى يجب أن يلغى كل المنظومات الهرمية حتى لا يشعر المرءوس أنه أقل قيمة من الرئيس؟ إن المخ هو قائد الجسد الذى يصدر له الأوامر بالحركة والكلام، بينما العضلات جنود خاضعة لسلطان المخ، ومع ذلك فالإنسان يمكن أن يموت سواء أصيب بضمور فى المخ أو بضمور في العضلات، وهذا يظهر أن المرءوس لا يقل قيمة عن الرئيس. ولو قرر كافة الجنود فى جيش من الجيوش الفرار من المعركة فأنى لقائد الجيش بالنصر؟ إن **كلا من الرئيس والمرءوس لهما نفس الأهمية للمنظومة التى يعملان كأعضاء فيها،** وهذا يجعلنا **نعيد**

---

[84]) رواه ابن أبى الدنيا ، قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، فذكره. انظر كتاب: **"المتمنين"** لابن أبي الدنيا. صفحة 26. تحقيق محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم - بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م

85) رواه ابن أبى الدنيا ، قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تِبْنَةً، فَقَالَ: «يَا لَيْتَنِي مِثْلُ هَذِهِ التِّبْنَةِ، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا». انظر: **"المتمنين"** لابن أبي الدنيا صفحة 26.

النظر في مفهوم "الرئاسة"، ونعتبرها مجرد "وظيفة"، لا "شرف". كل من الرئيس والمرءوس عضو فى آلة واحدة، كلاهما فرد فى المنظومة الشاملة، كلاهما يستحيل أن ينجح بدون الآخر.

إن **هذا المبدأ قادر على اقتلاع العقيدة الأساسية للحركة النسائية من جذورها**. وليس أمامنا من خيار آخر، فلو ثار كل مرءوس على رئيسه لانتهت الحضارة فى لحظات. وأذكر أن الممرضات فى المستشفى التى أعمل بها قمن جميعا بإضراب بعد يوم أو يومين من نجاح ثورة 25 يناير للمطالبة بزيادة أجورهن، فأصبحت العناية المركزة للأطفال خالية من الممرضات، فاضطررنا نحن الأطباء للقيام بمهام الممرضات، فانصب تركيزنا على إعطاء الأدوية والمحاليل، وتغيير الحفاظات للأطفال، وسحب عينات الدم، وعمل التحاليل والأشعات، وصرف الأدوية من الصيدلية. وطغت هذه المهام الجديدة بالنسبة لنا على دورنا الأساسي المتمثل فى تقييم حالة المرضى ووصف العلاج المناسب لهم، فمات فى يوم واحد ثلاثة أطفال من بين عشرة. ورغم مرارة هذه التجربة إلا أنها أظهرت لى أن الطبيب فى حاجة إلى الممرضة رغم أنه رئيس لها. وبالمثل **أى منظومة لا يمكن أن تنجح فى ظل وجود رئيس دون مرءوس.**

ولا أجد ما هو أروع من قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه الشيخان.

أعلم أن هناك من سيقول: "ولماذا توجه كلامك للنساء؟ لماذا لا تقنع الرجل بالتخلي عن القوامة على اعتبار أن رئاسة زوجته له لا تجعله أقل مكانة عند الله؟"

ونحن نقول: هذا تناقض لأن الرجل إن أبطل شريعة القوامة صار عاصيا لله، وفقد مكانته عند الله. لقد جعل الله تعالى الرجل حاكما للمرأة، ومخالفة ذلك عصيان لله، فكيف تطلب من الرجل أن يخالف شريعة الله، ثم تقول له أن هذا لن يقلل من قدرك عند الله؟ هذا عبث؟ **ليس من حق الرجل أن يتنازل عن مهمة أوكلها الله تعالى إليه. ولو كانت القوامة تشريفا لجاز للرجل أن يتنازل عنها للمرأة، لكن القوامة تكليف** أسنده الله تعالى إلى الرجل بناء على درايته بطبيعة الجنسين، **فالرجل الذي يتنازل عن القوامة يلغى اختيار الله، ويُنصب حاكما على الأسرة ضد إرادة مولاه**

عز وجل. أفإن عين رئيس الدولة أحد الساسة وزيرا للخارجية، فهل يحق لهذا الوزير أن يتنازل عن المنصب لأحد زملائه حتى لا يشعر بالغيرة؟ من أدراه أن الرئيس سيقبل هذا الزميل ويقتنع بكفاءته؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل قوامة الرجل ديكتاتورية

شاع القول بأن حكم الفرد ديكتاتورية لا تليق بمجتمع متحضر، واتُخذت هذه مقدمة منطقية لرفض قوامة الرجل على المرأة بالشكل الذي أتى به الإسلام.

لكن الحقيقة أن هذا القول يفتقر إلى الدقة. و**الصواب أن نقول أن حكم الفرد الذى يستحق الإدانة هو حكم الفرد غير المنتخب**، فمن المستحيل أن نسوي بين دولة يحكمها رئيس، وصل إلى السلطة بالانتخاب ودولة أخرى استولى رئيسها على الحكم بانقلاب عسكري. يمكن للرئيس فى الدول الديمقراطية أن يتخذ قرارات خطيرة بمفرده كإعلان الحرب أو قطع العلاقات مع دولة مجاورة، لكنه في النهاية جاء بإرادة شعب، منحه التفويض والثقة. أما الرئيس غير المنتخب فإن اتخذ نفس القرارات كان محط اتهام لأنه لم يتلق تفويضا من أحد سوى منافقيه.

وبالمثل يمكن اعتبار الزوج رئيسا منتخبا، فموافقة المرأة على الزواج من رجل يعد بمثابة انتخاب له كرئيس لدولة مصغرة اسمها "الأسرة". فإن اتخذ الرجل قرارا بعد الزواج فمن الطبيعي – طبقا لقواعد الديمقراطية– أن تخضع له المرأة كما يفعل الناخبون فى أمريكا بعد انتخاب الرئيس. لا يوجد عاقل يشعر بالغضاضة والذل من الخضوع لرئيس اختاره بنفسه. وعلى المرأة التى ترى أن قيادة زوجها لا تُحتمل أن تطلب الطلاق أو الخلع، لكنه طالما ظل زوجا لها فلا بد أن تطيعه لأنها هي التى اختارته، فالزواج فى الشريعة الإسلامية لا يصح إلا برضا المرأة.

ثم تعالوا بنا إلى تعريف "الديكتاتورية". لقد قدمت الموسوعة البريطانية التعريف التالي: «الديكتاتورية شكل من أشكال الحكومة، يمتلك فيه فرد –أو مجموعة صغيرة– سلطة مطلقة بدون حدود دستورية فعالة»[86]. **وهذا التعريف للديكتاتورية لا ينطبق على الزوج فى الأسرة المسلمة**، فالزوج لا يمتلك سلطة مطلقة، لأن سلطته محدودة بسلطة الشريعة، وسلطة الدولة التى تطبق الشريعة، وسلطة المجتمع المسلم. والإسلام يوجب على المرأة أن تعصى زوجها إن أمرها بما فيه معصية لله كما سنرى فيما بعد.

---

[86]) **Dictatorship (Political science).** Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/topic/dictatorship ; accessed on May 28, 2022.

لا يبكيَن أحد على الديمقراطية الضائعة فى الأسرة، **فمن غير الممكن أن تدار كل مؤسسات المجتمع –حتى فى أعرق البلدان الديمقراطية– بالانتخابات والتصويت**، فمثلا إن أصدر قائد فرقة عسكرية أمرا لجنوده بشن هجوم مباغت على العدو، فهل يجوز لأحد الجنود أن يمتنع على أساس أن القائد يجب أن يجري أولا استفتاء بين كل الجنود؟ طبعا لا. وبالمثل إن أجمع كل ركاب طائرة على أن قائدها يُسَيرها بطريقة خاطئة فهذا لا يعطيهم الحق فى إجباره على تغيير طريقته فى القيادة. وإن طلب كل الأطفال من أبيهم أن يشترى لهم سيارة، فمن الحماقة أن ينصاع لرغبتهم عملا بمبدأ الديمقراطية، فهذا سيجعله يستدين مبالغ لن يقدر على سدادها.

وإن قام فريق من الجراحين البريطانيين بإجراء جراحة دقيقة فى القلب لأحد المرضى، فرأى قائد الفريق (الدكتور مجدي يعقوب) رأيا، بينما رأى ثلاثة من مساعديه رأيا آخر، فهل يجب على مجدي يعقوب أن يتخلى عن رأيه رضوخا لوجهة نظر الأغلبية؟ طبعا لا. حقا على الطبيب الكبير أن ينصت لمن هم دونه، لكنه إن لم يقتنع برأيهم فعليهم أن يطيعوه لأنه الأكثر خبرة، ورأيه فى الغالب هو الصواب.

الواقع إذن يؤكد أنه لا مفر من حكم الفرد فى كثير من الأحيان. وهذا حال مؤسسة الأسرة. **وعلى ذلك فالزوج فى الإسلام يختلف عن الحكام الديكتاتوريين كلينين وستالين وبشار الأسد فى عدة أمور:**

أولا: الزوج رئيس منتخب (انتخبته المرأة).

ثانيا: سلطة الزوج ليست مطلقة، بل محدودة بالشريعة، فالشريعة فوق الزوج. وسلطة الزوج محدودة أيضا بسلطة الدولة والمجتمع والأسرة الكبيرة

ثالثا: كثير من المؤسسات فى الدول الديمقراطية يستحيل أن تدار بغير حكم الفرد. وسلطة الزوج من هذا النوع.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

عليك بالشورى أيها الزوج

يؤكد الإسلام أن الرجل هو حاكم الأسرة، وأن على زوجته أن تطيعه، لكن علينا أن نُحذر الرجال من أن يتحولوا إلى طغاة مستبدين، فيُصر الواحد منهم على إمضاء كل قراراته دون مناقشة، ودون إعطاء فرصة للزوجة لتعبر عن رأيها بحجة أنها ليست مؤهلة لاتخاذ القرارات. هذا الاستبداد العائلى يرفضه الإسلام الذي **يدعو إلى الشورى**، ويمتدح المؤمنين لأنهم يتشاورون فيما بينهم: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [الشورى: 38]. ومن المؤكد أن شئون الأسرة من أهم الشئون فى حياة كل مسلم، ولذا وجبت الشورى بين الزوجين مثلما وجبت فى غيرها من الأمور.

ولكن لماذا حث الإسلام على الشورى؟

السبب هو أن الإنسان حين يستشير الآخرين فهذا اعتراف منه بالنقص فى التفكير والذكاء والحكمة. بالشورى يضع الإنسان نفسه فى حجمه الطبيعى دون مبالغة، وهذا يدخل فى باب التواضع. ومَن استشار أخاه فكأنه قال له: "إنني أحتاج إلى معونتك". وهذا كفيل بتعميق الروابط بين الناس، ونزع الضغائن من القلوب. وكثير من المشاكل ترجع إلى غيبة الشورى إذ يتمسك كل طرف برأيه، ويصم الآذان عن آراء الآخرين. وعلى الساحة السياسية أدى غياب الشورى إلى موت ملايين البشر عبر التاريخ بسبب الحروب والفتن التى نشأت عن استئثار بعض الحكام بالسلطة دون وجه حق، ورفضهم تطبيق مبدأ الشورى؟

الشورى إذن مهمة لسببين:

1. أنها تنأى بالإنسان عن الكبر والغرور.
2. أنها تؤدى إلى الإصلاح بين الناس، وتحول دون تفاقم الصراعات.

على الرجل إذن أن يطبق الشورى فى بيته، فما هو بأفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال له ربه: **{وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}** [آل عمران: 159]. ليس الرجل منا بأفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى استمع إلى مشورة زوجته أم سلمة بعد صلح الحديبية حين تذمر المسلمون من شروط الصلح المجحفة مع قريش، فأشارت أم سلمة عليه بأن يقوم فى صمت،

فينحر الإبل، ويحلق رأسه، ففعل الرسول عليه السلام، وتبعه المسلمون، وعادوا إلى طاعته، فكانت نِعم المشورة، وفى هذا روى البخارى:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا.

ومن يقرأ القرآن يجد شيئا عجيبا، فقد طلب الله تعالى من الزوجين أن يتشاورا فى شئون أولادهما حتى بعد الطلاق: {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} [البقرة: 233]. ما أروع هذا الدين! وإن وجبت الشورى بعد الطلاق أفليس من الأولى أن تجب بين الأزواج؟

ليحذر الرجال من أن تبدر منهم سخرية تجاه زوجاتهم، كما يفعل البعض حين يقول لزوجته: "اسكتى. أنت لا تفهمين شيئا" أو "هذا ليس شأنك" إلى آخر هذه العبارات التى تدل على استهانة الرجل بعقلية زوجته. واذكروا قول الله تعالى: (يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مّن قَوْمٍ عَسَىَ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مّن نّسَآءٍ عَسَىَ أَن يَكُنّ خَيْراً مّنْهُنّ) [الحجرات: 11]. وقد مدح الله تعالى رسوله الكريم للينه ورقة قلبه، وأمره باستشارة المسلمين: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]

ونود أن نشير إلى أمر، لا ينتبه إليه أغلب الذين يتحدثون عن الشورى، ألا وهو اختلاف الشورى عن الديمقراطية وعن حرية الرأى. إن المفهوم الغربى للديموقراطية هو أن من حق كل إنسان أن يعبر عن رأيه، وأن يصل إلى السلطة إن استطاع أن يقنع الأغلبية بهذا الرأى. الغرب يعتبر الديمقراطية وسيلة لتداول السلطة بين المواطنين بحسب أعداد الأنصار. أما فى الإسلام فكلمة "الشورى" ذات مغزى رائع، فهي تشير إلى أن على كل مسلم أن يطلب من الآخرين أن يرشدوه إلى الرأى الصائب، وأن يستمع لآرائهم " بحياد" و"اهتمام" و" شغف" أملا أن يجد فيها ما ينفعه،

خلافا للديمقراطية التى هى مباراة أو صراع بين أطراف، كل منهم ينشد الفوز على الآخرين حتى لو كان يدرك أن الحق معهم. فى الغرب ليس من المهم أن يستمع كل فرد لآراء الآخرين بقدر أهمية تعبير كل فرد عن نفسه، وإثبات كل واحد لذاته. ولهذا تحولت الديمقراطية فى الغرب إلى حوارات بين طرشان، واتهامات متبادلة، ومشاجرات أنيقة، وحروب بلا نيران. لقد أدت الديمقراطية الغربية إلى الشقاق بين الأفراد، وأحدثت الشروخ داخل المجتمع، وأنتجت جماعات الضغط والمصالح، وولدت التيارات الجامدة التى لا تعرف التنازل، ولا تقبل الاعتراف بالخطأ. وبلغت المهزلة ذروتها حين أعلنت ما بعد الحداثة أن الحقيقة قد ماتت، وأن كل رأى صحيح مهما كان غريبا. لقد أوصلتهم الديمقراطية إلى ذبح العقل.

ونعود لحديثنا، فنقول أنه طبقا لمفهوم الشورى فى الإسلام سينبغي على الرجل ألا يترك زوجته تعبر عن رأيها فقط، ولكن عليه أيضا أن يأخذه مأخذ الجد آملا أن يجد فيه ما ينفعه. وعليه ألا يخجل من أن يعترف لزوجته بصحة وجهة نظرها، فالحق أحق أن يتبع.

ولكن هل الشورى ملزمة للزوج؟ أي هل يتحتم على الزوج قبول الرأي الذى تشير به عليه زوجته؟

لا، الشورى ليست ملزمة. وللزوج أن يأخذ برأى زوجته أو يرفضه. وليس هذا انحيازا للرجل، بل رضوخا لقيود الواقع، وذلك لأن **الرجل لو كان ملزما بقبول رأى زوجته في كل الأمور لصارت هى الحاكمة فعليا، ولأصبحت قوامة الرجل التى ذكرها القرآن خيال محض،** أو **قوامة** "**مع إيقاف التنفيذ**".

والمؤسف أن زوجات اليوم يستخدمن قصة استجابة الرسول عليه الصلاة والسلام لمشورة أم سلمة كبرهان على أن من الواجب على الزوج أن ينفذ مشورة زوجته فى كل الأحوال، وكأنه معصية الزوجة تتضمن مخالفة لسنة الرسول! أإلى هذا الحد وصل ليّ الحقائق؟ فلتعلم المرأة إذن أن الرسول عليه الصلاة والسلام **استمع لمشورة أزواجه أحيانا، وخالفهن فى أحيان أخرى**، كما حدث حين طالبنه بالتوسعة عليهن فى النفقة، فرفض، واعتزلهن لمدة شهر حتى رضخن بعد أن نزل قول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ

وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 28، 29]. والقصة مشهورة، ومروية فى صحيح مسلم[87].

ولا شك أن **من أهم الأسباب التي تجعل الرجل يعزف عن استشارة زوجته** أنه يعلم مقدما أنها لن تتوقف عند حد تقديم رأي ينتفع به، بل ستصمم على أن ينفذ مشورتها ويحقق رغبتها، ولهذا يقرر الزوج أن يغلق هذا الباب، وينفرد بالأمور وحده. وعلى ذلك فالشورى لا تتطلب فقط زوجا يتوجه لزوجته طالبا النصح، بل تحتاج أيضا إلى زوجة حكيمة، توجه طاقتها إلى إقناع زوجها برأيها، وليس إلى تنغيص حياته حتى يرضخ لرغبتها. والمرأة الذكية تعرف كيف تجعل زوجها ينفذ رغباتها دون أن تشعره بالضغط والإكراه.

ولو اقترح البعض أن تتضمن الشورى إعطاء صوت لكل من الزوج والزوجة كما فى الانتخابات لانتهت أغلب المشاورات بغير قرار، إذ سيصبح هناك رأى مقابل رأى.

ويبقى سؤال: هل هناك حالات يكون من الأفضل فيها أن يستبد الرجل برأيه؟

نعم، فى بعض الأحيان تكون الزوجة كثيرة الجدال بطبعها، أو تهدف من وراء الجدال إلى التهرب من تنفيذ الأوامر التى لا تروق لها. والزوجة العاقلة هى التى تجادل زوجها فقط فى المسائل ذات الأهمية، وتتجنب الجدال فى الأمور التافهة التي لن تجني من ورائها إلا غضبه. على الزوجة أن تتصرف كالجندى الذى يدرك أنه من واجبه طاعة أوامر قائده.

وقد رأيت عن قرب كثيرا من هؤلاء النساء، ومنهن ثلاثة من الممرضات اللائى عملت معهن بعد التخرج، فقد كانت الواحدة منهن تعترض بالباطل على أى أمر يصدر من أى طبيب، ولا تسمع لأى نقد حتى لو كان بسيطا هادئا. وكان الحل الذى اتفق عليه الجميع هو عدم إجراء أى نقاش معهن من الأساس لأن الحوار معهن نتيجته معروفة مقدما، فأى أمر سيقابَل على الفور بعاصفة

---

87) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ، سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا - أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ - ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} [الأحزاب: 28] حَتَّى بَلَغَ {لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 29]، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

من الأباطيل من قبيل "لماذا؟" "ما الداعى؟" "هل هذا ضرورى؟" "أنا مشغولة"...إلخ. إن الشورى مع أمثال هؤلاء لا جدوى منها، ولا بديل عن الحزم والصرامة.

وعلى النقيض من ذلك عرفت ممرضات فى غاية الأدب ، كن يطعن الأوامر بمجرد أن أنهى كلامى، ولذلك عندما كانت إحداهن تعترض كنت أجد نفسى مضطرا لأن أنصت إليها، وأتقبل كلامها بصدر رحب، وأشرح لها بأسلوب علمى مبسط سبب تمسكى برأيى، حتى تقنعنى أو أقنعها. وفعلا كان يتبين لى أحيانا أننى المخطيء.

ومع الأسف حب الجدل ابتليت به كثير من الزوجات، وهو آفة تدمر البيوت. ولهذا أقول بملء فمى أن الاستبداد أحيانا هو الحل، والزوجة العاقلة قادرة على أن تجعل زوجها يحرص طواعية على التشاور معها وأخذ رأيها فى كل الأمور.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

فى الطاعة فضيلة

لم يأمر الإسلام المرأة بطاعة زوجها على سبيل التحقير والإهانة، بل كان هذا جزءا من سياسته العامة التى تطلب من المسلم – رجلا كان أو امرأة– أن يطيع ولى أمره. قال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59]. **وعلى هذا فالإسلام لم يتعمد إذلال المرأة وحدها دون سائر الناس، بل أمر كل مرءوس بطاعة رئيسه.**

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**» رواه البخارى.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**». متفق عليه.

وعن العرباض بن سارية أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال:" **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

ولاحظ فى هذا الحديث أن الأمر بتقوى الله يسبق الأمر بالسمع والطاعة للأمير، كما أعقبت الدعوة إلى طاعة أولى الأمر دعوة أخرى إلى التمسك بسنة الرسول وسنة الخلفاء الراشدين، وتجنب البدع. ولذا فمن الحماقة أن يُستدل بهذا الحديث على وجوب طاعة الحاكم حتى لو كان فاسقا ومن أهل البدع.

وعن أم الحصين الأحمسية أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: " **يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله**" قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أم حصين .

وعن أبي أمامة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: " **اتقوا الله ربكم وصلوا خمسكم وصوموا**

شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم"[88].

ومما لاشك فيه أن طاعة ولى الأمر الصالح مهمة لنجاح أى نظام، فولى الأمر يفترض أنه الأكثر علما وخبرة وإلماما بالموقف وإحاطة بالظروف، كما أنه هو الذى يتحمل المسئولية. وإن امتنع الأفراد عن طاعة أولى الأمر، وسار كل منهم حسب هواه تحولت الحياة إلى فوضى، فمن ينظر إلى بلد مثل بلدنا مصر يجد أن كثيرا مما هى فيه من بلاء يرجع إلى عدم طاعة أولى الأمر، أى السلطة التنفيذية التى يناط بها إدارة الدولة وتنفيذ تلك القوانين الذى لا يختلف أحد حول صلاحها وعدلها، فمثلا تجد السائقين لا يلتزمون بقوانين المرور، وأصحاب الأراضى الزراعية يتحايلون على القانون كى يجرفوها، والموظف يدعى المرض كى يحصل على عطلة دون وجه حق. ووجه الخطورة ليس فى وجود مخالفين للقانون، بل لأن مخالفة القانون أضحت ظاهرة عامة وجزءا من ثقافة الشعب، وصار الشعب كله لا يُكن للقانون توقيرا.

الطاعة فضيلة غائبة عن حياتنا، وما جعلنى أنتبه لهذه الفكرة أول مرة هو عملى كطبيب حيث كان أكثر ما يستفزنى أن أصدر أمرا لطبيب صغير فلا ينفذه. لقد كنت ألقى من بعض الممرضات عنادا يؤدى إلى عدم الالتزام بخطة العلاج التى أضعها، بما يؤثر على صحة المرضى. فى البداية كنت أغضب لكرامتى، لكن بعد ذلك انتبهت إلى أن مثل هذه المواقف تظهر أهمية طاعة المرءوس للرئيس، فأخذت على نفسى عهدا أن أطيع رؤسائى طالما أنهم يأمرونني بما لا يغضب الله.

إن علينا أن نغير فكرتنا عن الطاعة، فالطاعة لا تعنى بالضرورة الخنوع والاستسلام والدونية، بل تعنى الحفاظ على النظام والصالح العام. وعقد الزواج يشبه انتخاب رئيس الدولة. **وكما أن المواطن فى البلاد المتقدمة ينتخب رئيس الدولة، ثم يطيعه، فكذلك على المرأة التى اختارت زوجها بإرادتها أن تطيعه دون شعور بالنقص أو الإهانة أو الدونية.** إن رفض المرأة المعاصرة طاعة الزوج من حيث المبدأ يبدو عبثيا حتى من وجهة نظر الديمقراطية الغربية التى نبتت على ترابها الحركة النسائية.

---

[88]) أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم وأحمد من طريق معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فقال: فذكره. واللفظ للترمذي وقال: " حديث حسن صحيح ". ولفظ أحمد والحاكم: " اعبدوا الله "، وقال: " صحيح على شرط مسلم ". ووافقه الذهبي. وهو كما قالا. انظر: **"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** (2/ 524).

إن حث الإسلام للمرأة على طاعة زوجها لا ينبع من كراهيته لها، ولا ينبغي اعتباره دليلا على التفرقة العنصرية، **ولكنها فلسفة الإسلام وسياسته العامة التى تسرى على جميع المرءوسين، وليس على المرأة وحدها.**

عزيزتى المرأة هناك فضيلة إسلامية نسيها الناس اسمها " الطاعة"، فكونى أول من يحيى مباديء دينك.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل على الزوجة طاعة عمياء

ليس الزوج فى الإسلام إلها ينبغى على زوجته أن تطيعه فى كل ما يأمر به، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول فى الحديث الصحيح: " **لا طاعة لأحد في معصية الله تبارك وتعالى**"[89]. وفى رواية: "**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**".

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** " متفق عليه.

وعن ابن مسعود أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: " **سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها. فقلت: يا رسول الله! إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال: تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله** ". وإسناده جيد على شرط مسلم. [90]

وعن أُمِّ الْحُصَيْنِ الْأَحْمَسِيَّةِ أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا مَا أَقَامَ لَكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**». صححه الحاكم ووافقه الذهبى[91].

وقد أوصى الله تعالى المسلم بالإحسان إلى والديه وطاعتهما، ومع ذلك حين تتعارض أوامر الأبوين مع أوامر الله فإن على المسلم أن يعصى والديه: **{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ**

---

[89]) يقول الألبانى: [رواه أحمد عن عبد الله بن الصامت قال: " أراد زياد أن يبعث عمران بن حصين على خراسان، فأبى عليهم، فقال له أصحابه: أتركت خراسان أن تكون عليها؟ قال: فقال إني والله ما يسرني أن أصلى بحرها وتصلون ببردها وإني أخاف إذا كنت في نحور العدو أن يأتيني كتاب من زياد، فإن أنا مضيت هلكت، وإن رجعت ضربت عنقي، قال: فأراد الحكم بن عمرو الغفاري عليها، قال: فانقاد لأمره، قال: فقال عمران: ألا أحد يدعو لي الحكم؟ قال: فانطلق الرسول، قال: فأقبل الحكم إليه، قال: فدخل عليه، قال: فقال عمران للحكم: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فذكره) قال: نعم قال عمران: لله الحمد أو الله أكبر ". قلت: وإسناده صحيح على شرط مسلم، وقواه الحافظ في " الفتح " وروى الطبراني في " الكبير " المرفوع منه فقط بهذا اللفظ. وله طريق أخرى عند الطيالسي وأحمد والطبراني من طرق عن محمد قال: " جاء رجل إلى عمران بن حصين ونحن عنده، فقال: استعمل الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان، فتمناه عمران حتى قال له رجل من القوم ألا ندعو لك؟ فقال له: لا ثم قام عمران، فلقيه بين الناس فقال عمران: إنك قد وليت أمرا من أمر المسلمين عظيما، ثم أمره ونهاه ووعظه، ثم قال: هل تذكر يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا طاعة لمخلوق في معصية الله تبارك وتعالى "؟ قال الحكم: نعم، قال عمران: الله أكبر "]. انظر: **"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** (1/ 348). تأيف محمد ناصر الدين الألباني.

[90]) قال الألبانى: [أخرجه أحمد وابنه وابن ماجه والسياق له والطبراني في " المعجم الكبير " من طرق عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده عبد الله بن مسعود به. ولفظ الطبراني: " سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، ويحدثون البدع ... " الحديث. قلت: وإسناده جيد على شرط مسلم]. انظر: **"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** (2/ 137)

[91]) ورواه الترمذى بلفظ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا مَا أَقَامَ لَكُمْ كِتَابَ اللَّهِ». وقال: وَفِي البَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ أُمِّ حُصَيْنٍ.

عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: 15]

فلتتعلم المرأة أن تحنى رأسها لله قبل أن تحنى رأسها لزوجها. وإن طلب الرجل من زوجته أن تفعل شيئا يغضب الله بشكل صريح فلا تجب له الطاعة، كأن يأمرها أن تخلع الحجاب، أو تحضر حفلات ماجنة، أو تشرب الخمر، أو توافقه على أكل الحرام، أو تتطاول على الجيران، فعليها قطعا ألا تطيعه.

هذا عن أوامر الزوج التي تغضب الله بشكل صريح، أما أوامر الزوج التي تحتمل الخلاف، ويصعب الجزم بأنها تغضب الله، فلها شأن آخر سنتكلم عنه فى الفصل التالي.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

معصية الزوج في الخلافات الرمادية

اللون الرمادي وسط بين الأبيض والأسود. وهناك مواقف ترى فيها المرأة أن زوجها يأمرها بشيء يخالف تعاليم الإسلام، لكن هذه المخالفة لا تكون فجة أو مؤكدة، بمعنى أن الرجل يستند هو الآخر إلى مبدأ دينى، يبرر وجهة نظره، فيكون من الصعب معرفة أيهما مخطيء على وجه اليقين. ونحن نرى أن على المرأة فى مثل هذه الحالات أن تطيع زوجها.

ومن قبيل ذلك الخلافات اليومية التى تحدث حول نفقات البيت حيث تريد الزوجة مثلا شراء غسالة متطورة، فيرفض الزوج، فتتهمه المرأة بالبخل، وتذكر له قول الله تعالى : {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} [الإسراء: 29] ، بينما يصر الزوج على أنه ليس بخيلا، وأنه يعمل ببقية الآية التى تنهى عن الإسراف: {وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} [الإسراء: 29]، ويتهمها فى المقابل بأنها لا تراعى أن وراءهم متطلبات أخرى أهم لدراسة الأولاد. وسيحتار المرء: أيهما على حق؟ فالرجل ليس غنيا حتى نقول أنه بخيل، كما أنه ليس فقيرا حتى نقول أن الزوجة مسرفة. وفى مثل هذه المواقف تعتقد الزوجة أن الرجل على باطل، ولكن عليها ألا تسارع إلى عصيانه بحجة أنه "لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق" ، وعليها أن تسأل نفسها: **هل زوجى فى هذا الموقف على باطل صريح لا لبث فيه، أم أن له بعض الحق؟ فإن وجدت أن له بعض الحق فلتطعه طالما أن المسألة تحتمل الاجتهاد.**

ولكن بما أن أغلب النساء يعتقدن أنهن على الحق المطلق الذى لا شبهة فيها، فعلى الزوجة أن تسأل نفسها: **هل زوجى مثل اللص الذى يسرق، أو الطالب الذى يغش، أو الموظف المرتشى، أو الرجل الذى ينظر بشهوة إلى امرأة أجنبية، أو المرأة التى توقع بين الناس، أو الحاكم الذى يسرق شعبه، أو المواطن الذى يتجسس على بلده؟ هل زوجى يتصرف فى هذا الموقف مثل هؤلاء الذين لا يختلف اثنان حول جرائمهم؟ فإن وجدت أن رأيه لا يتضمن معصية مؤكدة فلتطعه.**

ومن الأمثلة الأخرى أن يطلب الرجل المنهمك فى كتابة بعض التقارير من زوجته أن تكوى له قميصا حتى يخرج لأمر ضرورى، فتقول له فى ضجر: "ألم تر أننى كنت أعمل طوال اليوم فى تنظيف المنزل، وأننى متعبة ولا أستطيع الحركة؟" ، فيرد الزوج: "أنت لست متعبة إلى درجة أن تتركينى أخرج بملابس غير نظيفة" ، ثم تقوم مشاجرة. وهنا سنجد أن كلا من الزوجين يبدو على

حق، وكلاهما يستند إلى مبدأ دينى صحيح، فالرجل من حقه أن يمشى بين الناس نظيفا حسن المنظر كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمرأة من حقها أن تنال قسطا من الراحة، فالرحمة مبدأ إسلامى معروف. فأى الطرفين على حق؟ من الصعب أن نجزم بدقة هل تعب الزوجة أكبر أم أن المسألة التى يريد الزوج الخروج من أجلها أهم؟ وهنا يكون على المرأة أن تطيع زوجها.

إن من الخطأ أن تعصى المرأة زوجها فى مثل هذه المواقف الرمادية بحجة أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وذلك لأن زوجها لا يرتكب ذنبا صريحا لا خلاف عليه. **فإن كان زوجها فعلا على حق فستكون قد أرضت الله بطاعته، أما إن كان زوجها مخطئا، وهو لا يقصد، فقد اجتهد، وله أجر بإذن الله، ولا وزر عليها. وإن كان الزوج يجادل عن نفسه بالباطل متعمدا فليتحمل الوزر وحده أمام الله.**

وقد يطلب الرجل من زوجته ألأ تكثر من زيارة بيت أخيها، لأن أولاد أخيها مشاغبون، ويفسدون أخلاق أولادهما كلما زاروهم. لكن كان رأى الزوجة أن صلة الرحم أهم من أى اعتبار آخر. وهنا نجد أن كلا من الزوجين يبغى التقرب إلى الله ، وكلا من الرأيين له قدر من الوجاهة. وهنا على الزوجة ألا تتمسك برأيها لأن رأى زوجها لا يخالف الإسلام مخالفة أكيدة بل **مخالفة ظنية، وليتحمل هو وحده التبعات أمام الله إن كان يجادل عن نفسه بالباطل.**

واختلف زوجان بشدة حول نوع الكلية التى يلحقون بها ابنهما، فكان رأى الزوجة أن الجامعات الخاصة أحسن لأنها توفر للطالب فرصة أفضل للتعليم مقارنة بالجامعات الحكومية المزدحمة، وطبعا لا يمكن لمسلم أن يعترض على طلب العلم. بينما كان رأى الزوج أن الجامعات الخاصة يمكن أن تؤثر على أخلاق الابن لأن الطلبة فيها على درجة عالية من الاستهتار والانحراف. وهنا أيضا الحل أن تطيع المرأة زوجها، وليتحمل هو الوزر أمام الله إن كان يتعمد الجدال بالباطل.

أعرف عددا من الأزواج الذين يتشاجرون كثيرا، وحين تتأمل أحوالهم تجد أن كلا منهم يبتغى وجه الله، وكلا منهم له نصيب من الحق. ولو أطاعت المرأة زوجها الذى يبدو رأيه قريبا فى القوة من رأيها لتجنبنا كثيرا من الصراعات الزوجية. فلتعلم كل امرأة أن زوجها هو حاكم لها، وأن الحاكم الذى لا يظلم أبدا لا وجود له لأن الكمال لله وحده. وحتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأ

فى حكمه فى بعض الأحيان كما حدث حين سمح لبعض المنافقين بالتخلف عن الخروج فى غزوة تبوك[92].

إن عصيان المرأة لزوجها يزلزل كيان الأسرة، وينخر فى عظامها، ويقتلها بالسم البطىء، ولذا فمن الحكمة ألا تسارع الزوجة إلى معصية زوجها دون برهان ساطع. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: "**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**"[93]. وقال عن الأمور المشتبهات: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ، وَالمَعَاصِي حِمَى اللَّهِ مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ» متفق عليه، واللفظ للبخارى. **ومبدأ طاعة الزوج من الأمور اليقينية لأنه ثابت بالقرآن والسنة، وبالتالي لا يجوز مخالفة هذا المبدأ إلا فى حالة اليقين الكامل بخطأ الزوج. على الزوجة أن تفعل ما هو مؤكد، وتترك ما ليس بمؤكد.**

وعلى الزوجة أن تتعلم التواضع، فتتساءل: أليس من العجيب أن أكون دائما على الحق، وزوجى دائما على الباطل؟

ولقائل أن يقول: ولماذا لا تطلب من الرجل أيضا أن يتواضع، ويشك فى سلامة قراراته؟

ولهؤلاء أقول: أنا معكم، وأدعو الرجل إلى التواضع والنظر بعين الشك فى سلامة قراراته، ولكن المرأة عليها عبء أكبر، فالرجل إن أصر على رأيه الباطل متعمدا فعليه وزر واحد هو ظلمه لزوجته، أما إن أصرت المرأة على رأيها، وكانت تدافع عنه بالهوى فعليها وزران :الأول أنها ظلمت زوجها، والثانى أنها عصته، وذلك لأنها لم تظلم إنسانا عاديا، بل ظلمت إنسانا يفترض أن له عليها حق الطاعة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

---

[92] حدث ذلك مثلا فى غزوة بدر حين عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم قائلا: **(مَا كَانَ لِنَبِيّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىَ حَتّىَ يُثْخِنَ فِي الأرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [الأنفال - الأية: 67]

[93]) حديث صحيح كما قال الألبانى. أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم. انظر: "**غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**" تأليف محمد ناصر الدين الألباني. صفحة: 130. المكتب الإسلامى- بيروت- الطبعة الثالثة 1405 هجرية.

الطاعة فى الجماع

نسى المسلمون كثيرا من أمور الدين. ومن بين ما نسوه أن من واجب الزوجة أن تجيب زوجها إن طلب منها الجماع. بل انتشرت مؤخرا دعوات وقحة فى الإعلام تطالب بسن عقوبة للاغتصاب الزوجي، أى عقوبة للرجل الذى يجامع زوجته بغير رضاها. ولا غرابة فى أن يتطاول الإعلاميون الزناة على شريعة الله، لكن المحزن حقا أن تجهل المسلمة المتدينة واجباتها التى فرضها الله.

على المرأة أن تعلم أن من أعظم الذنوب الامتناع عن تلبية طلب زوجها للجماع. والأحاديث فى هذا كثيرة.

من أهم هذه الأحاديث ما رواه البخارى ومسلم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**».

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: "**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتُجِبْهُ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التنور**".[94] رواه ابن حبان، وصححه الألبانى. ومعنى (وإن كانت على التنور) هو أن على الزوجة أن تجيب طلب زوجها للجماع حتى لو كانت منهمكة في صنع الخبز فى الفرن، وهذا عمل شاق لأن الفرن شديد الحرارة، ومن يجلس أمامه يتصبب عرقا، ولا يكون مهيأ نفسيا لجماع، ومع ذلك لا يجوز للمرأة أن تتخذه من ذريعة للامتناع عن الفراش[95].

وروى الحاكم عن معاذ بن جبل أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: " **لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظيم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها. ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب**". قال الذهبى هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم[96].

---

[94]) **"التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان"** (6/ 250) للألبانى. وفى لفظ الترمذى: "إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور". قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

[95]) قال الملا على القاري: المعنى: وَإِنْ كَانَتْ تَخْبِزُ عَلَى التَّنُّورِ مَعَ أَنَّهُ شُغْلٌ شَاغِلٌ لَا يُتَفَرَّغُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ إِلَّا بَعْدَ انْقِضَائِهِ. انظر: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** (5/ 2126).

وقال مظهر الدين الزيداني: يعني: إذا دعاها الزوجُ، فَلْتَأْتِه وإن كان خبزُها يحترقُ في التنُّور، وهذا بشرط أن يكونَ ذلك الخبزُ للزوج؛ لأنَّ الزوجَ إذا دعاها في هذه الحالة، فقد رضيَ بإتلافِ مالِهِ، وتلفُ المالِ أسهلُ من وقوع الزوج في الزِّنا إن لم تُجبْه الزوجةُ. انظر: **المفاتيح في شرح المصابيح** (4/ 89)

[96]) **المستدرك على الصحيحين للحاكم** (4/ 190). ونص الحديث كاملا كما يلى: روى الحاكم عن القاسم بن عوف الشيباني حدثنا معاذ بن جبل رضي الله عنه : أنه أتى الشام فرأى النصارى يسجدون لأساقفتهم و قسيسيهم و بطارقتهم و رأى اليهود يسجدون لأحبارهم و رهبانهم و ربانيهم و علمائهم و فقائهم فقال : لأي شيء تفعلون هذا ؟ قالوا : هذه تحية الأنبياء عليهم الصلاة و السلام قلت : فنحن أحق أن نصنع بنبينا فقال نبي الله : إنهم كذبوا على

(سألها نفسها): طلب منها الجماع. (القتب): هو ما يوضع على سنام البعير تحت الراكب.

وفى لفظ آخر للطبرانى عن زيد بن أرقم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا عَلَى قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ**» [97] وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.[98]

وأخرج الطبرانى أيضا بإسناد صحيح عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمَرْأَةُ لَا تُؤَدِّي حَقَّ اللهِ عَلَيْهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ نَفْسَهَا**»[99].

وفى روايةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْتُجِبْ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ**"». رَوَاهُ الْبَزَّارُ[100].

كانت هذه نصوص الدين. وإذا ذهبنا إلى العقل والعلم لوجدنا أن المرأة **بشكل عام أقل ميلا وتلهفا على الجماع من الرجل. الرجل بطبعه سهل الإثارة، خائر القوى أمام جمال المرأة. الرجل لا يطيق الحياة طويلا بدون جماع، أما المرأة فيمكنها أن تستتغنى عن الجماع بسهولة أكبر لفترات طويلة**. ولهذا نادرا ما يبقى الرجل بدون زواج، فهو يتزوج بأى امرأة ولو قبيحة حتى يقضى شهوته. وقد تكلمنا فى كتاب "لماذا آمنت بالآخرة" بما فيه الكفاية عن هذه النقطة، **واستشهدنا بمقال علمى كبير وشامل، نقب فيه الباحثون عن أهم الدراسات التى قارنت بين الرغبة الجنسية لدى كل من الرجل والمرأة**[101]. وقد ذُكر فى هذا البحث مثلا أن إحدى الدراسات أظهرت أن 91% من الرجال

أنبيائهم كما حرفوا كتابهم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظيم حقه عليها و لا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها و لو سألها نفسها و هي على ظهر قتب".

[97]) نص الحديث كاملا كما رواه الطبرانى فى المعجم الكبير: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، أَنَّ مُعَاذًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ أَهْلَ الْكِتَابِ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ؟ أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا عَلَى قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ»

[98]) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير". وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال البخاري؛ غير القاسم الشيباني، وهو صدوق يغرب؛ كما قال الحافظ في "التقريب "، وهو من رجال مسلم. وموسى بن هارون ثقة حافظ مشهور، مترجم في "تاريخ بغداد"، و"تذكرة الحفاظ " وغيرهما. ثم رواه الطبراني من طريق صدقة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (7/ 1097) للألباني.

[99]) قال الألبانى: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات. وقال المنذري في "الترغيب": "رواه الطبراني بإسناد جيد". وقال الهيثمي في "المجمع ": "رواه الطبراني في " الكبير" و" الأوسط " بنحوه، ورجاله رجال " الصحيح "؛ خلا المغيرة بن مسلم، وهو ثقة". انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (7/ 1098) للألباني.

[100]) قال الهيثمى: "رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ خَلَا مُحَمَّدَ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَوَاءٍ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ، وَلَمْ يُضَعِّفْهُ أَحَدٌ". انظر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (4/ 312).

[101]) **Roy F. Baumeister, Kathleen R.Catanese, and Kathleen D. Vohs.** Is there a gender difference in strength of sex drive? Theoretical views, conceptual distinctions, and a review of relevant evidence. *Personality and Social Psycheology Review*. 2001; 5 (3): 242-273.

يحسون بالرغبة الجنسية عدة مرات فى الأسبوع، بينما كانت نسبة النساء اللائى أحسسن برغبة مماثلة 52% فقط. وفى دراسة أخرى وُجد أن نصف الرجال يفكرون فى الجنس كل يوم، بينما أكد خُمس النساء فقط أنهم يفكرون فى الجنس بنفس المعدل. وفى إحدى الدراسات قام جونز وبارلو بمتابعة المشاعر الجنسية لدى عينة من الرجال والنساء لمدة 7 أيام، فوجدوا أن الرغبة الجنسية راودت الرجال فى المتوسط ضعف مراودتها للنساء (4.7 مرة لدى الرجال مقابل مرتين لدى النساء). وفى دراسة تحليلية بَعدية Meta-analysis أجريت عام 1995 وجد أن التخيلات الجنسية تحدث بعدد أكبر وتنوع أكبر لدى الرجال مقارنة بالنساء ، وهذا يشمل تخيل الرجل لعلاقات جنسية مع عدد أكبر من النساء ، كما يشمل تنوعا فى العملية الجنسية نفسها. وفى دراسة أجراها إليس وسيمونز سئل كل من الرجال والنساء السؤال التالى: "هل مارست الجنس فى خيالك مع أكثر من ألف شخص؟" فكان عدد الرجال الذين أجابوا بالإيجاب أربعة أضعاف عدد النساء. وفى دراسة أجريت على أزواج ارتبطوا معا لأكثر من عشرين عاما أكد غالبية الرجال (60%) أنهم يريدون زيادة معدل ممارسة الجنس مع زوجاتهم ، بينما أعربت قلة من النساء (32%) عن رغبتهن فى ممارسة الجنس مرات أكثر.

وقد عملت –وأنا طبيب امتياز– بعيادة أمراض الذكورة بالمستشفى الجامعي، واستمعت إلى شكاوى مئات المرضى، وكتبت ملفاتهم، وحضرت مناقشات الأساتذة لمتاعبهم، فلمست بنفسي وجود هذا الفارق العام فى الرغبة الجنسية بين الرجل والمرأة.

فلتعلم المرأة إذن أن **الرجل حين يطلب الجماع فهو لا يتسلى، ولا ينشد ترفا، بل يبغى أن يسد جوعا، ويروى ظمأ.** الرجل الذى يطلب الجماع يشبه سائلا، مد يده طمعا في كسرة خبز أو شربة ماء، فهل ننهره ونتهمه بأنه يفتقد للذوق لأنه طرق بابنا وقت القيلولة؟ إننا إن لم نتصدق عليه مد يده وسرق ونهب، أو على الأقل استمر يشعر بالألم. وبالمثل **إن لم تستجب المرأة لزوجها لامتد بصره لغيرها من الجميلات، وقد يقع في كبيرة اسمها الزنا.**

واعلموا أنه إذا كانت المرأة تتضرر من كثرة الجماع، فإن الرجل يتضرر من قلة الجماع، فلا تشفقوا على المرأة، وتهملوا حال الرجل. واعلموا أن الضرر الواقع على الرجل أخطر لأنه قد يؤدي إلى الزنا. ومنع الزنا أهون من الجهد الذي تبذله المرأة أثناء الجماع.

وفضلا عن ذلك فإن المرأة بحكم طبعها أكثر حساسية وأسرع حزنا وغضبا من الرجل، فكثيرا ما تغضب بشدة من زوجها بسبب شيء تافه فعله، وهذا يجعلها أكثر ميلا للنفور من الجماع بسبب أقل خلاف، ولو ترك الأمر بيدها لوقع على الرجل ظلم كبير. وقد يندهش البعض من قولنا بأن المرأة أكثر غضبا من الرجل، لكن هذه حقيقة، وما غفل الناس عن ذلك إلا لأن الرجل أكثر ميلا إلى استخدام القوة إن غضب، أما المرأة فتغضب من غير ضجيج، فتوهم البعض لهذا أن المرأة أقل غضبا.

كنت أتحاور يوما مع أحد الأمريكيين، فقال لى أن أحد أسباب كراهيته للإسلام أنه يجعل المرأة "ذليلة جنسيا" لزوجها. قلت له: «أنت تتكلم، وكأن الرجل سجان، يلهب ظهر زوجته بالسوط، وهي لا تملك إلا أن ترضخ خوفا من بطشه، مع أن الحقيقة أهون كثيرا من ذلك، فحياتنا مليئة بكثير من الأمثلة التي تتحمل فيها المرأة الآلام من أجل الآخرين دون شكوى، بل إنها إن اشتكت تصبح عرضة للوم من الجميع . **هب أن إحدى الأمهات آوت إلى الفراش متعبة، فاستيقظ طفلها يبكي، فهل تتجاهل بكاءه، وتتركه لتنام في غرفة أخرى في هدوء، أم تضحى براحتها من أجل إسعاده؟** وقد تحبس المرأة نفسها في المطبخ طوال اليوم من أجل إعداد وليمة لأمها وإخوتها، فهى هنا تضحي براحتها من أجل إسعاد الآخرين. وقد تجوب المرأة الشوارع على قدميها لتشترى ثوبا جديدا لابنتها كى ترتديه في حفل مدرسي. وقد تحرم المرأة نفسها من لذة الطعام حتى تبدو رشيقة وجذابة. وبالمثل من الخطأ أن ننظر إلى المرأة التى يطلبها زوجها للجماع **على أنها مظلومة. لماذا لا نقول أنها تضحي من أجل الآخرين؟ يجب أن نرى المشهد من جميع زواياه، لنكتشف أن تعب المرأة من هذا الوجه يجر نفعا عظيما، ليس فقط لأنه يشبع رغبة الزوج، ولكن لأنه أيضا يمنع الرجل من ارتكاب جريمة الزنا، وهذا هو الأهم.**

ليس من الغريب أن تضحي المرأة براحتها من أجل إسعاد الآخرين أو إسعاد نفسها. فلماذا تغضب حين نطالبها بأن تضحى بقليل من راحتها من أجل إشباع رغبة زوجها؟ وعلى أي حال، **فالجهد الذي تبذله المرأة في الجماع أقل كثيرا من الجهد الذى تبذله في التنقل بين المتاجر – وهي فى قمة السعادة– أو تبذله في صالات الرياضة (الجيم) كى تبدو رشيقة في أعين الرجال.**

وكثير من الرجال يشعرون بمرارة شديدة حين تنكب الزوجة على عمل طلب منها مديرها أن تنهيه بأقصى سرعة، فتسهر الليالي حتى تتمه على أكمل وجه. فإن احتاجها زوجها يوما لمدة نصف ساعة من أجل العلاقة الزوجية انفجرت فى وجهه، ورمته بالقسوة والظلم!

ثم إن من المعروف أن **المرأة قد تبدأ الجماع، وهى كارهة، لكنها فى النهاية تستمتع به، بل كثيرا ما تزداد متعتها على متعة الرجل**. وهذه حقيقة علمية معروفة. فالدراسات تؤكد أن الرجل لديه رغبة أكبر في الجماع Libido من المرأة، بينما تتفوق المرأة عليه فى إحساسها بلذة أكبر أثناء الجماع Orgasm. المرأة تشبه سيدة بدأت في إعداد وجبة طعام، وهي غير جائعة، فلما فرغت من إعدادها وضعت قطعة منها فى فمها، فأعجبتها، فأكلت واستمتعت. على المرأة إذن أن تجيب زوجها للفراش حتى لو كانت كارهة، لأنها بعد قليل ستتجاوب معه، وتسعد به إن شاء الله.

أخيرا يجب أن نذكر أن البرود الجنسي لدى المرأة يكون سببه فى قليل من الأحيان مرض ألم بالزوجة. وهنا يجب البحث عن علاج لهذا المرض، ويجب على الزوج الصبر على زوجته، أو اتخاذ زوجة ثانية معها.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

نشوز مقابل نشوز

كتبت يوما (مع الأسف هناك فريضة دينية محيت من ذاكرة المسلمين اسمها "طاعة المرأة لزوجها". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) ، فردت عليَّ إحداهن: (مُحِيت مع "استوصوا بالنساء خيرا" ومع "خيركم خيركم لأهله"). كان هذه السيدة تقصد أن الرجال لم يعودوا مستحقين للطاعة لأنهم لم يعودوا يحسنون معاملة نسائهم.

وهذا المنطق شديد الخطورة، لأنه يؤدي إلى انهيار سلطة الرجل داخل البيت، ويحول الأسرة إلى سفينة بلا قائد، وذلك لأن كل امرأة تعتقد أنها طيبة، وأن زوجها هو المسيء حتى لو كان كل الناس يرونه ملاكا. هذه طبيعة البشر، فأغلب الناس لا يعترفون بأخطائهم، ويلقون باللائمة دوما على الآخرين. ولئن جاز لكل امرأة غضبت من زوجها أن تعصاه لأضحت آية القوامة (آية 34 من سورة النساء) محض لغو، إذ كيف يعاقب الرجل زوجته بالهجر فى المضجع والضرب مع أن لها الحق فى أن تعصاه لكونها غاضبة منه مثلما هو غاضب منها؟ هذا إفراغ للآية من المنطق. هب أن رجلا نهى زوجته مرارا عن الإسراف، فاستمرت فى تبذيرها، واتهمته بالبخل، فهجرها فى المضجع، فغضبت منه، وقررت أن تعصاه لأنه لا يحسن إليها. فما النتيجة؟ لقد حاول الرجل علاج عصيان زوجته من خلال العقاب، فغضبت منه، وعصته. **ولو كانت معصيتها له مشروعة لكانت الشريعة متناقضة لأنها تمنح الرجل حقا، وتمنح المرأة حقا مضادا لحقه، فتكون المحصلة صفرا، بل سنرى حتما سلسلة من العقاب والنشوز، فالرجل يعاقب زوجته على نشوزها، فترد بمعصيته بسبب سوء معاملته، فيعاقبها على معصيتها، فتعصاه بسبب سوء معاملته. ما هذا الهراء؟**

ليس من حق المرأة أن تمتنع عن طاعة زوجها إن أغضبها أو تشاجر معها، فالرجل رئيس المرأة، وليس من حق المرءوس أن يعصى أوامر رئيسه إن غضب منه. على سبيل المثال ليس من حق الموظف أن يحضر إلى العمل متأخرا بحجة أن مديره خصم جزءا من راتبه دون وجه حق. وإن اجتهد الموظف فى كتابة أحد التقارير، فلم يلق من مديره شكرا على مجهوده، فليس من حق الموظف أن يهمل فى كتابة التقارير بعد ذلك. **إن منطق المعاملة بالمثل، أو معاملة الند**

للند يسري بين الأصحاب، لكنه لا ينطبق على العلاقة بين الرئيس والمرءوس. وعلى المرأة أن تفهم أن زوجها رئيس لها، وأنه لا يحق لها أن تتمرد عليه إن أغضبها كما تفعل مع صديقتها إن أخطات يوما فى حقها.

لقد شرع القرآن آليات يستخدمها الرجل لعقاب زوجته إن عصته (آية النساء 34)، لكنه لم يشرع آليات مماثلة للمرأة كى تعاقب زوجها إن غضبت منه. كل ما شرعه الإسلام للمرأة التى ترى من زوجها نشوزا أو إعراضا وسائل سلمية، تتمثل فى الصلح. ولم يحدد القرآن ما هذا الصلح، لكنه على الأرجح هدية تقدمها المرأة لزوجها أو تنازل عن بعض ممتلكاتها أو حقوقها كي ترضيه: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 128].

وتعالوا بنا إلى الحديث المشهور: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " متفق عليه. وفى هذا الحديث يخبرنا الرسول أن من عادة النساء انتقاد الأزواج، واتهامهم بسوء المعاملة. **فهل قال الرسول للنساء: "من حقكن أن تعصين أزواجكن إن أساءوا معاملتكن"؟ لا، بل بالعكس نبرة الحديث تحمل إدانة واضحة للنساء بسبب سوء ظنهن بأزواجهن. هذا الحديث يخرس لسان كل امرأة تريد إضفاء شرعية على نشوزها.**

إن المرأة مخلوق حساس، وهذا يجعلها تغضب بشدة لأتفه الأمور، وتصنع من الحبة قبة كما يقال. ولو أبيح لها أن تعصى زوجها إن كرهت منه شيئا لما هنأ زوج بطاعة. والمرأة التى تشعر أن ظلم زوجها لها فاق كل الحدود فعليها أن تشكوه لأهله وأهلها، فإن تعذر الإصلاح طلبت الخلع أو الطلاق، أما إن قبلت ببقائها كزوجة له، فليس أمامها إلا الطاعة.

وأخيرا: لماذا لا تخالف المرأة تعليمات مديرها فى العمل، وتتمرد عليه إن قسا عليها؟ طبعا لن تفعل المرأة ذلك لأنها تخشى على راتبها، أما غضب الله الذي جعل زوجها رئيسا لها، فلا شأن لها به. نسأل الله الهداية.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

تحترم مديرها ولا تحترم زوجها

قال لى يوما أحد الأجانب: "إن خضوع المرأة للرجل باعتبار أن هذا واجب من واجباتها يجعلها فى الحقيقة شيئا مملوكا له. والمرأة التى تقول رأيها، فيرفضه زوجها ليست بزوجة بل جارية". قلت له: "ولماذا لا نسمع منك كلاما مماثلا عن المرأة العاملة التى تطيع مدير الشركة التى تعمل بها طاعة عمياء، وهي مبتسمة، حتى لو لم تكن مقتنعة برأيه؟ لماذا يتم تفجير الأحقاد بين أعضاء الأسرة بالذات، بينما يبقى الوئام فى الشركات والمؤسسات الأخرى؟ هذا يجعلنا نشك فى وجود قوى تخطط لهدم الأسرة.

ما بال المرأة المعاصرة تقبل بأن يتحكم فيها رئيسها فى العمل، ويفرض عليها آراءه وقراراته دون أن تنبس ببنت شفة؟ ألا ترضخ البائعة فى المحل لصاحب المحل؟ ألا ترضخ الصحفية لتوجيهات رئيس التحرير؟ ألا ترضخ المدرسة لأوامر مدير المدرسة؟ ألا ترضخ معيدة الجامعة لتعليمات الأستاذ المشرف على الماجستير؟ وفى كل هذه الحالات لا تشكو المرأة، بل تعتبر أن السمع والطاعة من متطلبات العمل الطبيعية، وأن رفض المدير لآرائها واقتراحاتها لا يمثل إهانة لها. وبعد انتهاء العمل تعود تلكم المرأة المتحضرة إلى بيتها، فينقلب حالها رأسا على عقب، فتراها لا تطيق سماع الأوامر من زوجها، وإن لامها بكلمة ردت عليه بعشر كلمات، وإن رفع صوته صرخت فى وجهه قائلة: "أنا أعمل مثلك، وأنفق على البيت، وليس من حقك أن تأمرني بشيء".

المرأة المعاصرة ترضى أن يكون لها رئيس فى العمل، وترفض أن يكون لها رئيس فى البيت، أى أنها ترضى بالرئيس الذى عينه مجلس الإدارة، وترفض الرئيس الذى عينه الله. يا للعار! إن كثيرا من المؤمنات العابدات يسئن التعامل مع أزواجهن دون أن يشعرن أنهن يرتكبن جرما فى حق الله. **إن الواحدة منهن تظن أنها تعصى "إنسانا"، وتتشاجر مع "إنسان"، وتنتقم من "إنسان"، ولكنها فى الحقيقة تعصى "الله"، وتتشاجر مع "الله"، وتنتقم من "الله".** لا أقصد أن الرجل هو ظل الله على الأرض، أو أنه لا يخطىء أبدا، ولكن أريد أن ألفت نظر المؤمنة إلى أن نشوزها على زوجها هو نشوز على رئيس عينه الله، و أن توقير الزوج من توقير الله، وأن طاعة الزوج واجبة طالما أنه لا يأمرها بمعصية الله.

إننى أستشيط غضبا حين أجد الطبيبة فى الجامعة تقف منكسة الرأس أمام رئيس القسم، وهى تتكلم برقة، وصوت منخفض، وأدب جم، وابتسامة هادئة كى تثبت له إخلاصها وجديتها فى العمل، فإذا خرجت من مكتبه، وتلقت اتصالا هاتفيا من زوجها تبددت الابتسامة، وارتفع الصوت، وتحولت كلمة "نعم" و "تحت أمرك" –التى كانت تقولها لرئيسها– إلى "لا" و"لماذا" و"لا يمكن".

لا أحد فى العالم المعاصر – سواء أكان رجلا أو امرأة– يرى عيبا فى أن يكون خاضعا لسلطات الدولة. وإن شئنا التحدث بالأرقام فسنقول أنه فى بلد يبلغ تعداد سكانه سبعين مليونا مثلا فإنه يوجد 69 مليونا و999,999 مرءوس، ولا يوجد إلا رئيس جمهوية واحد، ومع ذلك لا يوجد لدى هؤلاء الملايين عُقد من كونهم مرءوسين. طبعا من الممكن للمواطن أن يعارض سياسات الرئيس، ويتمنى استبداله برئيس آخر، لكننا لم نر مثقفا أو عالما أو ثريا يدعو إلى إلغاء منصب رئيس الجمهورية لأن كرامته لا تقبل بتسلط أحد عليه إلا فكره وضميره. لو رأينا رجلا كهذا لرميناه بالجنون. والمرأة المعاصرة تفعل نفس الشىء حين ترفض أن يكون زوجها رئيسا لها.

عجبا للمرأة المعاصرة التى حاربت من أجل أن تتحرر من هيمنة زوجها، فكانت وسيلتها الأساسية لهذا التحرر هى الخروج من بيتها إلى العمل حتى لا تصبح فى حاجة للزوج. ولكن **الذى حدث أنها تخلصت من سلطة زوجها لتقع في أسْر عشرات الرؤساء ومئات اللوائح والقوانين التى لا ترحم**. وبدلا من أن تمد يدها إلى زوجها لتطلب نفقتها أصبحت تمد يدها إلى رئيس الشركة لتقبض راتبها. هل أرضاها هذا التحرر؟ وأى غضاضة فى أن ينفق الرجل على زوجته نظير خدمته وخدمة أولاده؟ ألا تتقاضى المرأة أجرا كل شهر من مديرها نظير خدمتها لشركته؟ لماذا هذه الحساسية المفرطة تجاه الزوج؟ كل هذا يؤكد أن الحركة النسائية ليس هدفها تحرير المرأة، بل هدم مؤسسة الأسرة، فقد تحررت المرأة من سلطة الزوج لتسقط فى أغلال أشد، وقيود أكثر.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

ماذا يفعل الرجل إن رفضت زوجته قوامته

هذا ما تجيب عنه الآية: **(وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنّ فَعِظُوهُنّ وَاهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنّ سَبِيلاً إِنّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً)** [النساء: 34]

القرآن يقدم هنا إجراءات ثلاثة يمكن للرجل أن يتخذها حيال نشوز زوجته، وهى: الموعظة، والهجر فى المضجع، والضرب.

ولكن ما معنى النشوز؟

النشوز مأخوذ من النّشْز، وهو ما ارتفع من الأرض. ويقال للمكان المرتفع من الأرض نَشْز ونَشَاز، ويقال: نَشَزَ الرجل يُنشز وينشز إذا كان قاعداً، فنهض قائماً، ومنه قوله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ انشُزُواْ فَانشُزُواْ} (المجادلة: 11). **النشوز إذن هو تعالي المرأة على الرجل**، إما لأنها متكبرة بطبعها أو مغترة بمالها أو حسبها أو علمها. وقد تستغل المرأة لين زوجها وهدوء طبعه لتتمرد عليه، وتفرض شخصيتها، وتصبح صاحبة الكلمة العليا فى البيت، حتى يقال: "البيت تحكمه امرأة". وفى كل هذه الأحوال **يشعر الرجل أنه أقل قامة من زوجته، وكأنه قزم وقف فى انكسار أمام عملاق، فلا قدرة له على أن يأمر أو ينهى أو يحاسب. وهذا هو النشوز: أن تصبح شخصية المرأة أقوى من شخصية الرجل.** وليس النشوز عصيانا لأمر معين فى وقت معين، بل حالة نفسية عامة للزوجة، تجعلها فى حالة ميل دائم للاستهانة بأوامر الزواج وعصيانه.

وقد جربت النشوز لأول مرة حين كنت طبيبا حديثا، حيث كانت الممرضات القدامى تظهرن التكبر والتعالى ظنا منهن أنهن أكثر خبرة من أى طبيب مقيم، وأنهن لسن ملزمات بتنفيذ أوامره. وفى بعض الأحيان كانت الممرضة تجاهر بالعصيان، وترفع صوتها على الأطباء بطريقة غير لائقة لأنها تعلم أنها بمأمن من العقاب بسبب تهاون رئيس القسم ومدير المستشفى. وهذا شكل من أشكال نشوز المرءوس على الرئيس. أما النشوز فى الزواج، فحدث عنه، ولا حرج.

فلنتكلم الآن عن الخيارات المتاحة أمام الزوج للتعامل مع مثل هذه المرأة.

1- الموعظة

الموعظة تعنى أن ينصح الرجل زوجته، ويذكرها بأن من الواجب عليها كمسلمة أن تطيع زوجها. وكلمة "عظوهن" تختلف عما يصدر من بعض الأزواج من إهانة للزوجة، وسبها بألفاظ يعف اللسان عن ذكرها، ومعايرتها بأنها قبيحة أو عاقر، وأنه أخطأ حين ترك زميلته الجميلة وتزوجها، وأنه لو لم يتزوجها لما اقترب منها رجل مدى الحياة، إلى آخر هذه القبائح التى تحدث بين الأزواج.

الموعظة تختلف عن كل هذا، الموعظة هى محاولة لتغيير سلوك الزوجة بالحسنى. وعلى الزوج أن يتقمص شخصية شيخ ينصح مسلما لا يصلي، إذ تراه يتكلم معه بحديث إسلامى ودود عن الله وأوامره وعقابه وثوابه ووجوب شكره. ونفس هذا الخطاب الديني هو ما يجب أن يسود بين الرجل وزوجته الناشر.

2- الهجر فى المضجع

إن رجعت الزوجة إلى الطاعة بعد الموعظة كان بها، أما إن أصرت على العناد، فللزوج أن يلجأ إلى الحل الثانى ألا وهو الهجر فى المضجع. وهنا قد يعترض البعض لأن الإسلام يبيح للرجل أن يهجر امرأته فى المضجع، بينما يُحرم على المرأة أن تهجره فى المضجع، وهذه ازدواجية فى المعايير.

الواقع أن الرجل بما أنه حاكم البيت فهو الذى له الحق فى أى يوقع العقاب على زوجته، لا العكس. **ولا أحسب أن مجتمعا من المجتمعات الحديثة أو القديمة يعطى كلا من الرئيس والمرءوس الحق فى توقيع نفس العقاب على الآخر**. يمكن للأب أن يعاقب طفله، لكن لا يمكن للطفل أن يعاقب أباه. ويمكن للشرطة أن تداهم وكرا لتاجر مخدرات، لكن ليس من حق تاجر المخدرات أن يهاجم مقر الشرطة بالسلاح. **ازدواجية المعايير تصبح أحيانا منطقية تماما**. وبالجملة لا يجوز للمرءوس أن يعاقب الرئيس بنفسه إلا إذا شكى لرئيس هذا الرئيس. وليس للمرأة أن تعاقب زوجها إلا إذا شكته للقاضي ليعاقبه القاضي.

ولو أعطى الله تعالى المرأة حق هجر زوجها فى المضجع لكان هذا انتقاصا خطيرا من سلطة الرجل، إذ سيكون عليه أن يفكر مليا قبل أن يصدر قرارا لا ترضى عنه زوجته، فيصبح رئيسا بالإسم فقط بعد أن سُلب منه باليسار ما مُنح له باليمين، وهذا تخبط.

كما أن المرأة بشكل عام أقل ميلا للجماع من الرجل كما قلنا. ولو أعطى الإسلام المرأة الحق فى هجر زوجها لأفرطت فى استخدام هذا الحق بصورة غير مبررة لأن كثرة الجماع ليست على هواها، أما الرجل فلن يهجر زوجته إلا إذا فعلت خطأ كبيرا. **وهكذا جعل الله تعالى العقاب بِيد من لا يميل إلى الإفراط في استخدامه، فسبحان من كان أدرى بطبائع النفوس.**

وبعد ذلك يأتى الحل الأخير الذى شرعه الإسلام للرجل الذى يخاف من نشوز زوجته ألا وهو "الضرب".

3- الضرب

الحل الثالث الذي قدمه الإسلام لنشوز المرأة هو الضرب. وقد أثار الضرب عاصفة من الهجوم على الإسلام في العالم الذى يسمي نفسه متحضرا. وإن كان رفض الكفار لشريعة الإسلام مصيبة، فالمصيبة الأعظم أن المسلمين أصبحوا يعتقدون بالمثل أن ضرب الرجل لزوجته جريمة حتى لو كان الضرب خفيفا ومبررا. وهنا لا بد من وقفة طويلة.

إن من غير الممكن لمسلم أن يسمح بإيقاف عمل نص أنزله الله تعالى مهما بدا له الأمر هينا، فما جاء من الله ليس كما جاء من الناس. يمكن للموظف أن يتجاهل قول مديره إن أمره بالحضور كل يوم فى التاسعة صباحا بالضبط، لكن لو زار رئيس الجمهورية مقر عمل هذا الموظف، وأمر بألا يتأخر الموظفون عن الموعد المحدد، فهل سيتعامل مع أمر رئيس الجمهورية بنفس الاستخفاف؟ قطعا لا. ولهذا **نحن نتمسك بكل نص ورد فى القرآن مهما بدا صغيرا، فالصغير يكبر كلما كبر قائله، وكل ما أتى من الله فهو عندنا عظيم.**

ضرب الزوجة ليس من الهمجية

شاع فى هذا الزمان وصف الشيء بأنه إما حضاري أو همجي متخلف. وهذه مهزلة فكرية، فالشيء الحضارى هو الشيء الذي اعتبرته الحضارة الغربية الحديثة من الفضائل، والشيء المتخلف هو ما اعتبرته تلك الحضارة من الرذائل. ولا شك أن **من الوقاحة أن يرضى المسلم بأن يحدد له الغرب ما هو حق وما هو باطل، فهذه مهمة العقل والدين، وما الغرب بأكثر تقدما منا فى هذين الأمرين. ولو تقبلنا كل ما يأتينا من الغرب لوقعنا فى أمور شنيعة**. ألا تري كيف يقوم الاقتصاد فى الحضارة الحديثة على الربا الذي يمتص دماء الفقراء؟ ألا ترى كيف سمحت القوانين فى الغرب بأن يتزوج الرجل من الرجل وتتزوج المرأة من المرأة ؟ ألا ترى كيف يهمل الأبناء فى الغرب آباءهم، ويتركونهم فى دور المسنين إذا كبروا دون أن يلومهم أحد؟ ألا تشعر بالاشمئزاز حين ترى النساء فى الغرب يحجمن عن الحمل والإنجاب، ويشبعن عاطفة الأمومة من خلال تبنى الأطفال أو تربية القطط والكلاب؟ أليس من العار أن يعتبر الناس فى الغرب الاهتمام بالحيوانات من أعظم الفضائل، وفى نفس الوقت يتركون البشر يموتون جوعا بالملايين فى الدول الفقيرة؟ وعلى ذلك **فلا وزن لقول قائل أن ضرب الزوجة عمل غير حضارى، فالحضارة الغربية لا وزن لها فى ميزان العقل والدين.** وأصحاب الجرأة الأكبر يصفون ضرب الزوجة بأنه عمل همجي. و"الهمج" كلمة تطلق على الحمقى والرَعاعِ من الناس[102]، وشاع استخدامها كنقيض لما هو حضاري، أي كنقيض لما تؤمن به الحضارة الغربية.

وسنقوم فيما يلي بفحص مسألة ضرب الزوجة، ونضعها **فى ميزان العقل والشرع، وليس فى ميزان هوى رجل الشارع الغربي**، لنرى هل الضرب حق أم باطل؟ فضيلة رذيلة؟ همجية أم حضارة؟ وسنثبت بإذن الله أن ضرب الزوجة فى الإسلام لا يمكن أن يكون عملا همجيا، فابقوا معنا:

1- الضرب المبرح ممنوع

صدمت ذات مرة حين نشر أحد الأجانب على الفيسبوك صورة يدوية (كاريكاتورية) لامرأة تجرى، وعلى جسدها آثار جلد بالسياط، وعبارة تقول: "محمد يتكلم" Muhammad speaks، والمعنى

102) الهمج فى الأصل جمع همجة، وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعيُنِها . انظر معجم الصحاح.

أن شريعة محمد تسمح بتعذيب النساء بوحشية. على الفور قمت بالرد عليه، وكان أول ما ذكرته ذلك الحديث الذى يمثل النقيض الكامل للصورة: «**لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ**» رواه البخارى. وفى لفظ البيهقى لنفس الحديث: " **أَيَضْرِبُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ كَمَا يَضْرِبُ الْعَبْدَ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ** " ولفظ ابن حبان: "**عَلَامَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فى آخر اليوم**". والرسول صلى الله عليه وسلم هنا يشبه ضرب الزوجة ضربا مبرحا بمن يضرب العبد، وهذا على النقيض تماما مما يروج له أعداءالإسلام في الغرب.

إن الضرب الذى أباحه الإسلام هو الضرب غير المُبَرِّح (بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الباء وَكَسْرِ الرَّاءِ)، أي الضرب الذى لا يؤدى إلى إصابات أو كسور أو ألم شديد جدا، ففى حجة الوداع قال الرسول عليه الصلاة والسلام عن النساء: «**وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ**» رواه مسلم.

يقول النووي في شرح هذا الحديث: "وأما الضَّرْبُ الْمُبَرِّحُ فَهُوَ الضَّرْبُ الشَّدِيدُ الشَّاقُّ وَمَعْنَاهُ اضربوهن ضربا ليس بشديد ولا شاق. والبرح المشقة والمبرح بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ ضَرْبِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ لِلتَّأْدِيبِ"[103].

ووطء الفراش في الحديث السابق لا يقصد به الزنا[104]. وَالْمُخْتَارُ – كما يقول النووى– "أَنَّ مَعْنَاهُ أَنْ لَا يَأْذَنَّ لِأَحَدٍ تَكْرَهُونَهُ فِي دُخُولِ بُيُوتِكُمْ وَالْجُلُوسِ فِي مَنَازِلِكُمْ سَوَاءٌ كَانَ الْمَأْذُونُ لَهُ رَجُلًا أَجْنَبِيًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَحَدًا مِنْ مَحَارِمِ الزَّوْجَةِ فَالنَّهْيُ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ ذَلِكَ وَهَذَا حُكْمُ الْمَسْأَلَةِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ أَنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَأْذَنَ لِرَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ وَلَا مَحْرَمٍ وَلَا غَيْرِهِ فِي دُخُولِ مَنْزِلِ الزَّوْجِ إِلَّا مَنْ عَلِمَتْ أَوْ ظَنَّتْ أَنَّ الزَّوْجَ لَا يَكْرَهُهُ"[105،106].

---

[103]) **"المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"** (8/ 183). تأليف محيى الدين يحيى بن شرف النووى. دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الثانية، 1392 هجرية.

[104]) قَالَ الْمَازِرِيُّ: "قِيلَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنْ لَا يَسْتَخْلِينَ بِالرِّجَالِ وَلَمْ يُرِدْ زِنَاهَا لِأَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ جَلْدَهَا وَلِأَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ مَعَ مَنْ يَكْرَهُهُ الزَّوْجُ وَمَنْ لَا يَكْرَهُهُ وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ حَدِيثَ الرِّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عيبا ولا رِيبَةً عِنْدَهُمْ فَلَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ نُهُوا عَنْ ذَلِكَ". انظر: **"المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"** (8/ 183) للنووي.

[105]) **"المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"** (8/ 183) للنووى

[106]) روى الترمذى هذا الحديث بعبارات يشوبها الغموض (ربما لسوء حفظ الرواة) ، لكنها يجب أن تفهم بشكل كلى كما فهمت رواية مسلم، قال الترمذي: (ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن). قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ومعنى قوله عوان عندكم يعني أسرى في أيديكم.

إذن الإسلام لا يأمر بالوحشية على الإطلاق، وكل ما هنالك عقاب للزوجة، لا قسوة فيه. ومع الأسف من المسلمين اليوم من يريدون ألا يكون هناك أى عقاب للزوجة حتى لو كان خفيفا. وهذا عبث.

2- <u>الضرب على الوجه ممنوع</u>

اشترط الإسلام على الرجل الذى يضرب زوجته ألا يكون ضربه مصحوبا بإهانة. والإهانة قد تأتى من الضرب على الوجه الذى هو أكرم جزء فى جسد الإنسان. كما أن آثار الضرب إن ظهرت على وجه المرأة رآها الناس، فتسبب لها هذا فى إحراج شديد، وبدلا من أن يكون الضرب مسألة خفية بين المرأة وزوجها، لا يعلمها أحد سواهما، فإنه يصبح مسألة مفضوحة على الملأ. ولهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الضرب على الوجه، فقال فى الحديث الصحيح : "**حَقُّ المَرْأَة عَلَى الزَّوْجِ: أَنْ يُطعمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَيَكْسُوَها إِذَا اكْتسَى، وَلَا يَضْرِبِ الوَجْهَ؛ وَلَا يُقبِّحْ وَلَا يَهْجُر إِلَّا فِى البَيْتِ**"[107]. وكلمة "يقبح" فى هذا الحديث تنهى عن رمى المرأة بالكلام القبيح من سب وشتم وكلام جارح كما يفعل كثير من الأزواج.

3- <u>لا ضرب للزوجة الصالحة</u>

علينا أن نلاحظ شيئا فى غاية الأهمية، وهو أن آية النساء 34 تقول: "**واللاتى تخافون نشوزهن**"، **وليس "واللاتى يعصينكم". إن من الممكن للمرأة أن تعصى زوجها دون أن يسمى هذا نشوزا،** وذلك لأن النشوز –كما قلنا– هو حالة عامة من التعالي والتمرد، أى حالة يتمكن فيها العصيان من المرأة، وتصبح هى الشخصية الأقوى فى البيت، حتى يجد الرجل مشقة شديدة كلما وجه إليها أمرا لأنه يعرف مقدما أنها ستقاوم وتعاند. على سبيل المثال هناك امرأة طلب منها زوجها أن تصنع الشاي، فلم تطعه لأنها انشغلت بأعمال أخرى فى البيت، بينما امتنعت زوجة أخرى عن

---

[107]) قال الحاكم فى المستدرك: صحيح، وأقره الذهبى. ورواه أَبو داود وابن ماجة في "النكاح" والنسائى في "عشرة النساء" ، وصححه الدارقطنى في "العلل" وعلقه البخارى، وممن عزاه لأبى داود، النووى وغيره. انظر: **جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»** (4/ 622). تأليف جلال الدين السيوطي. تحقيق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر. الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة - مصر. الطبعة الثانية. 1426 هـ - 2005 م

عمل الشاي لأنها لا تُكن لزوجها احتراما، وتستهين بأوامره. كلا الزوجتين عصت زوجها، لكن الثانية وحدها هي التى يجوز القول أنها ناشز.

ونستنتج من هذا شيئا مهما هو أن **على الرجل أن يتجنب عقاب الزوجة الطيبة الهادئة إن عصته فى مرة من المرات، فلا بد لكل إنسان من هفوة. ومثل هذه المرأة الطيبة لن تتمادى فى الخطأ إن امتنع زوجها عن عقابها، خلافا للمرأة الخبيثة التى إن امتنع زوجها عن عقابها فهمت أنه رجل ضعيف**، وتمادت فى تمردها، وسعت لفرض سيطرتها عليه بدرجة أكبر، حتى تصبح فى النهاية هى الحاكم الفعلى للبيت.

الآية تتكلم أساسا عن هذا النوع اللئيم من النساء الذى يُخشى منه النشوز، والذى ينطبق عليه المثل القائل: "الوقاية خير من العلاج"، فيصبح من واجب الرجل ألا ينتظر حتى يقع النشوز، بل يعاقب المرأة قبل أن يتمكن منها النشوز، ويتضخم، ويستفحل شره. وهذا هو مدلول "واللاتى تخافون نشوزهن".

الآية تقدم فلسفة جديدة للعقاب، فعقاب المرأة يجب ألا يكون كرد فعل على كل خطأ تقع فيه، بل يجب اللجوء إليه فقط إن خاف الزوج من تمادي المرأة فى العصيان، وتحوله إلى صفة ملازمة لها. **وهكذا نجد أن لفظ الآية يوجب على الرجال أن يصفحوا عن كثير من أخطاء زوجاتهم.**

4- الضرب آخر الحلول

ليس من الحكمة فى أغلب الأحوال أن يكون الضرب أول شيء يلجأ إليه الرجل، بل يفضل أن يأتى بعد أن تخفق النصيحة، ويخفق الهجر فى المضجع، وهذا ما يفهم من صياغة الآية التى رتبت خيارات الزوج كما يلى: **(**فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن**)**. **إن تقديم كلمة ما يدل على أن لها أهمية أكبر، أى أن الإسلام يعتبر الموعظة أهم من الهجر فى المضجع، والهجر فى المضجع أهم من الضرب.**

ومع ذلك علينا أن نلاحظ أن القرآن لم يصغ الآية على النحو التالي: **(واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن، فإن لم يستجبن فاهجروهن فى المضاجع، فإن لم يستجبن فاضربوهن)**. ولو قال القرآن

هذا لكان معناه أن الأشكال الثلاثة للعقاب يشترط أن تكون متوالية، واحدة وراء الأخرى دون إخلال بالترتيب.

إذن صياغة الآية تفيد أن الضرب "**يفضل**" **أن يكون آخر الحلول. ومع ذلك فهذا ليس** "**فرضا**"، **ولكنه فقط** "**مستحب**".

إن الله تعالى هو خالق البشر، ويعلم جيدا خبايا نفوسهم، ولهذا ترك المسألة لتقدير الزوج حسب الموقف. وفى بعض الأحيان يكون الحل الوحيد هو الضرب الفورى للزوجة دون البدء بالموعظة أو الهجر فى المضجع. أذكر أننى حضرت ذات مرة اجتماعا عائليا للصلح بين امرأة وزوجة ابنها، ولما احتدم النقاش أخذت الزوجة تكيل السباب لحماتها، وتقول لزوجها: أمك صفتها كذا وكذا وكذا، فسكتت الأم، لكن الزوجة واصلت الهجوم، فنهرها الزوج، فلم تسكت، فانهال عليها ضربا حتى سكتت. لقد كان المطلوب من الرجل فى هذا الموقف أن يمنع إهانة أمه، ويوقف فحش زوجته بأى ثمن، وبالطبع لم يكن ينفع فى هذه الحالة الهجر فى المضجع. وفى بعض الأحيان يعلم الرجل أن زوجته قليلة الإيمان، قاسية القلب، ولا يهتز وجدانها لكلمات الموعظة، ولا ينفع معها إلا الشدة، فهنا يجوز له أن يبدأ بالحل الأكثر عنفا، فهى كما يقول المثل "تخاف ولا تخجل".

ونحن لا نوافق على ما قاله الطبرى حين فهم من قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "**اضربوهن إذا عصينكم في المعروف**"[108] أنه يدل دلالة بينة على أن الإسلام " لم يبح للرجل ضرب زوجته إلا بعد عظتها من نشوزها، وذلك أنه لا تكون له عاصية إلا وقد تقدم منه لها أمر أو عظة بالمعروف على ما أمر الله تعالى ذكره به". لقد خلط الطبرى بين "الأمر" و "الموعظة" ؛ فمن الممكن للرجل أن يأمر زوجته بألا تخرج من البيت، فتعصاه، فيضربها على الفور. هذا ضرب سبقه "أمر"، لكن لم يسبقه موعظة، فكثيرا ما يصدر الرجال الأوامر دون موعظة، فالموعظة معناها حث المرأة على طاعة زوجها من خلال تذكيرها بالله وجنته وناره كى يرق قلبها، ويتغير سلوكها، وهذا شىء لا يفعله كثير من الرجال. وحديث الرسول الأخير لا يتكلم عن الموعظة، بل عن عصيان الأمر، وبالتالى كيف يقول الطبرى رحمه الله أن الحديث يجعل الضرب خطوة تالية

---

[108]) قال الطبرى فى تفسيره (8/ 311): حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ: ثنا حَبَّانُ ، قَالَ: ثنا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ بِشْرٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرِمَةَ ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ} [النساء: 34] ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اضْرِبُوهُنَّ إِذَا عَصَيْنَكُمْ فِي الْمَعْرُوفِ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ**».

للموعظة. هذه نتيجة لا يمكن استخراجها من نص الحديث المذكور. كما أن فهم الطبرى لهذا الحديث لا يتفق مع صياغة الآية القرآنية كما أوضحنا منذ قليل.

5- <u>لا رئيس بلا عقاب</u>

هل يمكن اتهام رئيس دولة ديمقراطية كألمانيا بأنه غير متحضر لأنه شرطته تلقي باللصوص فى السجون، وتحرمهم من الاستمتاع بالحياة؟ قطعا لا لأن الرئيس الذي لا يعاقب أحدا ستكون بلده مرتعا للفوضى.

وبالمثل نقول أن الأسرة فى الإسلام لها رئيس هو الرجل، ومن حق الرئيس أن يعاقب المرءوس إن أخطأ، واللوم يقع على الزوجة التى أخطأت، وليس على زوجها الذي حاول ردها إلى الجادة. والرئيس الذى لا يملك عقاب مرءوسيه ليس رئيسا بل "خيال مآته" كما يقول المصريون.

6- <u>الله أكبر من الظالم</u>

ألا يلحظ أعداء الإسلام كيف ختمت آية القوامة (التى منحت للرجل حق ضرب زوجته) بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا): {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا } [النساء: 34]؟ إن هذه الجملة الأخيرة تُذكر الزوج الذى يضطهد زوجته ويضربها ظلما بأن الله تعالى أعلى منه وأكبر، وأنه سينتقم منه فى الدنيا والآخرة.

يقول الطبرى فى تفسير الآية: [إِنَّ اللَّهَ ذُو عُلُوٍّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا تَبْغُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَى أَزْوَاجِكُمْ إِذَا أَطَعْنَكُمْ فِيمَا أَلْزَمَهُنَّ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ حَقٍّ سَبِيلًا لِعُلُوِّ أَيْدِيكُمْ عَلَى أَيْدِيهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَى مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْلَى مِنْكُمْ عَلَيْهِنَّ، وَأَكْبَرُ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتُمْ فِي يَدِهِ وَقَبْضَتِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَظْلِمُوهُنَّ وتَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا وَهُنَّ لَكُمْ مُطِيعَاتٌ، فَيَنْتَصِرُ لَهُنَّ مِنْكُمْ رَبُّكُمُ الَّذِي هُوَ أَعْلَى مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَكْبَرُ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ].

أيقال عن مثل هذا الدين أنه اضطهد المرأة؟

7-<u>الضرب ليس الحل الوحيد</u>

علينا أن نلاحظ أن الضرب ليس الوسيلة الوحيدة التى شرعها الله تعالى للتعامل مع الزوجة التى يُخشى نشوزها، فهو مجرد حل من ثلاثة حلول. لو كان الإسلام دينا وحشيا لأمر الرجل بضرب زوجته فى كل الأحوال، ولنبذ الموعظة والهجر فى المضجع، كما يفعل الطغاة الذين لا يعرفون إلا الحديد والنار، ولا يتركون مساحة للحلول السلمية الهادئة.

إن بعض الناس لا يتفاهمون إلا بالسوط، ويعتبرون أن أى حلول أخرى غير البطش ليست إلا مضيعة للوقت. والإسلام لا يتفق مع هؤلاء.

8-<u>الإسلام يدعو لحسن الخلق</u>

بعض من لا يعرفون الإسلام يظنون أن الزوج المسلم شخص دموى غليظ، إن قالت له زوجته: "صباح الخير" رد قائلا: "أتقولين صباح الخير؟"، ثم يلطمها على وجهها، ويبدأ فى صلاة الصبح تقربا إلى الله! هذا الوهم كامن بدرجات متفاوتة فى عقول الكثيرين. **إن الرجل المسلم إن اتبع تعاليم دينه لما ضرب زوجته إلا فى أحوال قليلة أو نادرة** ، ففى الإسلام حرص شديد على إصلاح العلاقات ونشر الوئام بين الناس. وسنعرض فيما يلى لبعض هذه المبادىء.

- **حث الله تعالى المسلم على أن يعفو ويصفح:** (وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنّهُ لاَ يُحِبّ الظّالِمِينَ) [الشورى – 40]. وقال تعالى أيضا: (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) [الشورى – 43] . وقد بشر الله تعالى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس بالمغفرة وبجنة عرضها السماوات والأرض، وأكد أنه تعالى يحب المحسنين الذين يعفون عمن أساء إليهم: (وَسَارِعُوَاْ إِلَىَ مَغْفِرَةٍ مّن رّبّكُمْ وَجَنّةٍ عَرْضُهَا السّمَاوَاتُ وَالأرْضُ أُعِدّتْ لِلْمُتّقِينَ. الّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السّرّآءِ وَالضّرّآءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النّاسِ وَاللّهُ يُحِبّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران –133– 134]. وقالى تعالى أيضا: (وَالّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ) [الشورى – 37].

وإن طبق الرجل دعوة القرآن للعفو والمغفرة على زوجته فلن يسارع إلى ضربها كلما صدر منها خطأ، بل سيصفح عن الكثير من توافه الأمور. والواقع أن كثيرا من الخلافات التى تحدث

بين الأزواج تكون بسبب أخطاء تافهة، فمثلا قد يطلب الرجل من زوجته أن تكوى ثوبه، ولما يعود إلى البيت يجد أنها لم تكويه، فتتعلل بأنها كانت مشغولة بأعمال البيت، بينما يرى هو أن مشاغلها لم تكن كبيرة، فيثور، ويضربها. لكنه إن عفا عنها طلبا للثواب من الله، فسيخمد نارا كان من الممكن أن تشتعل من مستصغر الشرر. وفى أحيان كثيرة تشعر الزوجة بالامتنان لزوجها بعد أن تنازل عن حقه، فينقلب الشجار إلى ود، وفى هذا المعنى قال تعالى: (وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السّيّئَةُ ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنّهُ وَلِيّ حَمِيمٌ) [فصلت – 34].

- **ينهى الإسلام عن إساءة الظن بالآخرين** ، ولهذا فمن الخطأ أن يسارع الرجل إلى إساءة الظن بزوجته، واتهامها بتعمد ارتكاب الأخطاء، بل عليه أن يلتمس لها الأعذار، ويستمع لمبرراتها، فالله تعالى يقول: (يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مّنَ الظّنّ إِنّ بَعْضَ الظّنّ إِثْمٌ) [الحجرات – الأية: 12]. مثلا قد يطلب الرجل من زوجته أن تصحبه لزيارة أمه، فتقول: " ليس اليوم لأن عمل البيت أنهكنى"، فيغضب، ويقول لها: " إننى أعلم جيدا أنك لست متعبة، وأنك فى الحقيقة لا تحبين أمى". ولكن لو تذكر الرجل قول الله عز وجل بأن بعض الظن إثم لَمَرت المسألة بسلام . لكن ليس معنى ذلك أن يصبح الرجل كالأبله بحيث يرى نفس الخطأ يتكرر كثيرا من زوجته وبنفس الحجج الواهية فيقول: "سأحسن الظن بها"، فمثلا إن قالت الزوجة أنها متعبة فى كل مرة يطلب منها أن ترتب مكتبه وأوراقه، فإن من الصعب على عقله أن يستسيغ أن التعب يحضر فقط حين يطلب منها أن ترتب المكتب، بينما يزول كل تعب وهى تقضى الوقت بالساعات سيرا فى الشوارع من أجل التسوق غير المفيد. يمكننا أن نقول إذن أن "بعض الظن إثم، وبعض الظن حق". وعلى كل رجل أن يسأل نفسه: كم مرة أحسنت الظن بزوجتى والتمست لها الأعذار؟ فإن وجد أنه لم يحسن الظن بها أبدا فهو لا يلتزم بتعاليم الإسلام. وإحسان الظن بين الزوجين ضروري على وجه الخصوص إن كان الزوجان على خلق، فأشد ما يحزن المرء أن يرى زوجا صالحا وزوجة صالحة، وبينهما شك مريب. وإن سأل أحدهما نفسه: هل زوجى على الإجمال إنسان متدين صالح؟ وكانت الإجابة بالإيجاب، فعليه أن يتخذ قرارا بإحسان الظن به بدرجة أكبر. ولا شك أن انخفاض مستوى سوء الظن بين الأزواج سيؤدي إلى تراجع معدلات ضرب الزوجات بشكل كبير.

- **يجب أن يعلم الزوج أن الكمال لله وحده وأنه لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ**، فنحن بشر، ومن يتوقع من زوجته أن تكون ملاكا فهو واهم. على الرجل أن يتقبل عيوب زوجته ، ويتعايش معها، وعلى المرأة أن تتقبل عيوب زوجها، وتتعايش معها. مثلا إن وُجدت زوجة جميلة ومتدينة وعلى خلق، ولا تسبب المشاكل لزوجها مع الناس، ولا تحقد على أقاربه، وتحب الخير للآخرين، ولكن بها عيب واحد هو أنها ميالة للاكتئاب، فمن الأفضل للرجل أن يتغاضى عن هذا العيب، لأن مزايا الزوجة أكبر من عيوبها. وطبعا لا يعنى هذا أن يكف كل من الزوجين عن مطالبة الآخر بإصلاح عيوبه. وإن نظر الرجل إلى أخطاء زوجته على أنها شيء لا ينفك عن الطبيعة البشرية فسيتهمل كثيرا قبل أن يمد يده ليضربها.

- **من أكثر الأشياء التى حذر منها الله تعالى فساد العلاقة بين المسلم وأخيه المسلم.** ورغم ذلك ترى المسلمين اليوم يستأسدون على بعضهم البعض، وفى نفس الوقت يتسامحون مع أعدائهم. يجب أن يكون المسلم ذليلا للمسلم، وعزيزا على الكافر: "(يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبّهُمْ وَيُحِبّونَهُ أَذِلّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة – 54]. وعلى الرجل إذن أن ينظر إلى زوجته على أنها إنسان مسلم، يستحق اللين وحسن المعاملة، عملا بقوله عز وجل: " (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الشعراء – 215].

وقد حثنا الله تعالى فى أكثر من موقف على الإصلاح بين المسلمين فقال: (وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا) [الحجرات – 9] ، وقال أيضا: (لاّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مّن نّجْوَاهُمْ إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَآءَ مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) [النساء – 114] ، وقال كذلك: (فَاتّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ) [الأنفال – الأية: 1] وقال: (وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوَاْ إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ) [الأنفال – 46]

- **يدعو الإسلام إلى الرحمة، وهذه الرحمة تشمل حتى الكافر الذي وقع فى الأسر، وهو يحاول سفك دماء المسلمين:** (وَيُطْعِمُونَ الطّعَامَ عَلَىَ حُبّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ

اللّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلاَ شُكُوراً) [الإنسان – 8-9]. وعلى الرجل أن يسأل نفسه: **أليست زوجتى أولى بالرحمة من الأسير الكافر؟** ومَن المخاطَب بقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لّتَسْكُنُوَاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مّوَدّةً وَرَحْمَةً إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ) [الروم: 21]؟ ومَن الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ؟"[109]

- **فى الإسلام تجب الرحمة حتى بالحيوان** ؛ ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: "عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض" متفق عليه. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» **فعلى كل مسلم أن يسأل نفسه: أوليست زوجتى أولى بالرحمة من هذا الحيوان؟** هذا سيؤدى حتما إلى انخفاض معدلات ضرب الزوجات؟

- **قد يجد الرجل أن زوجته كبرت، وفقدت رونقها، وزال جمالها،** وأصبح يشعر بالغيظ لبقائها معه رغم أن الممكن أن يطلقها، ويتزوج بغيرها من الجميلات، فيتجه إلى إساءة معاملتها، وضربها لأهون الأسباب. هؤلاء الأزواج قال لهم الله تعالى فى آية رائعة: (وَعَاشِرُوهُنّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنّ فَعَسَىَ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) [النساء – 19]. وفى هذه الآية الأخيرة يحث الله تعالى الرجل الذى يكره زوجته على ألا يطلقها، فربما يرزقه الله بخير كثير من جهتها، كأن ترعاه فى مرضه، أو تتحمله فى شيخوخته، أو تسانده إن ألمت به مصيبه، أو تتمسك به إن خسر ماله، أو تحسن تربية أولاده، فيجلبون له السعادة.

خبرونى **أى دين غير الإسلام عطف بهذا الشكل على المرأة القبيحة؟** إن كل الرجال يعاملون المرأة الجميلة برفق وعطف ومودة، لكن الإسلام يقدم نفس المعاملة الكريمة للمرأة القبيحة، وهذه هى الرحمة الخالصة التى لا تشوبها شائبة.

---

[109]) رواه مسلم.

- حث الإسلام على الإحسان إلى الجار، فقال عز وجل: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} [النساء: 36]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِي جَارَهُ» متفق عليه. **وعلى كل رجل أن يعلم أن زوجته هي أقرب جيرانه لأنها تقيم معه فى نفس البيت.** وزوجتك بالمثل أقرب إليك من صديقك فى العمل الذى أسمته الآية السابقة "الصاحب بالجنب". وزوجتك هى أم ابنك، أى أن لها صلة رحم غير مباشرة بك. والإحسان يجب أن يكون أكبر مع الأقرب، وفى هذا قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: 215]. وفى هذه الآية الأخيرة نجد القرآن يقدم كلمة (الأقربين) على اليتامى والمساكين، وهذا يعنى أن الأقربين أولى بالمعروف. ولاحظ أيضا أن الآية قالت: "الأقربين"، وليس "القريبين" أو "الأقارب". إن "الأقربين" اسم تفضيل، بمعنى الأكثر قربا، أى أن الأكثر قربا أولى بالمعروف، وهذا يصب فى مصلحة الزوجة. وبالمثل كثيرا ما تنظر الزوجة إلى حماتها على أنها ليست من أقاربها مع أنها بينهما صلة رحم غير مباشرة، فأولاد الزوجة هم أحفاد الحماة. ومن العار على الرجل أن يكون محسنا لأصدقائه وزملائه فى العمل، ومسيئا لزوجته، فليحاول الرجل بقدر الإمكان أن يجعل تعامله مع زوجته أفضل من تعامله مع أصدقائه أو على الأقل مساويا له. ومع الأسف كثير من الأزواج والزوجات يكونون فى غاية الرقة حين يتعاملون مع الغرباء، حتى إذا عادوا إلى البيت ظهر الوجه الآخر لهم، وانقلبوا عتاة جبابرة.

- الزوجة هى الأخرى مطالبة بالتعامل مع زوجها بنفس الأخلاق التى تحدثنا عنها، وذلك كفيل بتقليل الصراع والتحدى، وما ينشأ عن ذلك من رد فعل عنيف كالضرب.

هناك إذن أخلاق إسلامية إن راعاها الأزواج لقللت بشدة من اندفاعهم إلى ضرب زوجاتهم، لكن هذا لا يعنى أن ضرب الزوجة حرام، ولكن المقصود ألا يُفْرط الرجل فى استخدام هذا الحق إلا إذا لم يجد أمامه سبيلا آخر.

ولنعلم أن الحق ليس دائما إما أبيض وإما أسود ، ولكنه فى بعض الأحيان يكون رماديا. إن الإسلام يسير مع العقل، والعقل يقضي بأن **الرحمة مطلوبة، والعقاب أيضا مطلوب، فحياة بلا رحمة جحيم، وحياة بلا عقاب ستكون أيضا جحيما،** لأنها ستؤدى إلى شيوع الرذائل، وقوة الباطل.

9- الطلاق يقلل الضرب

شريعة الطلاق فى الإسلام تزيل أحد أهم أسباب ضرب الزوجات بشكل متكرر. فمن رحمة الله عز وجل أن شرع الطلاق. ولو حرَّم الإسلام الطلاق كما تفعل المسيحية لاضطر الرجل إلى العيش مع زوجة يكرهها، فلا يكون أمامه وسيلة ينفث بها عن غيظه إلا أن يسيء معاملتها ويضربها. وعلى ذلك فإن لم يقدر الزوج على العيش مع زوجته بالمعروف فعليه أن يفارقها بسلام دون مشاكل، طبقا لقوله تعالى: (الطّلاَقُ مَرّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) [البقرة – 229]

10- انظر للجريمة قبل أن تنظر للعقاب

العمل الوحشى فى نظر الحضارة الحديثة هو العمل الشديد العنف. وقد وصف بذلك تشبيها له بعنف الوحوش التى لا تعرف الرحمة. **ونحن نرى أن شدة العنف فى ذاتها ليست خطأ طالما أن العنف جاء كرد فعل لجريمة، وطالما أن شدته كانت متناسبة مع الجريمة.** مثلا إعدام جاسوس سرب أسرار دولته لدولة معادية ليس إفراطا فى العنف. وتدور الآن حرب طاحنة بين روسيا وأوكرانيا فى عام 2022م. وقد قامت الدول المتحضرة (أمريكا وأوروبا) بدعم أوكرانيا وتسليحها، وهذا يعنى أن العالم المتحضر يستخدم العنف المفرط لقتل الروس بالطائرات والدبابات والصواريخ. والطائرة إن استهدفت جنودا من الروس فإنها تمزق أجسادهم، وتحولها إلى أشلاء متناثرة، يستحيل جمعها، وهذا عنف مفرط لكن لم يصفه أحد فى أوروبا وأمريكا بالوحشية. لماذا؟ لأنه جاء كرد فعل على عدوان روسيا على بلد مستقل، وكان متناسبا مع العنف الروسي.

ومن الوقاحة أن نذرف الدمع على مجرم، حكم عليه بالإعدام لأنه اغتصب امرأة، وقتلها، ثم مزق جسدها. ومن الوقاحة أن ترق قلوبنا لموظف، بكى أولاده حين حكم عليه بالسجن إذا علمنا أن هذا

الموظف كان يسرق التبرعات المخصصة لمرضى السرطان الفقراء. وبالمثل **قبل أن تلوم زوجا ضرب زوجته، فاسأل نفسك: هل ضربها لسبب مشروع أم لا؟**

لقد نهى الإسلام الرجل عن التضييق على زوجته لأسباب غير مشروعة، وهذا يعنى بالضرورة أن ضربها لهذه الأسباب غير مشروع. ومن قبيل ذلك محاولة الرجل سلب مالها خاصة المهر الذى سبق أن أعطاه لها. قال تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مّبِيناً. وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىَ بَعْضُكُمْ إِلَىَ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مّيثَاقاً غَلِيظاً) [النساء: 20–21]. وقال تعالى أيضا: (يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النّسَآءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ آتَيْتُمُوهُنّ إِلاّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مّبَيّنَةٍ) [النساء: 19]. وقال كذلك: (الطّلاَقُ مَرّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمّآ آتَيْتُمُوهُنّ شَيْئاً إِلاّ أَن يَخَافَآ أَلاّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ) [البقرة: 229].

على الزوج أن يسأل نفسه: هل ضربتُ زوجتى لأنها عصتني فى معروف أم فى منكر؟ فإن ضربها مثلا لأنها تشجع ابنتها على الخروج إلى الشارع بملابس غير لائقة، فهو على حق. أما إن ضربها لأنها غير راضية عن إدمانه للمخدرات أو قبوله للرشوة، فهو آثم بلا شك.

إن الرجل راع ومسئول عن رعيته كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذا فعليه تأديب زوجته، وضبط سلوكها لأنه قائد السفينة. **والرجل الذي يرى من زوجته إثما، فلا يهتم بتقويمه فهو مقصر فى حق الله.** هب أن رجلا شاهد زوجته، وهي تسب جارتها، وتقول لها كلاما فاحشا، فهل يتركها، ويدخل البيت حتى لا يقال أنه مارس العنف ضد زوجته، أم ينهرها، ويضربها إن لزم الأمر حتى لا تؤذي الجارة البريئة؟ إن من الوقاحة فى هذه الحالة أن نبكى على ضرب الزوجة، ولا نبكي على إيذاء سيدة فاضلة أهانتها امرأة سليطة اللسان.

11– <u>لا خمر فى الإسلام</u>

من أكثر العوامل التى تتسبب فى ضرب الزوجات إدمان الخمر والمخدرات، فالرجل تحت تأثير الخمر لا يدرى ماذا يقول، وماذا يفعل. والمرأة تحت تأثير الخمر لا تدرى ماذا تقول، وماذا تفعل.

ولذا فمن يريد أن يحارب ضرب الزوجات فليحارب الخمور. وحسنا فعل الإسلام حين عد الخمر من الكبائر، فأغلق بذلك بابا واسعا لإلحاق الأذى بالمرأة دون وجه حق.

12- الإسلام يوصي بالمرأة

حين تريد الحكم على شخص ما فلا بد أن تأخذ فى الاعتبار أقواله وأفعاله كلها، أما أن تسلط الضوء على بعضها دون الآخر فهذه خيانة فكرية. ومن يهاجم الإسلام لأنه أباح ضرب المرأة فعليه أن يتذكر أن هناك نصوصا إسلامية أخرى تدعو إلى الرفق بها وحسن معاملتها، منها على سبيل المثال قول رَسُولُ اللَّهِ عليه الصلاة والسلام: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**»[110]. وقال عليه السلام أيضا: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**» متفق عليه، واللفظ للبخارى. وهذا الحديث الأخير فى غاية الأهمية لأن يخبر الرجال بأنهم مهما فعلوا فلن يستطيعوا أن يشكلوا المرأة كما يريدون، فقد خلق الله اعوجاجا فى طبيعتها، يتمثل فى غلبة العاطفة على العقل، وهذا الاعوجاج له فائدة كبيرة للبشرية، منها أنه ضروري لرعاية الأولاد، كما أنه يضفى بهجة على الزوج وعلى الحياة بوجه عام. وعلى ذلك فإذا غضب الرجل من تصرفات زوجته الطائشة التى تمليها عليها عاطفتها، فعليه ألا يبالغ فى عقابها، ولينظر إلى الوجه الآخر المضيء لهذه العاطفة الغالبة، وهذا سيلطف من غضبه، ولن يكون مضطرا لضربها إلا فى حالات قليلة جدا.

وفى رواية أخرى دعا رسول الله عليه الصلاة والسلام عبدا اسمه أنجشة -كان حاديا للإبل- بألا يغنى للإبل لأن الإبل تسرع الخطا إذا سمعت الغناء، وهذا يرهق النساء الضعاف الراكبات، وقد يؤدى إلى سقوطهن على الأرض: عن أنس بن مالك ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ غُلاَمٌ لَهُ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ بِالقَوَارِيرِ» متفق عليه ، واللفظ للبخارى[111]. وفى لفظ آخر للبخارى عن

---

110) أخرجه الترمذي ، وقال: "حديث حسن صحيح" ، وأخرجه ابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه ، وصححه ابن القيم في "الزاد". انظر: "**آداب الزفاف في السنة المطهرة**" للألباني. وكلمة (عوان) معناها (أسيرات) ؛ (العاني) هو الأسير ، وقومٌ عناةٌ ونسوةٌ عَوانٍ

111) رواية مسلم، ونصه كما يلى: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَغُلَامٌ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ»

أنس: كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَادٍ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ، لاَ تَكْسِرِ القَوَارِيرَ» قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي ضَعَفَةَ النِّسَاءِ.

وكلمة (يحدو) تعنى يسوق الإبل، ويغنى لها كى يحثها على السير. وكلمة (رويدك) اسم فعل بمعنى تمهل ولا تسرع. وكلمة (القوارير) معناها الزجاج، ويقصد بها النساء، وسموا كذلك بسبب ضعفهن[112].

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

[112]) قال بعض أهل اللغة أن كلمة (ويحك) لها نفس معنى كلمة (ويلك). وقال الأزهرى: وَقَدْ قَالَ أَكثر أَهل اللُّغَةِ إِن الْوَيْلَ كَلِمَةٌ تُقَالُ لِكُلِّ مَنْ وَقَعَ فِي هَلَكَة وَعذَابٍ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ وَيْح وَوَيْلٍ أَن وَيْلًا تُقَالُ لِمَنْ وَقَعَ فِي هَلَكَة أَو بَلِيَّةٍ لَا يترحم عليه، ووَيْح تُقَالُ لِكُلِّ مَنْ وَقَعَ فِي بَلِيَّةٍ يُرْحَمُ ويُدْعى لَهُ بِالتَّخَلُّصِ مِنْهَا، أَلا تَرَى أَنَّ الْوَيْلَ فِي الْقُرْآنِ لِمُسْتَحَقِّي الْعَذَابِ بِجَرَائِمِهِمْ: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ ويْلٌ لِلَّذِينِ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ وَمَا أَشبهها؟ مَا جاءَ وَيْلٌ إِلا لأَهلِ الْجَرَائِمِ، وأَما وَيح فإِن النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَهَا لعَمَّار الْفَاضِلِ كأَنه أُعْلِمَ مَا يُبْتَلى بِهِ مِنَ الْقَتْلِ، فَتَوَجَّعَ لَهُ وَتَرَحَّمَ عَلَيْه. انظر **معجم لسان العرب**.

ضرب المرأة فى الغرب

على من يبكى على ضرب المرأة المسلمة أن يعلم أن المرأة فى الغرب لا تحيا فى نعيم داخل بيتها، بل تتعرض للضرب والعدوان من زوجها أو عشيقها. وكثيرا ما يكون العدوان شنيعا لأنه يتم تحت تأثير الخمور والمخدرات. والحمد لله أن الإسلام حرم الخمر، فأنقذ النساء من شر كبير. ولكن مع الأسف لا أحد يذكر هذا للإسلام.

وقد يتم العنف فى الغرب لأسباب جنونية، فقد قرأت ذات مرة فى صحيفة "ذا صَن" أن رجلا عض شفتى عشيقته، ومزقهما تماما بأسنانه، وهو يُقَبِّلها، مما أدى إلى تشويه وجهها وإحتياجها لإجراء عدة جراحات تجميل. وكان غرضه أن يترك علامة خاصة به على وجهها كى يراها عشيقها الجديد الذى ستذهب إليه![113]

وفي تقرير مهم أعده "مركز مكافحة المرض" الأمريكى CDC[114] وردت أرقام مصدرها مكتب التحقيقات الفيدرالى، تفيد بأن حوالى 5.3 مليون امرأة أمريكية من عمر 18 سنة أو أكثر يقعن كل عام ضحايا للعنف من شريك الحياة القريب Intimate partner violence ، أى الزوج أو العشيق. وينتج عن هذا العنف حوالى 2 مليون إصابة، وحوالى 1300 حادثة قتل. ومن بين مجموع الإصابات تحتاج 555 ألف إصابة إلى العلاج الطبى، وحوالى 145 ألفا من هذه الإصابات تكون خطيرة إلى درجة أنها تتطلب دخول المستشفى. كما يؤدى العنف من شريك الحياة إلى 18.5 مليون زيارة للعيادات النفسية كل عام.

وفى دراسة مهمة أجريت على 8 آلاف امرأة أمريكية وُجد أن 4.8% منهن تعرضن للملاحقة والمطاردة من شريك الحياة، وأن 22.2% منهن تعرضن للعنف الجسدى من شريك الحياة فى إحدى المرات طوال الحياة. وكان متوسط تعرض المرأة للعنف فى ال 12 شهرا الأخيرة هو 3.4 مرة. وقد احتاج 31% من هؤلاء النساء إلى الرعاية الطبية، وأغلبهم (ثلاثة أرباعهم) اضطروا لتلقيها فى المستشفى. وأكدت الدراسة أن من الأسباب المهمة لحدوث إصابات للمرأة أثناء العنف

---

113) **Horrot attack: Student's lip was bitten off by her ex… because he wanted to 'leave his mark' for her next boyfriend.** By Anna Duff. 2019. THE SUN. https://www.thesun.co.uk/fabulous/7594201/students-lip-bitten-off-ex-leave-his-mark/

114) National Center for Injury Prevention and Control. Costs of Intimate Partner Violence Against Women in the United States. Atlanta (GA): Centers for Disease Control and Prevention; 2003. https://www.cdc.gov/violenceprevention/pdf/ipvbook-a.pdf

المنزلى وقوع الرجل تحت تأثير الخمر أو المخدرات.[115] **ولو كان الغرب جادا فى حرصه على حماية المرأة من عنف الرجل لحظر تعاطى الخمور، ولكنه لم يفعل لأنه أسير فى قبضة الشيطان.**

وفى تقرير لليونيسيف صدر فى يونيو عام 2000 بعنوان " العنف المنزلى ضد النساء والفتيات"[116] نجد أن معدلات العنف المنزلى ضد النساء فى دول العالم كالآتى:

بولندا: 60%– اليابان: 59%– نيكاراجوا: 52%– الهند: 45% – كينيا: 42% – أوغندا: 41% كوريا: 38% – مصر: 35% – إسرائيل: 32% – زيمبابوى: 32% – المكسيك: 30% – كندا: 29%– ستونيا: 29% – أمريكا: 28% – شيلى: 26% – روسيا: 25%– بريطانيا: 25% – طاجكستان: 23% – نيوزيلانده: 20% – سويسرا: 20% – تايلاند: 20% – كولومبيا: 19% – كامبوديا: 16%.

فالدولة الأكثر عنفا هى بولندا (60%)، وهى ليست دولة مسلمة، بل مسيحية.

وثاني أعلى دولة فى معدل العنف هي اليابان البوذية :59%.

وثالث دولة هي نيكاراجوا المسيحية :52%.

ورابع دولة هى الهند التى تدين بالهندوسية :45%.

وخامس دولة هي كينيا المسيحية 42%.[117]

وسادس دولة هي أوغندا المسيحية 41%. [118]

وسابع دولة فى معدل العنف هي كوريا: 38%. وأغلب سكانها لا يعتنقون أى دين، والبقية أغلبهم مسيحيون وبوذيون[119].

والعنف فى إسرائيل اليهودية يبلغ 32%، وهو قريب جدا من معدل العنف فى مصر المسلمة.

---

[115]) Tjaden P, Thoennes N. **Extent, Nature, and Consequences of Intimate Partner Violence: Findings from the National Violence Against Women Survey**. Washington (DC): U.S. Department of Justice, Office of Justice Programs, National Institute of Justice; 2000. NCJ 181867.

[116]) **Domestic violence against women and girls**. UNICEF. United Nations Children's Fund. Innocenti Research Centre. Florence, Italy; June 2000.

[117]) 70% من سكان كينيا مسيحيون، و6% فقط مسلمون، وذلك طبقا لمركز الدراسات الإفريقية التابع لجامعة بنسلفانيا.
African Studies Center. Uniersity of Pennsylvania. https://www.africa.upenn.edu/NEH/kreligion.htm ; accessed March 18, 2022.

[118]) 66% من سكان أوغندا مسيحيون، ويمثل المسلمون هناك 15% فقط من السكان، و 19% يعتنقون ديانات إفريقية محلية أولا يعتنقون أي دين.
African Studies Center. Uniersity of Pennsylvania. https://www.africa.upenn.edu/NEH/ureligion.htm ; accessed March 18, 2022

[119]) **Korean life**: **Religion**. https://www.korea.net/AboutKorea/Korean-Life/Religion

والدولة المسلمة المذكورة فى التقرير هى مصر، وترتيبها بين هذه الدول (من الأقل عنفا إلى الأعلى عنفا) هو 66.7 (66.7^{th} percentile)، أى أن **العنف فى مصر داخل الحدود المتوسطة غير الشاذة** (بين الرتبة 25 والرتبة 75).

وبعد كل هذا يلصقون العنف ضد المرأة بالإسلام وحده!

ثم إنه يحق للمرء أن يتساءل: هل يلام الإسلام بسبب كل رجل مسلم ضرب زوجته دون وجه حق؟ طبعا لا، لأنه لا أحد يزعم أن كل المسلمين متدينون ومتمسكون بالإسلام. أفإن قتل المسلم أخاه يلام الإسلام الذى حرم القتل؟ وإن أدارت مسلمة بيتا للدعارة فهل يلام الإسلام رغم أنه حرم الزنا؟ إن جريمة المسلم تعيبه، ولا تعيب الإسلام. ومن واقع الخبرة العملية نجد أن أقل الرجال ضربا لزوجاتهم هم المسلمون المتدينون الملتزمون بالكتاب والسنة.

إن الغربيين ينظرون من جانب واحد، فهم يرفضون إباحة الإسلام لضرب المرأة، ويثورون من أجل ضرب أى زوج لزوجته، ويجعلون من ذلك مادة صحفية مثيرة ، لكنهم يتجاهلون أن هذا ليس النوع الوحيد من العنف ضد المرأة. المرأة مثلا يمكن أن تضرب المرأة، وهذا شىء لا يغضبون له. على سبيل المثال نشرت صحيفة الديلى ميل[120] (وصحف أخرى) يوم 13 أكتوبر 2014 موضوعا عن تجمع أربع نسوة من الصين حول عشيقة لزوج إحداهن، وقمن بضربها، وتجريدها تماما من ملابسها، ووجهوا لها أفظع الإهانات على قارعة الطريق. ونشرت الصحيفة صور المرأة وهى شبه عارية وفيديو لعملية الضرب، كما ذكرت أن أغلب المارة لم يتدخلوا لأنهم اعتبروا هذا صراعا بين القلوب (قلب الزوجة وقلب عشيقة زوجها). ولم تعلق الصحيفة بكلمة أو نصف كلمة لإدانة إهانة المرأة بهذا الشكل رغم اعترافها بأنها ليست حالة فردية، بل تمثل ظاهرة متنامية فى الصين. وكان الانطباع الواضح أن الصحيفة أوردت الخبر على سبيل الفكاهة والإثارة الجنسية. نفس هذه الصحف تقيم الدنيا ولا تقعدها إن علمت أن رجلا مسلما ضرب زوجته. أليست هذه إهانة وتلك إهانة؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

120) **Chinese 'mistress' is stripped naked and beaten senseless in backlash against booming country's 'concubine culture'.** By Matthew Blake. Published on October 13, 2014. Accessed January 21, 2022. http://www.dailymail.co.uk/news/article-2791108/mob-rule-chinese-adulteress-stripped-naked-beaten-senseless-latest-attack-kind.html?ito=social-facebook

الضرب غير الضارب

إذا كان بعض الرجال يبالغون فى ضرب زوجاتهم بدون وجه حق، فهل يجوز أن يتخذ البعض من هذا ذريعة لتحريم الضرب بشكل مطلق؟

هذا الكلام لا يجوز، فمما لاشك فيه أن إساءة البعض لاستخدام سلطاته لا يمكن أن يستخدم كذريعة لسلب هذه السلطات من الجميع، فمثلا إذا كان بعض قادة السيارات يسيرون بسرعة جنونية، ويقتلون الأبرياء، فهل نصدر قانونا بحظر سير كل السيارات فى الشوارع، ونعود لعصر الجمال والحمير، أم نشدد العقوبة على مخالفي قواعد المرور؟ وإذا كان بعض الصيادلة يبيعون الحبوب المخدرة للمدمنين، فهل نحظر على كل الصيدليات بيع هذه الأدوية حتى لأولئك المرضى الذين يحتاجونها فعلا، أم نشدد العقوبة على الصيادلة المنحرفين؟ وإذا كان بعض ضباط الشرطة فى أحد البلاد يستغلون سلطاتهم للتنكيل ببعض المواطنين لخلافات شخصية معهم، فهل يكون الحل بأن نلغى وزارة الداخلية، ونسرح كل أفراد الشرطة، فيصبح الشعب تحت رحمة اللصوص، أم نشدد العقوبة على الضباط المنحرفين، ونخضع وزير الداخلية لسلطة البرلمان؟

وبنفس المنطق نقول أنه إذا كان بعض الأزواج يسيئون استخدام حق الضرب الذى منحته الشريعة الإسلامية لهم، فإن الحل لا يكون بأن نُحرم على كل الرجال ضرب زوجاتهم، ولكن بأن نعطي المرأة حق اللجوء للقاضى لإنصافها من زوجها الذى يتجاوز الضوابط التى وضعها الإسلام للضرب. اما إلغاء حق الضرب تماما، فهذا ما لا يمكن قبوله.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والمثقفة أيضا تستحق الضرب

يقول البعض: إن العصر قد تغير، وإن كان من الجائز أن نقبل ضرب المرأة الجاهلة فى الماضى، فكيف نوافق اليوم على ضرب المرأة المتعلمة المثقفة؟

يا له من كلام رنان، لكنه مع الأسف ساقط! وأول مغالطة فيه هى أن أغلب النساء اليوم لا حظ لهن من العلم والفكر والثقافة. **حقا زادت المعارف اليوم بعد ظهور شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، إلا أن أغلب ما يأخذه الناس منها فى غاية السطحية**، بدليل أن أعداد المشتركين فى مواقع التواصل الاجتماعي –كاليوتيوب والفيسبوك– تبلغ المليارات، بينما من يدخلون على مواقع الإنترنت التى تقدم ثقافة عميقة قليل جدا. وكثيرا ما تجد موقعا زاخرا بكتب ووثائق لا تقدر بثمن، ومع ذلك لا يرتاده إلا أفراد يعدون على الأصابع. وأغلب الناس لا يقرأون الصحف الإلكترونية التى تحتوي على أخبار موثقة، وتحليلات سياسية عميقة، وفى نفس الوقت لا يترددون فى أخذ الأخبار من مصادر مجهولة على مواقع التواصل الاجتماعي. لقد أصبح الناس لا صبر لهم على القراءة، وصاروا يفضلون مشاهدة الفيديوهات التى هي فى الغالب سطحية. وأفضل المنشورات المكتوبة لا يطالعها إلا آلاف معدودة، بينما كثير من الفيديوهات التافهة يشاهدها الملايين. وكلما ازداد محتوى الفيديو تفاهة كثر عدد مشاهديه، فمثلا فيديو لموقف مضحك تعرض له طفل مع قطة يمكن أن ينتشر كالنار فى الهشيم، بينما الفيديو الذي يحلل أزمة سياسية أو قضية دينية لا يقترب منه إلا القليلون.

إن المرأة "العصرية" ليست بالضرورة "مثقفة"، فالمرأة التى ترتدى الثياب الأنيقة، وتركب أحدث السيارات، وتعيش فى فيلا فى أرقى الأحياء، وتسافر للسياحة فى أوروبا ليست بالضرورة امرأة مثقفة. والواقع أن أغلب النساء اللائى يبهرك منظرهن من الخارج هن من الداخل خواء. وإن تحدثت مع إحداهن فوجئت بجهل شنيع، يتوارى خلف أسوار من مساحيق التجميل.

ويمكننى أن أقول بكل ثقة أن **"العصرية" تتناسب عكسيا مع "الثقافة"، فكلما غرق الإنسان فى الترف والحياة المادية قل اهتمامه بالثقافة.** وكمية المعلومات التى تعرفها النساء اليوم أضعاف أضعاف ما كانت تعرفه المرأة منذ خمسين سنة، لكنها فى جلها معلومات عن الأزياء وأدوات التجميل وطرق التخسيس ووسائل الترفيه والمطاعم والمتاجر. وقسم ضخم من قراءات النساء

ينصب على مطالعة خواطر نساء أخريات يشكين من متاعبهن الزوجية على مواقع التواصل الاجتماعي. ولا علاقة لهذا كله بالثقافة.

لا ننكر أن نسبة المثقفات زادت اليوم مقارنة بالماضي، لكن تبقى الغالبية العظمى من النساء بلا حظ –أو بحظ قليل– من الثقافة تماما مثلما كان الحال فى الماضي.

وحتى إن فرضنا أن أغلب النساء اليوم مثقفات حقا فإن هذا لا يوجب إلغاء شريعة ضرب الزوجات لأن **زيادة الثقافة لا تجعل الإنسان ملاكا، ولا تمنعه من ارتكاب أبشع الجرائم**. وأذكر أن الصحفي مفيد فوزي أجرى منذ سنوات حوارا تليفزيونيا مع مدرس فلسفة فى إحدى الجامعات بعد أن قُبض عليه فى قضية سرقة على ما أذكر. وفيلسوف مثل جاك دريدا اليهودى ألف كتابا شديد الصعوبة، ويحتاج لسنوات طويلة من التعلم كي تتمكن فقط من قراءته، مع أن الفكرة الأساسية التى يقدمها تتلخص فى إعلان موت الحقيقة، والتخلي عن العقل والمنطلق والعلم والدين، وذلك كمقدمة لإسقاط الشعوب غير اليهودية فكريا وخلقيا ودينيا وسياسيا. وتجد مستشرقا مثل جولد تسيهر أكثر دراية بالعلوم الإسلامية من رجال الأزهر، ومع ذلك يرتكب المغالطات الشنيعة حتي يشوه هذا الدين العظيم فى أعين الغرب. ومن كبار المثقفين المصريين كان جابر عصفور وسيد القمنى ومراد وهبة يلصقون صفة الإرهاب بالإسلام، ويدعون إلى العلمانية والتطبيع مع اليهود ويمهدون الطريق للإلحاد.

وللمثقفين الماركسيين العرب باع طويل فى التحالف مع كل مستبد فاسد. كما ظل كثير من المثقفين فى بلاد المغرب العربى يلعبون دور العملاء الثقافيين الداعين لوصاية فرنسيا الفكرية على شعوبهم. ووقف مثقف مشهور مثل إبراهيم عيسى مع السفاح بشار الأسد، الذي قتل شعبه بالسلاح الكيماوي. وهلل مثقفون عرب فرحا بغزو جيش أمريكا للعراق. وأشاد بعضهم بدك الطائرات الإسرائيلية لأرض فلسطين.

ألا تعلم أن من الأطباء من يتاجر فى الأعضاء، أو يسرق مرضاه، فهل نعفى الأطباء من العقاب بحجة أنهم أعلى فئات المجتمع علما وثقافة؟ وهل نصفح عن المهندس الذى انهارت عمارة بناها بحجة أنه مثقف؟ وهل نسامح روائيا سب صديقه بحجة أنه رمز من رموز الأدب؟ وهل نتهاون

مع عالم ذرة تعاون مع المخابرات الإسرائيلية؟ وهل نغفر لأستاذ جامعة، سرب الامتحان لابن أحد أصدقائه؟

يجب أن نعلم جيدا أن الإنسان المعاصر لم يتغير عن الإنسان القديم من حيث السلوك والأخلاق وطبيعة النفس. **إنسان القرن الحادى والعشرين لا يختلف عن إنسان العصر الحجرى**؛ كلاهما يسرق، كلاهما يقتل، كلاهما يحقد، كلاهما يغار، كلاهما يغدر، كلاهما يكذب، كلاهما ينافق، كلاهما يغتر، كلاهما يخون، كلاهما يزنى، كلاهما يمارس السحر، كلاهما يقطع الطريق، كلاهما يدمن الخمر. الإنسان هو هو، لم يتغير من حيث الجوهر، وذلك لأن لديه نفس الدوافع والرغبات والغرائز والتطلعات، فهو يأكل ويشرب وينام ويحب ويكره ويخاف ويقلق ويتطلع إلى المكانة، تماما مثل إنسان العصور القديمة. ومن يقرأ تاريخ الفراعنة والبابليين والآشوريين والرومان واليونان والفرس والعرب والمماليك والعثمانيين وعصر النهضة والعصر الحديث يجد نفس الجرائم ونفس الآفات ونفس المؤامرات، وكأننا أمام تكرار ممل لنفس الأحداث بأسماء مختلفة وأماكن مختلفة.

إن النفس البشرية لم تتغير، وسيظل الانحراف باقيا على الأرض مهما تقدمت الثقافة، ولا أحسب أن هناك من يزعم أنه فى القرون القادمة سترتقى أخلاق الإنسان، ويتحول كوكب الأرض إلى مدينة فاضلة، بل إن الواقع يؤكد أن منحنى الأخلاق يهبط بشدة وثبات فى أغلب بلاد العالم، وأن كثيرا من القيم والفضائل اندثرت، ولذا فالحاجة للعقاب أصبحت أكبر، وليست أقل.

والحقيقة أن الإنسان **كلما ازداد ثقافة وعلما وفهما كلما صار أكثر استحقاقا للعقاب،** فمن يعرف الصواب ويتركه، ويعرف الخطأ ويفعله هو أسوأ من الجاهل الذى لا يعرف أين الحق وأين الباطل. **ولهذا فبفرض أن المرأة اليوم قد ازدادت علما وثقافة، فهذا يوجب علينا أن نكون أكثر تشددا فى عقابها.**

وفى هذا السياق نقول أننا اليوم بحاجة إلى التمسك بدرجة أكبر بالحدود التى فرضها الله تعالى على مرتكبى الكبائر مثل حد القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر لأن الإنسان المعاصر قد أتيح له من وسائل المعرفة ما لم يتح لسابقيه عبر التاريخ. إنسان العصور الوسطى لم يكن يقرأ ويكتب ليعرف الحق والباطل، أما اليوم فقد أصبح الحاسوب يقرأ للإنسان، ويكتب ما يمليه عليه. كما كان الإنسان فى العصور الوسطى محظوظا إن قابل شيخا واحدا أو اثنين، أما اليوم فالقنوات والإذاعات

والبرامج ومواقع الانترنت بها ما لا يحصى من المعلومات عن الدين والحق والباطل. ورغم أن أغلب البشر فى عصرنا الحالى لا يتمتعون بالثقافة إلا أن نسبتهم أكبر من النسبة فى العصور السابقة، والأهم أن الثقافة أصبحت فى متناول أيدي الجميع، فلا عذر لمذنب، والحاجة للعقاب أصبحت أقوى.

نلخص ما سبق، فنقول: **حقا زادت نسبة النساء المثقفات فى العصر الحديث، لكن تبقى غالبية النساء بلا ثقافة حقيقية رغم مظهرهن العصرى الأخاذ. وحتى بفرض أن أغلب النساء اليوم مثقفات، فهذا لا يعفيهن من العقاب لأن الثقافة لا تمنع الإنسان من فعل الموبقات. كما أن الثقافة تجعل المرأة أحق بنيل العقاب من المرأة فى العصور القديمة، إذ لم يعد لأحد أن يدعى اليوم أنه أخطأ لأنه لم يكن يميز بين الصواب والخطأ.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

لماذا لم يضرب الرسول زوجاته

وصل الفجور بعلماء الضلال إلى حد الزعم بأن ضرب المرأة حرام مطلقا. إنهم لا يقولون أن الضرب يجب أن يكون آخر الحلول، بل يؤكدون أن الرجل لا يجوز له أبدا أن يضرب زوجته. وكثيرا ما يستشهد هؤلاء المنافقون بحقيقة أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يضرب قط أيا من زوجاته.

ويتعجب المرء من هذه الوقاحة؟ أمن أجل إرضاء مسئول كبير أو مذيعة جميلة يمزقون شريعة الله؟ ألم يقرأ هؤلاء الشياطين قول الله تعالى: (واضربوهن)؟ هل يتناقض القرآن مع سلوك الرسول عليه السلام؟ على الأقل كان على هؤلاء المنافقين أن يحاولوا التوفيق بين القرآن وأفعال الرسول، لكنهم ضربوا عرض الحائط بالقرآن، هكذا بمنتهى البساطة!

فلننظر أولا إلى ما قالته السيدة عائشة عن هذه المسألة: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» رواه مسلم.

ونحن نؤكد أن امتناع الرسول عليه الصلاة والسلام عن ضرب زوجاته ليس دليلا على أن ضرب عامة الرجال لزوجاتهم حرام، وذلك لأن هذا يتناقض مع نص القرآن الصريح. إذن كيف نفهم المسألة؟

1. **للرسول عليه الصلاة والسلام فى بعض الأحيان خصوصيات** وتشريعات تختلف عن بقية المسلمين، فقد كان يمتنع مثلا عن أكل الثوم والبصل، لكنه لم يحرمهما على بقية المسلمين[121]. كما كان يقوم نصف الليل، يصلى ويقرأ القرآن، لكنه لم يلزم كافة المسلمين بقيامه. وأحل له أن يتزوج بأكثر من أربع نساء، كما حرم عليه أن يطلقهن. وبالمثل نؤكد أن امتناع الرسول عليه السلام عن ضرب زوجاته لا يعنى أن ضرب غيره من الرجال

[121]) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ أَكَلَ مِنْهُ، وَبَعَثَ بِفَضْلِهِ إِلَيَّ، وَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيَّ يَوْمًا بِفَضْلَةٍ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّ فِيهَا ثُومًا، **فَسَأَلْتُهُ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ»**، قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا كَرِهْتَ. رواه مسلم. وروى البخارى ومسلم – واللفظ للبخارى-: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ»، وَإِنَّهُ أُتِيَ بِبَدْرٍ، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يَعْنِي طَبَقًا، فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ عَنْهَا فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ البُقُولِ، فَقَالَ: «قَرِّبُوهَا»، فَقَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ: **«كُلْ فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لاَ تُنَاجِي»**، وَقَالَ ابْنُ عُفَيْرٍ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ: بِقِدْرٍ فِيهِ خَضِرَاتٌ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّيْثُ، وَأَبُو صَفْوَانَ، عَنْ يُونُسَ قِصَّةَ القِدْرِ فَلاَ أَدْرِي هُوَ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَوْ فِي الحَدِيثِ.

لزوجاتهم حرام. هذه خصوصية للرسول عليه الصلاة والسلام، ربما لأن الله تعالى حرم عليه ضرب زوجاته دون سائر المسلمين، وربما لأن الرسول كره ذلك من نفسه دون إلزام من الله تعالى له، وربما لأن الرسول لم يحتج من الأصل إلى ضربهن. وفى النقاط التالية المزيد.

2. **يمكن لأى مسلم أن يتنازل عن حقه على سبيل الكرم والإحسان. والرسول عليه الصلاة والسلام كان مأمورا على وجه الخصوص بهذا**، فقد أمره الله تعالى فى أكثر من موضع بالصفح عن أخطاء المسلمين، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159]. وقال أيضا: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الشعراء: 215]. ويمكن القول أن الرسول عليه الصلاة والسلام تنازل عن حقه فى عقاب زوجاته لهذا السبب، لكن ليس هذا دليلا على أن العفو عن الآخرين فرض على كل مسلم، فقد أباح الله تعالى للمظلوم أن يرد بالمثل: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى: 40، 41]. **فلماذا لا نقول أن امتناع الرسول عليه الصلاة والسلام عن ضرب زوجاته دليل على ميله للعفو، وليس دليلا على أن كل زوج ملزم بالعفو عن زوجته؟**

3. **لا يشترط على أى مسلم أن يفعل كل المباحات لأن كل مسلم له ظروفه الخاص.** على سبيل المثال يباح للمسلم أن يتزوج بأربع نساء، لكن قد يكون لأحد الرجال زوجة جميلة طيبة، فلا يحتاج لأن يتزوج من غيرها، ليس لأن تعدد الزوجات حرام، ولكن لأنه وجد السعادة الكاملة مع زوجة واحدة. كما يباح للمسلم أن يتيمم إن لم يجد الماء، لكن الرجل الثري الذي يقيم فى قصر، ولديه مئات الخدم لن يتيمم طوال عمره، ليس لأنه يعتقد أن التيمم حرام، ولكنها لأن الماء كان متوافرا عنده باستمرار . **وبالمثل يمكننا القول أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يضرب زوجاته، ليس لأن ضرب الزوجات حرام، ولكن لأنهن لم يفعلن ذنبا كبيرا يوجب الضرب، ولو فعلت إحداهن خطأ جسيما لضربها؟**

4. **لماذا لا نقول أن امتناع الرسول عليه الصلاة والسلام عن ضرب زوجاته سببه أنه بدأ معهن بالوسائل السلمية، فاستجبن له، فلم تعد هناك حاجة لضربهن**، لكن إن وجدت امرأة أخرى من عامة المسلمين ترفض الموعظة والهجر فى المضجع فلزوجها أن يضربها؟ ألا تعلمون أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما غضب من زوجاته حين سألنه زيادة النفقة، لم يسارع إلى ضربهن، بل هجرهن لمدة شهر إلى أن نزل القرآن يأمره أن يخيرهن في الطلاق، فاخترن البقاء معه، فعاد الود، وانتفت الحاجة للضرب؟ وهكذا فامتناع الرسول عن ضرب زوجاته يمكن أن يكون مجرد دليل على أن من الأفضل ألا يكون الضرب أول الحلول التى يلجأ إليها الزوج.

5. **إن أكملنا بقية رواية السيدة عائشة، لعلمنا أن الرسول عليه السلام لم يكن مسالما على طول الخط، بل كان ينزل العقاب على من ينتهك حرمات الله:** (وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ). وبفرض أن من واجب كل مسلم الاقتداء حرفيا بالرسول عليه الصلاة والسلام فسيكون عليه أن يصفح عن زوجته إن وجهت إليه إهانة شخصية، لكنه سيضربها إن اقترفت إثما فى حق الله، كأن تفْرط فى تدليل أولادها حتى تفسد أخلاقهم، أو تقول كلاما فاحشا لجارتها، أو تتكاسل عن الصلاة رغم أنه وعظها أكثر من مرة. وفى كل هذه الحالات لم تخطيء المرأة فى حق زوجها، بل أخطات فى حق الله. وعلى ذلك فنص الحديث لا يحرم ضرب الرجل لزوجته.

6. **ربما حرم الله تعالى على الرسول عليه الصلاة والسلام ضرب زوجاته حتى لا يغض من قدرهن فى أعين الناس**، فهن أولا وأخيرا "أمهات المؤمنين" اللائى أمرهن الله عز وجل بأن يُعلمن الناس، ويذكرن ما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمة: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: 34]. ولو تعرضت أمهات المؤمنين للضرب يوما لسقطت هيبتهن فى أعين المسلمين، ولما أخذ الناس كلامهن ووعظهن على محمل الجد. إن رفع قدر أمهات المؤمنين كان ضرورة لنشر الإسلام.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل حرمت السُّنة ضرب الزوجات

هناك عدة أحاديث قد تُستغل للقول بأن ضرب الزوجة حرام بشكل مطلق. وسنناقشها معكم.

الحديث الأول:

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ». رواه البخارى. وفى لفظ البيهقى: " أَيَضْرِبُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ كَمَا يَضْرِبُ الْعَبْدَ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ " ولفظ ابن حبان: "عَلَامَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا في آخر اليوم".

وبعض ضعاف النفوس يفهمون من ذلك أنه تحريم ضمنى للضرب. لكن إن تأملنا **هذا الحديث لوجدنا أنه يتكلم عن حالة خاصة، ولا يقدم تشريعا عاما**، وذلك لسببين:

أولا: الضرب الذي يدينه هذا الحديث هو الضرب المبرح، وهذا ما نفهمه من كلمة: "كالعبد"، أى المملوك الذكر، فالحديث لم يقل: (كالأمة)، ومعروف أن العبيد الذكور كانوا يضربون فى الماضى بقسوة وإهانة لأن الضرب الخفيف لا يؤثر فى أجسامهم القوية. وتلقى الزوجة ذات الجسد الضعيف لنفس الضربات التى يتلقاها العبد القوى يدل على القسوة، وهذا منهى عنه.

ثانيا: الرسول عليه الصلاة والسلام يتكلم فى هذا الحديث عن نوع من الرجال الذين يعاقبون زوجاتهم على أخطاء تافهة. والدليل على ذلك أن الرجل جامع امرأته ليلا فى نفس اليوم، ولو كان الخطأ شنيعا لدام غضبه منها لفترة أطول. إذن نحن أمام رجل غليظ جبار يسارع إلى الضرب المبرح من أجل أخطاء صغيرة، وما هذا من الإسلام.

الحديث المذكور إذن يدين شكلا من أشكال الضرب المفتقد للضوابط الشرعية. ولا يمكن أبدا أن نستدل من الحديث على أن ضرب كل الرجال لزوجاتهم حرام. الحديث يتكلم عن حالة خاصة.

الحديث الثانى

روى أبو داود عن إياس بن عبد الله بن أبي ذبَابٍ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **لا تضربوا إمَاءَ الله". فجاء عمر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ذَئِرْنَ النساءُ على أزواجهن (أى اجترأن)! فَرَخصَ في ضربهن. فأطاف بآل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نساءٌ**

كثير، يشكون أزواجهن! فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لقد طاف بآل محمدٍ نساءٌ كثيرٌ ، يشكون أزواجهن؛ ليس أولئك بخياركم "[122].

ولنتأمل الحديث سويا:

إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن الرجال الذين يضربون زوجاتهم: "**ليس أولئك بخياركم**" **فإن هذا لا يعنى أنهم ارتكبوا حراما حين ضربوا زوجاتهم، بل يعنى فقط أن من لا يضرب زوجته أعلى درجة ممن يضربها، فالنفى فقط للأفضلية، ولو كان الضرب حراما لقال مثلا: "أولئك أراذلكم أو شراركم"**.

وفى إحدى الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**اضربوهن ولا يضرب إلا شراركم**" وهذه رواية ضعيفة[123] ، وفضلا عن ذلك فهذه الرواية بها تناقض واضح حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن الرجل الذى يضرب زوجته أنه من الأشرار ومع ذلك يبيح له أن يفعل هذا الشر أى الضرب. إن هناك فرقا كبير بين وصف شخص بأنه "أقل خيرا" ووصفه بأنه "أكثر شرا".

ثم إن من ينظر إلى الحديث يجد أنه يتكلم عن حالة خاصة، وليس عن حالة عامة، وذلك لأن عدد النساء اللائى ضربن كان كبيرا، وهذا يدل على أنهن ضُربن عقابا على أخطاء تافهة، إذ أن عدد النساء اللائى يمكن أن تقع منهن أخطاء كبيرة فى فترة قصيرة[124] لا يمكن أن يكون كبيرا. معنى هذا أن **الرجال قد أفرطوا فى استخدام حق الضرب الذى منحه لهم رسول الله صلى صلى الله عليه وسلم.** والمفترض أن المسلم الحق لا يسارع إلى ضرب زوجته لمجرد هفوة بسيطة. وربما فرح الرجال بهذا الحق الذى منحه لهم الرسول عليه السلام، فقروا أن يمارسوه ويجربوه كالطفل الذى يفرح بلعبة جديدة. يضاف إلى ذلك أن **هؤلاء النساء لا يمكن أن يسارعن بالذهاب إلى**

---

122) قال الألبانى: إسناده صحيح، وإياس مختلف في صحبته، لكن الراجح صحبته كما قال الحافظ، وصحح الحديث: ابن حبان والحاكم والذهبي. إسناده: حدثنا أحمد بن أبي خلف وأحمد بن عمرو بن السرح قالا: ثنا سفيان عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله- قال ابن السرح: عبيد الله بن عبد الله- عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب. قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات؛ وعبد الله- أو عبيد الله-: هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب. وجزم بأنه عبد الله: أحمد بن أبي خلف؛ وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي خلف البغدادي، وهو ثقة. وخالفه ابن السرح؛ فجزم بأنه عبيد الله. وهذا الاختلاف لا يضر؛ لأن كلاً من عبد الله وعبيد الله ثقة، فهو تردد بين ثقتين. وإياس مختلف في صحبته؛ ولعل الراجح ثبوتها. ولكن الحديث صحيح على كل حال؛ لأن له شاهداً عن أم كلثوم: عند البيهقي والحاكم ، وصححه هو والذهبي. انظر: **"صحيح سنن أبي داود"** (6/ 363). تأليف محمد ناصر الدين الألباني. الناشر مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت. الطبعة الأولى ، 1423 هـ - 2002 م

123) **"ضعيف الجامع الصغير وزيادته"** (127/1). تأليف محمد ناصر الدين الألباني.أشرف على طبعه: زهير الشاويش. الناشر: المكتب الإسلامي. الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة

124) الشكوى الجماعية من النساء حدثت فى ليلة واحدة كما تقول الروايات ، وفى رواية لابن ماجة أن عدد النساء اللائى طفن بآل رسول الله فى تلك الليلة كان سبعينا وهى كناية عن كثرة العدد.

الرسول للشكوى من أزواجهن إلا إذا كان الضرب مبرحا أو بلا سبب وجيه. وعلى ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم حين قال عن هؤلاء الرجال: " **ليس أولئك بخياركم**" كان معه كل الحق لأنه **كان يدين فئة معينة من الرجال الذين أساءوا استخدام حق الضرب الذى منحه لهم الإسلام، ولم يكن يقصد أبدا نهى كل الرجال عن الضرب.**

وإضافة إلى ذلك فنحن نؤكد أن **من الممكن للمسلم أن يضرب زوجته، ومع ذلك يكون من خيار المسلمين** وأعلاهم مكانة عند الله، وماذا تقول فى رجل وصل إلى بيته فوجد زوجته تخاطب ساعى البريد الواقف على الباب وهى ترتدى ملابس البيت الضيقة، فغضب، ولكنه كظم غيظه، وظن أنها تصرفت بصورة تلقائية، فنهاها عن تكرار ذلك، لكن بعد أيام قليلة جاء الزوج إلى البيت فوجد زوجته ترتدى نفس الملابس أمام شخص غريب يقف على الباب، فاستشاط غضبا، وضربها. ما رأيك فى هذا الزوج؟ إنه تصرف وفق تعاليم الإسلام بشكل كامل، وهو بلا شك أفضل من الديوث الذى يسير مع زوجته المتبرجة أمام الناس فى الشارع؟ هذا المثال يثبت بكل قوة أن الرجل الذى يضرب زوجته يكون فى بعض الأحيان أفضل من الرجل الذى يتساهل معها. ونفس الكلام ينطبق على رجل يضرب زوجته لأنها لا تصلي، أو لأنها تسعى بالنميمة بين الناس، أو تسيء إلى جاراتها.

الحديث الثالث:

" **ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم** ".

هذا الحديث واسع الانتشار، لكن سيدهش القاريء حتما حين يعرف أنه **حديث موضوع**. لقد رُوى الحديث من طريق أبي عبد الغني الحسن بن علي بن عيسى الأزدي: حدثنا عبد الرزاق بن همام: أخبرنا إبراهيم بن محمد الأسلمي عن داود بن الحصين عن عكرمة بن خالد عن علي بن أبي طالب مرفوعا. **وإسناد هذا الحديث واه كما قال الألباني. وفيه عدة علل**[125]:

1 – **داود بن الحصين ثقة إلا في عكرمة** كما قال الحافظ في " التقريب" ومستنده قول ابن المديني: " ما رواه عن عكرمة فمنكر ". وكذا قال أبو داود.

---

[125]) **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة** (2/ 241) تأليف محمد ناصر الدين الألباني. دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، 1412 هـ / 1992 م

2 – **إبراهيم الأسلمي كذاب** كما قال يحيى القطان وابن معين وابن المدني، وروى أبو زرعة في "تاريخ دمشق" بسند صحيح عن يحيى بن سعيد قال:" لم يترك إبراهيم بن أبي يحيى للقدر، وإنما للكذب ". وفي رواية أخرى عنه:" أشهد على إبراهيم أنه يكذب ". وقال ابن حبان: " كان يرى القدر ويذهب إلى كلام جهم، ويكذب مع ذلك في الحديث ".

3 – **أبو عبد الغني الأزدي متهم بالوضع**، وفي ترجمته ساق ابن عساكر هذا الحديث، وقال فيها: " وكان ضعيفا ". ثم روى عن أبي نعيم أنه قال: " حدث عن مالك أحاديث موضوعة ". وكذا قال الحاكم، ثم تعقب ابن عساكر أبا نعيم بقوله: " ولا أعلم روى عن مالك ولا أدركه ". قلت: وهو إنما يروي عن مالك بواسطة عبد الرزاق، وقد ساق له الدارقطني من هذا الوجه حديثا وقال: " باطل وضعه أبو عبد الغني على عبد الرزاق ". وكذا رواه ابن عساكر في ترجمته. لكن قد ساق له ابن حبان حدثنا آخر صرح فيه بقوله: " حدثنا مالك ... " فهو من أكاذيبه عليه. وقال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات، لا تحل الرواية عنه بحال ".

ملحوظة: نص الحديث كاملا هو: (خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم). والجزء الأول من الحديث (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) ورد من طرق، بعضها صحيح وبعضها حسن كما يقول الألباني. أما الجزء الثانى (ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم)، فهو موضوع.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

دعاة يتهمون القرآن بالغوغائية!

دعا خالد الجندى يوما إلى سن قانون يعاقب الزوج الذى يضرب زوجته. وكان نص الخبر كما يلى[126]: [قال الدكتور خالد الجندي إن عدم سن قانون يحمي المرأة من ضرب زوجها لها ضد الدين الإسلامي، مشيرًا إلي أن هناك فهمًا خاطئًا للنص الوارد في القرآن الكريم «واضربوهن» وهناك البعض أصبح يفسر القرآن الكريم بطريقة أقرب إلى الهمجية. وأضاف «الجندي» خلال مداخلة هاتفية له مع برنامج «مساء dmc» المذاع عبر فضائية «dmc»، أن الضرب له معاني كثيرة وكما فسره النبي الكريم في حالة النشوز وهي هجرة البيوت وهي المرحلة التي تأتي بعد محاولة الوعظ وهجرة المضاجع وأخيرًا هجرة المنزل. وأكد الشيخ خالد الجندي، أن الضرب لا يتناسب إلا مع الحيونات والغوغائية والبلطجية ، ولابد لمجلس النواب إنقاذ بعض الزوجات اللاتي يقعن أسرى تحت يد أزواجهن بدون حماية[127]].

وقد جاءت تصريحات خالد الجندى على خلفية مشروع قانون قدم للبرلمان المصرى ، يقضى بحبس الرجل الذى يضرب زوجته من 3 إلى 5 سنوات. وطبعا استند مقدمو المشروع على فكرة مساواة الرجل بالمرأة التى وردت بالدستور، دون اكتراث برأى الدين فى المسألة[128].

إن قول خالد الجندى أن الضرب لا يتناسب إلا مع الحيوانات والغوغائية والبلطجية يفضى إلى الطعن فى القرآن لأن القرآن شرع ما هو أقسى من الضرب غير المبرح للزوجة، ألا وهو جلد الزانى مائة جلدة دون رأفة على مشهد من الناس: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ

---

126) **"خالد الجندي:عدم سن قانون يحمي المرأة من ضرب زوجها ضد الإسلام"**. عبد الصمد ماهر. بوابة الأهرام. 1-2-2021
https://gate.ahram.org.eg/News/2569467.aspx

127) نعتذر للقارىء عن هذه الصياغة غير الجيدة للكلام ، فنحن ننقل الخبر كما ورد فى الصحيفة.

128) قالت أمل سلامة صاحبة المشروع: (إنن التعديلات تتضمن إضافة تعديل علي نص المادة 242، تنص علي أنه: "وإذا حصل الضرب أو الجرح من الزوج لزوجته كانت العقوبة الحبس الوجوبي مدة لا تقل عن ثلاث سنوات ولا تزيد عن خمس سنوات". وجاء نص المادة 242، بعد التعديل، كالتالى: "إذا لم يبلغ بالضرب أو الجرح درجة الجسامة المنصوص عليها في المادتين السابقتين يعاقب فاعله بالحبس مدة لا تزيد علي سنة أو بغرامة لا تقل عن عشرة جنيهات ولا تجاوز مائتي جنيه مصري، فإذا كان صادرا عن سبق إصرار أو ترصد تكون العقوبة الحبس مدة لا تزيد علي سنتين أو غرامة لا تقل عن عشرة جنيهات ولا تجاوز ثلاثمائة جنيهات مصري، وإذا حصل الضرب أو الجرح باستعمال أية اسلحة أو عصي أو آلات أو أدوات أخري، وإذا حصل الضرب أو الجرح من الزوج لزوجته كانت العقوبة الحبس الوجوبي مدة لا تقل عن ثلاث سنوات ولا تزيد عن خمس سنوات. وتكون العقوبة السجن الذى لا تزيد مدته علي خمس سنوات في الجرائم المنصوص عليها في المادة 242 إذا ارتكبت أي منها لتنفيذ عرض ارهابي. كما أدخل مشروع القانون نفس التعديل علي المادة 243، من قانون العقوبات بإضافة فقرة: "وتكون العقوبة السجن الذي لا تزيد مدته علي ثلاث سنوات إذا كان الضرب أو الجرح من الزوج لزوجته بواسطة استعمال أسلحة أو عصي أو آلات"). المصدر: **"مشروع قانون في النواب يقضي بحبس الزوج من 3 لـ 5 سنوات إذا ضرب زوجته"**. محمود حسين. اليوم السابع: الأحد، 24 يناير 2021

وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: 2]. **فهل جلد الزانى الذى أمر به القرآن همجية؟**

وهل نحذف حد الحرابة الذي يمثل أقسى ما ورد فى القرآن من عقاب: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة: 33]؟ وقد نزلت الآية الأخيرة فى أولئك النفر من عُرينة حين ارتدوا وغدروا وسرقوا وقتلوا الأبرياء، فأمر الرسول عليه السلام بقطع «أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَأُلْقُوا فِي الحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ فَلاَ يُسْقَوْنَ»[129]. ومعنى (سُمرت أعينهم): فقئت بحديدة محماة. و(الحَرَّةِ) هي أرض ذات حجارة سود بالمدينة.

ويفرض أن الضرب كما يقول لا يتناسب إلا مع الحيوانات والغوغائية والبلطجية فمن قال لك أن النساء كلهن ملائكة؟ ألا ترى بعينيك أن منهن الوقحة وسليطة اللسان والنمامة والبلطجية والغوغائية، وهؤلاء كثيرات جدا، ولا ينفع معهن إلا الضرب؟ ألم تسمع عن المرأة التي قتلت زوجها، ومزقت جسده، ووضعت كل قطعة فى كيس، وفرقتها؟ ألم تسمع عن امرأة قيدت زوجها فى السرير، وصبت على جسده الماء المغلي؟ ألم تسمع عن امرأة قطعت عضو زوجها الذكري؟ ألا تسمع كل يوم عن امرأة خانت زوجها، واتفقت مع عشيقها على قتله؟

إن أحد أوجه خطورة تحريم ضرب المرأة أنه ينبع من تلاعب بالألفاظ، فالإعلام العالمى الفاسد سمى "العقاب" "عنفا" حتى يوهم الناس أن العقاب ليس رد فعل لجريمة، بل هو جريمة فى ذاته. **لقد صفحوا عن المجرم ، وألقوا بالتهمة على القاضى، وهذا تدمير جنوني لفكرة العدالة، لا يفعله إلا إبليس.** إن مبدأ "**العقاب عنف، والعنف جريمة**" **هو المبدأ السائد الآن فى العالم ، وقد تلقاه ضعاف النفوس من الدعاة، وكأنه قضية مسلم بها، فأفتوا بوجوب تعطيل حد السرقة والخمر والزنا والردة، كما نددوا بضرب الآباء للأبناء، ونادوا بإلغاء عقوبة الإعدام، وحرَّموا مقاومة المحتل الغاصب بالسلاح.** وفى الحقيقة أن تجريم كل أشكال العنف يدخل فى باب الجنون لأنه يغرى الناس بارتكاب الجرائم، ومن أمن العقوبة أساء الأدب. العنف مطلوب، وبدونه لا تستقيم

129) متفق عليه ، واللفظ للبخارى. والرواية كاملة كما يلى: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ، فَاجْتَوَوْا المَدِينَةَ «فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِلِقَاحٍ، وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا» فَانْطَلَقُوا، فَلَمَّا صَحُّوا، قَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتَاقُوا النَّعَمَ، فَجَاءَ الخَبَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ، «فَأَمَرَ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَأُلْقُوا فِي الحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ فَلاَ يُسْقَوْنَ». قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ: «فَهَؤُلاَءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»

الحياة. العنف فى ذاته ليس جريمة، وحين يكون العنف موجها للمجرم فأهلا به، أما البرىء فمن ذا الذى يحب أن يؤذيه؟ إنه عصر الجنون.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الفهم الشاذ لكلمة (واضربوهن)

لا أدرى من أين أتت كل هذه الثقة التى يتكلم بها خالد الجندى؟ إن الرجل لا يقدم لنا إلا فهما شاذا محدثا لقول القرآن (واضربوهن)، فهو يفسرها بالترك والابتعاد، أى أن المرأة إن لم تستجب للموعظة والهجر فى المضجع، فيجب على الزوج أن يترك لها البيت، ويخرج إلى بيت آخر!

يقول الخبر:

[وأعرب "الجندي"، خلال تقديمه برنامج "لعلهم يفقهون"، المذاع عبر فضائية"dmc" ، اليوم الثلاثاء، عن رفضه لتفسير جمهور المفسرين، موضحًا أن **بعض العلماء والمعاصرين ذهبوا إلى أن الضرب هنا لا يعني به حتى الضرب بالسواك؛ لكونه فيه إهانة وتطاول وتجاوز، وإنما الضرب هنا بمعنى الترك والابتعاد**، مثلما جاء في قول الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا} [النساء: 101]. وأضاف عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، أن **الضرب ذكر في القرآن بـ 14 معني**، فجاء بمعنى السفر في قول الله سبحانه وتعالى: "وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ"، وبمعنى التغطية في قوله: "وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ"، وبمعنى الكشف في قوله: " وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ"، وبمعنى الصفح والعفو في قوله:" أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا"، وبمعنى القطع في قوله: " فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ"][130]

انتهى كلام خالد الجندي. ولا أدرى كيف يسمع عاقل لهذا اللغو الذى لم يقل به أحد من أئمة اللغة عبر التاريخ الإسلامي كله؟

إن هناك فرقا بين قولنا "**ضرب الرجل فلانا**" وقولنا "**أضرب الرجل عن فلان**": "ضرب الرجل فلانا" يعنى آذاه بالشكل المعروف باليد أو بعصا أو بسيف، أما "**أضرب الرجل عن فلان**" **فمعناها "أعرض عنه"، أى تجاهله وانصرف عنه وابتعد عنه. و"أَضْرَبْتُ عَنِ الشيءِ" يعنى "كَفَفْتُ وأَعْرَضْتُ عنه، ومن قبيل ذلك قولنا: (أضرب فلان عن الطعام)**. وبالمثل قولنا:"**ضرب الرجل شيئا**

130) **"خالد الجندى: ضرب الزوجات غير موجود فى الإسلام"**. رقية جمال. صحيفة المستقبل. 2020. تم الدخول على الموقع يوم 10 يوليو 2021
https://www.elmostaqbal.com/384468/2020/04/28/%d8%ae%d8%a7%d9%84%d8%af-%d8%a7%d9%84%d8%ac%d9%86%d8%af%d9%89-%d8%b6%d8%b1%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b2%d9%88%d8%ac%d8%a7%d8%aa-%d8%ba%d9%8a%d8%b1-%d9%85%d9%88%d8%ac%d9%88%d8%af-%d9%81%d9%89-%d8%a7%d9%84/

عن فلان"، بمعنى صرف هذا الشيء عنه وأبعده، كما فى قوله تعالى: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا)[سورة الزخرف 5]. **وهكذا فوجود حرف "عن" يصنع فرقا ضخما فى المعنى، حيث يفيد معنى التباعد أو المجاوزة** كما فى قولنا: (سِرْتُ عن البلد) ، وكذلك: (تخلى عنه– غاب عنه– انصرف عنه – أعرض عنه– ولى عنه)[131]. وإذا رجعنا إلى آية سورة النساء لوجدناها تقول: "واضربوهن" وليس: "وأضربوا عنهن"، ولذا كان من الخطأ القول بأن معناها "ابتعدوا عنهن"، واتركوا البيت. هذا التفسير مهزلة[132]!

ومن المهازل الأخرى أن يقول خالد الجندي **أن وجود أكثر من معنى لفعل** "**ضرب**" **فى القرآن يسوغ لنا أن نفهم كلمة (واضربوهن) بأى طريقة نشاء**. هذه فضوى لغوية، والسياق يفرض علينا واحدا فقط من المعانى فى الغالبية العظمى من الحالات. على سبيل المثال استخدم القرآن فى أكثر من آية تعبير: (ضرب مثلا) كما فى آية: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} [إبراهيم: 24]. فهل هناك مجنون قال أن (ضرب) فى الآية الأخيرة تعني الضرب بالعصا أو اليد؟ مستحيل لأن المثل شىء معنوى، ولا يمكن ضربه بالعصا أو اليد. ومن الواضح لكل ذي عين أن َ(ضرب مثلا) معناها (بيَّن مثلا) أو (وصف مثلا). وهذا يثبت أن **السياق هو الذى يجبرنا على اختيار معنى واحد من بين المعاني المتعددة للكلمة الواحدة. ولو اتبعنا منهج خالد الجندى لجاز لنا أن نقول أن كلمة (ضرب) فى عبارة (ضرب الله مثلا) معناها الضرب بالعصا أو اليد لأن الضرب ورد فى القرآن بأربعة عشر معنى!**

وبالمثل كلمة (السماء) لها أكثر من معنى، فهى تعنى السماء التى تتضمن النجوم والشمس والقمر، كما تعنى أيضا ٍ(سقف البيت)، وتعنى كذلك (المطر) كما فى معجم الصحاح. فإذا قال الله تعالى:

---

131) حروف الجر(عن- على-من- إلى- فى – الباء- الكاف- اللام) تغير معانى الأفعال بشكل عنيف ، فمثلا قولنا (سمعته) يعنى أن شخصا تكلم ، ووقع كلامه على أذنى ، بينما قولنا (سمعت عنه) يعنى أن الناس حدثونى عن هذا الشخص ، والفرق بين العبارتين كبير. وكذلك قولنا: (قام الرجل فى القوم خطيبا) يعنى أنه وقف وسطهم ، بينما قولنا: (قام الرجل عن القوم) يعنى أنه انصرف عنهم ، وتركهم.

132) نحيل القاريء إلى معجم لسان العرب. فاقرأ ما يلى. وقد **وضعنا خطا تحت حرف (عن) كى يلاحظ القارىء أنه يفيد معنى الإعراض**، وهذا الحرف – كما قلنا- غير موجود فى آية القوامة فى سورة النساء. كما وضعنا خطا تحت الضرب المعروف بالعصا وغيرها كى يلاحظ القارىء غياب حرف "عن": [ضرب: **الضَّرْبُ مَعْرُوفٌ**، والضَّرْبُ مَصْدَرُ **ضَرَبْتُه؛ وضَرَبَه يَضْرِبُه ضَرْباً وضَرَّبَه......وأَضْرَبْتُ عَنِ الشيءِ: كَفَفْتُ وأَعْرَضْتُ. وضَرَبَ عَنْهُ الذِّكْرَ وأَضْرَبَ عَنْهُ: صَرَفَه. وأَضْرَبَ عَنْهُ أَي أَعْرَض**. وقولُه عَزَّ وَجَلَّ: "أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً" أَي نُهْمِلكم، فَلَا نُعَرِّفُكم مَا يَجب عليكم لأَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ ، أَي لأَنْ أَسْرَفْتُمْ. والأَصل فِي قَوْلِهِ: ضَرَبْتُ عَنْهُ الذِّكْرَ، أَن الرَّاكِبَ إِذا رَكِبَ دَابَّةً فأَراد أَن يَصْرِفَه عَنْ جِهَتِه، ضَرَبه بعَصاه، لِيَعْدِلَه عَنِ الْجِهَةِ الَّتِي يُرِيدها، فوُضِعَ الضَّرْبُ موضعَ الصَّرْفِ والعَدْلِ. يُقَالُ: **ضَرَبْتُ عَنْهُ وأَضْرَبْتُ**. وَقِيلَ فِي قَولِهِ: أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً : إِن مَعْنَاهُ أَفَنَضْرِبُ القرآنَ عَنْكُمْ، وَلَا نَدْعُوكم إِلى الإِيمان بِهِ صَفْحاً أَي مُعْرِضين عَنْكُمْ. أَقامَ صَفْحاً وَهُوَ مَصْدَرٌ مقامَ صافِحين. وَهَذَا تَقْرِيع لَهُمْ، وإِيجابٌ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وإِن كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ استِفْهَامٍ. وَيُقَالُ: **ضَرَبْتُ فُلَانًا عَنْ فُلَانٍ أَي كَفَفْتُهُ عَنْهُ، فأَضْرَب عَنْهُ إِضْراباً إِذا كَفَّ. وأَضْرَبَ فلانٌ عَنِ الأَمر فَهُوَ مُضْرِبٌ إِذا كَفَّ]**

{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات: 47]، فهل يحق لنا أن نقول أن السماء فى الآية الأخيرة تعنى (سقف البيت) أو (المطر) على أساس أن كلمة (السماء) لها أكثر من معنى؟ هذا هراء.

وكذلك (الساعة) لها أكثر من معنى فى القرآن، فهي تعنى (الفترة الزمنية المكونة من ستين دقيقة)، كما تعنى (يوم القيامة). فإذا قال الله تعالى: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا } [الأحزاب: 63]، فهل يحق لنا أن نفهم هذه الآية الأخيرة على أن الكفار يسألون النبى عليه الصلاة والسلام كم الساعة؟ هل هي الرابعة أم الخامسة ونصف؟ مستحيل، فمن الواضح أن الساعة فى الآية معناها يوم القيامة.

وعلى ذلك فخالد الجندى يرتكب مغالطة لغوية فاحشة حين يستنتج من وجود معان متعددة للضرب فى القرآن أن كلمة (واضربوهن) لا تعني بالضرورة الضرب الجسدى. ونحن نؤكد له أن السياق يجبرك على اختيار واحد فقط من المعانى المتعددة لفعل (ضرب). وما كان لخالد الجندي أن يتكلم بكل هذه الثقة إلا لأنه يدرك أنه يخاطب جيلا لا يعرف شيئا عن اللغة العربية.

والآن كفانا حديثا عن اللغة، وتعالى بنا إلى أرض الواقع:

إن المرء ليتعجب كيف يترك الرجل البيت، ويمضى من أجل نشوز زوجته كما يزعم خالد الجندي فى تفسير (واضربوهن)؟ ألا يحتاج أولاده إلى رعايته وحمايته ورقابته؟ وماذا تفعل الأسرة إن هاجمها أحد اللصوص ليلا، أو مرض أحد الأطفال فجأة؟ وإن كان الأولاد متعلقين بالأب فكيف يتركهم؟ **إن ترك الرجل للبيت ليس عقابا للمرأة، بل عقابا للأسرة كلها.**

ولاحظوا أيضا أن القرآن يقول: (واضربوهن) ، وإن فسرنا الضرب بالابتعاد والهجر كما يقول هؤلاء الدعاة، فسيكون المعنى (ابتعدوا عن الزوجات)، لكن ترك البيت فيه ابتعاد عن كل من الزوجة والأولاد، ولذا فهذا التفسير خاطىء تماما.

ثم أين يذهب الرجل الذى لا يملك بيتا آخر؟ إلى الشارع؟ أم يستأجر بيتا؟ أم يَدُور على بيوت أصدقائه كى يستضيفوه؟ وإن وجد بيتا يأويه فإنه سيظل يقاسى مرارة فراق الأولاد الذين يحبهم. كما

أن الزوج إن ترك البيت فلن يجد من يخدمه ، ويعد له الطعام ، وينظف له الثياب. **إنه بهذا الشكل لا يعاقب زوجته بل يعاقب نفسه.** ما هذا الحل الغبى؟!

ويضاف إلى ذلك أن **ترك الرجل للبيت فيه فضيحة للأسرة**، وسيعرف كل الناس بوجود خلافات عميقة بين الزوجين، فيكثر القيل والقال، ويوسوس المغرضون، ويؤججون الضغائن، فتتعقد المشكلة. وطبعا ليس من المنطقى أن يبحث الرجل عن مسكن فى بلد آخر حتى لا يتعرض للقيل والقال، فهذا حل أكثر غباء لأنه سيكون أشق على الزوج.

وإن كان سبب الخلاف سوء سلوك الزوجة، كأن يريدها الرجل ألا تخرج من البيت بغير إذنه أو يريدها أن تمتنع عن زيارة امرأة سيئة السمعة أو أن تكون محتشمة فى ملابسها، فكيف يترك لها البيت لتفعل ما يحلو لها؟ إنها ستقول كما يقول المثل: "بركة يا جامع". وبالمثل الأولاد أيضا يحتاجون بشدة إلى رقابة الأب حتى لا ينحرفوا ويضيعوا. **إن ترك الزوج للبيت فى هذه الحالة عمل غير أخلاقى،** وسيكون الرجل كالشرطى الذى أراد أن يضيق الخناق على اللصوص، فقرر أن يطلب إجازة من العمل!

ولهذه الأسباب السابقة وجدنا **الرسول عليه الصلاة والسلام ينهى الرجل عن أن يترك البيت إن أراد أن يهجر امرأته فى المضجع،** فعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَيَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحْ، **وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**»[133]. وقوله (ولا يهجر إلا فى البيت) معناه أن الهجر يجب أن يكون فقط فى المضجع دون أن يترك الرجل البيت.

وهناك سبب آخر للنهى عن هجر الرجل للبيت، فمن المعروف أن تعدد الزوجات كان منتشرا بين المسلمين، ومن الممكن للرجل أن يستغل فرصة أى خلاف صغير بينه وبين زوجته، فيترك لها البيت، ويذهب عند زوجته الجميلة الصغيرة بحجة أنه يريد أن يعاقب الأخرى على نشوزها،

---

[133]) رواه الطبرانى والحاكم. وقال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبى. ورواه أَبو داود وابن ماجة في "النكاح" والنسائى في "عشرة النساء" عن معاوية المذكور باللفظ المذكور، وصححه الدارقطنى في "العلل" وعلقه البخارى، وممن عزاه لأبى داود، النووى وغيره. انظر: **جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»** (4/ 622)**.** تأليف جلال الدين السيوطي. تحقيق مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر. الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة – مصر. الطبعة الثانية، 1426 هـ - 2005 م

وبذلك لا يتهمه أحد بأنه لا يعدل بين زوجاته. ولهذا سعى الرسول عليه الصلاة والسلام إلى غلق هذا الباب الذى قد يؤدى إلى ظلم كثير من النساء.

ولكن قد يقال أن الرسول عليه الصلاة والسلام هجر بيوت نساءه لمدة شهر، وأقام وحده فى مكان منعزل، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: آلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا، وَقَعَدَ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ، فَنَزَلَ لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ آلَيْتَ عَلَى شَهْرٍ؟ قَالَ: «إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ» رواه البخارى. والمَشْرُبَةٍ هى الغرفة المرتفعة.

فهل هناك تناقض بين الأحاديث؟ هل يبيح الإسلام للرجل هجر البيت أم لا؟

نحن نؤكد أنه لا تناقض، وأن **القاعدة العامة هى ألا يهجر الرجل بيته، وما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام حالة خاصة به، ولا تسرى على عامة المسلمين**. كيف؟

لقد هجر الرسول عليه الصلاة والسلام زوجاته لأنهن طلبن منه أن يوسع عليهن فى النفقة، فغضب الرسول لأنه لا يقبل أن تعيش نساؤه فى رغد من أموال المسلمين. وأمام إصرارهن اعتزلهن الرسول عليه الصلاة والسلام. والقصة رواها مسلم فى صحيحه[134]. ويبدو أن الرسول عليه السلام رأى أن من الأفضل أن يقيم فى بيت وحده حتى يعلم القاصى والدانى بما جرى. **فلو ظل يبيت كل ليلة عند إحدى زوجاته دون أن يجامعها لما لا حظ المسلمون شيئا غريبا، لكن حين يقيم الرسول وحده، ويمتنع عن دخول بيوت زوجاته والخروج منها سيعرف كل المسلمين بما جرى.**

لقد أراد الرسول عليه السلام أن يصل إلى مسامع كل الناس أنه هجر نساءه حرصا على أموال المسلمين، وقد كان هذا شيئا مهما فى ظل تشكيك المنافقين فى الطريقة التى يتصرف بها الرسول عليه السلام فى أموال المسلمين. وهذا التشكيك متوقع لأن الرسول عليه السلام كان يمسك بميزانية الدولة الإسلامية، وطبعا المنافقون لن تعجبهم حسابات الرسول فى توزيع الغنائم

134) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ، سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا**، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «**هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ**»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: **تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ**، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا - أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ - ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} [الأحزاب: 28] حَتَّى بَلَغَ {لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 29]، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»

والصدقات، بل إن هذا النوع من البشر لن يعجبه أى حاكم عادل لأنهم يريدون حاكما يغدق عليهم الأموال وحدهم من دون الناس. وقد عبر القرآن عن هؤلاء: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} [التوبة: 58]. وفى آية أخرى نفى الله تعالى عن رسوله الخيانة فى الغنيمة: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: 161]. وكلمة (يغل) تعنى (يخون فى الغنيمة). وفى موقف آخر دافع الرسول عليه الصلاة والسلام عن نفسه، فقال بعد أن أخذ وبرة من جنب البعير: "ولا يحل لى من غنائمكم مثل هذا إلا الخمس، والخمس مردود عليكم [135]". وقصة المنافق الذى اتهم الرسول عليه السلام بالظلم فى توزيع الغنائم مشهورة ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَرْبَعَةِ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ المُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الفَزَارِيِّ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ العَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلاَبٍ، **فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، وَالأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا،** قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ». فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُونِي»[136] متفق عليه، واللفظ للبخارى. ومن القصة الأخيرة نعرف أن تأليف قلوب المسلمين الجدد أثار حفيظة كثير من المسلمين المخلصين، وليس المنافقين فقط، وذلك لأن الأنصار –وهُم مَن هُم فى حبهم للرسول– غضبوا من تقسيم بعض الغنائم، إضافة إلى غضب قريش.

وإزاء دعاية المنافقين التى لا تنتهى **كان من الأفضل للرسول عليه الصلاة والسلام أن يعتزل زوجاته بعيدا عن بيوتهن حتى يخرج هذه المشكلة الزوجية من نطاق السر إلى نطاق العلن لأنها فعلا تتعلق بشأن عام.** ولو اعتزل الرسول نساءه فى بيوتهن فربما أخفت كل واحدة منهن عن الناس أن الرسول يهجرها فى المضجع حتى لا يشمتوا فيها. **وحتى لو علم الناس بهجر**

---

[135]) أخرجه أبو داود والبيهقى والحاكم ، وإسناده صحيح كما قال الألبانى. انظر: "**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**" (5/ 73). تأليف محمد ناصر الدين الألبانى. إشراف: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الثانية 1405 هـ - 1985م

[136]) الرواية كاملة فى البخارى كما يلى: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَرْبَعَةِ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ المُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الفَزَارِيِّ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ العَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلاَبٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، وَالأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ». فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُونِي» فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ، - أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ - فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: " إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ "

الرسول لنسائه داخل بيوتهن فسيقول المنافقون: "ومن أدرانا أن الرسول كان يهجر زوجاته فى المضجع بعد أن يغلق عليهن الباب؟ إنه يخدعنا."

إن هذا سبب كاف جدا كى يفارق الرسول عليه الصلاة والسلام بيوت زوجاته، فيكون هذا دليلا ماديا ملموسا على أنه لا يخضع لأهواء نسائه، وهو يدبر شئون المسلمين. وهكذا يبدو لنا أن هجر الرسول لبيوت زوجاته يمثل حالة خاصة، لا تشريعا عاما ينطبق على كافة المسلمين[137].

ها قد أثبتنا تهافت تفسير خالد الجدندى وأمثاله لقوله تعالى (واضربوهن). ولكن مع الأسف فقد انتشر هذا التفسير السخيف بين عامة الناس كانتشار النار فى الهشيم. ورصدتُ منذ عدة سنوات منشورا يتكرر فى مختلف وسائل التواصل الاجتماعي، يزعم صاحبه أنه كتبه ردا على الملحدين الذين يهاجمون الإسلام بسبب ضرب الزوجات، وأنه يقدم تفسيرا جديدا يثبت أن ضرب الزوجة ليس من الإسلام فى شيء. وطبعا ملايين القراء الجهلاء يصدقون المنشور لأنهم لا يفقهون شيئا فى علوم اللغة والتفسير. ولما حاولت الرد على هذا المنشور وفضح حقيقة أغراضه ووجهتُ بمقاومة مستميتة من القراء الذين حسبوا أننى لا أريد تبرئة الإسلام من تهمة يلصقها به أعداؤه. حقا نحن فى زمن الجهل!

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

---

137) حاول البعض حل المسألة عن طريق القول بأن الرواية التى أفادت هجر الرسول للبيت أقوى ، فقال البخارى: (بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ فِي غَيْرِ بُيُوتِهِنَّ وَيُذْكَرُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ، رَفْعُهُ: «غَيْرَ أَنْ لاَ تُهْجَرَ إِلَّا فِي البَيْتِ» وَالأَوَّلُ أَصَحُّ). وقول البخارى: (رفعه) أي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه أبو داود في النكاح باب حق المرأة على الزوج. وقول البخارى: (والأول. .) أي حديث أنس رضي الله عنه الذي فيه الهجر في غير البيوت أصح إسنادا من غيره. انظر: **تعليق مصطفى البغا على صحيح البخارى**.

شيخ الأزهر ومسخ الإسلام

انضم شيخ الأزهر أحمد الطيب إلى قاطرة مسخ الدين، فدعا إلى إصدار قانون لمنع ضرب الزوجات بشكل مطلق. قيل هذا الكلام أول مرة عام 2019م، لكنه مر بهدوء دون أن يشعر به أحد لأنه أذيع على قناة بلا شعبية، إلى أن أعيدت إثارت القضية فى سياق مشروع قانون يقضي بتغليظ عقوبة ضرب الزوج لزوجته لتكون الحبس مدة لا تزيد على خمس سنوات. بدأت العاصفة حين تناول الإعلامى عمرو أديب فى برنامجه الشهير "هنا القاهرة" قضية ضرب الزوجة، وأفسح المجال لإسلام البحيري، الذي صب جام غضبه على شيخ الأزهر بحجة أن شيخ الأزهر يؤيد ضرب الزوجة، فتعاطف الناس بشدة مع شيخ الأزهر ظنا منهم أنه يدافع عن الدين فى مواجهة من يحاول تمييعه كإسلام البحيرى وأمثاله، لكن شيخ الأزهر خذل الناس، وشن حملة مضادة معلنا أنه لا يؤيد ضرب المرأة، وأنه طالب منذ ثلاث سنوات بإصدار قانون يمنع الضرب، وأعاد نشر الفيديو القديم الذي يعبر عن رأيه[138].

وأورد موقع بى بى سى الخبر قائلا: [كان الطيب قد ذكر في حلقة تلفزيونية منذ ثلاث سنوات أن "ضرب الزوج للزوجة الناشز مذكور في القرآن وأمر "مباح"، غير أنه قال إنه "**من حق ولي الأمر– وهي الدولة – أن تعدل عن هذا المباح**". "**الضرب ليس واجبا وليس فرضا وليس سنة وليس مندوبا، لكنه أمر مباح**"، هذا ما قاله الطيب في الحلقة التي اختتمها بالدعوة لحوار مجتمعي **لمنع ضرب المرأة** "**بشكل مطلق**" **وطرح القضية على البرلمان لسن القوانين اللازمة لذلك]**[139].

وقد عدت إلى الفيديو الذى أدلى فيه أحمد الطيب بهذا التصريح[140]، وتأكدت منه، وكان من الحلقة 30 من برنامجه الرمضاني «حديث مع شيخ الأزهر»، والمذاعة يوم 4 يونيو لعام 2019. وفى هذا الحديث قال شيخ الأزهر حرفيا ما يلي:

---

[138]) **"ما قاله شيخ الأزهر عن ضرب المرأة: ولي الأمر من حقه أن يعدِل عن هذا المباح".** هديل هلال. جريدة الشروق. 2 فبراير 2022. تم الدخول على الموقع يوم 21 مارس 2022م.
https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=02022022&id=13eff091-1093-402a-8983-d01e46729ab3

[139]) **"العنف الأسري في مصر: قضية "ضرب الزوجة" تعود إلى الواجهة من جديد"**. تحقيق وائل حسين. القاهرة. موقع بى بى سى. 3 فبراير 2022.
https://www.bbc.com/arabic/middleeast-60251406

[140]) **"الحلقة 30 من رمضان الموافق 4 يونيه 2019 ودعوة الإمام الطيب إلى إلغاء ضرب الزوج لزوجته تماما"**. أحاديث شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب على المصرية. الفيديو مرفوع على موقع اليوتيوب يوم 5 يونيو 2019م
https://www.youtube.com/watch?v=qXczHPYAsW4&t=906s

[ولى الأمر لا يستطيع أن يلعب فى مربعات الفرض والسنة والواجب، ويمنعها. أما بالنسبة ل"المباح"، فالشرع أعطى الحق للحاكم فى أن يمنعه إن طبقه بعض الناس تطبيقا يترتب عليه ضرر]. ثم دلل شيخ الأزهر على رأيه قائلا أن [القانون منذ عدة سنوات كان يبيح زواج البنات عند سن ستة عشر عاما، لكن لما رفعت المنظمات الدولية سن الطفولة إلى ثمانية عشر عاما قلنا جميعا –علماء وغير علماء، وأزهر وغير أزهر– بأنه لا يجوز الزواج قبل ثمانية عشر عاما. إذن ما كان مباحا منذ فترة قد وأصبح ممنوعا الآن. ونفس الشيء يمكن أن ينطبق على ضرب المرأة، فيمكن أن نطرح قضية أو مناقشة لمنع الضرب، لا للزوجة الناشز فقط، ولكن بشكل مطلق، لأن الضرب الآن أصبح إهانة للإنسان، وربما يسبب له عقد لا تفارقه حتى يدخل قبره. لا مانع من أن نتناقش فى هذا الأمر، ونطرحه كقضية، ويمكن أن يناقش فى مجلش الشعب، ويناقش فى القضاء، ويناقش فى الأزهر. وأتمنى أن أعيش إلى أن أرى أن ضرب الإنسان العربي أو المسلم جريمة، ويعاقب الضارب معاقبة المجرمين].

وكلام أحمد الطيب يمثل مهزلة متكاملة الأركان. وسندحض كلامه بمنطق صاعق بإذن الله:

هل يجوز للحاكم منع المباح

هذه القاعدة التى استند إليها أحمد الطيب فى غاية الخطورة، وستفتح الباب على مصراعية للعبث بشريعة الله. وأوجه الخطأ فى كلامه ما يلى:

أولاً:

كلنا نعلم أن الإسلام حرم أكل الميتة، فما رأيكم إن خرج علينا يوما أحد المفكرين بدعوة إلى تحريم أكل كل اللحوم حتى لو ذبحت بطريقة شرعية لأن هذا ضد حقوق الحيوان؟ **هل نطيعه بحجة أن من حق الحاكم أن يحرم المباح؟** قطعا لن يوافق أحد على هذا الكلام **لأنه يحرم شيئا أباحه الله تعالى للناس، وكأنه يقول لله: "أنت لم تحسن التشريع، وكان يجب عليك أن تكون أقل دموية، وأكثر رأفة بالحيوان". حاشا لله.**

وهب أن أحد الأطباء دعا يوما إلى إصدار قانون يجرم زواج المرأة بعد سن 35 عاما لأن الحمل فى هذا السن يحمل خطورة على صحة الأم والجنين، **فهل نطيعه بحجة أن من حق الحاكم أن يحرم المباح؟ قطعا لا، لأن الله تعالى لم يحرم الزواج فى هذا السن، فكأن هذا الطبيب يقول لله: "أنت لم تحسن التشريع، وكان من الواجب عليك أن تدرس الطب أولا". حاشا لله.**

مثل هذه الأمثلة تؤكد أن قاعدة "من حق الحاكم تحريم المباح" فيها نظر، ومن الخطأ أن تؤخذ هذه القاعدة على إطلاقها. إن هذه القاعدة لم تنزل فى القرآن ولا فى السنة، ولذا فهى ليست مقدسة، ومن حقنا أن نناقشها. وأول ما يجعلنا نتردد فى قبولها قول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحريم: 1]. هذه الآية تقول أنه ليس من حق أحد- حتى الرسول- أن يمنع الحلال. لكن فى المقابل هناك أشياء بسيطة يمنعها الحكام كل يوم دون أن يشعر أحد بأن هذا عدوانا على شريعة الله.

ونحن نؤكد أن ما يجوز للحاكم هو أن يحرم الحلال بشكل محدود زمانا ومكانا لظروف خاصة، لكن ليس من حق الحاكم أن يحرم المباح بشكل أبدى مطلق، لأنه بهذا يكون يتعدى على سلطة الله فى التشريع، ويدعى أنه أكثر حكمة من الله. من حق الحاكم مثلا أن يمنع ركوب الحمير والجمال فى الميادين العامة المكتظة بالسيارات حتى لا تربك المرور مع أن الله تعالى لم يحرم ركوب الحيوانات فى الطرقات. هذا تحريم محدود زمانا ومكانا. أما إن دعا أحد الكتاب إلى تحريم ركوب الحمير والخيول نهائيا، ولو حتى فى الصحراء لأن فى هذا إهانة للحيوانات وإرهاق لها، فنحن نقول له: هذا ليس من حقك لأنك تحرم شيئا أحله الله، وكأن تقول لله: "أنت لم تحسن التشريع، وكان يجب عليك أن تتعلم الرحمة بالحيوان من الغرب أولا". حاشا لله.

ولا مشاحة أيضا فى أن من حق الإنسان أن يمتنع عن أكل بعض الأطعمة كالكوسة والسمك لأنه يكرهها. ومن حق الإنسان أن يمتنع عن ارتداء ملابس زرقاء لأنه لا يحب هذا اللون. وطبعا هذا ليس حراما، فهو يدخل فى باب الأهواء التى تختلف من إنسان لآخر، لكن ليس من حق أحد أن يعمم هذا على كل الناس، كما فعل الحاكم بأمر الله حين حرم أكل الملوخية والجرجير والعنب.

ومن حق الحاكم أن يمنع الفلاحين من زراعة الموز لأنه يستهلك كميات كبيرة من الماء، والدولة تعانى من فقر مائى خطير، لكن ليس من حق أحد أن يحرم على كل الناس فى كل البلاد زراعة الموز، فكأنه يقول لله: "كان عليك أن تحرم الموز أسوة بتحريم لحم الخنزير". حاشا لله.

وكذلك أكل لحم البقر مباح، لكن من حق الدولة أن تمنع أكله مؤقتا إن أصيب البقر بمرض يهدد صحة الإنسان. أما أن تمنع الدولة أكل لحم البقر نهائيا حتى لو لم يوجد وباء، فهذا تَعد على شريعة الله.

وسنجد أيضا أن أداء مناسك العمرة من المباحات، ومن حق الدولة أن توقف العمرة فى أحد الأعوام إن انتشر وباء خطير، لكن لا يحق للدولة أن تمنع الناس من أداء العمرة إلى الأبد.

نستنتج من هذا أنه ليس من حق الحاكم أن يمنع المباح "بشكل مطلق". وكل ما يجوز له أن يمنع المباح "بشكل محدود زمانا ومكانا".

أما ضرب الزوجة فيريدون له اليوم أن يكون محرما تحريما مطلقا نهائيا أبديا مدى الحياة وفى كل المجتمعات باعتبار أنه أمر تجاوزه العصر، وعفا عليه الزمان. وهذا عدوان خطير على سلطة الله التشريعية.

<u>ثانيا:</u>

قول شيخ الأزهر أن ضرب الزوجة من المباحات خاطيء تماما، وذلك لأن الضرب يكون فى كثير من الأحيان واجبا يُلام الرجل إن لم يفعله.

مثلا إن علم رجل أن زوجته كانت السبب المباشر فى تطليق امرأة من زوجها من خلال إشاعة روجتها، أو اكتشف الرجل أن زوجته أتلفت عمدا بعض أوراقه، أو وقفت فى شرفة المنزل مكشوفة الشعر لفترة طويلة، أو رآها ترقص فى أحد الأفراح، أو وجدها تحث أولادها على الغش فى الامتحانات، أو تحرضهم على عدم الاستجابة لأوامر أبيهم، أو تسلط ابنها كي يضرب زميلا نهره بسبب مضايقته للفتيات فى الشارع، أو تعطى ابنها النقود من وراء ظهره رغم علمها أنه يشترى بها السجائر، إن حدث أى من هذه الأمور، فنصح الرجل زوجته ونهرها، فعاندت، ورفعت صوتها،

فهل يسكت؟ هل يتركها تفسد وتعربد دون رادع؟ هل ينتظر عدة أسابيع كى يهجرها فى المضجع، فترضخ فتكون الجريمة قد وقعت، وانتهى الأمر؟ هنا يصبح الضرب واجبا وفرضا، وليس مباحا.

وهناك موقفان جعلانى أنتبه لأول مرة إلى أن ضرب الزوجة يكون أحيانا أمرا لا مفر منه. الأول كان مشهد أناس تجمعوا فى قريتنا حول امرأتين تتبادلان الاتهمات. وما لبث الأمر أن تطور إلى تقاذف بالكلمات النابية، وذكر للأعضاء التناسلية، واتهامات بالزنا. ولما وصل زوج إحداهما، ورأى منها هذا الفحش نهرها، فلم تجبه، فما كان منه إلا أن انهال عليها ضربا، وجذبها من يدها بعيدا كى يوقف هذه المهزلة التى لا يشرفه أن تشارك فيها زوجته. فى هذه اللحظة أشاد كل الواقفين (رجالا ونساء) بتصرف الرجل، ولم يقل أى منهم أن ضرب الرجل لزوجته فيه وحشية وإهانة.

أما الموقف الثانى فقد شاهدته عندما كنت طبيب امتياز فى قسم النساء والتوليد حيث جاءتنا امرأة تشكو من آلام الوضع، ولما فحصها الطبيب وجد أنها توشك على الولادة، ولم يبق أمامها إلا دقائق معدودة فطلب منها أن تدخل على الفور إلى غرفة الولادة لأن هناك خطورة على الجنين، ولكن السيدة صرخت فى هلع: "لن أدخل، سيقتلوننى"، فقال لها زوجها فى حزم "ادخلى"، فلم تدخل، فكرر الأمر، فلم تجبه، فما كان منه إلا أن ضربها ودفعها بعنف إلى غرفة الولادة، ولم يقل أحد من الذين شاهدوا الواقعة أن الرجل متوحش أو أنه يسيء معاملة زوجته.

مثل هذه الحوادث جعلتني أنتبه إلى أن **ضرب الزوجة ليس شيئا سيئا فى ذاته، ولكن المهم هو ما الذى دفع الرجل إلى اللجوء إلى الضرب**. كما أن هذه الوقائع جعلتنى أنتبه إلى أن المرأة مخلوق قوى العاطفة، وكثيرا ما تذهب عاطفتها بعقلها، فتصاب بحالات هستيرية، وتتوقف عن التفكير والاستجابة للموعظة والكلام الهادىء، وهذا يجعل الضرب رد فعل حكيم فى بعض الأحيان.

النتيجة التى توصلنا إليها الآن هى أن ضرب الزوجة ليس دائما من المباحات كما يقول شيخ الأزهر، ولكنه يكون فى كثير من الأحيان من الفروض والواجبات. وعلى هذا فلا يجوز للدولة منعه طبقا لمنطق شيخ الأزهر نفسه.

<u>ثالثا:</u>

ماذا يقول شيخ الأزهر فى طاعة المرأة لزوجها؟ إنه يؤكد فى كل أحاديثه أن طاعة الزوج فرض أو واجب طبقا لنص القرآن. **لكن إذا كان ضرب الزوجة ضرورى فى أحيان كثيرة لإلزامها بطاعة**

زوجها –لأن كثيرا من النساء خبيثات الطباع – فيترتب على هذا أن الضرب يصبح هو الآخر واجبا، وليس مباحا لأن ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب. إذن ضرب الزوجة ليس من المباحات، ولذا فلا يحق للحاكم أن يمنعه.

<u>رابعا:</u>

الدولة ليست مضطرة لتحريم الحلال. **بفرض أن الدولة رأت أن الرجال أساءوا استخدام حق الضرب، فهل يكون الحل بسن قانون يحرم الضرب تماما أم بسن قانون يغلظ العقوبة على الرجل إن تمادى فى ضرب زوجته حتى سبب لها الكسور أو الإصابات الخطيرة؟** إن مثل هذا التشريع يتفق مع السُّنة التى تحرم الضرب المبرح. **<u>نحن لسنا مضطرين لإيقاف نص القرآن.</u> إن بعض الناس يسيء استخدام السكين، فيقتل بها الأبرياء، فهل نمنع كل الناس من اقتناء السكاكين فى البيوت أم نغلظ العقوبة على من يستخدم السكين فى ترهيب الناس؟** وسنجد كذلك أن من حق الأب أن يأمر أولاده، ومن واجبهم أن يطيعوه، لكن تاجر المخدرات يأمر أولاده بأن يساعدوه فى ترويج بضاعته، والزانية تأمر بناتها بالعمل معها فى بيت الدعارة، فهل وجود هذه النماذج السيئة من الآباء تجعلنا نطالب بإلغاء وصاية كل الآباء عن أبنائهم، أم أن المنطقي أن نتشدد فى عقاب الآباء المنحرفين؟ **إذن إساءة بعض الناس لاستخدام أحد الحقوق لا يوجب عقلا حرمان كل الناس من هذا الحق.**

<u>خامسا:</u>

شيخ الأزهر مستسلم بشكل غريب لمنظومة الفكر الغربي، فهو يقول أن المنظمات الدولية لما رفعت سن الطفولة إلى ثمانية عشر عاما قبِل الأزهر ذلك. كيف يرضى الرجل لنفسه وللأزهر أن يتبع تلك المنظمات الدولية مع أنها منظمات مشبوهة، تروج للزنا والشذوذ؟ كما أن رفع سن الزواج لا علاقة له بالطب، ولكنه مؤامرة عالمية لتحديد النسل (خاصة فى العالم الإسلامي)، وهدم الأسرة، ونشر الرذيلة، لأن الفتاة التى تبلغ وتُمنع من الزواج ستقع غالبا فى الزنا. إن الطب يقول أن البلوغ الطبيعي (أى ظهور علامة الأنوثة ككبر الثديين) يتراوح بين سن الثامنة وسن الثالث عشرة. والفتاة التى يتجاوز عمرها الثالثة عشرة دون أن تظهر عليها علامات الأنوثة يكون لديها غالبا خلل فى

الهرمونات، وتحتاج للعلاج. وعلى ذلك فتأخير سن الطفولة إلى 18 عاما هو "سياسة" وليس من الطب فى شيء، وهذا الحديث أمره يطول، وسنتكلم عنه فى مقام آخر.

المهم أن شيخ الأزهر قبل تأخير سن الزواج، مخالفا دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام الواضحة للزواج المبكر حين قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». وهذا الحديث فى غاية الصحة، فقد رواه البخارى ومسلم[141].

والمصيبة لم تقف عند حد قبول أحمد الطيب لتأخير سن الزواج، ولكنه ارتكب خطأ أكبر حين اعتبر تأخير الزواج حكما ثابتا يقاس عليه، وكأنه نص من القرآن أو السنة، يجوز تطبيقه على الأمور المشابهة، فقال أنه طالما أن الأزهر قد حرم الزواج المبكر رغم أنه مباح في الشرع، فكذلك يجوز للأزهر تحريم ضرب المرأة رغم أن الضرب مباح. **وتطبيق مبدأ القياس بهذا الشكل مهزلة من وجهة نظر علم أصول الفقه،** فالقياس ينطلق من نص مقدس ورد في القرآن أو السنة كى يتم تطبيقه على حالة مشابهة، لكن أحمد الطيب بدأ قياسه العصري من نص غير مقدس (من توصيات المنظمات الدولية المشبوهة) التى خضع الأزهر لقرارها، وقام بتطبيقه على حالة غير مشابهة!

سادسا:

استشهد شيخ الأزهر بقول عطاء بن أبي رباح عن ضرب الزوجة: «الزوج عليه أن يستمر في غضبه ولا يضرب»، مشيرًا إلى أن «عطاء» لا يرفض القرآن وإنما يعلم أن الشخص أمام شيء مباح له أن يأتيه وأن يدعه[142]. ونحن نقول: رأى التابعى فوق رأسنا، لكن التابعى ليس صحابى. وحتى الصحابى لا قيمة لرأيه إن خالف القرآن أو السنة. وهذا ما استقر عليه علم أصول الفقه، وهو منطقي تماما. التابعى بشر، يصيب ويخطيء. ولكى نتقبل رأيه فعليه أن يقدم لنا دليلا عليه. وعطاء بن أبي رباح لم يقدم دليلا، مع كامل التقدير والتبجيل لفضله وعلمه وخلقه ومكانته الرفيعة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

141) (الباءة) تعنى الجماع. وكلمة (وِجَاءٌ) تعنى رَضُّ الْخُصْيَتَيْنِ وَقِيلَ رَضُّ عُرُوقِهِمَا. وَمَنْ يُفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ تَنْقَطِعْ شَهْوَتُهُ. وَمُقْتَضَاهُ أَنَّ الصَّوْمَ قَامِعٌ لِشَهْوَةِ النِّكَاحِ. انظر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**(4/ 119)**.** تأليف ابن حجر العسقلاني. دار المعرفة - بيروت، 1379. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب

142) **"ما قاله شيخ الأزهر عن ضرب المرأة: ولي الأمر من حقه أن يعدِل عن هذا المباح".** هديل هلال. جريدة الشروق. 2 فبراير 2022. تم الدخول على الموقع يوم 21 مارس 2022م.

https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=02022022&id=13eff091-1093-402a-8983-d01e46729ab3

هل نمنع الضرب لأنه إهانة للمرأة؟

يلجأ شيخ الأزهر إلى منطق شديد الجاذبية وشديد الخطورة، فيقول: "الضرب الآن أصبح إهانة للإنسان، وربما يسبب له عقدا لا تفارقه حتى يدخل قبره". ونحن نرد على شيخ الأزهر بما يلي:

أولا:

نحن نقول لشيخ الأزهر: **أنت بذلك تشجع الزوجة على عصيان زوجها. لماذا لا تترك الشريعة كما هي، فتصبح المرأة المعاصرة أكثر حرصا على عدم إغضاب زوجها خوفا من الضرب الذي يجلب لها إهانة بالغة؟ ألست تتفق معنا فى أن طاعة الزوج واجب على الزوجة؟**

ومن هنا **أقول بكل قوة أن ضرب الزوجة يلائم العصر الحديث خلافا لما يظنه الجهلاء، وذلك لأن المرأة اليوم أصبحت أكثر قوة، وهذا جعلها أكثر تمردا على زوجها. ولو جاز لكم تغيير الشريعة لتلائم العصر فعليكم أن تشجعوا على الضرب، لا أن تلغوه، فالردع يجب أن يكبر كلما مال الناس لارتكاب الجرائم، والإهانة البالغة التى يسببها الضرب للمرأة الرقيقة يردعها عن عصيان زوجها، فتصبح الأسر أكثر استقرارا.**

ثانيا:

إذا كان السبب الأكبر لرفض المرأة للضرب هو أنه يشعرها بالإهانة، **فمن حق الرجل أيضا أن يقول أنه يشعر بالإهانة من إلغاء الضرب**، لأنه لا يستطيع أن يحكم بيته كما ينبغى، ولا يستطيع أن يقوم من سلوك زوجته، فهو فى الحقيقة رئيس منزوع السلطات، رئيس بالاسم فقط. وأكبر إهانة لرئيس أن تنزع منه سلطته. لماذا إذن نلغي عقوبة الضرب مراعاة لمشاعر المرأة دون أن نراعى مشاعر الرجل؟

ثالثا:

لماذا يحرص شيخ الأزهر بهذا الشكل العجيب على ألا تشعر المرأة بالإهانة، مع أن كثيرا من النساء لا يصلح لهن إلا الإهانة؟ هناك نساء فى غاية الوقاحة والخبث والانحطاط، ومن الخطأ

الحفاظ على كرامتهن. قبل أن نرأف بالمجرم علينا أن نسأل: ما الذى جعله مستحقا للعقاب؟ هذا هو العدل.

رابعا:

لنا أن نتساءل: لماذا أصبحت المرأة تشعر اليوم أن الضرب إهانة؟ السبب هو أنها أصبحت مدللة بطريقة غثة، ولم تعد تتعرض للضرب من الأب أو الزوج. وما السبب فى ذلك؟ لأن الأب تخلى عن واجبه فى تقويم أولاده، والزوج تخلى عن واجبه فى تقويم زوجته، فلم يعد أحد يراقب أحدا. ولو ظل كل من الأب والزوج يقوم بدوره لسمع الناس من حين لآخر عن ضرب هذه المرأة أو تلك، ولما شعرت المرأة المعاصرة بزيادة فى الإهانة من جراء الضرب مقارنة بالعصور السابقة. وعلى ذلك **فإلغاء ضرب الزوجة حل لمشكلة صنعناها بأنفسنا. والواجب أن نصحح خطأنا، لا أن نغير شريعة الله لتتوافق مع الخطأ.** هب أن رجلا كسولا استقال من عمله، وجلس فى بيته، ليعيش عالة على أبويه. ولما اضطر يوما للعودة إلى العمل شعر بتعب شديد جدا، وكاد يغشى عليه، فهل يحق لهذا الرجل أن يطالب الدولة بأن تنفق عليه لأنه غير قادر على العمل؟ قطعا لا، فعجزه عن العمل يرجع إلى أنه لم يمارس العمل ولم يتعود على التعب، والحل هو أن يواصل العمل، وسيختفى التعب تدريجيا بعد أيام قليلة. وبالمثل إن عاد الرجل إلى ممارسة قوامته على المرأة، وتعرضت المرأة للضرب كما كان الأمر فى الماضي، فلن يقول أحد بعد ذلك أن الضرب مهين للمرأة المعاصرة. وطبعا لست ممن لديهم شهوة تعذيب النساء، كما أؤكد أن كثيرا من النساء على خلق كريم، ولا يمكن للرجل أن يفكر يوما فى ضربهن، ولكن هناك نوع من البشر لا ينفع معه إلا العنف.

خامسا:

هناك نقطة فى غاية الأهمية، وهى أن **علينا ونحن نُقَيِّم شريعة الله فى ضوء تغيرات العصر الحديث أن تكون نظرتنا شاملة.** وإن فعلنا ذلك سنجد أن **العصر الحديث أتى لنا بتخفيف كبير فى كثير من الشرائع،** فمثلا صوم رمضان أصبح شديد السهولة بعد الانتشار الواسع للمكيفات. والحج أصبح أكثر سهولة بعد ظهور الطائرات والحافلات وتوسعة الحرم. كما أصبح من السهل أن نعرف مواقيت الصلاة بدقة، وأن نسمع الأذان فى مكبرات الصوت بدلا من صوت المؤذن

المنخفض، وأن نستيقظ فى صلاة الفجر بواسطة المنبهات. وبات الوضوء سهلا بعد اختراع الصنبور. وأصبح من السهل حساب الميراث والزكاة بواسطة برامج إلكترونية. ومن السهل أن نرسل الزكاة والصدقات لأى مكان فى العالم عبر الهاتف، ونحن جالسون على مقاعدنا. ومن السهل أن نجد عبر الإنترنت إجابة من أفضل الشيوخ عن أى فتوى نبحث عنها. ومن السهل أن نتعلم القرآن والتجويد ونحن فى البيت دون حاجة للذهاب للكُتَّاب. وكل الكتب الدينية أصبحت متاحة على الحاسوب والهاتف مجانا.

كل هذا يثبت أن التكاليف الدينية أصبحت أكثر يسرا فى العصر الحديث. وبفرض أن الضرب فيه ألم وضرر نفسي أكبر للمرأة فى العصر الحديث، فلماذا لا نتقبله على أساس أن الله تعالى خفف عن المرأة المعاصرة أمورا أخرى؟ لماذا لا تنظر المرأة إلى شىء بسيط مثل الحيض والنفاس؟ لقد أدى اختراع الحفاظات إلى أن أصبحت المرأة أقل معاناة من سيلان الدم الخبيث من جسدها. أليست هذه نعمة من الله؟ ألم يصبح الحمل والولادة أسهل كثيرا بالنسبة للمرأة فى العصر الحديث بعد تقدم الطب؟ ألم يعد من الممكن للمرأة أن تأخذ عقاقير لتأخير الدورة الشهرية كي تتمكن من أداء الحج والعمرة، بينما فى الماضي كان يحدث أحيانا أن تسافر مئات الأميال للحج، فتفاجأ بنزول الدورة، فيعوقها هذا عن أداء الشعائر؟ **لماذا ننظر إلى المشقة التى أتى بها العصر الحديث، وننسى التخفيف، مع أن التخفيف أكبر بكثير؟**

إن هذه النظرة الشاملة لتفاعل الشريعة مع مستحدثات العصر توجب علينا إغلاق الباب أمام تلك الأصوات التى تنادى بإيقاف عمل نص من نصوص الدين كلما بدا لها أن العصر قد تغير. **من الخطأ إلغاء نص معين من نصوص القرآن والسنة إشفاقا على الناس، وذلك لأن كل مشقة فى التكاليف الشرعية أتى بها العصر الحديث يقابلها تخفيف فى جانب أو أكثر من جوانب الشريعة.**

<u>سادسا:</u>

لنا أن نسأل: هل الإهانة الأكبر التى تحدث للمواطن حاليا فى أغلب الدول الإسلامية هي إهانة الزوجات بالضرب؟ ألا يتعرض عشرات الآلاف من أساتذة الجامعات وكبار المفكرين والمثقفين والصحفيين لأبشع أنواع الإهانات فى المعتقلات؟ ألا يموتون من الجلد والتعليق والصعق بالكهرباء

والجلوس على الخوازيق؟ ولماذا لا يذرفون الدمع على آلاف المواطنين الذى وجدوا أنفسهم بين عشية وضحاها فقراء يتسولون فى الشوارع بعد أن هُدمت بيوتهم، وأفقرتهم السياسات الاقتصادية الفاسدة لكثير من الأنظمة؟ **أليس استجداء الطعام إهانة؟ أليس طرد المواطن من بيته إهانة؟** ولماذا لا تشعرون بالإهانة حين تعاملكم الدول العظمى باستخفاف لأنكم شعوب ضعيفة متخلفة لا تقدم للحضارة شيئا؟ **لماذا تتذكرون فقط إهانة الرجل لزوجته؟**

والغريب أن أشد الأنظمة قسوة، وتعذيبا وتنكيلا بالشرفاء هى أشدها حرصا على منع ضرب المرأة. والسبب هو أن هذه الأنظمة الميتة القلب لا تحمى المرأة شفقة عليها، ولكن لأن تقوية المرأة ضد زوجها يدخل الأسرة فى صراع ينتهي حتما بالخراب، وهذه الأنظمة ما تركها النظام العالمي لتحكم بلاد المسلمين إلا لتخريب الأسرة وتدمير المجتمع.

سابعا:

سيدهش القاريء حين يعلم أن دعوة شيخ الأزهر لسن قانون يجرم ضرب الزوجات جاءت بعد أربعة أيام فقط من حلقة سابقة فى نفس البرنامج، دافع فيها بمنطق رائع عن شريعة ضرب الزوجة، وقال حينئذ ما ملخصه أن النشوز معناه التكبر، وهناك نوع من النساء لا ينفع معه إلا الضرب، الذي هو رمز لجرح كبرياء المرأة أو كسر تكبرها. ولا يمكن لعاقل أن يعارض الضرب بهذا المعنى، وإلا تمادت مثل هذه المرأة، فتقلب المعبد على رأسها، ويقع الطلاق. ولهذا فمن الحكمة أن نضحى بأخفف الضررين (يقصد أن ضرب الزوجة أخف ضررا من هدم الأسرة). وكل الاتفاقيات الدولية التى نادت بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة فعلت ذلك على جثة الأسرة. والغرب لا يحترم الأسرة. وهم قد نفضوا أيديهم من الأسرة والزواج والأولاد، ويعتبرون الأسرة نظاما قديما، عفا عليه الزمن[143].

وهذا المنطق الذي طرحه شيخ الأزهر شديد الروعة، وهو يتلخص فى كلمتين: الضرب أهون من خراب الأسرة.

---

[143]) **"الحلقة 26 من رمضان 31 مايو وحكم ضرب الزوجة. برنامج أحاديث شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب على المصرية"**. الفيديو مرفوع على موقع يوتيوب بتاريخ 1 يونيو 2019م.
https://www.youtube.com/watch?v=9aiiS9K4IuE

وتغيير العالِم لرأية فى إحدى المسائل ليس غريبا، لكن تغيير شيخ الأزهر لرأيه بين عشية وضحاها يدل على أنه لم يكن دارسا للمسألة بشكل جيد، وكما يقول المثل: "كلمة توديه، وكلمة تجيبه". وليس عيبا أن يجهل أحد العلماء أمرا من أمور الشريعة، لكن العيب أن يسمح العالم لنفسه بالكلام فى مسألة لم يقتلها بحثا. اللهم إنى أعوذ بك أن أَضل أو أُضل.

كان هذا ردنا على شيخ الأزهر. لا يهمنا شخصه، ولا يعنينا ما إذا كان طيبا أم شريرا، فأمره موكول إلى الله الذي يعلم السر وأخفى، لكن من واجبنا أن نهاجمه إن حاد عن الصواب، واتخذ خطوات جريئة نحو علمنة الإسلام، وتحريفه، وتحويله إلى دين بلا لون ولا طعم بغية إرضاء النظام العالمي الفاجر.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

كراهية الضرب لا تجعله حراما

صعقت يوما حين استمعت في إذاعة القرآن الكريم إلى عالم نفس أو اجتماع (لا أذكر) وهو يتكلم عن الأضرار النفسية لضرب الزوجية. أفاض الرجل في ذكر أِضرار الضرب على نفسية المرأة، **ولكنه نسى شيئا صغيرا، هو أن يهاجم القرآن الذي أباح ضرب المرأة!** وطبعا كانت مقدمة البرنامج تسايره، وتثنى على كلامه. ولا عجب فقد صارت إذاعة القرآن الكريم إذاعة مشبوهة تروج لفكر التيارات العلمانية.

ولأمثال هؤلاء الشياطين نقول أن كراهية الإنسان لشىء من أمور الشريعة لا تجعل هذا الشىء حراما، وذلك لأن **الشريعة لم تأت لترضى كل إنسان، بل أتت لتقر الحق والعدل، ومن المستحيل أن يرضى كل الناس عن الحق والعدل.**

إذا كانت المرأة تكره أن يضربها زوجها فليس هذا مسوغا لتحريم الضرب، وإلا لكان من حق الرجل أن ينادى بتحريم القتال في سبيل الله لأنه يكره أن يتعرض لمخاطر الحرب! وسيكون من حق الرجال أيضا أن يطالبوا بمنع صيام رمضان في الصيف لأنه يسبب لهم الإحساس بالعطش أثناء العمل. وسيصبح من حق الوزراء الفاسدين أن يطالبوا بحذف الأحاديث التي تلعن الرشوة من الكتب الدراسية لأنها تتسبب في تقليص ثرواتهم. وسيكون من حق البغايا والعاملات في بيوت الدعارة أن يطالبن خطباء المساجد بالتوقف عن الهجوم على الزنا في خطب الجمعة.

وعلى ذلك فليس من حق المرأة أن تنادى بمنع الضرب لمجرد أنها تكرهه. ألا ترى أن **أكثر الناس سعادة لو أغلقت السجون هم اللصوص.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

مهزلة الضرب بالسواك

من أشد ما يغيظ الإنسان أن يسمع من يتكلم فى الدين بغير علم. والأكثر مدعاة للغيظ أن يتفق الجهلاء على رأى خاطيء، ويدافعون عنه باستماتة، وكأنه علم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وهذا ما حدث فى مسألة ضرب المرأة، فأغلب النساء إن تُليت على مسامعهن آية (واضربوهن) سارعن إلى القول بأن الضرب المقصود هو الضرب بالسواك. فإن بدأت تجادلها نظرت إليك شذرا، وكأنك جاهل، لا علم لك بالدين.

ونحن نرفض تماما القول بأن ضرب الزوجة المسموح به هو الضرب بالسواك وحده. هذا شيء غير واقعي، **فالسواك لا يسبب أى ألم، والضرب الذى لا يسبب ألما لا يصح تسميته ضربا لأنه يفقد صفته الجوهرية**، فهو أشبه بقول القائل: (اذبح عدوك بسكين من خشب)، لكن السكين المصنوعة من الخشب ليست حادة، ولا تذبح أحدا.

لقد نهى الرسول عليه السلام عن الضرب المبرح، وهذا تفسيره لقوله تعالى (واضربوهن). **ونهى الرسول عن الضرب المبرح معناه النهى عن المبالغة فى الضرب، والدعوة للاعتدال فيه، ومن الشطط أن نفهم معناه على أنه إلغاء للضرب باستخدام شيء لا يسبب أى ألم، وإلا لقال الرسول: اضربوهن (ضربا خفيفا لا يؤلم)، فالنهى عن النقيض لا يساوى الدعوة للنقيض الآخر**. إن قال لك صديقك: (لا تتأخر عن الموعد)، فهو يقصد أن تأتى فى الموعد المحدد، ولا يمكن أن يكون مقصده أن تأتى مبكرا قبل الموعد، وإلا لقال لك مباشرة: (احضر مبكرا). وبالمثل إن قال لك صديقك: (لا تتكلم كثيرا أمام المدير) فهو يقصد أن يكون كلامك معتدلا ومحسوبا، ولا يقصد أن تصمت تماما، وإلا لقال لك مباشر: (لا تنطق بكلمة أمام المدير).

لقد كان المنتظر بعد الموعظة والهجر فى المضجع أن نجد حلا ثالثا مختلفا كما أو كيفا عن الحلين السابقين، فإذا بنا نجده الضرب بالسواك! يا له من حل هزيل! وبالله عليكم ما الذى يفعله الضرب بالسواك؟ إنه لن يؤلم المرأة، فهل هدفه أن يجعلها تشعر أن زوجها غاضب منها؟ ولكن تعبيرات الوجه الغاضبة تؤدي نفس الغرض، والهجر فى المضجع يؤدي نفس الغرض وأكثر. إن الضرب بالسواك كما يفهمه كثير من النساء اليوم هو تفسير عبثى للآية، فمن ذا الذي إن أغضبته امرأته، ضربها بالسواك الذى لا يؤلم؟ هذا مزاح.

والأعجب أنهم بعدما اعتبروا أن السواك هو الأداة الوحيدة للضرب تقدموا خطوة، **فقاسوا على السواك فرشاة الأسنان، وجعلوها الوسيلة العصرية للضرب**، فى مشهد فكاهي ساقط. تخيل الرجل يقول لامرأته لا تخرجى من البيت بملابس ضيقة، فترفض، فيمسك بفرشاة أسنان، ويضربها!

وعلى أصحاب مذهب الضرب بالسواك أن يجيبوا عن الأسئلة التالية:

هل هناك آية قالت أن الضرب يجب أن يكون بالسواك؟ لا.
هل قال الرسول عليه الصلاة والسلام حديثا عن الضرب بالسواك؟ لا.
هل قرر العلماء مسألة الضرب بالسواك استنادا إلى قياس عقلي؟ لا.
هل أجمع العلماء على أن الضرب لا يكون إلا بالسواك؟ لا.
إذن ما الدليل على موضوع السواك؟

الحقيقة أن الضرب بالسواك ينسب إلى الصحابى عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه: روى الطبري عن عطاء قال، قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك ونحوه[144]. وأغلب الظن أن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه كان يقصد النهي عن الضرب بأداة شديدة الإيذاء والألم، فذكر السواك ككناية عن ذلك، لكن تلاميذه لم يفهموا حقيقة مقصده.

وحتى لو كان ابن عباس يقصد السواك بعينه، فلا بد أن نبين عددا من الحقائق للمسلمين الذين يتكلمون فى الدين بلا علم، وما أكثرهم هذه الأيام:

أولا: لم يقل ابن عباس أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذى أخبره أن الضرب يجب أن يكون بالسواك.

ثانيا: الضرب بالسواك لم يجمع عليه الصحابة.

ثالثا: هذا الرأى لم يقل به أحد من الصحابة غير ابن عباس.

رابعا: ابن عباس من صغار الصحابة، فهو لم يصحب الرسول عليه السلام إلا مدة ثلاثين شهرا، أى عامين ونصف، وذلك لأن عمره وقت وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كان عشر سنوات كما

---

[144]) **تفسير الطبري** (8/ 315).

فى صحيح البخاري[145]، أو ثلاث عشرة سنة كما رجح ذلك آخرون. يقول الذهبى عن ابن عباس: «مَوْلِدُهُ بِشِعْبِ بَنِي هَاشِمٍ قَبْلَ عَامِ الهِجْرَةِ بِثَلاَثِ سِنِيْنَ. صَحِبَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نَحْواً مِنْ ثَلاَثِيْنَ شَهْراً»[146]. وقد انتقل ابن عباس إلى المدينة فى عام فتح مكة، أى قبل وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بنحو عامين. يقول الذهبي: «انتَقَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعَ أَبَوِيهِ إِلَى دَارِ الهِجْرَةِ سَنَةَ الفَتْحِ، وَقَدْ أَسْلَمَ قَبلَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ صحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ المُسْتَضْعَفِيْنَ، أَنَا مِنَ الولدان، وأمي من النساء»[147].

وعلى ذلك فهناك الكثير من أقوال الرسول عليه السلام وأفعاله لم يطلع عليها ابن عباس مباشرة طوال حياته فى مكة والمدينة قبل فتح مكة. **واقرأ للقرطبى مثلا، وهو يصف أحد آراء ابن عباس بأنه رأى شاذ،** ويذكر أن ميمونة بنت الحارث زوجة النبى عليه السلام خالفته فيه، وكان ذلك فى مسألة الحيض: [فَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَعْتَزِلَ الرَّجُلُ فِرَاشَ زوجته إذا حاضت. **وهذا قول شاذ خَارِجٌ عَنْ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ.** وَإِنْ كَانَ عُمُومُ الْآيَةِ يَقْتَضِيهِ **فَالسُّنَّةُ الثَّابِتَةُ بِخِلَافِهِ، وَقَدْ وَقَفَتْ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ خَالَتُهُ مَيْمُونَةُ وَقَالَتْ لَهُ: أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟]**[148]

خامسا:

لا شك أن ابن عباس أحد الصحابة الأجلاء، ولا ينكر مناقبه إلا جاحد، ولكن كلام ابن عباس ليس مقدسا على الإطلاق، فهو إنسان، يؤخذ منه ويُرد. ولا توجد آية تقول أن الصحابى معصوم، ولا يوجد حديث يقول أن الصحابى معصوم. ولذا فمن الوارد أن يقع الصحابي فى الخطأ، ولا يجوز له أن يشرع، أو يحلل، أو يحرم.

إن قال الصحابى: (قال الرسول)، أخذنا بكلامه، أما إن تكلم برأيه، فله كامل الاحترام، ومن واجبنا أن ندرس كلامه بجدية تامة، لكن يجب أن نرفض رأيه إن افتقر إلى الدليل. إن الصحابة سادتنا

---

[145]) روى البخاري عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ المُحْكَمَ». وروى البخارى أيضا: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الِاحْتِلاَمَ، «وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ بِمِنًى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ فَنَزَلْتُ، وَأَرْسَلْتُ الأَتَانَ تَرْتَعُ، وَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ أَحَدٌ» وهذه الواقعة كما ترون في حجة الوداع. وعبارة (ناهزت الاحتلام) معناها (قاربت البلوغ)

[146]) **سير أعلام النبلاء** (4/ 380). تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق محمد أيمن الشبراوي. دار الحديث- القاهرة. 1427هـ-2006م

[147]) **سير أعلام النبلاء للذهبي** (4/ 381)

148) **تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن** (3/ 86). تأليف أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ شمس الدين القرطبي. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م

وأساتذتنا ومعلمو الدنيا كلها، لكن القول بأنهم معصومون ليس من الإسلام فى شيء. والصحابة أنفسهم لم يدعوا العصمة، كما أنهم اختلفوا فيما بينهم حول كثير من الأمور الفقهية بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام. ولو كانوا معصومين لكانت آراؤهم واحدة، فالحقيقة لا تتعدد. وأهم من ذلك أن الصحابة أنفسهم لم يستنكروا مخالفة الآخرين لآرائهم.

وأكبر الصحابة هما أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، ومع ذلك نراهما قد اختلفا فيما بينهما. على سبيل المثال اختلفا ذات مرة حول الأمير الذى يجب أن يعينه الرسول عليه الصلاة والسلام على بني تميم، واحتد الجدال بينهما، فنزل القرآن معاتبا لهما: عَنِ نافع بن عمر عن ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: " **كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ – قَالَ نَافِعٌ لاَ أَحْفَظُ اسْمَهُ – **فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا** فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ} [الحجرات: 2] " الآيَةَ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ»[149].

وروى مسلم مثالا آخر لاختلاف الصحابة: عن النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ، **فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ **فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ،** فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة: 19] الْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا.

---

[149]) (الخيران): الفاعلان للخير الكثير. (يُسمِع): أي إذا حدثه يخفض صوته حتى إنه صلى الله عليه وسلم لا يكاد يسمعه. (يستفهمه): يستوضح منه ماذا قال. (ولم يذكر ذلك) أي رفع الصوت وخفضه عند الحديث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. (أبيه): جده أبي أمه أسماء رضي الله عنها. انظر: تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري.
وفى رواية أخرى للبخارى عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، أَخْبَرَهُمْ: «أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرِ القَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا} [الحجرات: 1] حَتَّى انْقَضَتْ.

يقول أبو حامد الغزالى متكلما عن الأصول الزائفة التى قد يتوهم البعض أن من الجائز الاستناد إليها فى الأمور الفقهية:

[الْأَصْلُ الثَّانِي مِنْ الْأُصُولِ الْمَوْهُومَةِ قَوْلُ الصَّحَابِيِّ. وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إلَى أَنَّ مَذْهَبَ الصَّحَابِيِّ حُجَّةٌ مُطْلَقًا، وَقَوْمٌ إلَى أَنَّهُ حُجَّةٌ إنْ خَالَفَ الْقِيَاسَ، وَقَوْمٌ إلَى أَنَّ الْحُجَّةَ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ خَاصَّةً لِقَوْلِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «اقْتَدُوا بِاَللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي» وَقَوْمٌ إلَى أَنَّ الْحُجَّةَ فِي قَوْلِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ إذَا اتَّفَقُوا. **وَالْكُلُّ بَاطِلٌ عِنْدَنَا فَإِنَّ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْغَلَطُ وَالسَّهْوُ وَلَمْ تَثْبُتْ عِصْمَتُهُ عَنْهُ فَلَا حُجَّةَ فِي قَوْلِهِ، فَكَيْفَ يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِمْ مَعَ جَوَازِ الْخَطَأِ؟** وَكَيْفَ تُدَّعَى عِصْمَتُهُمْ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مُتَوَاتِرَةٍ؟ وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ عِصْمَةُ قَوْمٍ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الِاخْتِلَافُ؟ **وَكَيْفَ يَخْتَلِفُ الْمَعْصُومَانِ؟** كَيْفَ **وَقَدْ اتَّفَقَتْ الصَّحَابَةُ عَلَى جَوَازِ مُخَالَفَةِ الصَّحَابَةِ فَلَمْ يُنْكِرْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمَا بِالِاجْتِهَادِ،** بَلْ أَوْجَبُوا فِي مَسَائِلِ الِاجْتِهَادِ عَلَى كُلِّ مُجْتَهِدٍ أَنْ يَتَّبِعَ اجْتِهَادَ نَفْسِهِ؟ **فَانْتِفَاءُ الدَّلِيلِ عَلَى الْعِصْمَةِ وَوُقُوعُ الِاخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ وَتَصْرِيحُهُمْ بِجَوَازِ مُخَالَفَتِهِمْ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ]**[150]

وقد استند البعض إلى حديث: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ»، لكن هذا الحديث موضوع كما يقول الألباني[151].

و**أورد ابن حزم أمثلة كثيرة على اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم فى الأمور الفقهية**، منها مثلا اختلافهم فى ميراث الجد، فقال أبو بكر وعائشة أن الجد يرث دون الإخوة، وقال عمر أن للجد الثلث، والباقى للإخوة، بينما جعل على بن أبى طالب السدس للجد، والباقى للإخوة[152]. و«**من المحال أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع كل قائل من الصحابة رضي الله عنهم وفيهم من يحلل الشيء وغيره منهم يحرمه**، ولو كان ذلك لكان بيع الخمر حلالا اقتداء بسمرة بن جندب ولكان أكل البرد للصائم حلالا اقتداء بأبي طلحة وحراما اقتداء بغيره منهم ولكان ترك الغسل من الإكسال واجبا اقتداء بعلي وعثمان وطلحة وأبي أيوب وأبي بن كعب وحراما اقتداء بعائشة وابن عمر ولكان بيع الثمر قبل ظهور الطيب فيها حلالا اقتداء بعمر حراما اقتداء بغيره منهم»[153].

---

[150]) **"المستصفى فى علم الأصول"**. صفحة 168. تأليف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م

[151]) **"سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة"** (1/ 144) للألباني.

152) **"الإحكام في أصول الأحكام"**(6/ 76)**.** تأليف ابن حزم الظاهري. تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس. دار الآفاق الجديدة، بيروت.

153) **الإحكام في أصول الأحكام** لابن حزم (6/ 83)

كما أورد ابن حزم جملة من الأخطاء الفقهية للصحابة فى حياة النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: «وقد بينا آنفا إخباره عليه السلام أبا بكر بأنه أخطأ. **وقد كان الصحابة يقولون بآرائهم في عصره صلى الله عليه وسلم فيبلغه ذلك فيصوب المصيب ويخطىء المخطىء فذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم أفشى وأكثر** فمن ذلك فتيا أبي السنابل لسبيعة الأسلمية بأن عليها في العدة آخر الأجلين فأنكر صلى الله عليه وسلم ذلك وأخبر أن فتياه باطل. وقد أفتى بعض الصحابة وهو صلى الله عليه وسلم حي بأن على الزاني غير المحصن الرجم حتى افتداه والده بمائة شاة ووليدة، فأبطل صلى الله عليه وسلم ذلك الصلح وفسخه. وذكر صلى الله عليه وسلم السبعين ألفا من أمته يدخلون الجنة وجوههم كالقمر ليلة البدر، فقال بعض الصحابة هم قوم ولدوا على الإسلام فخطأ النبي صلى الله عليه وسلم قائل ذلك. وقالوا إذ نام النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح ما كفارة ما صنعنا، فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم قولهم ذلك. وأراد طلحة بحضرة عمر بيع الذهب بالفضة نسيئة، فأنكر ذلك عمر وأخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم ذلك وباع بلال صاعين من تمر بصاع من تمر، فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وأمره بفسخ تلك البيعة وأخبره أن هذا عين الربا وباع بعض الصحابة بريرة واشترط الولاء فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولام عليه وقال عمر لأهل هجرة الحبشة نحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم فكذبه النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك»[154]

وقال البعض بأن من الواجب اتباع الخلفاء الأربعة على الأقل، لقولهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي»، فرد عليهم الغزالي: «فَيَلْزَمُكُمْ عَلَى هَذَا تَحْرِيمُ الِاجْتِهَادِ عَلَى سَائِرِ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – إذْ اتَّفَقَ الْخُلَفَاءُ وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، بَلْ كَانُوا يُخَالِفُونَ وَكَانُوا يُصَرِّحُونَ بِجَوَازِ الِاجْتِهَادِ فِيمَا ظَهَرَ لَهُمْ، وَظَاهِرُ هَذَا تَحْرِيمُ مُخَالَفَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ، وَإِنْ انْفَرَدَ، فَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ شَرْطُ الِاتِّفَاقِ وَمَا اجْتَمَعُوا فِي الْخِلَافَةِ حَتَّى يَكُونَ اتِّفَاقُهُمْ اتِّفَاقَ الْخُلَفَاءِ. وَإِيجَابُ اتِّبَاعِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُحَالٌ مَعَ اخْتِلَافِهِمْ فِي مَسَائِلَ، لَكِنَّ الْمُرَادَ بِالْحَدِيثِ إمَّا أَمْرُ الْخَلْقِ بِالِانْقِيَادِ وَبَذْلِ الطَّاعَةِ لَهُمْ، أَيْ: عَلَيْكُمْ بِقَبُولِ إمَارَتِهِمْ وَسُنَّتِهِمْ أَوْ أَمْرُ الْأُمَّةِ بِأَنْ

[154]) **الإحكام في أصول الأحكام** لابن حزم (6/ 84)

يَنْهَجُوا فِي الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ الدُّنْيَا وَمُلَازَمَةِ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى الرَّعِيَّةِ، أَوْ أَرَادَ مَنْعَ مَنْ بَعْدَهُمْ عَنْ نَقْضِ أَحْكَامِهِمْ.[155]

ورد الغزالى على من قال: إنَّهُ إنْ لَمْ يَجِبْ اتِّبَاعُ الْخُلَفَاءِ فَيَجِبْ اتِّبَاعُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بِقَوْلِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «اقْتَدُوا بِاَللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ» . قُلْنَا: تُعَارِضُهُ الْأَخْبَارُ السَّابِقَةُ.... ثُمَّ نَقُولُ بِمُوجِبِهِ فَيَجِبُ الِاقْتِدَاءُ بِهِمَا فِي تَجْوِيزِهِمَا لِغَيْرِهِمَا مُخَالَفَتَهُمَا بِمُوجِبِ الِاجْتِهَادِ. ثُمَّ لَيْتَ شِعْرِي لَوْ اخْتَلَفَا كَمَا اخْتَلَفَا فِي التَّسْوِيَةِ فِي الْعَطَاءِ فَأَيُّهُمَا يُتَّبَعُ؟[156]

وبهذا ترى أن قول ابن عباس رضى الله تعالى عنه فيما يتعلق بالضرب بالسواك ليس بملزم لنا. نحن نحترم هذا الصحابي الجليل، لكن الحق أحق أن يتبع.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

[155]) **المستصفى فى علم الأصول**. صفحة 169

[156]) **المستصفى فى علم الأصول**. صفحة 169

من زوج إلى أب

تكلم ذات مرة أحد الأطباء بانفعال مهاجما ما يسمى بحقوق المرأة، وذلك فى خضم الكلام عن مشروع قانون يعاقب الرجل الذي يضرب زوجته. وأثناء النقاش ردت عليه امرأة جميلة مهاجمة ضرب النساء، فوجدتُ الرجل يلين فجأة، ويكمل النقاش مع المرأة بأسلوب رقيق، وفى ثنايا النقاش تكلم عن نفسه متباهيا: «لو صفع أحد ابنة الدكتور فلان (يقصد ابنته) لرددت له الصفعة اثنتين».

هذا الرجل كما ترون، بلا مبدأ، لأنه غيَّر فكره فى ثانية واحدة لما كلمته امرأة جميلة. وهذا النوع من البشر كثير. والأخطر أن **هذا الرجل يتصرف مرة على أنه زوج، ومرة على أنه أب. فإن أحس أنه زوج، وغاظه تمرد زوجته، وتمرد النساء بوجه عام أعلن تأييده للضرب. لكن إن تعلق الأمر بابنته، تذكر أنه أب، واستنكر أن يضربها زوجها.** وهذا هو السفه بعينه، فالمسلم إن تكلم فى الدين عليه أن ينسى أموره الشخصية، لأن الشريعة نزلت للمسلمين جميعا، ومن الخيانة لله أن يُفصل الفقيه الفتوى حسب مصلحته الشخصية، أو يغيرها كل ساعة حسب حالته النفسية.

ولذلك أنا أدعو كل رجل يؤذيه تمرد النساء أن يُعلم ابنته أن من واجبها طاعة زوجها، وأن عليها ألا تقتدي بأمها فى نشوزها. ومن العار على الإنسان أن يرفض تسلط امرأته عليه، لكنه فى نفس الوقت يحرض ابنته على التمرد على زوجها.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

اضربوهن أم عاشروهن بالمعروف

كثير من النساء مدربات على الجدل. لكن الجدل مع البائع على سعر حذاء يختلف عن الجدل حول شريعة الله. وأكثر النساء لا يفرقن بين الاثنين، فإن سمعت إحداهن آية (واضربوهن) قالت فورا: لكن الله قال: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: 19]. وكأن القرآن يناقض بعضه بعضا، أو كأنها تعتقد أنه إن تعارضت آيتان فى القرآن فمن حقها أن ترفض أيهما تشاء. ما هذه الوقاحة؟

أين التعارض بين (واضربوهن) و (وعاشروهن بالمعروف)؟

هل من التناقض مثلا أن يكون الرسول بشيرا ونذيرا: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [البقرة: 119]؟ قطعا لا تناقض، لأن الرسول سيكون بشيرا فى موقف ونذيرا فى موقف؛ بشيرا لرجل يعمل الخير، ونذيرا لرجل يعمل الشر. ونفس الشىء ينطبق على قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: 165]. هنا لا يوجد تناقض لأن الله تعالى يعاقب الكافر، ويغفر للمؤمن.

وبالمثل لا تناقض بين (اضربوهن) و (عاشروهن بالمعروف)، فالقاعدة العامة هي أن يعاشر الرجل زوجته بالمعروف، ويصفح عن أخطائها، لكن بعض النساء يستسغن تهاون الزوج، فتتمادى الواحدة منهن فى النشوذ، وتتحدى زوجها، فكيف يتصرف الرجل؟ من حقه أن يضربها لأنها أساءت فهم معاشرته بالمعروف، واعتبرت أن حسن معاملته تعنى أنه رجل ضعيف، يسهل السيطرة عليه. أين التناقض إذن؟ **الضرب حالة خاصة من حالات المعاملة**. وكثير من عبارات القرآن تبدو متناقضة، لكنك حين تدقق تجد إحداها عامة والأخرى خاصة، أو أن إحداها تتكلم عن موقف، والأخرى تتكلم عن موقف آخر. وليس هذا بتناقض. **إذن القاعدة العامة هي معاملة النساء بالمعروف، والاستثناء هو استخدام العنف معهن. ولا تناقض بين الاثنين.**

ثم إننا إن نظرنا للمسألة من وجه نظر أخرى لحق لنا أن نتساءل: **أليس من المعروف أن نعاقب الزوجة الناشز؟ أليس من المنكر أن نتركها تتمرد على زوجها، وتخرب بيتها؟ أليس من المعروف أن يضرب الرجل زوجة لا تصلى؟ أليس من المعروف أن يضرب الرجل زوجته إن خرجت من بيتها متبرجة؟ هل من المعروف أن نترك المجرم دون عقاب؟** هل انتهت المسألة؟ أظن ذلك.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

لا تقربوا الصلاة

على طريقة "لا تقربوا الصلاة" نجد المرأة اليوم إن ضربها زوجها أو سمعت أن امرأة ضربها زوجها سارعت – دون مراجعة أو تثبت أو تحقيق– إلى ذكر الأحاديث التى توصى بالمرأة مثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (استوصوا بالنساء خيرا). كما كثر تداول مقولة (رفقا بالقوارير)، وهى مشتقة من حديث دعا فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الرفق بالنساء الضعاف اللائى يشبهن الزجاج في سهولة انكساره[157]. وفى المقابل تتجاهل المرأة تماما نص القرآن الصريح الذى يبيح ضرب الزوجة الناشز، كما تتعامى بشكل كامل عن تلك الأحاديث التى تدعو المرأة إلى طاعة الزوج، وتنهاها عن الامتناع عن فراشه مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولا تؤدي المرأة حق زوجها؛ حتى لو سألها نفسها على قتب لأعطته)[158]

وما هكذا تؤخذ شريعة الله يا معشر النساء. أفتؤمنون ببعض الكتاب، وتكفرون ببعض؟ عليكم أن تدرسوا كل النصوص الدينية ، وتضعوها جنبا إلى جنب كى توفقوا بينها ، وتستخرجوا من مجموعها التشريع الصحيح. احذروا فأنتم تعبثون بما أنزل الله. قال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 85].

ونحن لا نوجه انتقادنا للمرأة وحدها، فالرجل مطالب بالمثل ألا ينتقى من نصوص الإسلام ما يعجبه، ويترك ما لا يعجبه، لكن المشكلة أن هناك انحيازا كبيرا فى وسائل الإعلام العلمانية للمرأة، **فالأحاديث التى تدعو لحسن معاملة المرأة تُتلى فى كل مكان وكل وقت، لكن من النادر أن تسمع**

---

[157]) الحديث متفق عليه ، ولفظه فى البخارى: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فِي الثَّقَلِ، وَأَنْجَشَةُ غُلاَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسُوقُ بِهِنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَنْجَشُ، رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالقَوَارِيرِ». وفى لفظ آخر: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ لَهُ، فَحَدَا الحَادِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ، وَيْحَكَ بِالقَوَارِيرِ». وفى رواية ثالثة: كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَادٍ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ، لاَ تَكْسِرِ القَوَارِيرَ» قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي ضَعَفَةَ النِّسَاءِ.

[158]) حديث صحيح. قال الألبانى: [أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير": حدثنا موسى بن هارون: ثنا أحمد بن حفص: حدثني أبي: ثنا إبراهيم بن طهمان عن الحجاج بن الحجاج عن قتادة عن القاسم الشيباني عن زيد بن أرقم: أن معاذاً قال: يا رسول الله! أرأيت أهل الكتاب يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، أفلا نسجد لك؟ قال: ... فذكره. قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال البخاري؛ غير القاسم الشيباني، وهو صدوق يغرب؛ كما قال الحافظ في "التقريب "، وهو من رجال مسلم، واسم أبيه: عوف. وموسى بن هارون ثقة حافظ مشهور، مترجم في "تاريخ بغداد"، و"تذكرة الحفاظ " وغيرهما. ثم رواه الطبراني من طريق صدقة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. وصدقة: هو ابن عبد الله السمين ضعيف. وله طريق أخرى عن زيد بن أرقم؛ يرويه المغيرة بن مسلم عن عمرو بن دينار عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "المرأة لا تؤدي حق الله عليها؛ حتى تؤدي حق زوجها كله، حتى لو سألها وهي على ظهرقتب؛ لم تمنعه نفسها". أخرجه الطبراني. قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات. وقال المنذري في "الترغيب ": "رواه الطبراني بإسناد جيد". وقال الهيثمي في "المجمع ": "رواه الطبراني في " الكبير" و" الأوسط " بنحوه، ورجاله رجال " الصحيح "؛ خلا المغيرة بن مسلم، وهو ثقة"]. انظر: "**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**" (7/ 1097) للألبانى.

فى التلفاز أو تقرأ فى الصحف حديثا يدعو المرأة لطاعة زوجها رغم أن هذه الأحاديث عددها أكبر، ولهذا فنحن بحاجة إلى ضبط الميزان المائل ظلما ناحية المرأة التى تتبنى قضيتها قوى الهيمنة العالمية.

ثانيا كثيرا من اتهامات المرأة المعاصرة للرجل بسوء المعاملة هى اتهامات لا وزن لها من وجهة نظر الإسلام، فالمرأة اليوم تريد أن ينفذ لها زوجها كل رغباتها، وتعتبر رفضه لبعضها من قبيل سوء المعاملة، وكأنها تريد أن تحكم البيت بدلا منه. كما ترفض المرأة اليوم أن ينتقد زوجها ملابسها أو يمنعها من التبرج. وأكبر جريمة فى نظر المرأة أن يفكر زوجها فى الزواج بأخرى، مع أن تعدد الزوجات شريعة إسلامية راسخة. ومن التهم التى تلصقها أغلب الزوجات بأزواجهن البخل، فالرجل يعتبر فى نظر المرأة بخيلا إن لم يتركها تشتري كل ما تراه فى الإعلانات. وسنجد فى المقابل أن اتهامات الرجل للمرأة بالتمرد والنشوز هى اتهامات حقيقية تماما فى ظل شعور المرأة بالقوة بعد خروجها للعمل، ودعم الحكومات والنظام العالمى لها ضد الرجل. **وعلى ذلك فنحن اليوم بحاجة أكبر لإبراز النصوص التى تدعو المرأة للخضوع للرجل مقارنة بتلك التى تدعو الرجل لحسن معاملة المرأة، على الأقل حتى يتساوى الاثنان.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الضرب وحده لا يكفي

أحمق من يظن أن الشدة هي كل شيء. الشدة مطلوبة لحل الخلافات الزوجية، لكن الشدة يجب أن تُستعمل فقط إن لم يوجد لها بديل. يجب أن يعرف كل زوج وزوجة أنهما ليسا وحدهما، وأن هناك شخصا ثالثا بينهما اسمه إبليس. الشيطان لا ينام، ولا يكل ولا يمل من أجل تحريض الرجل على زوجته، وتحريض المرأة على زوجها. وهذه الحقيقة غائبة عن بال كل الأزواج تقريبا. الرجل يظن أن المشكلة تكمن فى زوجته وشخصيتها وأمها وأبيها. والمرأة تظن أن سبب مشكلتها مع زوجها هو شدته وبخله وأمه وأخته. كل هذه أسباب حقيقية، لكن أهم من كل هؤلاء الشيطان الذى يضخم لكل طرف مساويء الطرف الآخر.

قد يعيش الرجل مثلا مع زوجته، ويعرف جيدا أن بها عيبا هو أنها لا تتقن صنع الطعام، لكنه لا يهتم كثيرا بهذا العيب. وفى أحد الأيام يشعر فجأة بغضب شديد من طعام زوجته، ويتمنى لو تزوج من امرأة أخرى تتحفه كل يوم بوليمة لذيذة، ويلعن حظه العاثر الذي أوقعه مع امرأة أقل شأنا من زوجات أصحابه. ويؤدى هذا الغضب المفاجيء إلى مشكلة زوجية كبيرة.

ونفس الشيء يحدث للزوجة التى تشعر بغضب مفاجيء من زوجها بسبب أمور لا تستحق. وقد حدثني أحد الأزواج يوما أن شخصية زوجته تتغير أحيانا فجأة، فتثور، وتنفجر، وكأنها سكرى، وغائبة عن الوعي، وقد تخاصمه لعدة أيام. ولما يناقشها بعد أن تهدأ يجد سببا مضحكا لهذه الثورة. ولا شك أن الشيطان يؤثر على المرأة بدرجة أكبر من تأثيره على الرجل، وهذا أحد أسباب شكوى الرجال من أن المرأة "نكدية"، فهي تقيم الدنيا، ولا تقعدها من أجل أمور فى غاية التفاهة.

وقد رأيت أحيانا حيل شديدة الخبث من الشيطان للإفساد بين الرجل وزوجته، فقد أخبرنى أحد الأصدقاء مرة أن زوجته أصبحت تشك فى أنه حين يغضب منها يحسدها أو يدعو عليها، فتصاب بأذى، مع أنه لم يتمن يوما أن يحدث لها سوء حتى وهو فى أشد لحظات الغضب منها. وفى أحد الأيام تشاجر معها، ولما قامت تكنس الغرفة انكسرت يد المكنسة، فحاولت إصلاحها، لكنها أخفقت، فغضبت، وبدا من هيئتها أنها ظنت أن زوجها حسدها، لكنها فوجئت بزوجها يقوم، ويحاول بهمة إصلاح المكنسة لأن كسرها سيكلفه شراء واحدة جديدة، وحالته المادية ليست على ما يرام. فى هذه اللحظة فقط تأكدت الزوجة أن زوجها بريء، وأنه لم يحسدها، فلو كان يحسدها لفرح بما هى

فيه من ضرر، ولتركها تعانى وحدها. وكان الدرس المهم من هذه الواقعة البسيطة هي "إن بعض الظن إثم"، فالشيطان يلحق الضرر بالإنسان كى يشك فى أن شريك حياته قد حسده، فتتقوض العلاقة بشكل خطير بين الاثنين بعد أن أصبح كل منهما يخاف على نفسه من الآخر. لقد صدقت صاحبى لما حكى لى هذه الواقعة لأننى عايشت بنفسى وقائع مماثلة كثيرة، يوقع فيها الشيطان ضررا بأحد الناس كى يشك فى صديقه الذي يحبه. ذات مرة كان عندنا ضيوف، وأنا شاب، فأخذت ألعب مع ابنهم الصغير، وتجاوب الطفل معي، ولعبنا كثيرا، لكنه فجأة وقع على الأرض، وصرخ بشدة، فنظر بعض الحاضرين إلىَّ، وكأنهم يتهمونني بأننى حسدت الطفل، وهذا طبعا مستحيل لأنني أحب الأطفال، ولا يمكن أن أتمنى لأحدهم شرا. ولكنه الشيطان الذي يحاول دائما أن يفسد بين الناس، ويحول البريء لمجرم. وجاءني صديق ذات يوم، وهو فى غم عظيم، فقد كان كان فى زيارة لبعض أقاربه، فأشاد بالتلفاز الجديد الذي اشتروه، فانطفأت الشاشة بعد ثوان معدودة، فنظر الجميع إليه، وكأنهم يتهمونه بأنه حسد التلفاز. وأقسم صديقي أنه لا يمكن أن يكره الخير لأقاربه لأنه يحبهم، ويجد فى بيتهم الراحة التى لا يجدها فى بيته.

ولهذا فعلى كل زوج أن يتمهل قليلا إن شعر بغضب جامح مفاجيء من زوجته (وعلى الزوجة أن تفعل نفس الشيء)، وأن يأخذ فى اعتباره أن هذا قد يكون نتيجة لتحريش الشيطان، الذي يجعل الإنسان يغضب ويخاف ويحزن ويفرح ويشتاق بشكل لا يتناسب مع الواقع الحقيقي.

يجب أن يمارس كل من الزوجين رياضة نفسية اسمها ضبط النفس. وهذا لن يحدث إلا تذكر الإنسان باستمرار أن الشيطان لا يفارقه هو وزوجته. الشيطان هو العدو اللدود لكل إنسان. الشيطان ناقم وحاقد على التجربة البشرية كلها. الشيطان يريد أن يدمر الأسرة، ويثبت أن نظام الزواج فاشل عقيم، وأن السعادة لن تتأتى إلا إذا عاش كل إنسان بلا ضابط، ولا رابط، فيجامع الرجل أى امرأة يقابلها فى الشارع، ويتنقل بين العشيقات كل يوم دون أن يكون مضطرا للعيش مع زوجة تنغص عليه حياته. كما تصبح المرأة هى الأخرى حرة، بلا زوج يحاسبها، ويقيد طموحاتها.

وضبط النفس سيجعل الإنسان يتجاوز عن كثير من أخطاء زوجته إلا إذا كانت جسيمة فعلا. وأغلب أخطاء الأزواج تدخل فى باب الأمور التافهة، بدليل أنها إن حُكيت لشخص غريب اندهش من وجود مشكلة لهذا السبب الهين.

ومن أروع الآيات التى تعبر عن هذه الفكرة قول الله تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا } [الإسراء: 53].

إن هذه الآية تأمر المسلم بأن يقول الكلمة التى هى أحسن. و"التى هى أحسن" تعبير يشير ليس إلى ما هو خير، ولكن إلى ما هو فى أعلى درجات الخير. وهذا هو الرد المناسب على تحريض الشيطان. فمثلا إن قالت المرأة لزوجها: "أمك لا تحبنى، وتتصيد لى الأخطاء"، فسيجعل الشيطان الرجل يغضب، ويقول لها: "لا تقولى هذا على أمى، فهى سيدة فاضلة، وأحسن من أمك". ولكن إن تذكر الزوج أن الشيطان طرف ثالث يملى على كل منهما ما يقوله، فسيجد الزوج أن من الأفضل أن يسكت، ولا يرد عليها، أو يقول لها مثلا: "ربنا يسامحك". لكن الرد الأحسن أن يقول لها: "أنت مخطئة، فأمى تحبك، ولكنها فقط تريدك ان تهتمى بى كما كانت تهتم بى، كما أنها لا تلومك وحدك، بل تلوم بناتها وتهاجمهم بسبب أخطائهم". هذا هو الرد الأحسن الذي يخزى الشيطان، ويجعله يعض على يديه من الغيظ.

على كل من الزوجين أن يجعل الإحسان دستوره. والإحسان هو أن تفعل شيئا أكبر من العدل. العدل أن تعاقب من أخطأ فى حقك، لكن الإحسان أن تفعل الخير لمن أساء إليك. والإحسان يجب أن يكون المنهج الذى ينتهجه المسلم، وهو يتعامل مع أولى القربى، ومنهم زوجته: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36]

وأروع آية تدعو إلى الإحسان هى تلك التى نزلت حين تكلم مسطح بن أثاثة فى حق السيدة عائشة واتهمها بالزنا، فلما علم أبو بكر الصديق والد السيدة عائشة أقسم ألا ينفق على مسطح الذي كان أحد أقاربه الفقراء، فنزل القرآن ليحث أبا بكر وبقية المسلمين على أن يعفوا ويصفحوا: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 22]

إننا ندافع عن ضرب الزوجة، ونعم نعلم أن الضرب وحده لن يحل كل المشاكل. الضرب حل، لكنه ليس الحل الوحيد الذى يقدمه الإسلام لتسوية النزاعات فى الأسرة. نحن ندافع باستماتة عن

الضرب لأنه شريعة الله التى لا يجوز لأحد أن يلغيها أو يسيء تأويلها. وهى أيضا شريعة فى غاية العدل والحكمة.

وإخفاق الضرب فى بعض الأحيان ليس مدعاة للتخلى عنه، وذلك لسبب بسيط هو أنه لا يوجد بديل ذو كفاءة مائة فى المائة. كل الآليات والوسائل يمكن أن تخفق، ولو كان هناك آلية قادرة على حل كل الخلافات لفرض الإسلام اتباعها، وحرم الطلاق والخلع.

ومن أهم الوسائل التى قدمها الإسلام لحل الخلافات الزوجية الصلح من خلال الحكمين، قال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: 35]

إن كل واحد من الزوجين يكون غالبا على قناعة تامة بأنه على الحق، وأن الطرف الآخر على الباطل. ولهذا حث الله تعالى على الإصلاح من خلال حكمين لأن الحجة التى يقتنع بها الإنسان تماما فى السر قد تبدو شديدة الوهن في العلن، فقد ترى الزوجة أن زوجها يتشاجر معها كثيرا لسبب تافه هو أنها لا تصنع له الشاي، لكن حين يجلس الحكمان، ويعرفان أن الزوجة مشغولة طوال اليوم فى الفيسبوك والواتس والحديث فى الهاتف الذى لا يفارقها 24 ساعة، فحينئذ سيتبين أن الرجل محق تماما فى ضربها، فالمشكلة ليست فى الشاي، بل فى انشغالها عن زوجها بتوافه الأمور. وحتى لو أنكرت الزوجة أنها تنشغل عن زوجها بشكل مبالغ فيه فستقتنع فى داخلها بخطئها، وسيكون من الصعب أن تعاود فعله أو على الأقل ستفقد الحجة التى كانت تقنع نفسها بها، وتتخذ منها مبررا أخلاقيا للتمرد على زوجها. وبالمثل إن شكت الزوجة أن زوجها بخيل، وكان الزوج مقتنعا تماما أنه على حق فإن تقصى الحكمان عن دخل الزوج وأوجه إنفاقه المختلفة، وأدركوا أنه فعلا يقتر على زوجته بلا داع ستضعف عداوة الرجل لأنه سيدرك أن حجته لا تنطلي على أحد. وهكذا فوجود الحكمين ينزع عن الزوجين الصبغة الأخلاقية التى تقوى كل واحد نفسيا أمام الآخر. إن الاحتقان الدائم والتوتر المستمر بين الزوجين يجعل كل منهما يضخم الأخطاء الصغيرة التي يراها من الآخر، لكن وجود الحكمين اللذين لم يبتليا بهذا التوتر سيجعلهما يكشفان للزوجين الحجم الحقيقى لهذه الأخطاء، ويبينان أنها لا تستحق كل هذا الغضب.

وفضلا عن ذلك فإن من ينظر إلى مشاكل الزوجين من خارجها قد يرى ما لا يريانه، فيقترح حلولا جديدة لم تكن على بالهما.

ورغم أهمية دور الحكمين إلا أنه يشبه الضرب والهجر فى المضجع والموعظة فى أنه قد لا يجدي نفعا، وقد لا يفلح فى منع الطلاق في بعض الأحيان.

إن الضرب علاج للزوجة الناشز، وإخفاق دواء ما فى علاج بعض الحالات ليس مبررا منطقيا للتوقف عن استخدامه، فالدواء المثالي نادر الوجود. **وشريعة الله عز وجل جاءت لتصلح أحوال البشر بقدر الإمكان، وليس فى كل الأحوال**، فجلد الزانى سيقلل من حدوث الزنا، لكن لن يمنعه تماما، وقتل القاتل سيخفض معدل جرائم القتل، لكنه لن يمحوها كليةً. ولم يحدث فى التاريخ أن نجحت دولة فى القضاء على كل جرائم الرشوة والفساد، ومع ذلك لم ينادي عاقل بإلغاء قانون العقوبات بحجة أن العقاب لا يجدي نفعا فى كل الأحوال.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأين أنت من خطايا الرجال

بعد أن انتهيت من تأليف هذا الكتاب انتباني شك عميق فى نيتي، فتساءلت: هل كتبتُ ما كتبت بغرض الدفاع عن الرجل أم الدفاع عن الإسلام؟ إن كنت حقا أبتغي وجه الله فعليَّ أن أنقب عن عيوب الرجال، وأدينها، وأدعو إلى إصلاحها. وقد فعلت هذا بالفعل عبر صفحات الكتاب، ولكن رأيت أن أفرد فصلا خاصا لذلك.

مع الأسف الرجل المعاصر انزلق بعيدا عن تعاليم الشريعة، وتردى هو الآخر إلى قاع الرذيلة. وانحرافه مسئول عن كثير من حالات الطلاق وخراب البيوت وضياع الأولاد. كثير من الرجال الآن مدمنون للمواقع الإباحية، ويتواصلون مع البغايا والساقطات على مواقع التواصل الاجتماعي. وبعضهم سقط بالفعل فى وحل الزنا.

ونسبة ضخمة من الرجال هجروا بيوتهم، ليجلسوا على المقاهي مع أصحابهم من أجل اللهو واللعب والحديث فيما لا يفيد، تاركين زوجاتهم وأولادهم دون رعاية ولا رقابة. والمقاهى الآن منتشرة بشكل وبائي فى بلادنا بسبب تجميد الحكومة للصناعة وغيرها من الأنشطة الاقتصادية المفيدة، فلم يبق أمام الناس إلا المقاهي كمصدر للرزق. لكن طلب الرزق لا يكون على حساب خراب البيوت.

وكثير من الرجال أدمنوا المخدرات التى صارت تباع بشكل علني فى الطرقات والمقاهي، وتقدم مجانا فى الأفراح والحفلات، وباتت الأفلام والمسلسلات تتبارى فى الترويج لها، وتحبيب الناس فيها. وهذه خطة منظمة لإغراق الشعب فى غيبوبة كبرى حتى لا يدرى بالكوارث التي حلت به.

وفوق ذلك فقد الرجل المعاصر صفة الرجولة، وضاعت منه قوة الشخصية، وصار من الشائع أن يمد يده لزوجته طالبا منها أن تساعده فى نفقات البيت. وكثيرون يعيشون عالة على زوجاتهم بشكل كامل.

ومن فضل القول أن نقول أن الرجال فقدوا الغيرة، ولم يعد أغلبهم يعرف معنى الشرف والعار. وأصبحت الدياثة صفة طاغية، فلا أحد يحرك ساكنا إن رأى زوجته تخرج من بيتها متعطرة، أو مرت عليه ابنته وهي ترتدي ملابس ضيقة. وبعضهم ثبت لديه أن ابنته زانية، فدافع عنها باستماتة فى وسائل الإعلام. لقد صار الرجال مثل الخنازير.

من يحاسب الرجل إذن؟

أول من يحاسب الرجل هو الأسرة الممتدة التى تشمل الوالد والعم والخال والجد وبقية الأقارب.

والمجتمع أيضا يحاسب الرجل من خلال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فإن شعر الرجل المنحرف أن المجتمع ينظر إليه باشمئزاز حاول أن يغير من نفسه أو على الأقل استتر عن العيون.

ثم يأتي دور الدولة، وهذا هو الأهم. إن المرأة تشكو من استهتار الرجل، وتخليه عن مسئولياته. وهذا حق. لكن **الدولة قادرة على تغيير الرجل، وإصلاح أحواله بإجراءات بسيطة.** على الدولة أن تغلق المقاهي بعد صلاة العشاء مباشرة حتى يعود الرجال إلى بيوتهم. على الدولة أن تشن حملات مكثفة على المقاهي وحفلات الزواج لوقف مهزلة انتشار المخدرات التى أصبح الحصول عليها أسهل من الحصول على الخبز. على الدولة أن تحارب المواقع الإباحية كما تحارب مواقع المعارضة السياسية. عليها أن ترفع رسوم الإنترنت حتى لا يستخدمه الناس إلا فيما يفيد، وفي نفس الوقت تقدمه بالمجان للعلماء والباحثين. على الدولة أن تسن القوانين التى تحارب التبرج، وتجبر المرأة على الخروج من بيتها محتشمة، فهذا يقود الرجل إلى الفضيلة فى أغلب الأحوال. على الدولة أن تشجع الزواج المبكر حتى توقف تباري المراهقات فى التبرج والانحلال، فلا يجد الرجل أمامه إلا زوجته. وعلى الدولة أن تلغي فورا قوانين الأسرة الظالمة التى جعلت الرجل يخاف من قوة زوجته، ويحجم عن ممارسة دوره كرئيس لها ورقيب عليها.

وعلى وسائل الإعلام أن تكف عن تأجيج الصراع بين الرجل والمرأة، وتتوقف عن تأليب المرأة على زوجها. وعلى صناع السينما أن يجسدوا دور الأب الجاد الراعي الشهم، الذي يمسك بقبضة من حديد على بيته دون طغيان أو ظلم.

ونحن نرى أن نشر الفضيلة فى المجتمع بشكل عام سيصلح أحوال أغلب الرجال لأن الرجل إلى حد كبير ضحية لتيار الانحلال الجارف الذي خلقته الحكومات ووسائل الإعلام الخاضعة لسيطرة النظام العالمي اليهودي.

إن قرارا تتخذه الحكومة بمنع عمل المرأة كفيل بإخلاء المقاهي. وأتحدى. فالرجل يهرب من بيته لأنه لا يجد اهتماما من زوجته. الرجل يذهب إلى المقهى ليشرب الشاى لأنه إن طلبه من زوجته عبست، وتجهمت، واتهمته بأنه لا يُقدر متاعبها خارج البيت وداخله، فهي تعمل مثله، وأكثر. لكن إن استقرت المرأة في البيت فسيكون من الطبيعي أن تخفف عن زوجها، وتعمل على راحته بعد عودته من العمل. وسيعود الرجل من عمله إلى بيته، ليجد زوجة مرتاحة، تنتظره فى لهفة، وتحرص على ألا تنغص حياته. **وإن توقف عمل المرأة ستختفى الصراعات الزوجية الطاحنة حول من ينفق على البيت، وكم ينفق، ومتى ينفق، فكل شيء سيكون محددا لأن المال بيد الرجل وحده.**

إننا الآن فى وضع شديد الغرابة. لقد ضل الرجل، وانحرف، وأهمل أسرته. وأحد وسائل إعادته إلى الجادة أن ترفع الدول والإعلام أياديها عنه، وتعيد إليه سلطته المسلوبة. لا تحاسبوا ملكا طريدا أزيح من على عرشه. ردوا إليه ملكه، ثم حاسبوه بعد ذلك إن قصر فى حكم شعبه. ورغم أن الرجل ضحية للنظام العالمي المعاصر إلا أننا نكرر أننا لا نعفيه من المسئولية، فقد كان عليه أن يقاوم، ويدافع عن دينه، لكنه استسلم بكل سهولة، وسار فى الاتجاه الذي رسموه له كما لو كان فى حالة نوم مغناطيسي.

إن الرجل ظالم ومظلوم.

على سبيل المثال أغلب شكاوى النساء من أزواجهن سببها زواجه من امرأة أخرى، أو إطلاق بصره على النساء الجميلات فى الشوارع، أو إقامته لعلاقات غير مشروعة مع الأخريات. وكل هذا سببه المرأة فى المقام الأول. على المرأة المتبرجة أن تعلم أنها حين تغوي رجلا بجمالها، فهناك فى نفس الوقت امرأة أخرى تغوي زوجها بجمالها. إن موجة الجمال التي يشهدها المجتمع الآن عاتية، ومن الصعب أن يقاومها الرجل وحده. وبدون تخلي النساء عن التبرج، وبدون مقاومة الحكومات للتبرج سيصعب على الرجال أن يغضوا أبصارهم، ويبتعدوا عن الرذيلة. وليس هذا مبررا لانفلات الرجال، ولكنه توزيع عادل للمسئولية عن الجريمة.

أما عن تعدد الزوجات الذي تشكو منه النساء فهو حلال، وليس من حق المرأة أن تشكو منه طالما أن الرجل يعدل بين زوجاته. إن تعدد الزوجات من أكبر تهم الرجل فى العصر الحديث، لكن الرجل بريء منها تماما من وجهة نظر الشريعة.

وتقصير الرجل فى الإنفاق على أسرته سببه أن المرأة تتمسك بحقها فى العمل، والدولة تشجعها عليه. ولو منعت الدولة عمل المرأة لوجد الرجل نفسه ملزما بالإنفاق الكامل على أسرته، ولن تتهمه زوجته بأنه يطمع فى راتبها وثروتها.

أكرر للمرة الألف: **الرجل ليس ملاكا، ولا نعفيه من المسئولية عن جرائمه، وهو فى نظرنا ظالم ومظلوم. أما المرأة، فهي فى نظر الإعلام دائما مظلومة ومضطهدة، وتحتاج باستمرار لمزيد من الحقوق. وهذا أحد الأسباب التي جعلتنا ننحاز فى هذا الكتاب لصف الرجل،** فلا يمكن لذي لُب أن يقف مع الظالم، ويتخلى عن المظلوم.

والسبب الثاني الذي يجعلنا ننحاز للرجل هو أن الشريعة الإسلامية جعلته القائد والرئيس. ولا يمكن لنا أن نهمل شريعة أنزلها الله، فالله هو الإله، الذي إن أمر وجب له السمع والطاعة. وشريعة الله تعالى لا تهدف إلا لتحقيق العدل بين الناس: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: 25] .

وأحد أهم أسباب انحيازنا للرجل هو أن الإعلام العلماني والحكومات المستبدة والنظام العالمي الذي يهيمن عليه اليهود يناصر المرأة بشكل فج، ويضغط من أجل تمكينها، وتفكيك ارتباطها بالأسرة، ولا يمكن لأى مسلم أن يسكت على هذه المؤامرة، فسقوط الأسرة يعنى حتما سقوط الأمة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

شاهد ومشهود

إننا نشهد تطرفا غير مسبوق من علماء الدين فى إخضاع الإسلام لأهواء الغرب. وهذا خنوع، وفقدان للشخصية، بل وقاحة. إنهم عبيد أذلاء، لا يتصورون أن من الممكن لهم أن يحيدوا عن المسار الذى يسلكه العالم المتقدم. وقد أفقدتهم هذه التبعية القدرة على التأمل والإبداع، وأصابتهم بالجمود، وحرمتهم من اكتشاف كنوز الإسلام واستخلاص حِكمه. كل ما يحتاجه الواحد من هؤلاء أن يغمض عينيه قليلا، ويخرج نفْسه من الإطار الذى رسمه الإعلام، ليفكر بحرية، ويستخرج ما بدينه من حكمة ومنطق.

يجب ألا يخجل المسلمون من ضرب المرأة لأن الضرب فى الإسلام يسير وفق منطق صارم وحكمة بالغة، وهدفه الكبير هو حماية الأسرة، أما الغرب، فلا تعنيه الأسرة، بل إنهم ما أيدوا المرأة ضد الرجل إلا لهدم الأسرة، وجعل نظام الزواج يبدو فاشلا فى أعين الإنسان المعاصر، فيشيع الزنا، ويعود الإنسان حيوانا كما تتمنى الماسونية الشيطانية.

لنكن واثقين من أنفسنا ومن الدين الذى نحمله. إننا أصحاب رسالة، وحملة مشاعل للعالم. لقد جعلنا الله أمة وسطا لنكون شهداء على الناس، نكشف لهم ضلالهم وانحرافهم. ولكن مع الأسف هان الإسلام فى أعين المسلمين، فنبذوه وراء ظهورهم، وفتحوا أذرعهم لأضواء الغرب الوهاجة، فأصبح الغرب يشهد علينا، ولم نعد نشهد على أحد. ويا حسرة على دين بلا رجال.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

الضرب قمة جبل جليد

قال لى أحد الزملاء: هل يستحق ضرب الزوجة أن توليه كل هذا الاهتمام؟ فقلت له: موضوع ضرب الزوجة هو مجرد قمة جبل جليد. جذور الجبل هي أن **هناك مؤامرة استخباراتية دولية رهيبة لإعادة تأويل كل ثوابت الإسلام حتى ينهار هذا الدين فى النهاية من تلقاء نفسه.** الخطة ينفذها إسلام بحيرى ومحمد شحرور وعدنان إبراهيم وخالد الجندى وكثيرون غيرهم بوعى أو بلا وعى. كل ثوابت الإسلام – ومنها ضرب الزوجة– يتم الآن تأويلها بطريقة جنونية لا تسمح بها اللغة ولا مجمل معرفتنا بالقرآن والسنة.

معركة ضرب الزوجة هى معركة الإسلام كله، فهم إن نجحوا فى إبطال أحد نصوص القرآن بحجة أنه لم يعد يناسب العصر فسينتقلون لنص ثان وثالث، وعاشر، **وسينتهي الأمر بأن يتحول القرآن إلى كتاب تاريخي أثرى**، لا دور له فى حياة المسلمين، لأنه لا يتفهم متطلبات الحضارة الحديثة. وسيقال– عمليا– أن الإنسان المعاصر أدرى بما فيه نفعه من كتاب نزل على بدو يعيشون فى الصحراء، وأن مواثيق الأمم المتحدة لا بد أن تحل محل نصوص نزلت منذ أربعة عشر قرنا .

ولسنا نبالغ، فهناك بالفعل كتائب إلكترونية منتشرة عبر الإنترنت تقوم بتأويل الصلاة والصيام والحج والزنا والإسلام والكفر، كي تقنع المسلم أنه يمكن أن يكون مسلما دون أن يصلى أو يصوم أو يحج أو يلتزم بأى تكاليف. أحد أفراد هذه الكتائب حاورنى كمسلم محاولا أن يقنعنى أن (الحور العين) ليس معناها النساء الجميلات فى الجنة بل معناها حبات العنب الأبيض، فلما رددت عليه، واتهمته بأنه تابع لجهاز مخابرات أجنبى لم يتمالك أعصابه، وأخذ يسب الإسلام ، فعلمت أنه ملحد متخفى. وأمثال هؤلاء كثيرون.

وأنا على يقين أن هذه الخطة الجهنمية من تدبير مستشرقين محترفين لأنها نفس الخطة التى استخدمتها فرقة الباطنية منذ ألف عام حين أولوا كل المفاهيم الرئيسية فى الإسلام، فهاجمهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى كتابه (فضائح الباطنية).

أفيقوا، فالإسلام فى مهب الريح. أفيقوا قبل أن يُسمَّى أولادكم جون ومارتن وماركس وديفيد.

والله غالب على أمره.

الباب الثالث: عمل المرأة

حجم المعركة

عمل المرأة هو السلاح الأخطر الذى تستخدمه الحركة النسائية لتمكين المرأة. بدون عمل المرأة تنهار الحركة النسائية. ولذا فنحن مقدمون على معركة مصيرية.

لقد ظل الرجل طوال التاريخ يخرج للعمل كل يوم، تاركا زوجته فى البيت لتقوم على شئونه، وترعى الأولاد. ولم تكن المرأة مضطرة للعمل إلا في حالات استثنائية. ولكن فى العصر الحديث تغير المشهد، فبدأت المرأة تدخل مجال العمل، وصارت تشترك مع الرجل فى كثير من المهن، حتى باتت القاعدة هى أن تخرج المرأة للعمل، وصار مكوثها بالبيت مرضا، يتطلب العلاج.

لقد تحول عمل المرأة إلى حق من حقوق الإنسان مثل الأكل والشرب والسكن. ومن يتجرأ ويطالب المرأة بالجلوس فى البيت فهو يعتبر فى نظر الإعلام مجرما، وكأنه يحكم بالإعدام على المرأة.

ولهذا فنحن مقبلون على **معركة فكرية صعبة، ليس لأن الحق فيها غامض، ولكن لأن الحق مرّ.** ونحن لا نملك أن نغير طعم الحق، لكن بإمكاننا أن نبرز الحق للعقول، عسى أن تستيقظ الضمائر الميتة، فتستسيغ طعمه، أو تتقبله كالدواء المر، الذى لا غنى عنه لمن أراد الشفاء.

إننا نرى أن عمل المرأة لا فائدة له، بل إنه في الحقيقة يتسبب في أضرار خطيرة على الأسرة والمجتمع. عمل المرأة إذن **أولا:** لا فائدة منه ، **وثانيا:** ضار. فاستمروا معنا.

أضرار عمل المرأة

لعمل المرأة أضرار كثيرة، وقد حاولت أن أحصيها، فكانت كما يلى:

1- أسطورة التوفيق بين البيت والعمل

وظيفة المرأة الأساسية في البيت، وأحد أهم الأسئلة التى سيوجهها الله تعالى لها يوم القيامة هو: هل أحسنتِ رعاية بيتكِ أم لا؟ وفى الحديث الشريف:«أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه.

والذين يزعمون أن المرأة تستطيع أن توفق بين عملها وبيتها واهمون أو مخادعون، وذلك لأن **الوقت المتاح للإنسان محدود: أربعا وعشرين ساعة في اليوم. وربة البيت أمامها من المشاغل ما يملأ هذه الساعات.** مثلا إن تناولنا جانبا واحدا من مشاغل المرأة مثل **رعاية الأطفال لوجدنا أنه يحتاج وحده إلى ما يشبه التفرغ الكامل،** فالطفل لا يكف عن الحركة والجري واللعب والعبث بكل شيء كما لو كان سيارة تتحرك بلا سائق، ولهذا لابد أن يبقى تحت سمع الأم وبصرها طوال الوقت حتى لا يصيبه مكروه، خاصة حين يبدأ في تعلم الجلوس والوقوف والمشي والصعود على الأريكة أو النزول من على السلم حيث يكون معرضا لإصابات في غاية الخطورة. كما أن الطفل فى السنة الأولى من العمر يكون لديه ميل لالتقاط أي شيء من على الأرض، ووضعه في فمه، ومن السهل أن يسقط جسم غريب (كعملة معدنية أو بطارية صغيرة أو حبة فول) في حنجرته، أو تقع مادة حارقة في البلعوم والمعدة، فتكون سببا فى مضاعفات خطير، قد تؤدى للوفاة. وبعض الأطفال يضعون أجساما غريبة فى الأنف، والأذن، وأحيانا المهبل.

والطفل أيضا يحتاج إلى الرضاعة والطعام والنظافة وتغيير الملابس والرعاية وقت المرض. وما أكثر أمراض الأطفال! إن نزلات البرد وحدها تتكرر كل عام من حوالي ١٢ مرة، هذا غير الإسهال والمغص والحساسية وغيرها. والغالبية العظمى من الأطفال يحتاجون للذهاب إلى الطبيب مرة كل شهر. وفى أحيان كثيرة تعجز ربة البيت عن إتمام أشغالها فى المنزل بسبب مرض الطفل، فالطفل المريض لا يبقى ملازما للفراش مثل الكبار، بل يبكى، ويتشبث بأمه. ومرض مثل التهاب الأذن

الوسطى يجعل الطفل يصرخ دون توقف ليوم أو يومين. فكيف تتحمل المرأة العاملة ذلك، خاصة إن مرض أكثر من طفل فى نفس الوقت؟ إنها على الأرجح ستقتل عاطفة الأمومة، وتتخلص من الطفل بأن تودعه في أقرب دار حضانة رغم علمها أنه سينقل العدوى للآخرين. وإن كان لديها ضمير فسترعى ابنها وتسهر بجواره، لكنها لن تكون قادرة على الذهاب إلى العمل فى الصباح، وإن ذهبت فلن تستطيع ممارسة عملها كما ينبغي.

إن مجرد الجلوس بجوار الطفل الصغير – دون عمل أي شيء آخر– مرهق للغاية، فهو لا يعرف الراحة، وطالما كان مستيقظا فليس أمامه إلا أن يلعب دون توقف، فإن أمسك بلعبة مل منها بعد دقائق، وبحث عن غيرها، فإن لم يجد بكى وصرخ. وبعض الأطفال يصر على أن يصعد على الكرسى، ثم يقفز، ثم يصعد، ويقفز، ويغضب إن مُنع مما يريد، وهذا يوجب على الأم أن تكون يقظة، وإلا وقع الطفل وأصيب. وقد يعبث الطفل بجهاز مهم كالحاسوب أو الهاتف، أو يلقى بالأطباق فيكسرها، أو يمسك بأشياء خطرة كالكبريت. وتعسا لمن عبث ابنه ذات يوم بأوراقه ووثائقه.

وإضافة إلى ما سبق نجد أن على المرأة أن تكنس وتمسح وتغسل الملابس وتكويها، وتصنع الطعام، وتنظف الأواني. أما عن المذاكرة للأولاد فحدث، ولا حرج، فهى مهمة شاقة، وتحتاج لساعات متواصلة من العذاب كل يوم.

وبعد كل هذا سنجد أن **الزوجة تحتاج للراحة. كما أنها تحتاج إلى وقت للجلوس مع زوجها** والتحدث معه، إضافة إلى أن من حقها أن يكون لديها هوايات وأوقات للترفيه. فخبرنى بالله عليك: **هل اليوم بساعاته الأربع والعشرين كاف لكل هذا؟ وما بالك بامرأة لديها فوق كل ذلك مشاغل العمل خارج البيت؟**

وما يثبت كلامنا بشكل قاطع هو أنه **ما من سيدة عاملة إلا وتضطر إلى إرسال أولادها إلى دار الحضانة، أو تحضر لهم مربية بالبيت، أو تستعين بخادمة لإعانتها على أعمال المنزل. <u>إن هذا دليل حاسم يثبت أن من المستحيل على المرأة أن توفق بين عملها داخل البيت وخارجه.</u>**

وإذا كان من غير المتوقع أن تقدر المرأة العاملة على رعاية الأسرة، فلننظر إلى الحلول التى ابتكروها للتغلب على هذه المشكلة:

1. تلجأ أغلب النساء العاملات إلى إرسال أولادهن إلى دار الحضانة، بما في ذلك الأطفال الرضع، الذين لم تتجاوز أعمارهم شهر أو بضعة شهور. ورأيت مرة ممرضة عادت إلى العمل بعد أسبوع واحد فقط من الولادة حتى لا يؤثر ذلك على عملها فى مستشفى إحدى الدول العربية رغم أنها لم تكن مضطرة للعمل مطلقا. **وأولاد أمثال هؤلاء الأمهات يرضعون لبنا صناعيا، وهو أقل فائدة للطفل** من لبن الأم الذى يحتوى على أجسام مضادة وخلايا مناعية ومواد مقاومة للبكتريا، وهذا يحمى الطفل من كثير من الأمراض كالإسهال والنزلات المعوية والبدانة وتسمم الدم ومرض السكر والحساسية ومرض سيلياك وبعض الأورام السرطانية وغيرها.

وتواجد الأطفال الصغار فى الحضانة يجعلهم عرضة للعدوى بكثير من الجراثيم بسبب الازدحام والاختلاط مع الأطفال الآخرين المرضى.

وإن فصلنا الطفل عن أمه وأسرته فى سن مبكر نكون قد هدمنا الحجر الأول فى بناء شخصيته، فالطفل أصبح يقضى أغلب وقته مع أصحابه، فيرتبط بهم، ويقلدهم، ويكتسب من طبائعهم بعيدا عن رقابة الأبوين. **والفرق كبير بين تربية الأم وتربية دار الحضانة،** فالأم يكون لديها حرص على أن ينشأ ابنها مؤدبا متعلما للسلوك القويم، فإن سمعته مثلا يردد كلمة قبيحة نهرته على الفور لأنها لا تريد أن يكون ابنها كأطفال الشوارع، أما المعلمة فى الحضانة فلا يهمها كثيرا أن يكون الطفل مؤدبا فهو ليس ابنها، وسلوكه السيء لن ينسب إليها، وهى فى جميع الأحوال ستقبض راتبها كاملا سواء حسن خلقه أو ساء. وحتى إن كان المربية فاضلة وحريصة على الأخلاق فلن يكون لديها أبدا مثل ما لدى الأم الأصلية من حرص، وستكتفى فى الغالب باستنكار السلوك السيء، تاركة بقية المهمة للأسرة التى يفترض أن يعنيها ابنها أكثر من أى أحد آخر. كما أن المربية فى الحضانة لا تستطيع أن تعاقب الطفل بالضرب مثلما تستطيع أمه، وهذا يشجعه على التمادي فى الخطأ.

إن دار الحضانة تهتم فقط فى الغالب بتعليم القراءة والكتابة والحساب دون اهتمام كبير بالأخلاق. وحتى إن اهتمت المعلمة بالأخلاق فإن هذا يكون على شكل نصائح نظرية جامدة من قبيل "لا تكذب" و "لا تسرق"، و "لا تؤذ أحدا". أما الأم فهى تحرص على أن يطبق ابنها هذه النصائح على أرض الواقع. وإن ارتكب خطأ ذات مرة، فهى تعاقبه، وتظل تراقبه حتى

تتأكد من أنه لن يكرره. واستبدال الأم بدار الحضانة معناه التخلي عن "المدرسة العملية للأخلاق"، فما الحضانة إلا "مدرسة نظرية للأخلاق"، والتعليم العملي أهم مائة مرة من التعليم النظري.

2. الحل الثاني الذى ابتكروه للتغلب على صعوبة توفيق المرأة بين العمل والبيت هو أن يتقاسم الرجل والمرأة العمل داخل البيت كما يتقاسمانه خارج البيت بحيث يشارك الرجل زوجته فى أعمال البيت كالطبخ والكنس والغسل. وهم يحثون الرجال على المشاركة فى الأعمال المنزلية بحجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقوم ببعض الأعمال داخل بيته كأن يخيط ثوبه ويخصف نعله.

وسنرد على هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد، لكن نكتفى الآن بالقول أن أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم فى البيت لم تكن كثيرة أو جوهرية، بل قليلة وبسيطة. ومن غير الممكن أبدا الزعم بأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان "**يقتسم**" العمل فى البيت مع نسائه بالتساوي بالشكل الذى يريدونه اليوم. ثم إنه **لا الرسول عليه الصلاة والسلام ولا أحد من صحابته كان يترك نساءه يعملن طوال اليوم خارج البيت، ثم يساعدهن فى أشغال البيت حتى يستطعن التوفيق بين البيت والعمل.** إن من الواجب على الرجل أن يساعد زوجته فى أعمال المنزل فقط إذا ما كانت تخصص وقتها كله لبيتها، ومع ذلك تعجز عن الوفاء ببعض الأعمال، ففى هذه الحالة من الرحمة أن يعاون الرجل زوجته لأن الرحمة من صفات المسلم، فقد روى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ».

ثم هب أن الرجل والمرأة عمل كلاهما خارج المنزل، وبعد العودة اقتسما العمل داخله، فهل هذا أفضل من التزام كل منهما بالعمل فى مجال تخصصه: الرجل خارج البيت، والمرأة داخله؟ الواقع أنه **إن عمل الرجل خارج البيت والمرأة داخل البيت فمعنى ذلك أن كليهما يتحمل عبء عمل واحد، أما إن عمل كل منهما خارج البيت ثم اقتسما عمل البيت ، فمعنى هذا أن كلا منهما أصبح مكلفا بعمل ونصف** (عمل خارج البيت، ونصف عمل داخل البيت)، وهذا أشق

على الطرفين. **ولماذا نصر على أن نجعل حياتنا أكثر مشقة؟ ألا يكفينا ما بها من ضغوط؟ ألم نتعظ من أمراض العصر كالضغط والقلب والجلطات والاكتئاب؟** أيهما أفضل للمرأة: أن تعمل في البيت فقط، أم تعمل بالخارج، ثم تعود، وهى تحمل هَم العمل الإضافي في البيت؟ لماذا نصر على أن نجعل الإنسان المعاصر كالحمار الذى يحمل أثقالا طوال اليوم؟ فإن قيل: "نحن نتعب أكثر لنربح أكثر، وهذه سنة الحياة" أجبنا بأن انسحاب المرأة من العمل سيوفر وظيفة لرجل آخر يعول أسرة أخرى، فتبقى أرباح المجتمع ثابتة بشكل كلي.

وقد قدر لى أن أسافر للعمل بالخارج لعدة أشهر دون أسرتى، فكانت تجربة عملية فريدة، برهنت لى على سخافة فكرة عمل المرأة. لقد كنت أذهب كل يوم للمستشفى من الثامنة إلا الربع صباحا، وأعود إلى البيت فى التاسعة مساء ، ويتخلل ذلك ٤ ساعات راحة فى البيت ظهرا ، تضيع في الطريق وفى النوم. وفى الغربة اضطررت لتعلم كل أعمال البيت من الصفر؛ تعلمت عمل بعض الأكلات حتى لا آكل من المطاعم. كما تعلمت غسيل الأطباق والملابس، إضافة إلى الكنس والمسح. وفى البداية فرحت لأننى اكتسبت موهبة الطبخ بسرعة، وشعرت أننى قادر بسهولة على أن أبرع فيها مثل أمهر الطهاة إن استعنت بكتب الطهى ومواقع الإنترنت. ولكن سرعان ما اكتشفت أن وقتى لا يسمح، فأنا أعود إلى البيت متعبا، فلا أجد إلا وقتا قليلا للقراءة وعمل الأبحاث، بل إننى صرت أهمل صنع الطعام الذى أجيده، وأختار أن آكل أى شىء موجود حتى لا أهدر الوقت القليل المتاح لى. **لقد أيقنت أن بإمكانى أن أبرع بسهولة فى كافة أعمال المنزل، لكن هذا سيكون على حساب اهتماماتى الطبية واهتماماتى الفكرية، ولذا قررت أن أضحى بالبراعة فى أعمال المنزل.** وبرهن لى هذا بشكل قاطع على أن من المستحيل على المرأة المعاصرة أن تجيد العمل فى البيت وفى وظيفتها، فهي **إن اهتمت بالبيت قصرت فى وظيفتها، وإن اهتمت بوظيفتها قصرت فى البيت.** وفهمت لماذا يشكو بعض الأزواج من أن زوجاتهم يصنعن الطعام أحيانا بإهمال مع أنهن محترفات فى عمل أشهى المأكولات. السبب ببساطة هو أن طاقة الإنسان على الاحتمال محدودة، وهؤلاء النسوة يَعدن إلى البيت متعبات، فيكون من الطبيعى أن يهملن عمل البيت لأنهن لا يتقاضين عليه أجرا. وشىء من الشجار مع الزوج لا يضير، أما إهمال الوظيفة فهو يجابه بالعقاب الحاسم من المدير.

3. تلجأ كثير من النساء إلى الاستعانة بخادمات للبقاء مع الأولاد فى البيت والقيام بأعمال المنزل، وهذا يعنى بالضبط أن **الأم تخلع رداء الأمومة، وتلبسه لامرأة غريبة، أُمٌ بالأجر، ليس لديها إخلاص الأم الحقيقية** ولا حنانها، أُم قد تحرص على شكل الطفل ومظهره وثوبه وطعامه، لكن ليس لديها الحرص على سلوكه وخلقه ودينه وعلمه ومستقبله. إن كل هدفها هو أن تتقاضى راتبا آخر الشهر، وهى تعلم أنها تتقاضاه مقابل الاهتمام بمظهر الطفل لا جوهره، هذا إن كانت تعلم من الأساس أن هناك شيئا اسمه الجوهر.

ثم إن وظيفة الخادمة أو المربية من الأصل محل نظر؛ إننا نرى أن **من غير المقبول أن تعمل امرأة فى بيت قوم غرباء عنها، فتقيم معهم، وتختلط بهم،** ويراها الزوج الأجنبى أو ابنه المراهق، وترتدى بينهم ملابس البيت بلا تكلف، وقد تحدث خلوة بينها وبين أحدهم، فتقع الفواحش التى نسمع عنها كل يوم. وسنناقش هذا بتوسع فى فصل قادم إن شاء الله تعالى.

إننا نعيش عصر التخصص، بل عصر التخصص الدقيق، أو التخصص فى التخصص، فمن يركز على جزء صغير سيبرع فيه، أما من يخوض فى مجالات كثيرة، فلن يبرع فى شيء. **فكيف يقال بعد ذلك أن المرأة تستطيع الجمع بين بيتها وعملها؟ إن هذه ليست مقولة تقدمية، بل مقولة متخلفة.**

إن العصر الحديث يختلف عن العصور الوسطى، **فقديما كان هناك علماء موسوعيون، يعرف الواحد منهم كل علوم عصره كأرسطو وابن سينا وغيرهم. أما اليوم فكل عالم له تخصص وتخصص دقيق،** فمثلا فى الماضى كان هناك طبيب يعالج كل الأمراض، وبعد ذلك أصبح هناك طبيب للكبار وطبيب للأطفال. وبعد ذلك انقسم طب الأطفال إلى عدد من التخصصات الدقيقة كأمراض الدم وأمراض الكلى والقلب والأعصاب وحديثى الولادة، بل إن كل واحد من هذه التخصصات الدقيقة انقسم إلى تخصصات أدق. وأى طبيب أطفال يقول أنه بارع فى علاج كل هذه الأمراض فاعلم أنه جاهل أو مدع لأنه لا أحد يمتلك الوقت لدراسة كل هذه الفروع، ورؤية عدد كبير من المرضى فى كل مجال بما يكفى لمنحه الخبرة اللازمة. ونفس الشىء ينطبق على كل العلوم، ففى التاريخ مثلا هناك متخصصون فى التاريخ الفرعونى أو الإسلامى أو اليونانى أو الرومانى.....إلخ. **بل إنه حتى فى الحرف اليدوية لا بد من التخصص،** ففى مجال السيارات مثلا

هناك الميكانيكى والسمكرى والكهربائى والسروجى والعفشجى وأخصائى الإطارات.....إلخ. بل إن هناك ميكانيكى متخصص فى السيارات القديمة، وآخر متخصص فى السيارات الحديثة، وثالث متخصص فى سيارات النقل. إن المثل المصرى يقول: " سبع صنايع والبخت ضايع"، أى أن المرء إن حاول إتقان عدد كبير من الحرف فلن يبرع فى أى منها، وسيقل بالتالى ربحه. لقد كنت فى سن المراهقة شغوفا بتحصيل كافة أنواع العلوم، فقرأت فى الدين والفلسفة والتاريخ والسياسة والفيزياء والأحياء والطب. كنت أريد أن أعرف كل شىء عن كل شىء، وكنت منبهرا بالدكتور مصطفى محمود الذى كانت له القدرة على التكلم فى كل شىء، والحديث فى أى موضوع، لكن لما كبرت، ونمت خبرتي أدركت أننى كنت أنشد المستحيل، وأجرى وراء سراب، فالعلم أكبر من طاقة ألمع العقول، والدكتور مصطفى محمود – على سعة علمه– لم يكن بارعا في الفيزياء مثل آينشتين، ولم يكن بارعا في التاريخ مثل عبد الرحمن الرافعى، ولم يكن بارعا فى الطب مثل مجدى يعقوب. وبمرور الزمن وجدتني أتخلى عن أغلب طموحاتي، وأكتفي بمجال الطب والفكر الإسلامي. وهذا أقصى ما أمكنني الالتزام به من التخصص، وذلك بسبب التراجع الشديد لدور المؤسسات الدينية الرسمية، مما أجبر العامة من أمثالي على الدخول إلى مجال الدراسات الإسلامية بجوار مهنتهم الأصلية. **وعلى ذلك فعودة المرأة إلى بيتها متوافقة تماما مع روح العصر، وكل قول عدا ذلك تخلف.**

لقد حاولت الحكومة فى الماضى أن تساعد المرأة العاملة فى الحكومة على أن توفق بين البيت والعمل عن طريق منحها إجازة بعد الولادة لثلاثة أشهر، كما منحتها إجازة لرعاية الطفل لمدة تصل إلى سبع سنوات، ومنحتها أيضا ساعة للرضاعة كل يوم. ورغم ذلك لم تستطع المرأة التوفيق بين البيت والعمل في أغلب الأحيان. وزاد الطين بلة أن دور الدولة قد تراجع، **وأصبح أغلب الموظفين يعملون فى القطاع الخاص الذى لا يرحم**، والذى يتطلب العمل لساعات أطول، وبذل جهد أكبر، فصاحب العمل لا تعنيه الأسرة فى شىء، ولا يهمه إلا الربح، وهذا جعل توفيق المرأة بين البيت والعمل أصعب وأصعب.

وأخيرا شهد شاهد من أهلها ، فهذا تقرير لليونيسيف، صدر فى يوليو 2001 م، ويتعرض للثورة الجنسية التى اجتاحت المجتمع الغربي، والتى كان من نتائجها الانخفاض الملحوظ لمعدلات المواليد، **ويعترف بأن من الصعب على المرأة المعاصرة الجمع بين البيت والعمل**. يقول التقرير:

"إن تغير الأهواء، وبزوغ فرص أخرى أمام المرأة غير الأمومة، إضافة إلى **مصاعب الجمع بين الأمومة والعمل خارج البيت، كل هذا أدى إلى انخفاض متوسط عدد الأطفال لكل امرأة** من 2.5 طفل فى عام 1970 إلى 1.6 طفل فى عام 1998."[159]

هذا اعتراف من الكفار –وليس من رجال دين مسلمين– بأن عمل المرأة يؤثر على دورها فى الأسرة، فهل من آذان واعية؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

2-تناطح الزوجين

الحركة النسائية تشجع عمل المرأة كي تحررها من سلطة الرجل، فالمرأة التى تعمل تمتلك المال والخبرة، فتتساوى الرءوس، ويصبح من العسير على الزوج أن يحملها على طاعته.

ومن مظاهر الحكمة البالغة لله عز وجل أن جعل الرجل قويا خشنا قادرا على العمل، بينما جعل المرأة ضعيفة رقيقة وذات قدرة أقل على العمل. وإنني لأندهش: كيف لا نتساءل: **لماذا لم يخلق الله المرأة قوية مثل الرجل، فتكون قادرة على العمل واكتساب المال؟** الإجابة هي أن هذا من حكمة الله تعالى، الذي خلق القوى، والضعيف، والغنى، والفقير. ولو تساوى كل البشر فى المواهب لفسدت الحياة. وفي آية رائعة يقول الله تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: 32].

ما معنى هذا؟

معناه أن الله تعالى تعمد أن يجعل المال قليلا فى أيدى النساء، فيكون الرجل قويا نسبيا، والمرأة ضعيفة نسبيا حتى لا يختل استقرار الأسرة إن شعرت المرأة أنها لا تقل قوة عن زوجها، فيغريها هذا بالتمرد عليه وعصيان أوامره. ألا ترى أن الله تعالى تعمد أن يخلق الذكي والغبي والطبيب والمريض حتى يحتاج الناس لبعضهم، فتمضى الحياة؟ إن عمال النظافة فى المستشفى الذى أعمل

---

159) UNICEF, ‘A league table of teenage births in rich nations’, *Innocenti Report Card* No.3, July 2001. UNICEF Innocenti Research Centre, Florence.

به لو حصلوا جميعا على الدكتوراة فى الطب، لتوقفت المستشفى لأنه لا أحد منهم سيرضى أن يتولى مهمة النظافة، وسيكون البديل أن يعمل كل واحد من حاملى الدكتوراة كطبيب وعامل نظافة فى نفس الوقت، وهذا سيقلل من الكفاءة فى رعاية المرضى وفى النظافة أيضا، لأن التخصص فى مجال واحد يجعل الإنسان أكثر براعة.

لو جعل الله كل الناس متساوين فى المال والقوة والصحة والذكاء والعلم والجمال فمَن يخدم مَن؟ وسيجد كل واحد نفسه مضطرا لأن يشتغل بكل مهنة، فتجد كل فرد في المستشفى مثلا يعمل كطبيب لمدة يوم، وممرضا لمدة يوم، وعامل نظافة لمدة يوم، وموظفا لمدة يوم، وحارسا لمدة يوم ومحاسبا لمدة يوم، ونجارا لمدة يوم، وسباكا لمدة يوم. ومن كان هذا شأنه فسينطبق عليه المثل القائل: "سبع صنائع والبخت ضائع"، أى أنه لن يبرع في أي مهنة لأن التفوق يحتاج إلى التخصص، والأفضل أن يتخصص كل إنسان فى مجال واحد يناسب قدراته.

إن هذا يجعلنا نقول أنه **لولا عامل النظافة ما وُجد المدير، ولولا الجندى ما وجد الضابط، ولولا الممرضة ما وجد الطبيب، ولولا الخفير ما وجد الوزير،** وذلك لأن أصحاب المكانة الأقل من هؤلاء كان لهم الفضل في أن وفروا الفرصة والوقت لأصحاب المكانة الأعلى كى يتفرغوا لتخصصهم، ويبرعوا فيه. أفليس الفقر نعمة من الله؟ الحمد لله الذى جعل المرأة أقل مالا من الرجل.

هذا خلق الله، وتلك فطرته. ومن أراد أن يغير خلق الله فليعلم أنه جندي من جنود إبليس الذي أقسم منذ خلق آدم أن يجعل ذريته تغير خلق الله: {لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا } [النساء: 118، 119].

سيقول البعض: "إنك بهذا تريد من البشر أن يستسلموا للظروف. كيف تطلب من إنسان أن يتوقف عن الطموح والسعى لتحسين الظروف؟ هل يعقل أن يظل الفقير جالسا دون أن يبحث عن عمل إضافي يحسن دخله؟ طبعا لا. إذن لا يجوز بالمثل أن نقف فى وجه طموح المرأة"

هذا الاعتراض أخاذ، لكن صاحبه لم يفهم كل ما قلته عن أهمية التخصص. ونزيد الأمر إيضاحا، فنقول أنه لا يجوز لنا أن نعوق فلاحا أميا عن المذاكرة ليحصل على كلية التجارة، فيصبح محاسبا،

ثم مدير بنك، وذلك لأننا سنجد حتما رجلا آخر يعانى من البطالة، ويقبل أن يحل محل هذا الفلاح في حقله. لكن **لو احتقر كل الفلاحين مهنة الزراعة، وسعوا لأن يكونوا موظفين فى مكاتب، فأُهملت الأراضي الزراعية، فهنا يصبح من الحكمة أن نقف فى وجه طموحهم**، ونمنعهم من الالتحاق بوظائف أخرى بعد اكتمال تعليمهم حتى لا يعانى الشعب من المجاعة. إذن **لا ضير من أن يحاول كل إنسان الترقي إلى وظيفة أعلى، لكن بشرط ألا تبقى وظيفته الأولى شاغرة.**

وبالمثل **إنْ دفَع الطموح المرأة إلى ترك البيت والعمل بالخارج، فمن يحل محلها، ومن يقوم بواجباتها؟** لقد سبق أن أثبتنا أن من الصعب جدا أن توفق المرأة بين البيت والعمل. إذن هل يترك الرجل زوجته لتعمل، وتربح، وتتساوى معه، ويستعيض عن دورها فى البيت بزوجة ثانية؟ هل تكفى النساء كى يتزوج كل رجل بامرأتين؟ ثم أليس من الظلم أن تخدم امرأة واحدة بيتين؟ كما أن الزوجة الثانية سيكون من حقها أيضا أن تعمل خارج البيت، وتستمر المشكلة بلا نهاية؟

وهكذا فمن الواجب على المرأة أن تتنازل عن تطلعاتها فى سبيل الأسرة. هنا يصبح الطموح رذيلة، والاستسلام للقدر فضيلة. إن **إلغاء السمة الطبقية للأسرة حماقة.** وليس ببعيد عنا ما فعله الشيوعيون حين توهموا أن بالإمكان القضاء على الفروق بين الطبقات، ومحو الاختلافات بين الأغنياء والفقراء، فجرَّت الشيوعية الويلات على شعوبها، ثم سقطت سقوطا مدويا بعد أن عجزت عن الصمود أمام فطرة الله لأكثر من عقود قليلة، لا تقاس شيئا بعمر التاريخ.

لقد أصبحت المرأة تشعر أنها مساوية لزوجها لأنها تعمل كما يعمل، وتربح كما يربح، ولم يعد لزوجها فضل عليها، ولم تعد ملزمة باحترامه وطاعته، بل أصبحت تتوقع منه أن يرضخ لها، فهي في عملها تأمر فتُطاع، وتطلب فتُجاب، فلِم ترضى بالدنية فى بيتها؟ **وهكذا ثارت المرأة على سلطة الرجل، ولكنها فى الحقيقة ثارت على فطرة الله.**

وقد يعترض البعض ويقول: ولكن ليس كل النساء متمردات متكبرات، **فلماذا نُحَرم عمل المرأة من أجل حفنة من النساء اللائى لا خلق لهن؟**

ونحن نقول: لسن حفنة بل كثرة كثيرة. **والإعلام الآن يحرض المرأة بشكل فج على إظهار قوتها لزوجها، فقالت إحداهن مثلا للمرأة: (وظيفتك وجمالك واعتزازك بكرامتك هم قوتك الثلاثية أمام زوجك). لقد جعلوا نشوز المرأة فضيلة.**

ومن لا تتكبر على زوجها فى الأحوال العادية فإنها إن رأت منه ما تكره، أو اختلفت معه حول أمر من الأمور سارعت إلى معايرته بأنه لولا راتبها لكان غارقا في الديون. وجاءني يوما أحد الأصحاب، والشرر يتطاير من عينيه، فلما سألته عن السبب أخبرني أنه طلب من زوجته أن تفعل شيئا فى البيت، فتكاسلت، ولما ألح عليها تشاجرا، فقالت له: "ألست أعمل وأجلب لك المال"؟ جن جنون صاحبي لأن زوجته تعمل رغما عنه، وهو يكره عملها، ويلح عليها دائما أن تترك العمل، وتتفرغ للبيت، كما أن راتبه أكبر من راتبها بخمسة أضعاف، فكيف تأتى الآن لتمُنَّ عليه؟ وكنت أعرف هذه السيدة، وأعلم أنها متدينة ودمثة الخلق، ومع ذلك تلوثت طباعها بذلك الشعور الآثم بالقوة الذى أصاب كل النساء العاملات، وجعلهن يعاملن أزواجهن كالند للند. حقا القوة مفسدة.

لكل هذه الأسباب صار كثير من الرجال الحكماء يبحثون من البداية عن زوجة لا تعمل خوفا من أن تمتد إليهن آفة التكبر، وهذا عين الصواب. نسأل الله تعالى الهداية.

3- الخلاف حول المال

أدى خروج المرأة إلى العمل إلى أن أصبح هناك عائلان للأسرة: الزوج والزوجة، بعد أن كان الرجل هو العائل الوحيد بحكم الفطرة وبحكم الشريعة، فقد جعل الله تعالى الرجل مسئولا عن الإنفاق على الأسرة: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء: 34]، وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: [وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ] رواه مسلم. وعن عائشة، أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَقَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ، بِالْمَعْرُوفِ» رواه البخارى.

ومن هنا نشأت الخلافات، إذ أصبح على الزوجة أن تساهم بقدر من راتبها فى نفقات الأسرة، وصار الرجل يمد يده إليها بعد أن كانت تمد يدها إليه، فطفا السؤال: **بأي قدر تشارك المرأة؟ هل تدفع راتبها كله أم بعضه؟ وأين يذهب ما يتبقى من راتبها؟** هل تنفقه على ملابسها وزينتها؟ هل

تساعد إخوتها دون علم زوجها؟ هل تفتح حسابا باسمها في البنك من وراء ظهره؟ هل تشترى ذهبا، وتحتفظ به في بيت أمها؟ وإن أراد زوجها شراء قطعة أرض، فطلب منها بعض المال فهل يكون من حقها أن تشترط أن يكتب الأرض باسمها؟

وبسبب عدم وضوح الواجبات يسود الشك بين الزوجين، **وتتكرر الخلافات كل يوم، لأن كلا واحد يحاول أن يجعل الطرف الآخر يتحمل أغلب النفقات**، فأدى هذا إلى خراب البيوت العامرة، وصدق القائل: "إن دخل المال من الباب خرج الود من الشباك".

وقد تدخر الزوجة راتبها كله، ولا تنفق منه على الأسرة لأن زوجها ثري. وفى هذه الحالة يعاني الرجل من إهمال زوجته للبيت بسبب العمل رغم أن عملها لا يفيد أحدا سواها، وهذه أنانية. وأعرف أزواجا يقول الواحد منهم لزوجته: "اجلسي في البيت، وسأعطيك ضعف الراتب الذي تتقاضينه"، فترفض بلا سبب سوى أنها لا تستطيع أن تشذ عن القطيع.

4- المرأة لم تعد مصدر سكن

في الصباح تستيقظ المرأة العاملة من نومها لتستعد للخروج، وتجهز أولادها للذهاب إلى دار الحضانة أو المدرسة، وتترك زوجها وأولادها يتناولون الوجبات السريعة، ثم تغادر البيت لاهثة إلى عملها، لتصل بعد رحلة عذاب في المواصلات. وفى العمل يكون من المطلوب منها أن تؤدى مهامها على أكمل وجه وأن تنفذ قرارات المديرين، وتتعامل مع الزملاء والمواطنين، وتتغلب على المشاكل، وبعد انتهاء اليوم تتوجه إلى البيت، فتخوض مرة ثانية رحلة المواصلات وعذابها، وفى النهاية تعود إلى البيت مرهقة، لكن لا سبيل إلى الراحة، إذ سيكون عليها أن تجهز الطعام، وتغسل الأطباق، وتنظف البيت. ولما يعود الزوج من عمله يجد الزوجة منهكة متجهمة لا تستطيع أن تجلس معه لتتسامر وتتكلم.

لم تعد المرأة سكنا للرجل كما أراد لها الله تعالى حين قال تعالى: **{**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21]. وقال أيضا: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف: 189].

القرآن يقولها بصراحة: **الله تعالى خلق المرأة ليسكن الرجل إليها،** فالرجل يعمل فى النهار، ويتعب ليوفر حاجات أسرته، ثم يعود إلى البيت آخر اليوم متعبا، ومحتاجا إلى السكون والراحة. ولاحظ أن القرآن يقول: (ليسكن إليها) وليس: (ليسكن عندها). وكلمة (إليها) تشير إلى الانتقال من نقطة إلى نقطة أخرى، أما كلمة (عندها) فتشير إلى نقطة واحدة فقط، والمغزى أن الرجل يشعر بالسكن والراحة والطمأنينة والسعادة، وهو فى طريق عودته من عمله حتى قبل أن يصل إلى بيته لأنه يكون مشتاقا إلى زوجته، ومتوقعا أن يجد الراحة عندها، فتوقع اللذة يخلق فى ذاته لذة إضافية قبل اللذة المنتظرة. أما لو قال (عندها) لكان المعنى أن الرجل يشعر بالسكن فقط حين يعود إلى البيت.

والسكون ضد الحركة، وهو يدل على توقف العمل البدنى، لكنه يدل أيضا على توقف انشغال الذهن بالهموم والمشاكل والمشاحنات والصراعات مع الناس، أى أن الله تعالى خلق المرأة لتكون مصدر راحة بدنية ونفسية للرجل. والمرأة تستفيد هى الأخرى من هذا الدور الذى تمارسه لأنها تكون هى أيضا مشتاقة للقاء زوجها بعد غيبته، كما أن راحة زوجها تجعله أكثر لطفا فى معاملتها، فتعم السكينة على البيت كله. فهل يمكن للمرأة العاملة المعاصرة أن تؤدي هذا الدور؟ لا أظن. لقد جعل الله الطبيعة هي أن تجلس المرأة في البيت لترعاه، وتربي الأولاد، وهو عمل أخف من عمل الرجل خارج البيت، بحيث يعود الرجل المتعب ليجد زوجة أقل تعبا، وأقدر على تهيئة سبل الراحة وإعداد الطعام والشراب والمكان النظيف والمنظر الحسن. كما أن الحنان الذي يلقاه منها يكون كفيلا بجعله ينسى الهموم والمشاكل. ومن ناحية أخرى تكون الزوجة مشتاقة إلي زوجها، وفى حاجة للحديث معه بعد أن ظل طوال النهار بعيدا عنها. وهكذا يتجاذب الزوجان المختلفان كتجاذب القطب الموجب والسالب:

الرجل متعب، والمرأة مرتاحة، وقادرة على أن توفر له الراحة.

الرجل بحاجة إلى حنان المرأة، والمرأة بحاجة إلى أنس الرجل.

حقا ربة البيت تتعب فى أعمال البيت، لكنها قطعا أقل تعبا من المرأة العاملة التى ترى أن من السخافة أن يتوقع منها زوجها أن تهيىء له سبل الراحة، فقد كانت تعمل مثله خارج البيت، ولم تكن تلعب. **وأى كلام عن تدليل الرجل، وتهيئة جو من السكينة له فى البيت يدخل فى باب الترف والرومانسية والبعد عن الواقع.** إنها تخرج من عمل إلى عمل، وبمجرد أن تصلى العشاء

لا تملك إلا أن تستلقى على الفراش، وتغط في نوم عميق استعدادا ليوم جديد، تدور فيه نفس التروس بلا رحمة. وحتى عندما يأتي يوم العطلة الأسبوعية تكون هذه فرصة ذهبية ليس للتقارب بين الزوجين، ولكن لإكمال عمل البيت المتراكم طوال الأسبوع.

الرجل العائد من عمله يكون بحاجة إلى العطف والحنان، والمرأة التي تمكث في بيتها تكون مشتاقة إلى عودة زوجها، فتندفع نحوه، ويرى منها كل ما يحب. أما المرأة العائدة من العمل فلا يمكن أن تكون على نفس القدر من الشوق إلى الزوج لأنها **كانت تتكلم طوال اليوم مع الزملاء والزميلات في شتى الموضوعات، فأصبحت متشبعة، وغير محتاجة إلى من تتكلم معه بعد أن أخرجت كل ما بداخلها إلى أصحابها في العمل،** بل إنها قد تكره لقاءه لأنه سيأمر وينهى ويطلب.

وهكذا يحدث التنافر بين الزوجين بدلا من التجاذب الطبيعي الذي أراده الله.

حُكيت أمامنا يوما قصة زميل، ظلت زوجته لا تعمل لعدة سنوات بعد الزواج، ثم التحقت يوما بوظيفة، فشعر بأنها أهملته، فاشتعلت المشاكل بينهما. قال أحد أصحابنا: "هذا الزوج رومانسي أكثر من اللازم، وكان عليه أن يتقبل عمل زوجته ببساطة مثل بقية الرجال" ، قلت له: "**إن لم يجد الرجل الرومانسية في بيته فسيبحث عنها خارجه،** وأنت تعلم أن تعلق الرجل بامرأة أخرى يمكن أن يبدأ بكوب من الشاي وساندويتش تقدمه له زميلته في العمل، فينقلب كيانه، ويشعر أن هناك من يهتم به، ويعمل على إسعاده، فتكون النتيجة إما الزنا وإما الزواج الثانى، ولا أظن أن المرأة المعاصرة تحب أيا منهما".

و**المرأة التي تعود إلى بيتها مرهقة نفسيا وبدنيا، ثم تكمل الجولة في البيت يكون من الصعب عليها أن تجيب زوجها إلى الفراش،** خاصة أن المرأة من الأصل بطبعها أقرب إلى الفتور الجنسي من الرجل. وسيترتب على ذلك مشاكل لا حصر لها، **وقد ينتهي الأمر بالطلاق أو هروب الزوج إلى امرأة أخرى (فى الحلال أو الحرام)**. وروى لنا ذات مرة أحد أساتذة أمراض الذكورة ونحن طلبة في كلية الطب أن أحد أصدقاءه اتصل به ذات يوم، وكان مذعورا لأنه أصيب بالضعف الجنسي، فلم يقدر على جماع زوجته. وبعد تقييم الحالة من كافة الجوانب توصل الطبيب إلى أن هذا الضعف الجنسي سببه نفسى بحت، فقد كانت الزوجة تقضي أغلب ساعات اليوم خارج البيت منشغلة لأذنيها بعملها، ولما تعود إلى البيت تكون في غاية التعب، ولا يكون لديها أي رغبة في

الجماع، وغاية أملها أن ترتاح، حتى أنها أصبحت تغط فى نوم عميق أثناء الجماع، وتترك الزوج يكمل وحده، فانعكس هذا الفتور على الرجل، فأصيب بالضعف الجنسي.

وقد تقول بعض النساء: "**وهل كل دور المرأة في الحياة أن توفر المتعة للرجل؟ ما أحقر هذا الدور!**"

ونحن نقول: **وما العيب فى أن تكون المرأة وسيلة إمتاع لزوجها؟ ألا تمارس المرأة نفس الدور مع أطفالها، فتلاعبهم، وتروى لهم الحكايات كي تدخل عليهم السرور؟ فهل هذا عمل حقير؟ ألا يشترى الرجل هدية لزوجته أو يصطحبها فى نزهة كي يمتعها؟** بل تعالوا لنحتكم إلى مقاييسكم: ألا يفنى الأديب عمره في إمتاع الناس برواياته؟ أوليست وظيفة المطرب هى أن يمتع الناس بأغنياته؟ وهل للرسام من دور سوى أن يمتع الناس بلوحاته؟ أليس نجوم السنيما هم أشهر شخصيات المجتمع مع أنهم لا يفعلون شيئا سوى تسلية الناس بأفلامهم؟ **إن أردتم أن تكونوا متسقين مع أنفسكم فلتطالبوا بغلق دور السينما ومدن الملاهي والقنوات الفضائية والأندية الرياضية وكل الحدائق والمتنزهات لأنها لا تفعل شيئا أكثر من الترفيه.**

المتعة تكون خطأ إن ألهت الإنسان عن ذكر الله، وصرفته عن هموم دينه وأمته. ولا أحد منا يحب هذا. نسأل الله تعالى الرشاد.

5-تزايد معدل الطلاق

ماذا جرى للناس؟ قديما كان من النادر أن تسمع عن امرأة طلقت، أما اليوم فلا يمر يوم حتى نسمع عن زميل على خلاف مع زوجته، وأنها تطلب الطلاق. وتقول تقارير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء أن عدد عقود الزواج فى مصر عام 2020م كان 876 ألفا، بينما بلغ عدد حالات الطلاق فى نفس العام 222 ألفا[160]. و 88% من حالات الطلاق تتم بالخلع، أي أن المرأة هي التى تطلب الطلاق فى الغالبية العظمى من الأحوال[161].

---

160) **إحصاءات عقود الزواج والطلاق في مصر خلال 2020.. إليكم كم بلغت**. موقع سي. إن. إن العربي. 16 نوفمبر 2021م. تم الدخول للموقع يوم 14 يونيو 2022م.
https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2021/11/16/marriage-divorce-rates-in-egypt-infographic

161) **فيديو.. نقيب المأذونين: 88% من حالات الطلاق في مصر خلال عام 2021 كانت خُلعا**. صحيفة الشروق. 14 فبراير 2022م. تم الدخول للموقع يوم 14 يونيو 2032م.
https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=14022022&id=fefca67d-ce6c-4a55-8658-f9421b60968d

لقد أصاب النساء مس من الجنون. لم يعد الطلاق شيئا مفزعا، لم يعد غولا يهدد المرأة لم تعد ترتعد حين تسمع اسمه. والسبب في ذلك يعود فى المقام الأول إلى أن المرأة باتت مستقلة بعملها عن الرجل، فأصبح لها دخلها الخاص الذى يقترب من دخل الرجل، وقد يزيد عليه فى بعض الأحيان. وإن طُلقت المرأة فلن تجد صعوبة في الإنفاق على نفسها، فراتبها يكفيها ويزيد، ولن تحتاج من أبيها أو أخيها نفقة، ولن تكون عبئا ثقيلا على أحدهم، بل إنهم قد يطمعون فى راتبها.

لقد كانت المرأة فى الماضي لا تعمل، فكانت تخشى الطلاق، وتحرص على أن تبقى مع زوجها، وكان أشد ما يصيبها بالذعر أن يقسم زوجها قائلا: "عليَّ الطلاق" لأن الطلاق كان يعنى الفقر والفاقة وزيادة العبء المالى على الأب أو الأخ الأكبر أو الأم الذين سيجدون أنفسهم مضطرين للإنفاق عليها. ولذلك لم تكن المرأة تطالب بالطلاق إلا إذا كانت بالفعل تعانى من مشاكل زوجية حقيقية لا يمكن احتمالها. أما اليوم فقد تغير الحال، ولم يعد قرار الطلاق بالنسبة للمرأة العاملة قرارا مصيرا كما كان فى الماضي.

وهناك شيء آخر جعل المرأة لا تخاف من الطلاق ألا وهو تضخم كبريائها وشعورها المفرط بذاتها وكيانها، وإحساسها أن قيمتها لا يحددها الرجل، بل يحددها عملها ومؤهلاتها وثقافتها ومنصبها. حكى لي صاحبي عن زميلة له فى العمل تعمل طبيبة، وعلم ذات يوم أنها تمر بمشاكل كبيرة مع زوجها فى البيت، وأنها على وشك الطلاق، ومع ذلك كانت تأتى كل يوم إلى العمل وهى مشرقة مبتسمة متفائلة وكأن شيئا لم يحدث. وقد فسر صاحبنا ذلك بأن هذه الطبيبة معتزة بنفسها، وتشعر أن مكانتها في المجتمع لن تتغير بعد الطلاق، فهي طبيبة قبل الطلاق وطبيبة بعد الطلاق، وهى تحمل دكتوراة قبل الطلاق ودكتوراة بعد الطلاق، والناس لا توقرها حاليا بسبب أنها زوجة فلان، ولكن بسبب مكانتها العلمية والاجتماعية الخاصة، فإن طُلقت سيبقى تقديرهم لها كما هو. وفى وسائل الإعلام ارتفعت فى الآونة الأخيرة نغمة الدفاع عن المرأة المطلقة، وتعالت الأصوات بضرورة تغيير نظرة المجتمع إليها، فزاد هذا الطين بلة.

وهنا يقول البعض: وهل من العيب أن تشعر المرأة أن لها قيمة وكرامة؟

ولهؤلاء أقول كرامة المرأة التي تنشدونها كرامة زائفة. إنكم تظنون أن كرامة المرأة تنبع من علمها وقدراتها وكفاءتها فى عملها، أما الكرامة الحقيقية فى الإسلام فتنبع من شيء واحد هو التقوى: **{إِنَّ**

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]. كم من أستاذ جامعي يقبل الرشوة! وكم من وزير فاسد! وكم من جميلة حقودة! وكم من قوي فتي يروع الآمنين! التقوى هي المعيار الحقيقي لتقييم الناس. وعلى المرأة المطلقة أن تتخلى عن ثقتها الزائدة بنفسها، وتسأل نفسها: هل أغضبت الله حين طُلقت؟ هل سعيت إلى الطلاق، وسارعت إليه، وحرمت أولادي من أبيهم اغترارا بعلمي وعملي وعدم احتياجي للرجل فى النفقة؟ هل أعطيت الفرصة للمصلحين من الطرفين لإصلاح ذات البين؟ هل تصرفت مع زوجي بعجرفة وتكبر رغم أن الله تعالى قال: **{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}** [لقمان: 18]؟ هل كنت أؤدي واجبى نحو زوجي كما أوصى الله تعالى ورسوله الكريم؟ هل كنت أطيع زوجي أم تراني كنت أنشغل عنه بعملي الذى كان يمثل محور حياتي؟ على المطلقة أن تسأل نفسها هذه الأسئلة، وتجيب عليها بصدق، لأن النشوز لا يتفق مع التقوى، والتقوى هو المعيار الحقيقي للكرامة فى الإسلام.

لنقل بكل وضوح: ليس كل مطلقة ذات كرامة، وإعطاء وثيقة براءة وصك غفران لكل المطلقات هو عمل لا يصدر إلا عن سفيه. إن التعاطف مع كل المطلقات بلا تمييز هو ظلم للحقيقة. والأخطر أن المرأة إن شعرت بأن نظرة المجتمع قد تغيرت نحو المطلقات، وأن الطلاق لم يعد شيئا مشينا فإن هذا سيكون حافزا لها على الطلاق.

6- غياب الرقابة على الأبناء

المرأة العاملة تترك أولادها الصغار في الحضانة، فإذا كبروا تركتهم في البيت وحدهم بعد أن يعودوا من المدارس. وبقاء المراهقين في البيت كارثة، فمن الممكن أن يشاهدوا قنوات وأفلام إباحية. وقد أصبح الإنترنت يوفر هذه المواد بلا حدود. ويمكن أن يترك الأبناء البيت، ويذهبوا لأصدقاء منحرفين، أو يأتي هؤلاء المنحرفون لزيارتهم في بيتهم، أو يتحدثون معهم عبر الهاتف وبرامج المحادثات. **إننا نعيش عصر ثورة الاتصالات، وهذا يحتم على المرأة أن تكون يقظة فى مراقبة أولادها.** ألم تسمعوا عن فتاة كشفت جسدها لصديق عبر الإنترنت، فصورها، وابتزها حتى انتحرت؟ ألم تسمعوا عن انتشار الزنا والزواج العرفي بين المراهقين؟ ألم تسمعوا عن إدمان المراهقين للمخدرات؟ ألم تسمعوا عن انتشار الإلحاد واللادينية وعبادة الشيطان؟ أيساوي راتب المرأة أيا من هذه الكوارث؟ **هل تنفعها كنوز الدنيا إن انتحر ابنها بسبب ابتزازه على الإنترنت، أو تزوجت ابنتها عرفيا دون علمها؟**

إن عمل المرأة "غير عصري" حتى لو أصبحت المرأة عالمة ورئيسة دولة. عمل المرأة غير عصرى رغم اتهامهم لربة البيت بالتخلف والرجعية. إننا نحن نعيش عصر فساد الأخلاق، ومسايرة العصر تفرض على الأم العودة إلى بيتها لتراقب أولادها. ولو لم يكن لربة البيت عمل غير هذا لكفى. أعلم أن كثيرين سيسفهون من كلامنا عن رقابة الأبناء، لكنك إن نظرت فى أحوال هؤلاء لوجدت الواحد منهم لا يرفع عينيه من على المواقع الإباحية. نسأل الله الهداية.

7- عزوف المرأة عن الزواج

في الماضي كانت أولى أماني المرأة أن تتزوج، ويكون لها أسرة تعيش من أجلها، أما اليوم فقد تراجع الزواج، وأصبح فى كثير من الأحيان يحتل المرتبة الثانية أو الثالثة من بين اهتمامات المرأة. والسبب فى ذلك يرجع إلى ما يلي:

- المرأة اليوم أصبحت تعمل، فصارت طبيبة أو مهندسة أو مدرسة فى الجامعة، وأصبح المجتمع ينظر إليها بإكبار، **فلم تعد تهتم كثيرا بما قد يقوله البعض عن تأخرها فى الزواج**، فهى أكبر من الغمز واللمز، وتفوقها فى العمل يَجُب كل ما يراه المجتمع نقيصة.
- **لما اكتسبت المرأة مكانة أصبحت أقل انبهارا بالرجال الذين يتقدمون إلي خطبتها**؛ فإن كان الرجل ذو منصب فهى أيضا ذات منصب، وإن كان الرجل ناجحا فى عمله فهى أيضا ناجحة فى عملها، وإن كان الرجل معه ماجستير فهى معها ماجستير، ولهذا لم يعد الزواج فى كثير من الأحيان فرصة يتعين على الفتاة ألا تضيعها. لقد توارى مصطلح "عريس لقطة "، ولم يتبق فى الرجال إلا العيوب.
- **حين ازدادت المرأة مكانة بسبب عملها قل احتمال أن تجد رجلا كفئا لها كي تتزوج به**، ففي الماضي كان الرجال بصفة عامة يتفوقون على النساء في الثروة والمكانة الاجتماعية، أما اليوم فقد ازدادت المرأة ثراء ومكانة، فأصبح كثير من المتقدمين إليها أقل من المستوى المناسب، فصارت ترفض الزواج. وأعرف طبيبات فضلن العنوس على الزواج برجال لا يليقون بمستواهن الاجتماعي. وهذا خلل جسيم في طريقة التفكير.

- **في الماضي كانت المرأة تتطلع إلى الزواج رغبة فى التعرف على هذا المخلوق الذى يسمى الرجل**، لقد كانت فى اشتياق للتعامل معه، ومبادلته الحب، فقد كان من المحرم على الفتاة أن

تخالط الرجال أو تتكلم معهم بغير تحفظ. **أما اليوم فقد خرجت المرأة إلى العمل، فأصبحت تقابل زملائها الرجال، وتتكلم معهم**، وتجلس إلى جوارهم، وتحدثهم عن نفسها ومشكلاتها، وتبوح لهم بمكنون صدرها. ولهذا لم يعد عالم الرجل هو ذلك العالم الخيالي البعيد الذى تتحرق الفتاة شوقا للتعرف عليه. لقد نزل النجم من عليائه، فتبين أنه لا يختلف عن غيره من الأشياء.

- **فى الماضي كانت المرأة تخاف من شبح الوحدة بعد أن يتزوج إخوتها وصديقاتها، ويموت أبواها**، فكان الزواج حلا ممتازا لهذه المشكلة لأنه يخلق للفتاة مجتمعا جديدا مكونا من الزوج والأولاد. أما اليوم فالمرأة العاملة أصبح لها مجتمع آخر، يتمثل فى أصدقائها فى العمل، الذين ملأوا عليها حياتها، كما أنهم أصدقاء مضمونون لأنهم ملزمون أن يحضروا كل يوم. وهذا قلل الحاجة للزواج، وأصبحت المرأة تتفنن فى رفض الخطاب.

- اليوم أصبحت الفتاة تعمل وتكسب، فلم يعد الزواج بالنسبة لها ضرورة ملحة، فإن فاتها قطار الزواج **فبإمكانها أن تعيش مستقلة دون خوف من الفقر**، ودون حاجة لأن تمد يدها للآخرين.

- **عمل الفتاة خفف من الضغوط التى كانت أسرتها تمارسها عليها كي تقبل بمن يتقدمون للزواج منها**، فهي لم تعد عالة على أحد، ولا تكلف أبيها ولا أخيها شيئا من النفقة، ولن يتضرر أحد غيرها إن بقيت دون زواج. وحتى إشفاق أهلها عليها من الوحدة لم يعد موجودا لأنها مشغولة بعملها وإنجازاتها.

والواقع أن انصراف المرأة عن الزواج لم يبلغ بعد حد الظاهرة الخطيرة، ولكنه أصبح متزايدا بشكل واضح، وكثيرا ما يؤدي إلى العنوس، والبقاء مدى الحياة بلا زواج.

والمشكلة أن المرأة لا تشعر بأنها تعزف عن الزواج، ولا يشعر أهلها بذلك، فهي تقول: "أنا لا أرفض الزواج من حيث المبدأ، وأتمنى فعلا أن أكون زوجة وأما، ولكن هذا العريس فيه عيب كذا وكذا وكذا، وحياتي معه لن تكون سعيدة". بيد أن المرء حين يدقق يجد أن **الفتاة في سن الخامسة والثلاثين، والعيوب التي في العريس ليست بالضخامة التي تتصورها، فهو ليس لصا، ولا مرتشيا، ولا زانيا. لا يوجد إنسان خال من العيوب، ولو أصرت الفتاة على انتظار رجل مناسب من كل وجه لفاتها القطار إلى الأبد.**

ومن الخطأ أن يقال: "دع المرأة، فهى لن تضر أحدا غير نفسها إن لم تتزوج". هذا خطأ لأن الاسلام لا يعرف الرهبنة، وينهى عن التبتل، فقد روى عن سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ أنه قال: «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا». والتبتل هو ترك الإنسان للزواج، وابتعاده عن النساء من أجل العبادة. وقوله: "لاَخْتَصَيْنَا": أى لقطع الرجل منا خصيتيه حتى تزول شهوته، فيتمكن من التفرغ للعبادة. **وإذا كان ابتعاد الإنسان عن الزواج لغرض سام مثل العبادة حرام، فما بالك بالمرأة التى تترك الزواج من أجل العمل؟ هذه جريمة دينية، وليس شأنا يخص المرأة. ومن واجب كل مسلم أن يواجه هذه الجريمة.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

8-نقص النسل

لم تعد المرأة تتحمس للإنجاب على الإطلاق، فهي مثقلة بما يكفى من الأعباء، والحمل والولادة وتربية الأطفال يزيدون متاعبها أضعافا مضاعفة، ولذا صار كثير من النساء العاملات يكتفين بإنجاب طفلين أو ثلاثة. **وكلما ازدادت المرأة مكانة وتفوقا ازدادت أنانية وانصرافا عن الإنجاب وحرصا على مستقبلها الوظيفي**. ويتجلى هذا لمن يتابع أخبار النساء العاملات بالمهن المرهقة كالطبيبات، والصحفيات، والمحاميات، والممثلات، والمذيعات، والمطربات. حكى لي رجل عن مدرسة تعمل معه في كلية الحقوق، وقد ابتلاها الله تعالى بالعقم، وقيل لها أنها لن تنجب إلا بواسطة الحقن المجهري، ولكنها شعرت أن الحمل سيعوقها عن النجاح فى عملها، فأجلت عملية الحقن المجهري حتى تحصل على الدكتوراة. لقد كانت حريصة جدا على الأطفال، لكنها كانت حريصة بنفس الدرجة على الدكتوراة، ليس شغفا بالعلم، ولكن لأنها لا تريد أن تكون أقل من زميلاتها فى العمل. لم تكن تلك السيدة سيئة الخلق كما أخبرني الرجل، ولكن الذى آلمني هو أن هذه الطريقة فى التفكير قد تمكنت من عقول جميع النساء، وبات العمل من المسَلمات التى يهون من أجلها أي شيء، وتُذبح في سبيلها أي أضحية.

ولقد ساءني مقال قرأته منذ سنوات فى صحيفة نيوزويك الأمريكية عن فكرة بنوك البويضات، التي يمكن أن يستفيد منها بعض السيدات اللائي يجدن أنفسهن قد بلغن سن اليأس دون أن يكون لديهن أولاد بسبب تركيزهن الكامل على التفوق فى العمل، وامتناعهن عن الزواج والإنجاب حتى لا

تتعطل مسيرة نجاحهن. وبعد أن تكون الواحدة قد حققت آمالها فى العمل يكون الأوان قد فات، وفقدت القدرة على الإنجاب. لقد أصبح من الممكن للمرأة أن تذهب إلى الطبيب كى يستخرج لها بعض البويضات، ويخزنها في أحد هذه البنوك، حتى إذا كبرت، وشبعت من النجاح أمكن لها أن تستعيد بويضاتها من البنك، لتحمل، وتصبح أما.

وقد أدى هذا إلى الانتحار الصامت للشعوب الأوروبية الذي نشهده الآن، حيث بدأت أعداد السكان تتناقص، ففي بعض مقاطعات إسبانيا على سبيل المثال يموت أكثر من شخصين مقابل كل طفل جديد يولد. ومعدل الخصوبة في إسبانيا هو الأقل في أوربا، إذ يبلغ 1.27 طفل لكل امرأة في سن الإنجاب، بينما يبلغ المعدل العام في الاتحاد الأوربي 1.55 طفل، وهو ليس أفضل كثيرا. ودول الاتحاد الأوربي في حاجة ماسة لصغار السن لإدارة مؤسساتها الصحية، وسكنى الريف، ورعاية كبار السن الذين يكونون أغلب السكان الآن، ولا يساهمون كثيرا في الإنتاج، ويحتاجون إلى من يرعاهم، ويتقاضون معاشات ضخمة دون عمل. ودولة مثل البرتغال يتناقص عدد سكانها ، ويتوقع له أن ينخفض من 10.5 مليون إلى 6.6 مليون نسمة عام 2060م. وفى إيطاليا ترتفع بشدة نسبة كبار السن المتقاعدين، ويتوقع أن ترتفع نسبة من هم فوق سن ال 65 عام من 2.7% إلى 18.8% عام 2050م. أما ألمانيا فمعدل المواليد فيها هو الأدنى في العالم، إذ يبلغ 8.2 لكل ألف مواطن[162].

وفى تقرير لصحيفة الجارديان البريطانية[163] نقرأ كلاما واضحا عن دور عمل المرأة في نقص عدد السكان: "في النصف الغربي من أوربا انخفضت معدلات الخصوبة (الإنجاب) بالتدريج عبر عدة عقود لأن **عددا أكبر من النساء دخلن قوة العمل، وبدأن يؤجلن إنجاب الأطفال**".

وتحدث التقرير عن دول أوربا الشرقية فكشف أن معدلات الإنجاب انخفضت بعد سقوط الشيوعية بسبب الاضطرابات الاقتصادية وخوف الناس من الفقر، بيد أن الأحوال الاقتصادية لما تحسنت

162) **Europe needs many more babies to avert a population disaster**. *The Guardian*. https://www.theguardian.com/world/2015/aug/23/baby-crisis-europe-brink-depopulation-disaster ; accessed September 12, 2021

163) **'Baby machines': Eastern Europe's answer to depopulation.** By Shaun Walker. *The Guardian*. March4, 2020. https://www.theguardian.com/world/2020/mar/04/baby-bonuses-fit-the-nationalist-agenda-but-do-they-work

في هذه الدول لم تتزايد أعداد السكان بسبب تلوث عقول الشباب هناك بطريقة التفكير الغربية، **وتركيزهم على العمل، وإصرارهم على تأجيل الإنجاب.**

ويؤكد نائب رئيس معهد البحوث الهيكلية في وارسو: (**أكثر من 50% من الشابات البولنديات حاصلات على تعليم جامعي، وهؤلاء يتطلعن إلى العمل. والسبيل الوحيد لرفع معدل المواليد هو تسهيل الجمع بين العمل والأسرة)**[164]. وهذا التصريح يضع عمل المرأة في قفص الاتهام، ويثبت أن المرأة العاملة تعزف عن الإنجاب، وأن تشجيعها على الإنجاب يتطلب معاونتها على الجمع بين البيت والعمل. لكن هذا الجمع كما قلنا –ويقول الواقع– شديد الصعوبة، وإن أفلح، فأقصى ما يمكن أن يحققه هو مساعدة بعض النساء على إنجاب طفل أو طفلين على الأكثر، وهذا غير كاف لحل مشكلة نقص المواليد، ولا مناص من الاعتراف بأن **عمل المرأة جريمة فى حق الشعوب** (معدل خصوبة قدره 2 لكل امرأة هو الحد الأدنى اللازم للحفاظ على سكان دولة مثل ألمانيا ثابتا[165]). وفى إيطاليا يعزى انخفاض السكان أيضا إلى المرأة، **فالمرأة بعد الحمل والولادة ستضطر للانقطاع عن العمل،** وسيكون من الصعب عليها أن تعود لمكان عملها، وهذا سيجعل اتخاذها لقرار الحمل تضحية هائلة[166].

وقد اضطرت الدول الأوربية إلى تقديم الحوافز للأزواج لتشجيعهم على الإنجاب ، ففي بولندا مثلا قام الحزب الحاكم بتقديم 500 زولتى (99 جنيه استرلينى) كإعانة لكل طفل في الشهر. وفى عام 2007م قررت الحكومة الروسية أن تدفع 5800 جنيه استرليني لكل أسرة لديها طفلين أو أكثر. وأعلن الرئيس بوتين عن حزمة جديدة من الإجراءات الديموغرافية تبلغ تكلفتها 4.7 بليون جنيه استرلينى كل عام. وقال بوتين وهو يعلن عن هذه السياسة: "**إن مصير روسيا وآفاقها التاريخية يتوقف على عددنا.. يعتمد على عدد الأطفال الذين يولدون في العائلات الروسية**".

كما أدخلت إيطاليا واليونان حوافز لكل مولود.

وأظهرت دراسة أجرتها الأمم المتحدة أن مجموع 10 دول في أوربا الشرقية سيتناقص من 292 مليون إلى 218 مليونا عام 2100م ، بينما سيتزايد عدد سكان غرب إفريقيا من 373 مليون إلى

---

[164]) **'Baby machines': Eastern Europe's answer to depopulation.** By Shaun Walker. *The Guardian*. March 4, 2020.
[165]) **Europe needs many more babies to avert a population disaster**. *The Guardian*.
[166]) **Europe needs many more babies to avert a population disaster**. *The Guardian*.

1.6 بليون نسمة في نفس الفترة. ويظهر التقرير أن الحافز المالى لا يكفي وحده، ففي المجر زاد معدل الخصوبة من 1.23 إلى 1.48 طفل فقط. وفى بولندا حدثت زيادة لفترة قصيرة في معدل المواليد بعد إدخال نظام الحافز المالى، والحكومة تعترف أن الأمر سيستغرق سنوات طويلة كى يؤتى ثماره. ومما يؤكد أن الحافز المالى ليس وحده كل شيء أن **الدراسات تظهر أن الأسر الفقير أكثر إنجابا من الأسر الغنية**[167]. ودولة مثل ألمانيا تعتمد بشكل كبير على المهاجرين، وتظهر التقارير أن **ألمانيا بحاجة إلى استقبال أكثر من نصف مليون مهاجر كل عام كى تحافظ على اقتصادها**[168].

إن هذه المشكلة الخطيرة لا يمكن أن يتجاهلها إلا الحمقى أو الخونة. وليعلم الجميع أن ثقافة قلة الإنجاب إن تمكنت من عقلية نسائنا (وهى بالفعل بدأت تتمكن منهم) فسيأتي اليوم الذى نرفع فيه شعار: "أسرة كبيرة يساوى حياة أفضل" ، بدلا من الشعار التقليدي: "أسرة صغيرة يساوى حياة أفضل" ، ولكن ساعتها لن تكون هناك جدوى، فالأنانية إن لعبت بعقل المرأة لن تفلح معها الشعارات لأن الطريقة الوحيدة التي ستفكر بها المرأة ستكون: "**عملي مهم وراحتي مهمة، وأنا لا أستطيع أن أتخلى عن راحتي، ويستحيل أيضا أن أتخلى عن عملي، فلا تنتظروا منى كثيرا من الأطفال.**"

نسأل الله السلامة.

9- التقصير في العمل خارج البيت

الوقت المتاح للمرأة محدود مقارنة بالمهام الكثيرة التى تلقى على عاتقها فى البيت والعمل، ولذا **فلكى تنجح المراة فى عملها لابد أن تضحى ببيتها، ولكى تنجح فى بيتها فلابد أن تضحى بعملها.**

المرأة الحامل تعانى من عديد من المتاعب الصحية مثل الغثيان والقيء الشديد وصعوبة التنفس وصعوبة الحركة وكثرة التبول والإجاهد وتقلبات المزاج والانتفاخ والإمساك والشعور بألم فى الثديين. وهذا يجعل المرأة غير قادرة على أداء عملها كما ينبغي، وقد تضطر للغياب عن العمل، لكنها لن تستطيع الحصول على عطلة لفترة طويلة، وستضطر للضغط على نفسها أثناء الحمل. وقد تتعرض

---

[167]) **'Baby machines': Eastern Europe's answer to depopulation.** *The Guardian*.
[168]) **Europe needs many more babies to avert a population disaster**. *The Guardian*.

للإجهاض من إرهاق العمل، فتحصل على إجازة رغم أنف الجميع. وبعد الوضع تأخذ المرأة طبقا لقانون العمل المصري إجازة لمدة أربعة أشهر، كما يحق لها أن تأخذ إجازات يبلغ مجموعها سبع سنوات لرعاية الطفل. والمرأة المرضعة تحصل على ساعة رضاعة كل يوم. والحامل أيضا تحصل على ساعة راحة كل يوم ابتداء من الشهر السادس للحمل. ومحصلة كل هذا تقصير فى العمل.

وقد عانينا الأمرين بسبب عمل المرأة، فعندما كنا أطباء مقيمين فى المستشفى فى بداية حياتنا العملية كان عملنا شاقا، وكنا نبيت حوالى12- 15 يوما كل شهر فى المستشفى، وفى الصباح نبقى فى المستشفى إلى عصر اليوم التالي. وكانت زميلاتنا المتخرجات من كلية الطب يعلمن بكل هذه المشاق، ومع ذلك يصممن على الالتحاق بوظيفة طبيب مقيم مثلنا، ويفضلنها على الالتحاق بوظيفة معيد فى الأقسام الأكاديمية المريحة نسبيا كقسم التشريح أو الفسيولوجيا. ولم يكن يمضى أسبوع إلا ونفاجأ بما يهدد سير العمل، حيث تحدث فجأة ظروف لإحدى الزميلات كالحمل أو الإجهاض أو الولادة أو مرض طفلها أو سفر زوجها، فيدب الاضطراب فى جدول العمل، ونجد أنفسنا نحن الرجال- قد تحملنا أعمالا إضافية لم تكن فى الحسبان، مع أننا نتقاضى نفس الأجر مثل زميلاتنا. والأسوأ من ذلك أن بعض الطبيبات كن يتمارضن كى يحصلن على أطول إجازة ممكنة. ولوحظ أيضا أن الأطباء الرجال أكثر إقبالا على القراءة والتعلم مقارنة بالنساء المتزوجات، وذلك لأن الوقت المتاح لهم أكبر. ولم تكن الطبيبة تضاهى الطبيب إلا إذا كانت غير متزوجة، وغير مثقلة بأعباء البيت.

لقد كرهنا نحن الأطباء الرجال عمل المرأة بسبب ذلك حتى أن رئيس القسم أقسم يوما من شدة غضبه أن يمنع التحاق الطبيبات بالعمل فى قسم الأطفال، ولكنه بعد ذلك تراجع لأن ذلك ليس من سلطاته. والطريف أن أحد رؤساء الأقسام كان يتغلب على هذه المشكلة بمنع الطبيبات من الزواج أثناء فترة عملهن كطبيب مقيم، وهي الفترة التى تكون أعباء العمل فيها كبيرة. والواقع أن المرأة لها عذرها، فهى بين نارين، والتوفيق بين البيت والعمل فوق طاقة البشر. وبعض النساء العاملات يعتقدن فى قرارة أنفسهن أن البيت أهم وأولى، فيجُرن على حق العمل لصالح حق البيت. وبالله عليكم كيف يتسنى لأم تستيقظ مرات كثيرة طوال الليل بسبب بكاء طفلها أن تؤدي عملها بهمة ونشاط فى اليوم التالي؟

وفى القطاع الخاص تكون الأمور أكثر حسما، إذ يتم التخلص على الفور من المرأة التى لا تنتظم فى العمل. وقد أصبح القطاع الخاص أكبر وأهم من القطاع الحكومي فى أغلب دول العالم، **فوصلت الرسالة واضحة لكل امرأة: إن أردتِ البقاء فى عملك فألقي بأسرتك وراء ظهرك.**

والنساء فى بلادنا يتخذن من المرأة الغربية قدوة، فالنساء فى أوربا وأمريكا نجحن على كافة الأصعدة، ووصلن إلى أعلى المناصب. بيد أننا نؤكد أن هذا **القياس خاطيء**، **فالمرأة الغربية حققت نجاحها على أنقاض دورها كأم وزوجة**. **المرأة هناك لا تهتم بتكوين أسرة**، **فالصديق صار بديلا عن الزوج، والسحاق صار بديلا عن الصديق، وتبنى الأطفال صار بديلا عن الحمل والولادة، وتربية القطط والكلاب صارت بديلا عن تبنى الأطفال**. ولهذا أصبح معدل الزواج والإنجاب فى الغرب قليلا جدا **حتى صارت أوربا مهددة بالانقراض**. كيف بعد ذلك تتطلع المرأة المسلمة الملزمة برعاية بيتها وأولادها لأن تحقق نفس إنجازات المرأة الغربية، التي نفضت عن كاهلها أعباء الأسرة؟ أهذه مقارنة عادلة؟

إنني لا أنكر أن المرأة قادرة على تحقيق النجاح في كثير من المجالات، ولكنها حتما ستهمل أسرتها في مسيرة عملها، وهنا يصبح السؤال هو: **هل نضحي بالأسرة من أجل العمل أم نضحى بالعمل من أجل الأسرة؟** هذا هو السؤال المحوري الذى يجب أن يكون ماثلا في أذهان المرأة والرجل وصانع القرار.

إن المرأة العصرية إن أرادت أن تنجح فى العمل، فعليها أن تمتنع عن الزواج، لكن الامتناع عن الزواج عمل مضاد للفطرة ومضاد للإسلام. وهذه النقطة يجب أن تكون شديدة الوضوح، **فنحن لا نطالب بقعود المرأة فى البيت اعتقادا منا أنها كائن غبى يفتقر للذكاء والمهارة، ولكن لأن خروجها للعمل يدمر الأسرة، وإن ضاعت الأسرة ضاعت الأخلاق وضاع الدين.**

10- اختلاط الرجال بالنساء.

الرجل والمرأة كالبنزين والنار، إن اقتربا شب حريق. ومن يزعم أن اختلاط الرجال بالنساء لا يترتب عليه ضرر، فهو يكذب، ويعلم فى قرارة نفسه أنه يكذب. ولا يرحب الإسلام باختلاط الرجال والنساء؛ فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ» متفق عليه.

وهنا نجد الرسول عليه السلام يحذر من دخول الرجال على النساء، فلما تساءل أحد الصحابة عن اختلاط المرأة بالحمو (أحد أقارب زوجها) رفض الرســـول عليه الســـلام ذلك، بل حذر من الأقارب بدرجة أشد لأن من عادة الناس التساهل معهم، وهذا قد يفضي إلى الزنا. و"الحمو" فى هذا الحديث [169] – كما بيَّن النووي– كلمة تشـــير إلى أحد أَقَارِبُ الزَّوْجِ غَيْرُ آبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ فَأَمَّا الْآبَاءُ والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها، وانما المراد الأخ وابن الْأَخِ وَالْعَمُّ وَابْنُهُ وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ وَعَادَةُ النَّاسِ الْمُسَاهَلَةُ فِيهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الْحَمْوُ الْمَوْتُ" فَمَعْنَاهُ أَنَّ الْخَوْفَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ وَالشَّرُّ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ وَالْفِتْنَةُ أَكْثَرُ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَالْخَلْوَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْهِ بِخِلَافِ الأجنبى[170].

وعن جبير بن مطعم أن **رجلا قال: يا رسول الله أي البلدان أحب إلى الله؟ وأي البلدان أبغض إلى الله؟ قال: (لا أدري حتى أسال جبريل عليه السلام) فأتاه جبريل فأخبره أن أحب البقاع إلى الله المساجد وأبغض البقاع إلى الله الأسواق)**[171].

وقد ذكر لبغض الله تعالى للأسواق أسباب منها اختلاط الرجال بالنساء[172]. وإن قارنت المسجد بالسوق لوجدت أن الاختلاط في المسجد منظم، وهو في الحقيقة أقرب للفصل، حيث **يقف الرجال في الصفوف الأمامية، يليهم الأطفال، ثم النساء فى المؤخرة.** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقُمْتُ وَيَتِيمٌ خَلْفَهُ وَأُمّ سُلَيْمٍ خَلْفَنَا». وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» رواه مسلم. كما **خصص الرسول عليه الصلاة والسلام بابا للنساء وحدهن،** فعن ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لو تَرَكْنَا هذا الباب للنساء! ".

---

[169]) قال النووي: (اتَّفَقَ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الاحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وبن أخيه وبن عَمِّهِ وَنَحْوِهِمْ. وَالْأُخْتَانِ أَقَارِبُ زَوْجَةِ الرَّجُلِ وَالْأَصْهَارُ يَقَعُ عَلَى النَّوْعَيْنِ). انظر: **"المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"** للنووي (14/ 154)

وفى لسان العرب: (حَمْوُ المرأَة وحَمُوها وحَماها: أَبو زَوْجها وأَخُو زَوْجِهَا، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْ قِبَلِه. يُقَالُ هَذَا حَمُوها ورأَيت حَمَاها وَمَرَرْتُ بحَمِيها).

[170]) **"المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"** للنووي (14/ 153)

[171]) قال الألبانى: قال المنذري: (رواه أحمد والبزار - واللفظ له - وأبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد). وقال الهيثمي: (ورجال أحمد وأبي يعلى والبزار رجال الصحيح خلا عبد الله بن محمد ابن عقيل وهو حسن الحديث وفيه كلام). قلت: هو عند الحاكم وأحمد من طريق زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه به دون ذكر المساجد. وقال الحاكم: (صحيح الإسناد. وقد رواه قيس بن الربيع وعمرو بن ثابت بن أبي المقدام عن عبد الله بن محمد بن عقيل). وقال الذهبي: (قلت: زهير ذو مناكير هذا منها وابن عقيل فيه لين) قلت: لكن لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن لا سيما إذا توبع وزهير بن محمد لم ينفرد به كما صرح الحاكم فبرئت عهدته منه ومنها عن عبد الله بن عمرو نحوه. قال المنذري: (رواه الطبراني (الكبير) وابن حبان في (صحيحه). وقال الهيثمي: (رواه الطبراني في (الكبير) وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط في آخر عمره وبقية رجاله موثقون). انظر: **"الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب"** (1/ 497). تأليف محمد ناصر الدين الألبانى. غراس للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، 1422 هـ

[172]) من الأسباب الأخرى التي ربما كانت سببا في بغض الله تعالى للأسواق انتشار الغش في البيع، والتطفيف في الكيل، والمبالغة في المساومة من جانب المشترين بما يؤدى إلى بخث أثمان السلع. وكل هذا لا يرضى الله.

قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[173]. **كما كانت النساء تغادر المسجد قبل الرجال حتى لا يحدث الاختلاط بينهما في الطريق،** فقد روى البخاري عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ، وَيَمْكُثُ هُوَ فِي مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ»، قَالَ: نَرَى – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ، قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ. وفى لفظ ابن حبان:(أَنَّ النساء فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ إِذَا سلَّمنَ مِنَ الصَّلَاةِ قُمْنَ وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ صَلَّى مَعَهُ مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام الرجال)[174]

وروى ما يفيد حرص أمهات المؤمنين على تجنب الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم، فقد أخرج البخارى عن عَطَاءٌ: إِذْ مَنَعَ ابْنُ هِشَامٍ النِّسَاءَ الطَّوَافَ مَعَ الرِّجَالِ، قَالَ: كَيْفَ يَمْنَعُهُنَّ؟ وَقَدْ طَافَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الرِّجَالِ؟ قُلْتُ: أَبَعْدَ الحِجَابِ أَوْ قَبْلُ؟ قَالَ: إِي لَعَمْرِي، لَقَدْ أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الحِجَابِ، قُلْتُ: كَيْفَ يُخَالِطْنَ الرِّجَالَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنَّ يُخَالِطْنَ، كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَطُوفُ حَجْرَةً مِنَ الرِّجَالِ، لاَ تُخَالِطُهُمْ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: انْطَلِقِي نَسْتَلِمْ يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: «انْطَلِقِي عَنْكِ»، وَأَبَتْ، يَخْرُجْنَ مُتَنَكِّرَاتٍ بِاللَّيْلِ، فَيَطُفْنَ مَعَ الرِّجَالِ، وَلَكِنَّهُنَّ كُنَّ إِذَا دَخَلْنَ البَيْتَ، قُمْنَ حَتَّى يَدْخُلْنَ، وَأُخْرِجَ الرِّجَالُ، وَكُنْتُ آتِي عَائِشَةَ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ فِي جَوْفِ ثَبِيرٍ، قُلْتُ: وَمَا حِجَابُهَا؟ قَالَ: هِيَ فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ، لَهَا غِشَاءٌ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ عَلَيْهَا دِرْعًا مُوَرَّدًا[175].

(بعد الحجاب): بعد نزول الآية التي أمرتهن بالحجاب. (لعمري): لفظ للقسم. (أدركته) أي رأيت طوافهن مع الرجال. (حجرة): محجوزة عن الرجال. (نستلم): نمس الحجر الأسود. (عنك): اتركي هذا عن نفسك. (متنكرات): مستترات. (قمن حتى دخلن): وقفن قائمات لا يدخلن إلا بعد خروج الرجال. (مجاورة): مقيمة. (ثبير): جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذاهب منها إلى منى. (قبة تركية): خيمة صغيرة من لبود تضرب في الأرض. (وما بيننا وبينها غير ذلك): أي كانت محجوبة عنا بهذه الخيمة وليس بيننا وبينها سواها. (درعا موردا): قميصا أحمر لونه لون الورد ويحتمل أنه رأى ذلك عليها دون قصد أو أنه رأى ذلك وهو صغير كما ورد في رواية عبد الرزاق (درعا معصفرا وأنا صبي).

---

[173]) إسناده صحيح على شرط الشيخين كما قال الألباني. انظر: "**صحيح أبي داود**" (2/ 360).

[174]) حديث صحيح. انظر: "**التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**" (4/ 84) للألباني.

[175]) انظر: تعليق مصطفى البغا على صحيح البخارى

وروى ما يفهم منه أن النساء في مصلى العيد كن في مكان منفصل عن الرجال، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» رواه البخارى.

كل هذه الروايات تثبت أن انفصال النساء عن الرجال كان مبدأ يحكم المجتمع المسلم الأول. ورغم أن من المستحيل منع اختلاط النساء بالرجال بشكل كامل إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، ولا بد من العمل على تجنب الاختلاط بقدر الإمكان. ومع الأسف كثير من رجال الدين هذه الأيام لا يتهاونون فقط فى مسألة الاختلاط، بل يتكلمون عنه، وكأنه عمل يتقرب به الإنسان إلى الله، ويتهمون الرجل الذى يحرص على إبعاد بناته وزوجته عن الرجال بأنه إنسان متعصب وبعيد عن روح الدين!

لقد كان اختلاط الرجال والنساء موجودا منذ فجر التاريخ، لكن ما استجد فى هذا العصر هو أن عمل المرأة جعل فترات الاختلاط تطول بدرجة كبيرة جدا، **فأصبحت المرأة تقضى مع زميلها فى العمل ثمان ساعات يوميا، وأحيانا أكثر. وهذه الفترة تقترب من الفترة التى تقضيها المرأة مع زوجها فى البيت،** بل قد تزيد عنها. لقد **كان الاختلاط فى الماضى أمرا مشينا، فأصبح اليوم مقننا بسبب عمل المرأة.** فى السابق كان وقوف الرجل مع امرأة غريبة فى الشارع جريمة لا يمكن قبولها لأن هذا يعنى أن بينهما شيئا، أما اليوم **فأصبح الرجل يجلس مع زميلته طوال النهار فى مكتب مغلق عليهما أو على عدد محدود من الموظفين دون أن يمتعض من ذلك أحد،** فالاختلاط مثله كمثل أى جريمة، إن ألفها الناس خفَتَ إحساسهم بقبحها.

لقد أزيلت الحواجز بين الرجل والمرأة، وأصبحت المرأة تتكلم مع زميلها فى كل شئون حياتها، وأحيانا تدور أحاديث بين الموظفين عن شئونهم الجنسية فى مكتب واحد يتواجد به الرجال والنساء!

كما أصبح من الشائع أن ترى الرجال والنساء فى العمل يمزحون ويضحكون بصوت عال. **وسواء تم ذلك بسلامة نية أو سوء نية فالنتيجة واحدة، وهى أنه قد يفضى إلى الفاحشة.** وإذا كان الإسلام قد حرم على المرأة مجرد الضرب برجلها حتى لا يسمع الرجال صوت الخلخال الذى تلبسه، أفليس من الأولى أن يكون الضحك والمزاح أشد حرمة؟ {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنّ} [النور: 31]. **وفى كثير من الأحيان يكون المزاح تعبيرا عن إعجاب الرجل**

بالمرأة وحبه لها أو العكس، فالرجل إن أحب امرأة مال لممازحتها. والمرأة إن أحبت رجلا مالت لممازحته، وهنا يكون المزاح ملوثا منذ البداية. وحتى لو بدأ المزاح بريئا فإنه سرعان ما يفضى إلى الإعجاب والحب لأن المرأة الضاحكة أشد فتنة للرجل من المرأة الجادة أو المتجهمة. وهنا **يلعب إبليس دوره، فيجعل الرجل يعجب بزميلته فى العمل أكثر من إعجابه بزوجته حتى لو كانت زوجته أجمل، كما يفعل إبليس نفس الشىء مع المرأة، فيجعلها تشعر أن زميلها أكثر رجولة وشهامة وودا من زوجها حتى لو كان زوجها أفضل منه.**

لقد كنت أغتاظ حين أرى زميلا متزوجا يضحك بصوت عال مع زميلة متزوجة فى مكان العمل بشكل متكرر، فكنت أسأل نفسى: ماذا لو كان زوج هذه الزميلة حاضرا، ورآها تطلق الضحكات الرنانة دون خجل؟ يؤسفني أن أقول أن كثيرا من الرجال مخدوعون فى زوجاتهم. وحتى فى الدول العربية المحافظة التي لا يزال النقاب سائدا فيها تجد نفس مظاهر الاختلاط المشين فى العمل، بل إن المرأة أحيانا تخرج من بيتها بالنقاب، حتى إذا دخلت إلى عملها خلعته، وكشفت وجهها أمام زملائها الرجال، وكأنهم من محارمها.

لقد أصبحت المرأة تمزح مع زملائها، والرجل يمزح مع زميلاته، ثم يعود الاثنان إلى البيت، فيسود الوجوم والعبوس والتجهم والغضب.

إن العلاقة بين الرجل والمرأة فى العمل كثيرا ما تكون أكثر رقة وودا وأدبا من العلاقة بين الرجل وزجته فى البيت. والسبب فى ذلك كما قلنا جهود إبليس. وإبليس لا يعمل من فراغ، بل يستغل الأحداث الصغيرة التى تقع كل دقيقة فى البيت، فيجعل كلا من الزوج والزوجة يتمسك برأيه، ويعادى الآخر بسبب أمور بسيطة مثل متى يذهبان لزيارة والدتها، أو ماذا يأكلان على الغداء، أو ماذا يلبس الزوج فى الصباح؟ ورغم بساطة هذه الخلافات إلا أنها تجعل التوتر يخيم على البيت، ويتحول الزوجان إلى ما يشبه القط والفأر. أما **الرجل والمرأة فى العمل فليس أمامهما شىء من هموم الأسرة التى لا تنتهى، فلا يكون أمامهما إلا المزاح والضحك.**

كما أن الإنسان **لا يظهر فى العمل كل شىء، ولهذا يتوهم الرجل أن زميلته مثالية، وتتخيل المرأة أن زميلها مثالى.** ويلاحظ الرجل أن زميلته فى العمل جميلة مبتسمة متفائلة ضاحكة متفاهمة، بينما زوجته عبوسة مشاكسة، فيزداد كرها لزوجته، وميلا لزميلته. وهكذا **يؤدى العمل إلى مزيد**

من الجفاء بين الزوجين، ومزيد من التقارب بين الزميلين، فيتسع باب الحرام. والأخطر من ذلك أن يكون أحد الزملاء فى العمل غير متزوج، فهنا تكون المشكلة أكبر، والغواية أعظم.

لقد رأيت بعينى زيجات تنتهي بالطلاق بسبب الاختلاط فى العمل. لقد كانت إحداهن تقارن بين الكلام المعسول الذى تسمعه من زملائها فى العمل وبين زوجها الذى كان دمس الخلق، لكنه قليل الكلام، فأصبحت تكره الزوج، وتختلق المشكلات معه حتى انتهى الأمر بالطلاق، فصرت ألعن عمل المرأة كلما رأيت أبناء هذه السيدة يسيرون فى الشوارع كاليتامى. وهذه النوعية من النساء منتشرة جدا، وأول مرة أقابل واحدة منهن كان فى بداية عملي كطبيب، فقد كان لدينا فى المستشفى ممرضة جميلة، وكان كل الأطباء الرجال يعرفون خلافاتها مع زوجها، وكانت لا تخجل من الكلام عن مشاكلها، وبمرور الوقت تحولت خلافاتها الزوجية فى نظر الأطباء إلى مصدر للدعابة والضحك وتلطيف الجو، وكانت الممرضة سعيدة بذلك، لكن هذا فى الحقيقة كان يعمق خلافاتها مع زوجها لأنها تلقى فى العمل المرح، وتلقى فى البيت الكآبة. ولا يعنينا سبب خلافات هذه الممرضة مع زوجها لأن أى جفوة تلقاها من زوجها بسبب خلافات بسيطة ستبدو فى نظرها كبيرة فى ظل تودد الرجال إليها فى العمل. ولهذا كنت أعتبر أن **أي طبيب يمزح مع هذه الممرضة فهو ينقض حجرا فى صرح أسرتها.** وطبعا الشىء الذى لم تكن هذه الممرضة تعلمه أن كل واحد من هؤلاء الأطباء لديه خلافات لا تحصى مع زوجته فى البيت.

لقد أضفينا على الاختلاط المشروعية، وزينا وجهه القبيح، ولم نعد ننظر إليه على أنه طريق موصل إلى الرذيلة. إننا نشبه من أخذ زجاجة "سم"، وكتب عليها كلمة " دواء"، وأقنع نفسه أن الشرب منها لا يضر!

لقد أصبح المنكر معروفا، وصار الكلام عن اختلاط الرجال والنساء لا يثير حفيظة أحد، فمن يقف فى ملهى ليلى، وينادى: "أيها الناس إن شعر المرأة عورة" سيبدو كالمجنون فى نظر الحاضرين. حسنا فلأكن مجنونا. لا يهم، المهم أن أُبلغ الحق، والهدى على الله. ومن توانى عن وعظ الناس بسبب شدة ضلالهم فسيكون مثل أولئك الصالحين من بنى إسرائيل الذين أهلكهم الله ليس لأنهم فعلوا المحرمات، ولكن لأنهم يئسوا من هداية الضالين، وتوقفوا عن موعظتهم: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف: 164، 165].

11- مشكلة البطالة

أثر دخول المرأة إلى سوق العمل على الوظائف المتاحة للرجال، فتفاقمت مشكلة البطالة التي تشكو منها جميع دول العالم دون استثناء. وقد جرَّت علينا البطالة مشاكل كثيرة، من أهمها تأخر سن الزواج للذكور والإناث، وانتشار الزواج العرفي، وزيادة المشاكل الزوجية، وفقدان الإحساس بالأمان. وقد انتشرت في السنوات الأخيرة ظاهرة انتحار الرجال بسبب العجز عن الإنفاق على أولادهم، ووقوعهم تحت حصار الديون. ولو تركت النساء الوظائف للرجال، لتجنب المجتمع أغلب هذه المشاكل.

وانسحاب النساء من سوق العمل سيوفر فرص عمل كثيرة للطلبة الذكور أثناء العطلة الدراسية أو في أوقات الفراغ، أو في أيام العطلات، وسينتفع به طلبة الكليات والمدارس التي لا تحتاج لقدر كبير من الاستذكار كالمدارس الصناعية والزراعية والمعاهد المتوسطة، وهذا سيخفف الأعباء عن الأسرة، وسيُخلى الشوارع من الشباب الذين لا يفعلون شيئا إلا مضايقة النساء، ومشاهدة الفيديوهات الإباحية. لقد كان جميع الشباب في القرى منذ أربعين عاما يتركون قراهم، ويذهبون إلى المدن الكبرى في العطلة الصيفية، ليعملوا، ويوفروا نفقات الدراسة، وهذه الظاهرة مع الأسف انحسرت كثيرا، فاكتظت الشوارع بشباب مستهتر لا يتحمل المسئولية. وإن أردنا اليوم أن نشغل الشباب بالعمل فسيكون الأمر صعبا بسبب نقص الوظائف، وأحد أهم أسباب ذلك عمل المرأة.

فى ظل البطالة يجب أن نتساءل: أيهما أحق بالوظيفة: الرجل أم المرأة؟ إن المرأة إن لم تعمل فما في ذلك عيب، أما الرجل فمن العار عليه أن يبقى عاطلا. **وعلى المرأة التي تعمل دون حاجة حقيقية أن تعلم أنها قد خطفت فرصة من أحد الرجال، فدمرت كرامته، أو أعاقته عن الزواج، أو جوعت أولاده، أو تسببت فى طلاقه لزوجته. وهذا الوجه القبيح المدمر لعمل المرأة لا يلتفت إليه أحد.**

سمعت منذ عدة سنوات أحد أنصار المرأة فى دولة خليجية محافظة يتحدث فى برنامج على إحدى الفضائيات الإسلامية عن ضرورة مشاركة المرأة فى الحياة العامة، وأهمية أن تدخل بقوة سوق

العمل، ثم ذكر أنه يوجد ببلده حوالي سبعة ملايين عامل أجنبي، وأن بنات البلد أولى من هؤلاء الغرباء. لم أصدق أنني أسمع هذا الكلام فى برنامج إسلامي، واغتظت جدا من هذه النظرة الوطنية المتعصبة، التى تتجاهل أن أغلب هؤلاء العمال الأجانب من المسلمين الذي هم – بحسب نص القرآن– إخوة لمواطني هذه الدولة الخليجية: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]. فهل من الحسن أن تطرد هذه الدولة المسلمة الغنية الرجال المسلمين الفقراء، وتفضل عليهم توظيف فتيات لا يحتجن للمال؟

12- أزمة المواصلات

هب أن كل النساء العاملات قد غبن عن العمل في أحد الأيام، ألن تكون المواصلات أكثر سهولة؟ ألن يذهب كل واحد إلى عمله مرتاحا؟ حقا تحتاج المرأة للخروج من البيت من أجل شراء مختلف البضائع، لكن أغلب احتياجات البيت يمكن شراؤها من المحلات المجاورة. والبضائع الموجودة في محال بعيدة يمكن الخروج لشرائها في يوم واحد أو اثنين أسبوعيا، وفى أوقات غير أوقات الذروة.

ولا نزعم أن عمل المرأة هو السبب الوحيد لأزمة المواصلات، لكنه بلا شك سبب مهم جدا لأن أعداد النساء العاملات بالملايين.

13- العمل القاتل!

لا شك أن المرأة العاملة تتعرض لمتاعب أكبر في العمل والمواصلات مقارنة بربة البيت. وقد أدى هذا إلى شيء في غاية الخطورة، ألا وهو الإجهاض. وإن ظهرت علامات الإجهاض على المرأة الحامل – مثل نزول الدم– يصبح من المفروض عليها أن تلزم الراحة التامة، لكن صاحب العمل (الحكومي أو الخاص) لا يحتمل ذلك، وأقصى ما يمكن أن تحصل المرأة عليه عطلة مرضية لأسبوع أو اثنين بسبب صعوبة إثبات أن ما تعانى منه إجهاض حقيقى، فينتهى الأمر أحيانا بموت الجنين.

وهناك مشاكل أخرى قد تتعرض لها الحامل مثل القيء الشديد والجفاف والولادة المبكرة ونزيف الحمل. والعمل يزيد من حدة هذه المتاعب. **فما أجرأ المرأة المعاصرة التي لا تتردد في تعريض جنينها للموت حرصا على وظيفتها!** أعرف مهندسة أنعم الله عليها بنعمة الحمل بعد رحلة طويلة

لعلاج العقم، ولكن مع الأسف ظهرت عليها بوادر إجهاض، فأخبرها الأطباء أن عليها أن تلازم الفراش، فخشيت السيدة على عملها، وعادت إلى وظيفتها مبكرا، ولولا ستر الله لمات الجنين في بطنها. وعرفت طبيبة تعرضت هى الأخرى للإجهاض، ولم تتمكن من الحصول على إجازة كافية من العمل الذي كان مرهقا وفى مكان بعيد جدا عن بيتها. وقد حكى لى زوجها أنه كان يضع يده على قلبه كل يوم خشية أن يحدث لها نزيف وهى فى المواصلات، مع العلم أنه لم يكن فى حاجة لراتبها.

نحن أمام نوع من النساء يستحق المحاكمة على جريمة قتل النفس، وأمام مجتمعات تستحق المحاكمة على تشجيعها للمرأة على تنفيذ جريمتها بدم بارد.

لكن قد يرد البعض قائلا: ولماذا لا نطالب بإعطاء المرأة الحامل إجازة رسمية فى فترة الحمل، خاصة فى الأشهر الثلاثة الأولى، فنمنع خطر الإجهاض؟

والواقع أن هذا كلام متسرع، فصاحب العمل (سواء كان القطاع الخاص أو الدولة) لن يحتمل أن يضاف إلى إجازة الوضع (أربعة أشهر) وإجازة رعاية الطفل (سبع سنوات) إجازة جديدة هى إجازة الحمل، ولو أن كل واحدة من السيدات الحوامل تغيبت عن العمل لمدة ثلاثة أشهر، فسيسبب هذا إرباكا شديدا، وسيؤدى إلى إحجام أصحاب الأعمال عن توظيف النساء من الأصل. ولو ألزمت الدولة أصحاب الأعمال بتوظيف النساء مع منحهن إجازة أثناء الحمل فسيكون هذا حلا غير مقبول، إذ سيكون على صاحب العمل أن يعالج غياب المرأة الحامل بتوظيف عمال جدد، أو تحميل عبء عملهن للموظفين الرجال بمقابل أو بدون مقابل، وسيترتب على هذا وقوع ظلم على صاحب العمل أو على الموظفين الذكور.

14- فقدان تعاطف المجتمع

لما خرجت المرأة للعمل، واكتسبت صفات الذكور فقدت تعاطف الرجل. على سبيل المثال **لم يعد الرجل يقوم من مقعده فى الحافلة أو المترو لتجلس بدلا منه امرأة واقفة**، فالرجل يقول في نفسه: "إنها تعمل مثلي، وتقبض راتبا مثلي، وربما أكبر مني، كما أن أعداد النساء في المواصلات كبيرة جدا، ولو تخليت عن مقعدي لكل امرأة واقفة لما هنأت يوما بالجلوس".

لقد أصبح **الرجل ينظر إلى المرأة العاملة على أنها رجل مثله،** ففقدت المرأة تعاطف زملائها في العمل، فلا تجد رجلا يتطوع لتخفيف العبء عن زميلته على اعتبار أنها تقبض راتبا مثل راتبه، وتصل لأعلى المناصب مثله، بل ربما تتفوق عليه بسبب استغلالها لجمالها. وفى المصالح الحكومية والشركات تجد **العملاء كثيرا ما يتشاجرون مع الموظفة دون مراعاة لكونها امرأة، بينما في الماضي لم يكن من الرجولة أن يرفع الرجل صوته على امرأة غريبة عنه في مكان عام.** وحتى دول الخليج المحافظة التي كانت المرأة فيها تحظى بحماية المجتمع ورعايته بدأت الأوضاع فيها تتغير في السنوات الأخيرة بسبب الانخراط المكثف للنساء في العمل، فأصبح من الشائع أن تسمع رجلا يتشاجر مع موظفة خمة عملاء فى مستشفى أو مصلحة حكومية. فهل المرأة سعيدة بهذا؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

15- تغيير خَلْق الله

أورد القرآن كلاما وجهه الشيطان لله عز وجل بأسلوب فى غاية الجرأة والتحدى، معلنا عزمه على أن يضل البشر حتى يغيروا خلق الله: **{لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا}** [النساء: 118، 119]

وعند جملة: (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) نتوقف، لنجد أن **فيها أدوات تأكيد متعددة،** أولها لام القسم، أى اللام الواقعة فى جواب القَسَم المحذوف (فى كلمة "ولآمرنهم")، والثانية نون التوكيد الثقيلة (فى كلمة "ولآمرنهم")[176]، والثالثة لام القسم (فى كلمة "فليغيرن")، والرابعة نون التوكيد الثقيلة (فى كلمة "فليغيرن")[177]. وقارن جملة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) بجملة خالية من التوكيد مثل: (وسآمرهم فيغيرون خلق الله).

[176]) القسم هنا محذوف، وتقديره: "والله لآمرنهم" أو "وعزتك لآمرنهم"...إلخ

[177]) إعراب "فليغيرن" مثل إعراب "فليبتكن": «فليبتكّن» : الفاء عاطفة، واللام واقعة في جواب القسم، والفعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، والنون للتوكيد. انظر: **"المجتبى من مشكل إعراب القرآن"** (1/ 200). تأليف أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة. 1426 هـ

فهل يستحق تغيير خلق الله كل هذا التأكيد؟ **إن لهجة الشيطان توحي بأنه عازم على فعل أمر جلل، مع أن تغيير خلق الله يبدو لأول وهلة شيئا هينا، فهو أخف من القتل والزنا وشرب الخمر، فلماذا أولى الشيطان هذا الاهتمام لتغيير خلق الله؟**

حين يتأمل المرء حال البشر اليوم، يكتشف مدى النجاح المذهل الذي حققه الشيطان فى مناوأة الفطرة التي فطر الله الناس عليها. ومن أمثلة تغيير خلق الله هوس عمليات التجميل، التي أصبحت مثل الوباء الذى لم يسلم منه النساء والرجال؛ فهذه لا يعجبها أنفها، وتريد أنفا أصغر، وثانية تريد تكبير شفتيها، وثالثة تريد تغيير ملامح وجهها لتصبح مثل الممثلة فلانة. وأغلب نجمات السينما والغناء –اللائى هن فى الأصل جميلات– أقدمن على إجراء جراحات تجميل بلا أى داع، حتى أن كاتب أحد المقالات استطاع يوما حصر النجمات اللائى لم يقترب من وجوههن مشرط الجراح، فكان عددهن أقل من أصابع اليدين. فلَيتهم غيروا خلق الله لحالة ضرورة كإصلاح العيوب الخلقية أو التشوهات الناشئة عن الحروق والحوادث، ففى هذه الحالات الأخيرة يكون من الجائز إزالة القبح بمشرط الجراح، أما أن يعبث الطبيب بخلق الله الجميل بهدف تحسينه فهذا ما لا يجوز على الإطلاق.

ومن أمثلة تغيير خلق الله نجاح العلماء فى استنساخ الحيوانات، وتطلع بعضهم إلى استنساخ الإنسان. وإن نجحت هذه المحاولات فى السنوات القادمة، فسيصبح من الممكن تكاثر البشر دون حاجة لالتقاء الذكر والأنثى. وكل هذا تغيير لخلق الله، وعبث بقوانينه.

ويعد الشذوذ الجنسي نموذجا لتغيير خلق الله، فقد أراد الله تعالى أن ينجذب الذكر للأنثى، وتنجذب الأنثى للذكر، لكن الشذوذ الجنسى يقلب القاعدة، وهذا تغيير لخلق الله. وفى السنوات الأخيرة انتشر الشذوذ الجنسي على نطاق واسع فى العالم، وأصبح الشواذ لا يخجلون مما يفعلون، فارتفعت أصواتهم، وأصبح لهم منظمات تدافع عن حقوقهم، ثم توجوا ذلك بسن قوانين تبيح زواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، بل بلغ الأمر ببعض رجال الدين المسيحي أن أكدوا أن المسيحية لا تعارض الشذوذ. وانقلب الحال فأصبح معارضو الشذوذ هم الذين يتوارون خوفا من الاضطهاد والاتهام بالافتقار للتسامح وقبول الآخر. وفى أحد الأيام تحاورت مع أحد الشواذ الأمريكيين، فسألني عن موقف الإسلام من الشذوذ الجنسي، ولم يكن الرجل يسأل ليعرف معلومة عن الإسلام، بل كان

واضحا من أسلوبه أنه يريد أن يضعني في مأزق لأنه يتوقع أن أرد مهاجما الشذوذ، فيعرف بقية الأصدقاء أن الإسلام دين لا يتسامح مع الآخر. وطبعا هاجمت الشذوذ، فالمسلم لا يخجل من الحق. ومنذ عدة أشهر تعرض اللاعب المصري محمد أبو تريكة لحملة عاتية حين تجرأ، وهاجم الشذوذ، فظهر لنا حجم القوة الهائلة التى وصل إليها الشواذ بدعم من المال اليهودى، الذى أجبر كبرى الشركات التجارية والمنظمات العالمية على تبنى قضايا هؤلاء المنحرفين. ولم يقتصر الأمر على الشذوذ الجنسى المعتاد، فقد ذاعت أشكال أقبح مثل جماع الإنسان مع الحيوان، الذى يتم الترويج له بمنتهى الحرية فى العالم المتحضر.

وإذا جئنا إلى عمل المرأة لوجدنا أنه يسير على نفس الدرب، فهو يمثل تغييرا لخلق الله من عدة أوجه:

<u>أولا:</u>

عمل المرأة أجبرها على الانصراف عن الزواج والحمل والإنجاب، فتناقصت أعداد السكان كما سبق أن أوضحنا، وهذا ضد الخطة الإلهية التى قضت بخلق الكون ليكون مسرحا للاختبار الأكبر الذي ينكشف به معدن كل إنسان[178]: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان: 2].

وقد لعب الشيطان برأس المرأة المعاصرة، فأغراها بالعمل، وجعلها تكره الحمل والولادة حتى لا يتأثر نجاحها فى العمل. وهذا توجه مناوىء تماما لخطة الله. لقد أراد الله تعالى خلق الناس ليختبرهم، فجاء الشيطان ليعمل على إيقاف هذا الاختبار، وهذا تحد لله، فكأن وزير التعليم في فرنسا قد قرر أن يكون امتحان الثانوية العامة أول يوم فى الشهر، فاغتاظ أحد الآباء لأنه يعلم أن الامتحان إن انعقد سيرسب ابنه، فوقف فى الطريق ليمنع الطلبة من الوصول إلى المدرسة حتى يرسب الجميع. وبالمثل **حين يعمل الشيطان على تقليل أعداد البشر، فهو يناوىء الخطة الإلهية على أعلى مستوياتها**. وهذا سبب كاف يجعلنا نرفض عمل المرأة، فالمرأة العاملة يستحيل أن

---

178) لقد كانت كل المخلوقات فى حالة روحية قبل خلق الكون، وكان كل منهم يزعم أنه يحب الله ويخضع له، ولهذا السبب خلق الله تعالى الكون ليكون اختبارا للجن والإنس وبقية المخلوقات حتى يتبين الصادق من الكاذب. وقد أشفقت السماوات والأرض والجبال على أنفسها من حرية الاختيار، فطلبن أن يخلقن فى هيئة جامدة بلا إرادة، لكن الإنسان المغرور ظن أنه إن خلق ممتلكا لحرية الإرادة فسيظل خاضعا لله، فخلقه الله تعالى على هيئته البشرية ليختبر صدقه: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: 72].

تنجح فى عملها دون تحديد النسل، وعليها أن تختار بوضوح بين عملها، وبين الانضمام لحزب الشيطان الذى يعمل بجد لتغيير خلق الله.

وبعد انتشار جائحة كورونا عام 2019م كثر الكلام من جهات مشبوهة عن ضرورة تقليل أعداد السكان على كوكب الأرض. ورأينا بعض الشباب من الملحدين وعبدة الشيطان يرددون هذا الكلام على مواقع التواصل الاجتماعي. كما لاحظنا وجود منشورات مضللة منسوبة لمنظمة الصحة العالمية على الفيسبوك، تروج لمعلومات خاطئة عن الفيروس، وكأن هناك من يريد نشر المرض بين أكبر عدد من الناس. وقد أيد هذا فيديوهات بثتها شخصيات تتلقى معلوماتها من أجهزة استخبارات قوية، تؤكد وجود نفس المؤامرة. وكل هذا يثبت أن وباء كورونا كان مؤامرة دبرتها جهة ما لتنفيذ خطة الشيطان (على الأرجح بتخطيط من الحلف اليهودي الماسوني، وتنفيذ من الصين)، كما يثبت أن **تحديد النسل جريمة لا تقل خطورة عن القتل الجماعي، فالنتيجة واحدة في الحالتين، هي تناقص السكان على كوكب الأرض.**

ثانيا:

المرأة العاملة لا بد أن تفارق ابنها الرضيع لعدة ساعات كل يوم، وهذا يحتم اللجوء للرضاعة الصناعية. وهذا تغيير لخلق الله. وقديما كانت الأمة المريضة أو الضعيفة أو التي لا يشبع ابنها من ثديها تستعين بمرضعة لأولادها، ولكن هذه حالة ضرورة. لكن ما يحدث اليوم من تخلى نسبة ضخمة من الأمهات عن الرضاعة الطبيعية دون ضرورة طبية يمثل تغييرا لخلق لله. ومن المعروف طبيا أن لبن الأم أكثر فائدة للطفل، ويقيه من كثير من الأمراض. كما أن إرضاع الأم لطفلها يجعلها أكثر ارتباطا به من الناحية النفسية.

ثالثا:

قضت فطرة الله أن ينشأ الأطفال، ويربوا فى كنف أسرة، فيتعلموا منها الأخلاق والسلوك الحسن والدين. ولكن فى العصر الحديث تعرضت الأسرة لهزة عنيفة بسبب هجر المرأة للبيت من أجل العمل وتحقيق الذات، **فأصبح الأطفال يقضون فى دور الحضانة والمدارس والمجموعات الدراسية وقتا أطول مما يقضونه مع أمهاتهم وآبائهم، وهذا تغيير عنيف لخلق الله.** وحتى عندما يعود الطفل من مدرسته يجد أمه مرهقة بسبب عملها خارج البيت وداخله، وستتغاضى رغما عنها عن

كثير من مظاهر سلوكه السيء، فلديها مشاغل كثيرة، ولا وقت عندها كي تراقبه مراقبة لصيقة. وسينصب اهتمامها الأكبر على متابعة تحصيله الدراسي لأن النجاح الدنيوي هو المعيار الأكبر للنجاح فى هذا العصر.

لقد ضج الناس بالشكوى فى السنوات الأخيرة من أطفال الشوارع الذين لا يعرفون الأخلاق بسبب غياب دور الأسرة فى التربية والتهذيب. ومع الأسف أصبح الأطفال الطبيعيون يشبهون أطفال الشوارع لأن أمهاتهم انشغلن عنهم، وأوكلوا مهمة تربيتهم لدور الحضانة والمدرسة التى لا تُعلم خُلُقا، فصار الأبناء فرائس سهلة لأصدقاء السوء.

لقد نجحت خطة اليهودي دُركايم الذى نادي فى مطلع القرن العشرين بسحب مهمة تربية الأطفال من الأسرة، وتسليمها إلى المدرسة، فحرم الأبناء من الطريقة الطبيعية للتربية.

<u>رابعا:</u>

من حكمة الله تعالى أن خلق أحد الجنسين أقوى وأغنى من الآخر حتى يكون للأسرة رئيس واحد. ولو كانت المرأة مساوية للرجل فى القوة لانهارت الأسرة تحت وطأة صراعات طاحنة بين قوتين متكافئتين، وهذا ما حدث فى العصر الحديث حين خرجت المرأة للعمل، فاكتسبت قوة اجتماعية جبارة. والمرأة المعاصرة سعيدة بهذا الانتصار، لكن ترى هل الله تعالى سعيد بها بعد أن غيرت خلقته وشوهت فطرته؟

وعلى ذلك فعمل المرأة يعد تغييرا خطيرا لخلق الله، ونحن نؤكد أنه ليس من حق أحد العبث بميزان القوى داخل الأسرة بعد أن ضبطه خالق الكون بعناية بالغة.

<u>خامسا:</u>

من حكمة الله تعالى أن وضع الإنسان المناسب فى المكان المناسب، فالرجل القوى الجلِد يقوم بالعمل الشاق خارج البيت، بينما تتولى المرأة الضعيفة مهمة رعاية البيت وتربية الأولاد التى تتطلب جهدا أقل. **وفى السنوات الأخيرة قام البشر بتغيير خلق الله، فأصبحت المرأة تعمل خارج البيت، والرجل يعمل داخله.** وفى كثير من الأحيان تعمل المرأة وحدها، بينما يجلس الرجل داخل البيت لينظفه، ويعد الطعام، ويرعى الأولاد، وينتظر زوجته حتى تعود! **إن هذا سوء توزيع للأدوار، وهو**

أشبه بدولة تعين خريج كلية الطب كمحاسب، وخريج كلية الزراعة كقاض! إن خريج كلية الطب لن يفلح كمحاسب، وإن أفلح كمحاسب فسيخسره المجتمع كطبيب. كما أن من الظلم أن نخفف عبء العمل عن القوى، ونلقى به على كاهل الضعيف.

ونحن نرفض بشدة أن يعمل الرجل داخل المنزل، وأن تعمل المرأة خارجه. وليس ذلك حرصا على رجولة الرجل فقط، بل حرصا على أنوثة المرأة كذلك. لقد خلق الله تعالى كلا من الرجل والمرأة بسمات خاصة. ومن الخطأ أن يسعى الرجل ليكون مثل المرأة، أو تسعى المرأة لتكون مثل الرجل. وكان تبادل الأدوار دائما مثار انتقاد وسخرية، فالرجل إن كان ذا صوت ناعم أو تمايل في مشيته صار هدفا للتهكم. وبالمثل المرأة ذات الصوت الخشن والملامح الغليظة تكون موضع استهزاء. فما الذى جرى للناس فى السنوات الأخيرة؟

إن كراهية الفرد لجنسه، ورغبته فى أن يكون منتميا للجنس الآخر هى حالة مرضية معروفة تسمى "Gender dysphoria"، ولكن بدأ الإعلام العالمي المدعوم من اليهود وعملائهم الماسونيين مؤخرا يدعم بقوة هؤلاء الشواذ، وينادى **بحق كل إنسان في أن يختار الجنس الذي يهواه، وأن يتلاعب بهرموناته، أو يجرى جراحة لتغيير شكل جسده وأعضائه التناسلية كي يتحول من ذكر لأنثى أو من أنثى لذكر لمجرد هوى في نفسه،** وليس لعلاج عيوب خلقية في الأعضاء التناسلية. والتعاطف العالمي مع هؤلاء السفهاء يتزايد بشكل غريب، وأخبارهم يتم إبرازها بشكل مريب على الصحف الكبرى ومواقع الإنترنيت المهمة، **وكأن هناك خطة جهنمية للقضاء على الإنسان الطبيعى السوى كما خلقه الله عز وجل.** وقد وصل الأمر إلى أن أصبح من الممكن للمتحولين جنسيا أن يخوضوا البطولات الرياضية طبقا للجنس الذى تحولوا إليه، وليس حسب جنسهم الطبيعي. وفي دورة الألعاب الأولمبية في طوكيو 2020م سمح لأول مرة لأحد المتحولين جنسيا من نيوزيلانده – وكان في الأصل رجلا– بالتنافس في بطولة رفع الأثقال للنساء بعد أن تعاطى أدوية تقلل نسبة هرمون التستوستيرون في جسده إلى مستوى مشابه لمستوى النساء[179].

وحتى كتابة هذه السطور لا يزال أغلب البشر يشمئزون من المتحولين جنسيا، والله وحده يعلم ما إذا كان الأمر سيتغير في المستقبل، ويتقبلهم الناس في النهاية كما تقبلوا العرى والدعارة وبيوت

---

[179]) **Laurel Hubbard: First transgender athlete to compete at Olympics.** BBC News. June 2021; https://www.bbc.com/news/world-asia-57549653; Accessed on September 12, 2021

المسنين والإلحاد أم لا. **كل ما أعلمه أن الشيطان لديه مثابرة رهيبة، والإنسان يغط فى نوم عميق، وإن كلمت أحدهم عن تغيير خلق الله، فغر فاه، وكأنك تحدثه بلغة أجنبية، فأنى لمثل هؤلاء بالنصر؟**

إننا لا نعارض عمل المرأة خارج البيت وعمل الرجل داخله لكوننا نفتخر بالرجولة ونحتقر الأنوثة، فالله عز وجل لا يهمه هل الإنسان ذكر أم أنثى، ولكن يهمه شيء واحد هو: هل الإنسان تقى أم عاص؟ فرجل مثل فرعون من كبار أهل النار، بينما امرأته من كبار أهل الجنة. ومع ذلك نحن نشعر بالاشمئزاز حين يرسمون للرجل المعاصر مسار حياة أنثوي، بينما يرسمون لزوجته مسار حياة ذكرى، فهذا تغيير لخلق الله، وعبث بفطرته. لقد خلق الله تعالى الإنسان من جنسين مختلفين: ذكر وأنثى، ولكن **النظام العالمى الآن يرمي بكل ثقله من أجل إلغاء الفروق بين الذكر والأنثى، وهذا تحد صارخ للنظام الإلهي. وهو مرفوض من حيث المبدأ حتى لو بدا لأول وهلة أنه لن يضر أحدا، فمن أنت أيها الإنسان كى تغير خلق الله؟ أيجعل الله البشر اثنين، فتقول أنت: "لا، بل واحد"؟ خسئت.**

ولو كان رسول الله عليه الصلاة والسلام حيا لغضب مما يرى، فقد روى عن ابن عباس: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ» رواه البخاري. وفى رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُتَرَجِّلاَتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: «أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ» قَالَ: فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُلاَنًا، وَأَخْرَجَ عُمَرُ فُلاَنًا» رواه البخاري.

وقد تقول المرأة: "إن عملى لا يقلل من أنوثتي، فأنا أخرج من بيتي فى قمة الجمال والأناقة والتألق". ونحن نرى أن المرأة العاملة **تتجمل للرجال خارج البيت، فإن عادت إلى بيتها خلعت زينتها،** وأهملت مظهرها لأنها متعبة، فهل هذه أنثى؟ إن زوجها سينظر إليها على أنها رجل مثله. حقا ربة البيت تتعب أيضا، لكن العمل فى البيت أقل مشقة من العمل خارجه بفارق كبير، وربة البيت لديها من الفراغ النسبي ما يجعلها تشعر داخل بيتها أنها أنثى، بينما المرأة العاملة لا تتذكر أنها أنثى إلا خارج بيتها فى الشارع، ومع زملائها في العمل. وإضافة إلى ذلك فإن **الذكورة والأنوثة ليست فقط فى الشكل،** ولكنها أيضا فى الصفات والطبائع والأدورا، وهذا أهم. والمرأة العاملة تخلت عن

أهم أدوار الأنثى ألا وهو دور الأم والمربية. وبالله عليكم: **ماذا بقى من المرأة بعد أن انصرفت عن الزواج، وإن تزوجت انصرفت عن الحمل والإنجاب، وإن أنجبت انصرفت عن تربية الأطفال؟** أهذه امرأة؟ وفضلا عن ذلك فقد أصبحت المرأة ترأس الرجال فى العمل، **فتصدر الأوامر، وتعنف، وتحاسب، وتعاقب، ففقدت الرقة التى تميزت بها الأنثى على الدوام.**

وقد يتهمنا البعض بالمبالغة على اعتبار أن المرأة لا تقلد الرجل إلا لبضع ساعات فى اليوم خارج البيت. ونحن نقول: أمن المقبول أن يقلد رجل محترم امرأة وهى تتكلم بصوت رقيق لمدة خمس ثوان؟ أمن المقبول أن يظهر ممثل فى مشهد سينيمائي واحد مرتديا ثوب امرأة؟ ثم ألا تعلم أن الإسلام حرم على الرجال لبس الذهب والحرير مع أنهما لن يؤثرا كثيرا على مجمل هيئة الرجل، إذ سيظل خشن الصوت، وله شارب ولحية وعضلات وخصيتين؟ كل هذا يدل على أن **تقليد أحد الجنسين للآخر خطأ نوعى حتى لو كان تقليدا هينا.**

وهناك نقطة مهمة وهي أن هناك صفات كثيرة مشتركة بين الرجل والمرأة فى الجسد والشخصية. ومن المستحيل أن يكون الرجل مختلفا عن المرأة فى كل شىء، بل من الواجب على كل منهما أن يقلد الآخر فيما يتعلق بتكاليف الدين وأمور الشريعة، كالحرص على الصلاة والصيام والذكر. ومن كان يؤمن بالله حق الإيمان فلا بد أن يكون قويا فى مواجهة الشدائد، والمرأة المؤمنة يجب أن تتشبه بالرجل فى قوته وتماسكه وتحمله، فلا تترك نفسها للحزن واليأس والصراخ إن ألمت بها مصيبة طبقا لحديث: [إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ»]. متفق عليه. والصالقة هى التى ترفع صوتها وتولول عند المصيبة. والحالقة هى التى تحلق شعرها عند المصيبة. والشاقة هى التى تشق ثيابها عند المصيبة. وبالمثل يجب على المؤمن أن يكون رحيما، ومن الخطأ أن يكون الرجل قاسي القلب كدليل على الرجولة والبأس، بل عليه أن يتشبه بالمرأة فى الرحمة، ولعلكم تذكرون كيف استنكر النبى عليه الصلاة والسلام جمود قلب الأقرع بن حابس، فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[180]. وعلى ذلك فالشريعة توجب على الرجل والمرأة أخلاقا مشتركة، لكنها فى نفس الوقت

[180]) وروى الشيخان عن جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»

تميز بينهما فى أمور أخرى، فعلى سبيل المثال يلام الرجل إن جلس عاطلا بلا عمل طبقا لحديث: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ» رواه البخاري. أما المرأة فلا لوم عليها إن بقيت بلا عمل، بل بالعكس أقر القرآن إنفاق الرجل عليها، واعتبره أمرا طبيعيا. وعلى ذلك **فتغيير المرأة لطباعها لتوافق الشريعة ليس من قبيل تغيير خلق الله.**

ومن الشائع القول بأن الرجل يكمل المرأة، والمرأة تكمل الرجل. لكن هل تدرى ما معنى هذا؟ معناه أن الرجل ناقص، والمرأة ناقصة. الرجل لديه العقل، وتنقصه العاطفة. والمرأة لديها العاطفة، وينقصها العقل. **والرجل العاقل هو من يقوى نزعته العقلية، ويقوي العواطف الإيجابية كالرحمة والشفقة. والمرأة العاقلة هى من تقوى عواطفها الإيجابية، وتقوى نزعتها العقلية.** ولا يفعل ذلك إلا المؤمن الذى يحثه دينه على الاستزادة من صفات الكمال. أما الرجل الذى يتخلى عن صفات الرجولة، ويقلد صفات الأنوثة، فسيظل ناقصا، بل سيزداد نقصا لأنه لن يقدر على أن يكون مثل الإناث بشكل كامل. وبالمثل المرأة التى تتخلى عن صفات الأنوثة، وتقلد الرجال ستظل ناقصة، بل ستصبح أكثر نقصا لأنها لن تقدر على أن تكون مثل الرجال بشكل حقيقي.

يا إخوانى: الذكر ذكر والأنثى أنثى. هذا خلق الله، ومن غيَّر خلق الله، فلن يأتي إلا بما هو قبيح ممسوخ.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الفوائد المزعومة لعمل المرأة

هناك عدة مبررات جعلت المرأة المعاصرة تتمسك بالعمل، وتعتبره مسألة حياة أو موت. وبفحص هذه المبررات أو الفوائد التى تُنسب لعمل المرأة نجد أنها زائفة ووهمية. فتعالوا معنا نتفحصها واحدا واحدا:

1- العمل لإثبات الذات

تعمل المرأة لإثبات الذات، والبرهان على أنها ليست أقل كفاءة من الرجل. وهذا المنطق شديد الشيوع فى وسائل الإعلام، ويبدو لأول وهلة غير قابل للنقاش والتشكيك، بيد أننا حين نتأمله نجد أن من الممكن صياغته على النحو التالى: «تعمل المرأة من أجل التباهي والتفاخر والاستعراض والخيلاء»، أو باختصار: «تعمل المرأة من أجل حرث الدنيا». وهذا المنطق يخالف مبادىء إسلامية راسخة منها:

- **الأكرم هو الأتقى:** قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]. المرأة الأفضل– طبقا لهذه الآية– ليست هي تلك التي تنجح في إثبات مضاهاتها للرجل في القدرات والمناصب، ولكنها المرأة الأتقى.

- **تفاهة الدنيا:** لا قيمة للدنيا التي تسعى المرأة جاهدة لكى تثبت تفوقها فيها. قال تعالى: (اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأمْوَالِ وَالأوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَبَاتُهُ ثُمّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الاَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مّنَ اللّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدّنْيَآ إِلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) [الحديد – الأية: 20]

- **الآخرة هي الهدف الحقيقي:** قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: 20]. والمرأة التي هدفها فقط هو النجاح في الحياة سيمنحها الله غالبا النجاح في الحياة، لكن لن يكون لها نصيب فى الآخرة.

- **الفخر جريمة:** قال تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: 18]. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل

عمل ينبع من الزهو والخيلاء، فقال: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» رواه البخاري. وعن أبى هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(يتجلجل): يتحرك في أعماق الأرض. والجلجلة الحركة مع الصوت (مرجل جمته): مسرح رأسه. والجمة هي الشعر الذي يتدلى إلى الكتفين أو هو مجمع شعر الرأس. (خسف): غارت به الأرض وغيبه الله فيها.

وإذا كان الأمر كذلك، فما بالهم يبررون مشروعية عمل المرأة بالخيلاء أي **يجعلون دافع المرأة للعمل هو التباهي والرغبة في نيل إعجاب الآخرين. وما هذا من الإسلام.**

لقد أدخلت الحياة العصرية المرأة فى سباق إثبات الذات، فأصبح عملها خارج البيت جزءا أصيلا من حياتها، وضرورة نفسية، لا تملك التخلي عنها تماما مثل الطعام والشراب، وكل هذا فى نظر الإسلام خواء. أعرف أن الكثيرين سيضحكون من هذا الكلام، لكنه هو الحقيقة، ولا يمكن للمرء أن يجادل فيه إن كان يؤمن بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. إن منطق المرأة المعاصرة ليس من الإسلام فى شيء، واقتناعها الكامل به ليس أكثر من دليل على ابتعادها عن الدين، ووقوعها فى أسر الفلسفة الغربية الحديثة.

2- العمل للحماية من غدر الزمن

لدى الغالبية العظمى من النساء يقين مطلق بأهمية العمل كسلاح لحمايتها من غدر الرجل، إذ ما الذى يضمن لها أنه فى يوم من الأيام لن يطلقها أو يتزوج بأخرى؟ إن الرجل مخلوق لا أمان له، والحكمة كل الحكمة أن تتخذ المرأة كل الاحتياطات الممكنة التى تحميها من غدره. هكذا باتت المرأة تفكر. لكن هل هذا المنطق سليم؟

إن هذا المنطق يفترض أن المجتمع المسلم مجتمع متفسخ يعيش كل إنسان فيه وحده، ولا يسأل فيه أحد عن الآخر، فإن أصاب المرأة ضرر أو ألمت بها مصيبة لم تجد حولها من يقف بجوارها. ولكن المجتمع المسلم يتميز بالتكافل، فهو ليس كالمجتمعات الغربية التى تعيش فيها المرأة بمفردها كنبتة صغيرة وسط ريح عاصفة. فى المجتمع المسلم هناك بناء قوى اسمه الأسرة شدد الإسلام

على أهمية تدعيمه والمحافظة عليه وتقوية العلاقات بين أفراده. وإن أصاب أحد أفراد الأسرة مكروه وقف الجميع بجواره، وتكفلوا باحتياجاته. والمرأة التي تُطَلق سيقف أبوها وأمها وإخوتها بجوارها. كما أن الإسلام حين حث بقوة على صلة الرحم فإنه أرسى الأساس لما يسمى بالأسرة الممتدة، أى الأسرة الكبيرة التى تشمل العم والخال والجد، وغيرهم من الأقارب. وهذا الامتداد لمفهوم الأسرة سيقدم مزيدا من الدعم للمرأة إن غدر بها زوجها.

ومن أتيحت له فرصة العيش فى القرية المصرية منذ سنوات غير بعيدة لرأى كيف كان هذا التكافل الاجتماعى الصلب حيث لم يكن من المقبول أن يحيا إنسان بمفرده خارج سياق الأسرة.

وفى ظل هذه الأسرة ستشعر المرأة المتزوجة بالأمان لأنها ليست وحدها فى المجتمع، ولكن معها أسرة كبيرة. إن المجتمع المسلم لا يعرف ما نسميه" الإنسان المقطوع من شجرة"، وهو وصف مهذب للإنسان الغربى التعيس الذى يترك أسرته مراهقا، ليعيش وحده فى مواجهة عواصف الزمان.

وفضلا عن الأسرة الصغيرة (الأسرة الذَّرية) والأسرة الممتدة، فهناك المجتمع المسلم الأكبر الذى يفترض أنه مجتمع متكافل متعاون طبقا لقول النبى عليه الصلاة والسلام: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» متفق عليه. وفى مثل هذا المجتمع يشعر كل إنسان أن ما يملكه ليس له وحده، بل لكل محتاج، طبقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كان عنده فَضْل ظَهْرٍ؛ فليَعدْ به على مَنْ لا ظهر له. ومن كان عنده فَضْلُ زادٍ؛ فَلْيَعدْ به على مَنْ لا زادَ له "، حتى ظننا أنه لا حَقَّ لأحد منَّا في الفَضْلِ"[181]. وكلمة "ظهر" فى هذا الحديث تعنى الدابة التى تحمل الأثقال ويركبها الناس كالناقة والفرس، ويقاس عليها السيارة حديثا. وكلمة "زاد" تعنى الطعام التى يتخذه المسافر. وقوله: "فليعد به" يعنى "يعطى منه". وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وَفُكُّوا العَانِيَ» رواه البخارى. والعاني هو الأسير.

إن الترابط الأسري، والتكافل الاجتماعى في المجتمع المسلم أقدر على توفير الأمان للمرأة المتزوجة مقارنة بالعمل، وذلك لأن راتب المرأة العاملة قد لا يكفى احتياجاتها إن طُلقت، خاصة

---

181) أخرجه أبو داود وابن حبان. وإسناده صحيح على شرط مسلم. انظر: **"صحيح سنن أبي داود"** (5/ 360) للألباني.

إن كانت تعمل فى وظيفة صغيرة، أو مرضت واحتاجت لأدوية غالية، أو فقدت وظيفتها، أو انهار بيتها.

ومع ذلك نعترف بأنه قد يبقى لدى المرأة غير العاملة قدر من الخوف والريبة مما يحمله المستقبل. ونحن نؤكد أن **بعض القلق مفيد لأنه يمثل قوة مضادة، تكبح جماح المرأة، وتخفف من ميلها إلى الشقاق والتمرد على الزوج وطلب الطلاق.** المرأة العاملة تشعر بالقوة بسبب راتبها، فتعصى زوجها، وتعانده، وهذا يصيب الأسرة في مقتل. وشيء من الضعف يجعل المرأة أكثر طاعة ورضوخا للزوج، فيعم السلام، وينشأ الأولاد في أسرة هادئة.

كما أن المرأة غير العاملة ستفكر ألف مرة قبل أن تسارع إلى الطلاق، وذلك لأن **أهلها أن شعروا أنها هى التى خربت بيتها، فلن يُكنوا لها كثيرا من التعاطف، بل سيكونون أول من يثنيها عن عزمها على طلب الطلاق حتى لا يتحملوا مزيدا من الأعباء بسبب قرارها الأهوج، لكن اليوم تلقى المرأة التشجيع من أبيها وأمها وأخيها على التخلص من زوجها لأهون سبب لأنها إن طُلقت لن تكلفهم شيئا لأنها تعمل وتعول نفسها.**

ثم إن **شعور المرأة غير العاملة بالحاجة لمن يساندها وقت الأزمات سيجعلها أكثر حرصا على ود أهلها**، وستختفى مثلا ظاهرة العداء بين المرأة وزوجة أخيها، فمن المعروف أن المرأة كثيرا ما تنحاز إلى أمها فى صراعها الأزلى مع زوجة ابنها. أما إن كانت المرأة بلا عمل، فستشعر بالحاجة لأن تكون علاقتها طيبة مع زوجة أخيها حتى لا تضايقها إن طُلقت، واحتاجت لأخيها. وبذلك تختفى صراعات كثير من بيوتنا.

إذن **نحن ندعو إلى حالة وسط، فالمرأة غير العاملة لا تخاف كثيرا من المستقبل لأنها تعيش كعضو فى مجتمع إسلامى مترابط، ومع ذلك سيبقى لديها شيء من الخوف من المستقبل** لأنها تعتمد على إحسان الآخرين، ومن غير المضمون أن يرحب أبوها أو أخوها بوجودها معهم إن طلقت. **وهذا الخوف من المستقبل مفيد كما قلنا** لأنه يقلل من اندفاع المرأة نحو الطلاق، ويحافظ على الأسرة.

فلنقل إذن أن **المرأة غير العاملة فى ظل المجتمع المسلم ليس "قوية جدا"، ولا "ضعيفة جدا"**.

نوجز ما سبق فى النقاط التالية:

أولا: المرأة التي لا تعمل لن تضيع إن طلقها زوجها لأن المجتمع المسلم المترابط سيقف بجوارها.
ثانيا: المرأة العاملة ليست فى أمان كامل بسبب راتبها.
ثالثا: خوف المرأة غير العاملة من الطلاق له فائدة، لأنه يحافظ على الأسرة، ويقلل من جموح النساء نحو الطلاق.

والحقيقة أن **عمل المرأة لم يعد مجرد وسيلة للأمان، ولكنه تحول إلى غاية فى ذاته**، فالمرأة يفترض أنها تعمل خوفا من أن يغدر بها زوجها فى المستقبل، ولكن ماذا تقول فى امرأة طلب منها زوجها فى يوم من الأيام أن تتوقف عن العمل حتى ترعى بيتها، فرفضت، وتدخلت أسرتها، وأصرت على أن تبقى ابنتهم فى عملها خوفا عليها من غدر الزمان، وانتهت المشكلة بالطلاق، وضياع الأولاد، وبقيت المرأة بلا زواج بقية حياتها لأنها لم تعد شابة. لقد خربت هذه المرأة بيتها وضيعت حياتها بيديها حين تصرفت عمليا، وكأن العمل هو الهدف المطلق، بينما كان يفترض في الأصل أنها تعمل فقط كوسيلة لتحقيق الأمان. **لقد تحولت وسيلة تحقيق الأمان (العمل) إلى سبب لتدمير الحياة، وضياع الأمان. لقد قررت أن تؤذى نفسها كى تحافظ على السلاح الذى يحميها من الأذى!** ما أحمق المرأة المعاصرة!

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

3- العمل لمساعدة الزوج

هذا الكلام هراء، وليس أدل على تهافته من التاريخ، فقد عاش الإنسان على الأرض لمئات الآلاف من السنين، ظل خلالها الرجل هو الذى يعمل، والمرأة هى التي ترعى البيت دون مشاكل، إلى أن جاء العصر الحديث، وظهرت الدعوة إلى خروج المرأة للعمل بحجج منها التعاون مع الرجل فى الإنفاق على الأسرة، **وكأن البشرية ظلت جائعة طوال التاريخ إلى أن جاءت المرأة لتنقذها من المجاعة!**

إن المرأة لا تعمل اليوم لمجرد أن الأسرة فقيرة وبحاجة لدخل إضافى، **فنسبة كبيرة من النساء يعملن، وهن غير محتاجات للمال لأنهن متزوجات من رجال أثرياء**، ولذا فحاجة الأسرة لعمل المرأة ليس حجة قوية بالشكل المزعوم.

ولا شك أن الضرورات تبيح المحظورات، ولكن نسبة قليلة جدا من النساء هن اللائي يمرون فعلا بحالة ضرورة، تجبرهن على الخروج إلى العمل. ومن أمثلة هؤلاء **امرأة مات زوجها أو كان عاجزا أو مريضا، ولم تجد من أقاربها من يقدم لها العون**، فلا لوم عليها إن عملت لتنفق على أسرتها. ومن قبيل ذلك **الفتاتان اللتان رآهما نبى الله موسى عليه السلام عند البئر**، وكانتا تنتظران مغادرة الرعاة حتى تتمكنا من سقى أغنامهما. وقد بررت الفتاتان خروجهما من بيتهما بأن أباهما شيخ كبير السن: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} [القصص: 23]. وهنا نجد أن خروج المرأة للعمل يجب أن يسمح به كاستثناء فى ظروف خاصة، لكن إن وجد أب أو أخ أو زوج قادر على الكسب وجب على المرأة أن تبقى فى بيتها.

وقد يكون الرجل غير عاجز لكنه ابتلى بالفقر بسبب خارج عن إرادته كأن يتعرض للإفلاس بسبب تقلبات السوق، أو كان يحترف مهنة لم يعد أحد يقبل عليها كماسح الأحذية، أو أن تكون عقليته ومهاراته ضعيفة، ففي هذه الحالات يكون من المقبول أن تعمل المرأة لمساعدة زوجها إن لم يوفر دخله حد الكفاف، ولم يساعده أحد من أقاربه.

يجب أن يطرح السؤال التالى على كل امرأة عاملة: "هل أنت فعلا مضطرة للعمل؟" **لقد تساهل الناس كثيرا فى فهم كلمة "ضرورة"، فاعتبروا الكماليات من الضرورات.** وهل من الضرورة أن يلتحق الأبناء بمدارس أجنبية، أو يدرسوا فى جامعات خاصة؟ هل من الضرورة أن تأكل الأسرة اللحم كل يوم؟ هل من الضرورة أن يشترى الأطفال الحلوى كل يوم؟ هل من الضرورة أن تذهب الأسرة للمصيف كل عام؟ وهل من الضرورة أن يكون لدى كل ابن هاتف محمول على أحدث طراز؟ هل من الضرورة أن يشترك الأولاد في النادي الأهلي أو نادى الزمالك؟ هل من الضرورة أن تغير الأسرة السيارة كل عام؟ لقد أصبح الاستهلاك آفة شرسة، وأفسدت المدنية عقول الناس،

فتوهموا أن من المستحيل العيش بدون الكماليات. لقد رفعوا الكماليات إلى مصاف الضرورات، فأحسوا بالفقر مع أنهم غير فقراء.

أمِنْ أجل المال نضحى باستقرار الأسرة وأخلاق المجتمع وفطرة الله؟ هل يمكن للمرأة التي تعود كل يوم إلى بيتها فى الثالثة أو الرابعة بعد الظهر أن تكون مصدر سكينة لزوجها وأولادها؟ هل المال هو كل شيء في الحياة؟ هل يرضيك أيتها الأم أن ترتمى ابنتك فى أحضان صاحباتها اللاتي لا تعرفين عنهن شيئا بسبب عدم تواجدك بجوارها؟ هل يعوضك المال عن فقد ابنتك؟

لقد لاحظت أن **الناس جميعا باتوا يرون أنه ما دامت قد وجدت فرصة للحصول على المال فلا بد من انتهازها مهما كانت التبعات**. إنني أتعجب من رجل الأعمال الذي يظل يعمل عشرين ساعة فى اليوم ليس لأنه فقير، ولكن لأن عقله قد تمت برمجته على أنه ما دامت هناك فرصة للحصول على مزيد من المال فمن العبث إهدارها. إن بعضهم لو توقف عن العمل، وظل ينفق من ماله بقية حياته فلن ينفد هذا المال، ومع ذلك تراه يلهث باستمرار وراء المكسب، وكأن وحشا يطارده. **والمرأة المعاصرة بُرمج عقلها بنفس الطريقة على الجري وراء المال**. لقد ولت عصور الزهد، وأصبح المال إلها يُعبد من دون الله.

ليس كل من يدعى الفقر فقير، **فهناك فرق بين "الفقر" وبين "الحاجة إلى المال"، فقد يتقاضى الوزير راتبا ضخما كل شهر، ومع ذلك يشعر بالحاجة إلى المال لأنه ينفق ببذخ** على الملابس والطعام والسياحة وغيرها. هذا الرجل ليس فقيرا على الإطلاق، ولكن تطلعاته أكبر من إيراداته. وإن تلقى هذا الرجل رشوة فهل نعفو عنه بحجة أنه كان مضطرا؟ طبعا لا، لأن هناك ملايين الأسر تعيش عيشة معقولة بأقل من ربع راتبه. **وكما أنه لا يجوز الصفح عن المرتشي الذى يدعى أنه كان مضطرا ، فكذلك يجب ألا نصدق المرأة التي تخرج للعمل بسبب الحاجة لضرورات زائفة. الشيء الضروري هو الشيء الذى إن لم تفعله هلكت أو كدت تهلك.**

يجب أن نحيى قيم التوفير والتدبير لأن **المرأة اليوم قد وقعت فى أَسْر الاستهلاك، ثم باتت تعتقد أنه بدون راتبها ستموت الأسرة من الجوع.**

لقد عشت طفولتي في قرية مصرية. في هذه الأيام كان كل الناس فقراء، وكنت أذهب إلى الحقل مع أولاد عمى، فتعطينا جدتي رحمها الله طعاما، يفترض أن يكفينا طوال اليوم. فإن حان وقت

الغداء فتحنا لفافة الطعام، لنجد أغلبه مكونا من الخبز، مع عدد قليل من قطع البصل والمخللات. وأحيانا كنا نجد طبقا صغيرا فيه لبن رائب، فكنا نلتهم الطعام من شدة الجوع، ولا نترك منه شيئا، وإن لم نشبع ظللنا نأكل الخبز وحده، ونحن راضون، ولم يحدث قط أن تذمر أحدنا بسبب نقص الطعام أو قلة جودته. وبالعكس كنا فى غاية السعادة رغم مشقة العمل. أما اليوم فالأولاد بحاجة إلى ميزانية خاصة لشراء الحلوى والعصائر والوجبات السريعة كل يوم، ومع ذلك لا أحد يرضى.

ثم **لماذا تساعد المرأة زوجها بالعمل، ولا يساعده أولاده؟** لقد كان الأولاد الذكور في القرى يساعدون آباءهم في أعمال الفلاحة طوال العام مع الدراسة، كما كانوا يسافرون إلى المدن الكبرى أثناء العطلة الدراسية بحثا عن عمل يجنون منه بعض الأموال لمساعدة أسرهم والإنفاق على دراستهم. كما كانت الدولة تقوم بتشغيل الأطفال في مكافحة دودة القطن، وكان الفلاحون يستأجرونهم لجنى محصول القطن. وكان يشرف عليهم شباب أكبر سنا (من 15–20 سنة). وكان الأطفال في القرى لديهم رجولة وقوة، ولم يكونوا مدللين كأطفال اليوم. كل هذا كان يعود على الأسرة بدخل إضافي. والآن انهارت زراعة القطن في بلادنا، لكن **يمكن للدولة أن تستغل الشباب في مشاريع صناعية وإنتاجية صغيرة أو كبيرة في العطلة الصيفية بدلا من التسكع في الشوارع** ومد اليد للأب والأم. والأفكار في هذا الشأن كثيرة، وكل المطلوب وجود النية الصادقة. **إن عمل الأبناء لمدة 3 أو 4 شهور في العام (في العطلة الصيفية) يزيد دخل الأسرة بمقدار الربع أو الثلث تقريبا**، وهذه زيادة غير هينة. ولن يؤثر هذا على فرص العمل المتاحة للرجال الكبار لأن الوظائف المناسبة للطلبة ستكون غالبا من النوع المؤقت أو قليل الراتب الذي لا يفضلها الرجال الكبار. وفضلا عن ذلك فالعمل يصنع من المراهقين رجالا، ويقضى على الانحراف الأخلاقي، فمن يعمل لا يجد وقتا للوقوف في الشوارع، وملاحقة البنات، ومشاهدة الأفلام الإباحية. ويمكن للحكومات أن توكل لرجال الأعمال الشرفاء المشهود لهم بالدين والخلق (وهم كثر) مهمة إقامة هذه المشروعات لأنهم سيكونون أحرص على نبذ كل شاب يمكن أن يفسد خلق بقية الشاب العاملين، فتكون الأسر مطمئنة على أولادها. وفضلا عن ذلك فهناك أفكار كثيرة لمشروعات يمكن أن تدار من المنزل. وكل المطلوب تشجيع العقول على التفكير والإبداع، وتبني الأفكار الواعدة. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

4- عمل المرأة يزيد النمو الاقتصادي

قد يظن البعض أن انسحاب المرأة من سوق العمل سيقلل الأيدي العاملة التي يحتاجها المستثمرون لتشغيل مشاريعهم، فتنخفض معدلات النمو الاقتصادي. وهذا الكلام غير صحيح لأن مشكلتنا الأكبر هي البطالة، وكثير من خريجي الجامعة لا يجدون عملا غير التجول في الشوارع لبيع البضائع الخفيفة المستوردة. ونحن لا نحتقر هذه الأعمال، ولكنها لا تفيد الاقتصاد كثيرا، ولا توفر دخلا كريما للشباب، كما أنها تهدر طاقاتهم وعلمهم. **ولو تركت النساء سوق العمل لوجد هؤلاء الشباب فرصا أكثر وأكرم للعمل،** ولاستفاد منهم المجتمع بشكل أفضل. وحتى لو بقى بعد ذلك عجز في الأيدي العاملة فمن السهل جدا تعويضه من خلال التشجيع على زيادة النسل كما تفعل كثير من دول العالم. ولا شك أن قعود المرأة في البيت سيشجعها على الإنجاب ورعاية الأولاد مقارنة بالمرأة العاملة التي تتعمد منع الحمل حتى لا تزيد أعباؤها.

وبفرض أن الدولة ظلت في حاجة للأيدي العاملة بعد هذا وذاك، فما العيب في أن نجلبها من البلاد الأخرى؟ لماذا لا نستقدم العمال من الدول الإسلامية الفقيرة، فنساهم في حل أزماتها الاقتصادية؟ أليس المسلمون أمة واحدة، والحدود من صنع الاستعمار؟

ثانيا **من الخطأ افتراض أن معدل النمو يتحدد فقط بالأيدي العاملة، فهناك عوامل أخرى أهم لتحفيز الاستثمار** منها خفض الضرائب، وتسهيل الإجراءات، ومكافحة الفساد، وإصلاح القضاء، ودعم الصادرات، وتبنى المشروعات الصغيرة، ودعم البحث العلمي، وتشجيع العقول اللامعة. وكثير من البلاد بها وفرة كبيرة في أعداد السكان لكنها متخلفة اقتصاديا لأن الأيدي العاملة مجرد عنصر واحد من عناصر النمو الاقتصادي. وإذا نظرنا إلى دولة مثل **مصر لوجدنا أنها كانت تحيا في رخاء اقتصادي في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين رغم أن المرأة لم تكن تعمل، أما اليوم فكل النساء تعمل، ورغم ذلك أوشك الاقتصاد على الانهيار.** فلا تبالغوا في أهمية عمل المرأة لاقتصاد الدولة.

ثالثا **نعترف أن انسحاب المرأة من سوق العمل سيؤثر فقط على المتاجر الصغيرة جدا** التى تفضل تعيين النساء بسبب انخفاض أجورهن. وبقاء المرأة فى البيت سيجعل صغار المستثمرين يبتعدون عن هذه المشروعات، لكن هذا لن يؤثر مطلقا على حالة الاقتصاد بشكل عام لأن القوة

الشرائية للمجتمع لن تتغير. على سبيل المثال هب أن عدد سكان إحدى المدن مائة ألف نسمة، وكان فى المدينة مائة محل صغير للملابس، فاضطر أربعون محلا منهم لوقف نشاطهم بسبب فقد عمالة المرأة الرخيصة، فماذا سيحدث؟ إن عدد سكان المدينة المائة ألف لم يتغير، وسيزداد الإقبال على الشراء من الستين محلا المتبقة، فتزيد أرباحها، ويتوسع نشاطها، وتوظف مزيدا من الرجال، وتدفع مزيدا من الضرائب لخزينة الدولة. أما أصحاب المحال الأربعين التى أغلقت فالدولة الذكية تستطيع الاستفادة من أموالهم القليلة، وذلك من خلال تجميعهم للمشاركة معا فى مشروعات أكبر، فبدلا من ثلاثين مشروعا صغيرا، يمكن إنشاء مشروع واحد كبير به ثلاثون مساهما. ولا شك أن البورصة إن عملت بشكل سليم بعيدا عن المضاربات والأموال الساخنة ستوفر فرصة طيبة جدا للاستثمار الطويل الأجل الذى يساهم فى التنمية. فمن يمتلك المال ولا يمتلك الخبرة سيشترى أسهما فى مشروع مطروح للاكتتاب العام، ويحصل كل عام على أرباح المشروع الذى يديره أصحاب الخبرة. كما يمكن أن يضع المستثمر الصغير أمواله فى صناديق استثمار تديرها بنوك أو شركات تجيد التعامل فى البورصة. الحلول كثيرة جدا، وأهم شىء خلق الدولة لمناخ يشجع على الاستثمار والعمل والنجاح ويزيل العراقيل ويحارب الفساد. إن وفرت الدولة هذا المناخ الصحى لن يكون هناك أحد بحاجة إلى عمل المرأة.

وهناك ظاهرة يعرفها جيدا الباحثون الاجتماعيون، ألا وهي **تفوق الذكور على الإناث فى مجالات الرياضيات والهندسة والعلوم والتكنولوجيا**[182]، والتى تسمى اختصار STEM ، وهي الأحرف الأولى لكلمات Science, Technology, Engineering, Mathematics. وهذه المجالات هي المجالات التي صنعت الحضارة الحديثة بلا جدال.

لقد أظهرت مثلا دراسة ضخمة[183]، شملت مليون ونصف طالب في عمر 15 عاما من 75 دولة أن **الذكور يحصلون على درجات أعلى من الإناث فى اختبارات الرياضيات في أغلب الدول المتقدمة.** وبرغم أن المتوسط الدولي للفرق بين الذكور والإناث صغير نسبيا **إلا أنه يزداد بين الطلبة الأعلى إنجازا:** بالنسبة للطلبة الذين كانت درجاتهم أعلى من 95% (95^{th} percentile) بلغت نسبة عدد الذكور للإناث (1.7–1.9) إلى 1. وبالنسبة للطلبة الذين كانت درجاتهم أعلى

182) **Tolley K.** The Science Education of American Girls: A Historical Perspective. London: Routledge; 2003.

183) **Stoet G, Geary DC.** Sex differences in mathematics and reading achievement are inversely related: within- and across-nation assessment of 10 years of PISA data. PLoS One. 2013;8(3):e57988. doi: 10.1371/journal.pone.0057988.

من 99% (99^{th} percentile) كانت نسبة عدد الذكور للإناث (2.7–2.3) إلى 1. معنى هذا أن **عدد الذكور الذين وصلوا للقمة كان ضعف عدد الإناث. ونفت الدراسة العثور على أي دليل يربط بين هذا الفرق في الرياضيات ومؤشرات المساواة بين الجنسين فى الدول المختلفة.**

ويرغم أن مشاركة المرأة في مجالات التكنولوجيا والرياضيات تزايدت فى العقود الأخيرة إلا أن تفوق الرجل فيها لا يزال واضحا، ولا ينازع فيه أحد. وهذه الظاهرة تصيب الباحثين بحرج بالغ وحيرة شديدة لأنها تتحدى عقيدة الحركة النسائية التى صارت أكثر رسوخا من كروية الأرض. والأكثر من ذلك أن دراسة كبيرة، أجريت فى عام 2016م على أكثر من 760 ألف طالب من 68 دولة حول العالم[184] **قد اكتشفت نتائج لم تكن أبدا على الحسبان: لقد وجدت أن الفروق بين الذكور والإناث فى مستوى القلق من الرياضيات Mathematics anexiety كانت أشد وضوحا فى الدول الغنية المتقدمة مقارنة بالدول الفقيرة.** وهذا يعني أن **الذكور لم يتفوقوا على الإناث بسبب تمييز المجتمعات لهم، فلو كان الأمر كذلك لانخفض الفرق بين الذكور والإناث في الدول الغنية التى ألغت التمييز بين الجنسين.** وأكثر من ذلك أنه برغم أن نسبة أكبر من الأمهات فى الدول المتقدمة يعملن فى مجالات العلوم والتكنولوجيا والرياضيات والهندسة مقارنة بالدول الفقيرة إلا أن تقييم الوالدين لأولادهم تضمن بشكل عام اعترافا بتفوق الأولاد على البنات في مجال الرياضيات. والقلق من الرياضيات ظاهرة تعبر عن إحساس الفرد بمشاعر سلبية أثناء دراسة الرياضيات أو الإعداد لها. ويؤدي هذا إلى قله استمتاع المرء بالرياضيات، وانخفاض عزمه على مواصلة دراستها والتفوق فيها، وانصرافه عن المهن التي تتطلب براعة فيها.

وهكذا نرى أن **الحضارة الحديثة قامت – ولا تزال تقوم– على أكتاف الرجل لأنه يقود المسيرة في أهم مجالاتها، ألا وهو مجال التكنولوجيا والهندسة والعلوم.** ونحن لا نقول هذا كي نفخر بعبقرية الرجل، فالله تعالى هو الذي خلق عقل الرجل وعقل المرأة ليختبر كل منهما فيما آتاه: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} [الأنعام: 165]. فرجل عبقري مثل ستيفن هوكنج سيلقى فى جهنم لأنه كفر بالله، بينما امرأة أمية لا تعرف جدول الضرب ستدخل الجنة إن آمنت واتقت. إننا نقصد القول بأن **الله تعالى خلق الرجل، وجعله مهيئا**

---

[184]) **Stoet G, Bailey DH, Moore AM, Geary DC** (2016) Countries with Higher Levels of Gender Equality Show Larger National Sex Differences in Mathematics Anxiety and Relatively Lower Parental Mathematics Valuation for Girls. PLoS ONE 11(4): e0153857. doi:10.1371/journal.pone.0153857

للعمل والإنجاز بدرجة أفضل من المرأة. وعلى أى عاقل أن يستغل هذا التفوق الطبيعي للرجل، وينميه، ويشجعه، لكن الذي يحدث في بلادنا أن الحكومات أهملت العلم والعلماء، ففقد الذكور النابغين الحماس للعلم لأنه لا يطعم ولا يسقي. وفي نفس الوقت تقوم هذه الحكومات بإغراق الذكور فى مستنقع الإباحية والانحلال، فيزدادون زهدا في العلم. **وفي المقابل يتم تشجيع المرأة وحثها على التفوق، والالتحاق بكليات الهندسة والعلوم،** والاشتغال بالأعمال التي لا تتميز فيها بحسب طبيعة خلقتها، فتكون **المحصلة خسارة المجتمع للجنس المتفوق في العلم، وإحلال الجنس الأقل تفوقا محله. وهذه ضربة مؤكدة لمسيرة الحضارة.** حقا ستواصل الحضارة التقدم بانخراط النساء في مجالات التكنولوجيا والهندسة والعلوم والرياضيات، ولكن كان من الممكن أن تكون الحضارة أكثر تقدما لو استمر الرجل فى قيادة مسيرتها.

كثيرا ما يقال أن قعود المرأة في البيت يترتب عليه إهدار نصف طاقة المجتمع. هذا الكلام رنان، لكنه أجوف، فبدائل عمل المرأة موجودة، وليس من الصعب توفير الأيدي العاملة، كما أن **من يتباكون على إهدار طاقات المجتمع هم أول من يحاربون الناجحين، ويعطلون النابهين، ويضيقون على الأطباء والمثقفين كي يهاجروا،** ويتركوا وطنهم بلا رجعة. من يتباكون على إهدار طاقات المجتمع هم الذين وصلوا لمناصبهم بالرشوة والمحسوبية والنفاق، وضيعوا الفرص على أصحاب الكفاءات. ولقد **أثبت الواقع مرارا أن النظم السياسية الأكثر استبدادا وتخريبا للاقتصاد هي الأشد دفاعا عن المرأة، وأن الحركة النسائية تبادل هذه الأنظمة حبا بحب، وهياما بهيام.** إنها علاقة منفعة متبادلة، فالنظم المستبدة تحارب المعارضين، وأشد معارضة تأتى دائما من أصحاب الميول الإسلامية، ولهذا يجد النظام القمعي نفسه في حالة حرب مع الشريعة التي يرفع لواءها المتدينون، ويكرهها أنصار المرأة المحبين للانحلال. كما يعرف أنصار الحركة النسائية أنهم بلا قوة في الشارع، وأن فرصتهم الوحيدة للبقاء لن تتحقق إلا إذا انضووا تحت لواء نظام مستبد، يُمَكِّنهم من عقول الناس.

وإذا عدنا مرة أخرى لمقولة (قعود المرأة فى البيت يترتب عليه إهدار نصف طاقة المجتمع) لوجدنا أنها خاطئة لسبب آخر، هو أن المرأة إن قعدت فى البيت، وتوقفت عن العمل، فإن طاقتها لن تضيع، بل سيتم توجيهها إلى وجهة أخرى، إذ ستقدم مزيدا من الرعاية لأسرتها. إن طاقة المرأة العاملة هي نفس طاقة ربة البيت، لكن المرأة العاملة توجه طاقتها لعملها خارج

البيت، بينما ربة البيت توجه طاقتها لأسرتها. وعلى ذلك فمن الخطأ الشنيع القول بأن ربة البيت تهدر طاقتها. كل ما في الأمر أنها تهتم بالأسرة التي لا يعيرها أحد في هذا العصر اهتماما.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

5- حتى لا يضيع التعليم هباء

تقول المرأة أنها تعمل لأنها تعلمت، ومن غير المعقول أن تبقى في البيت بعد رحلة التعليم الطويلة. وهذا المنطق ينم عن حماقة لا تقل عن حماقة رجل جلس فى وليمة مفتوحة (بوفيه مفتوح)، فظل يأكل ويأكل بعد أن شبع حتى انفجرت معدته من الطعام، وذلك لمجرد أنه شعر أن من الخسارة أن يترك هذه الكميات الضخمة من الطعام. وأذكر في هذا الصدد طرفة عن رجل بخيل اشترى زجاجة مطهر جروح، فوقعت منه على الأرض، فانكسرت، وتبقى بها كمية قليلة، فجرح نفسه حتى يستفيد بالكمية المتبقية من المطهر. **إن من السخافة أن يضر الإنسان نفسه بنفسه لمجرد أنه لا يريد أن يضيع جهدا بذله هباء.**

إنني أجد نفسى أحيانا في هذا الوضع، فكثيرا ما أعثر على فكرة مهمة، فأظل أنقب تحتها، وأبحث وراءها، وأكتب عنها صفحات طويلة، لكنني أكتشف في النهاية أنها تتضمن خطأ منطقيا كبيرا، فهنا تحدثني نفسى الأمارة بالسوء أن أتمسك بما كتبت، وأحاول تجميله حتى لا يذهب جهدي سدى، ولكن سرعان ما أستغفر الله، وأمزق ما كتبت حتى لا أضل الناس، وأدعو الله تعالى أن يعوضني عن الجهد الكبير الذى ذهب سدى.

ثم لنا أن نتساءل: **هل من المنطق أن يكون التعليم مجرد وسيلة للعمل؟ إن العلم يجب أن يكون هدفا في ذاته، وليس وسيلة للحصول على شهادة أو فرصة عمل.** لقد كانت نظرة أجدادنا للعلم أرقى من نظرتنا، فقد كان القدماء يحرصون على إرسال أبنائهم للدراسة في الأزهر كي يصبحوا علماء كبار، لكن اليوم لم يعد أحد يحرص على العلم، بل الحرص كل الحرص على الامتحان الذي يجب اجتيازه بأي ثمن. وبعد أن يخرج الطالب من الامتحان، وتظهر النتيجة يلقى كل ما تعلمه وراء ظهره، فالمهم أنه حصل على الشهادة. فبالله عليكم أي علم هذا الذى تبكى المرأة المعاصرة على ضياعه؟ هل نضحك على أنفسنا؟

ثم إن المرأة التي تعلمت، وبقيت في البيت دون عمل لم تخسر، بل ربحت الكثير، ويكفى أن تقارن بين ربة بيت متعلمة وربة بيت أمية. إنك ستجد فرقا ضخما في السلوك والفكر والاهتمام بالقضايا العامة والقدرة على تربية الأولاد والمذاكرة لهم. كما **يمكن لربة البيت المتعلمة أن تلعب دورا كبيرا في مساعدة أبنائها على التعليم**. وفى بلادنا تقوم كثير من ربات البيوت بهذه المهمة باحتراف يفوق المدرسين المتخصصين. فهل أهدر هؤلاء النسوة تعليمهن هباء أم أفدن به أولادهن؟ إن **من الجهل اعتبار أن الهدف الأكبر للتعليم هو تخريج موظف.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

6- الرجال يفضلون المرأة العاملة

تحرص المرأة –ويحرص أبواها– على أن تعمل لأن كثيرا من الرجال يفضلون الزواج بامرأة عاملة رغبة فى الانتفاع براتبها.

والمفروض أننا نعيش في دولة إسلامية، تسود فيها شريعة الله، ولا تخرج المرأة للعمل إلا لشغل وظائف خاصة. وإذا مكثت أغلب الفتيات في البيت بلا عمل، فستسقط الحجة السابقة على الفور لأن كل الفتيات تقريبا سيتساوين في القعود بالبيت، وسيتساوين بالتالى فى فرص الزواج.

لكن أغلب المسلمين الآن يعيشون في بلاد لا تطبق شريعة الله في أغلب الأمور، ولا يبدو أنها ستطبقها في المستقبل القريب. وفى ظل هذه الأوضاع الخاطئة نقول للفتاة التي تفكر في العمل حتى يسهل عليها الزواج أن هذا المنطق لا ينفع دائما، فالفتاة التي تنتمي لأسرة ثرية يتوقع لها في الغالب أن تتزوج من رجل ثرى مثلها، ولن يطمع مثل هذا الشخص في راتبها، ولذا فهي ليست في حاجة إلى العمل لأن راتبها لن يضيف شيئا إلى مزاياها، ولن يجلب لها مزيدا من الخطاب. كما أن بعض الفتيات لهن مزايا كثيرة تجذب الرجال، ولسن بحاجة لميزة العمل. على سبيل المثال إن كانت الفتاة جميلة فالرجال سيقبلون عليها سواء كانت تعمل أو لا تعمل. وإن كان والدها مشهورا أو ذا منصب أو نفوذ، فهي أيضا لا تحتاج إلى العمل لأن الرجال سيقبلون عليها سواء كانت تعمل أم لا.

أما إن كانت الفتاة قليلة الجمال وفقيرة ومن أسرة متواضعة، فقد تكون فعلا مضطرة للعمل لأن هذه هي الوسيلة الوحيدة كي تكتسب ميزة تغرى الرجال بالزواج منها، كما أن العمل سيمنحها فرصة للتعرف على الناس، فتزداد فرص الزواج أمامها. والمرأة المسلمة تحرص على الزواج لأنه وسيلة للعفة، وتعمير للأرض. وهنا يمكن للفتاة أن تعمل في إحدى المهن التى يتحتم أن تقوم بها النساء كالطبيبات والممرضات والمدرسات في مدارس النساء. ولكن بعد الزواج يجب على المرأة العاملة أن تطيع زوجها إن طلب منها يوما أن تترك العمل، وتتفرغ لأسرتها.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

7- تعمل المرأة لأن كل النساء تعمل

أغلب النساء اليوم يسعين إلى العمل دون تفكير، وكأن العمل قد أصبح قدرا محتوما أو مسارا لا يمكن لقطار الحياة أن يحيد عنه. لقد أصبح العمل في نظر المرأة شيئا لا بد أن يعقب الدراسة، فكما يلتحق الطالب بالمرحلة الإعدادية بعد انتهاء المرحلة الابتدائية دون تفكير، فكذلك أصبح على المرأة أن تسعى للعمل بعد التخرج من الجامعة لأن هذا هو المسار الطبيعي للأحداث، وما عداه خروج على المألوف، فكل زميلاتها يبحثن عن وظائف، فكيف تشذ عنهن، وهي ليست أقل منهن؟

ونحن نرى أن المرأة التي تفكر بهذه الطريقة لا تختلف أبدا عن شاة تسير في قطيع بلا تفكير. إنها تعتبر نفسها مجرد جزء من كل، لا يحق لها أن تخالفه. إنها تفترض أن الحق يوجد خارجها، ولا ينبع من داخلها. فعلى المرأة أن تسأل نفسها أولا: هل إقبال النساء على العمل صح أم خطأ؟

إننا لا نزعم أن الجماعة تكون دائما على باطل، ولا ندعو لأن يكون رأي الجماعة موضع احتقار باستمرار، ولكن كل ما نريده هو ألا يقبل المرء رأى الجماعة دون أن يفكر فيه. وفي كثير من الأحيان تكون مخالفة الجماعة تطرف وهوس، وكثير من أصحاب الآراء المتفردة ليسوا سوى طلاب شهرة ، لكن هذا لا ينفى القاعدة الراسخة التي أكدها القرآن، وهي أن الجماعة كثيرا ما تضل الفرد: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [البقرة: 170]. وهكذا فعلى المرء أن يفكر في الآراء الشائعة، ليس لكى يمارس هواية

الهدم، وشهوة النقض، ولكن ليعلم مبلغ رأى الجماعة من الحق، فإن تبين أنها على صواب تبعها، وإن تبين أنها على خطأ تبرأ منها.

على المرأة أن تحاول التخلص من الشعور بأنها شاذة وغير طبيعية إن بقيت في بيتها. لتتعلم أن تفعل الحق مهما كان رأى الناس، فالمهم هو رأى الله، ولا أحد يتلقى العذاب بدلا من أحد يوم القيامة: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء: 15].

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

8- العمل من أجل الثقافة ومواكبة العصر

تلك أكذوبة كبرى، فالعمل لا علاقة له بالثقافة في أغلب الأحوال. ادخل إلى أي مكتب في شركة أو مصلحة، تسمع كلاما كثيرا، يمكن أن تصنفه في باب الغيبة والنميمة والحقد والموضة والرياضة والتسالي، وقليلا ما تسمع كلاما في شأن عام أو موضوع ثقافي. إن أغلب النساء العاملات (وحتى الرجال) حظهن من الثقافة محدود أو شبه معدوم، وهذا الكلام ينطبق حتى على أعلى المهن قدرا كالأطباء والمهندسين والمعلمين. إن العمل لا يُكسب الثقافة، أو يكسب فقط قليلا منها. الثقافة تتطلب وجود حب القراءة والشغف بالمعرفة. نعم بعض المهن تفرض على صاحبها تحصيل المعلومات، كالصحفيين ومقدمي البرامج، لكن أغلب هؤلاء جهلاء، وقد استمعت يوما إلى حوار بين واحد من أشهر مقدمي البرامج وأحد رجال الدين، فلم أر من المذيع إلا الجهل بأبسط مباديء الدين، وكان الحوار فضيحة بكل المقاييس. وأشهر الكتاب السياسيين تفتضح ثقافتهم الضحلة حين يتكلمون في موضوع فكرى أو فلسفي أو ديني.

إن **من أراد الثقافة فسيصل إليها وهو داخل بيته،** وأذكر أن مارجريت ماركوس (مريم جميلة) المفكرة الإسلامية المعروفة كانت ربة بيت، ومع ذلك ألفت كتبا فى غاية العمق فى الفكر الإسلامي، لا تستطيع أغلب النساء العاملات اليوم قراءتها بسبب مستواها الرفيع.

إن من يعمل يفهم فقط فى مجال عمله، أما المثقف فهو ذلك الذي يلم بدرجة معقولة من المعارف في مجالات شتى، فالعمل لا علاقة له من حيث المبدأ بالثقافة، وبالعكس نحن نؤكد أن **البقاء في**

البيت يوفر الوقت اللازم للثقافة والاطلاع. وكل المفكرين يفضلون الخلوة بأنفسهم ، والابتعاد عن الناس للتأمل والقراءة والتأليف.

وبالله عليكم هل يمكن للمرأة التى تضيع وقتها بين العمل والبيت والأولاد أن تجد الوقت الكافي لكي تقرأ؟ وإن وجدت وقتا للقراءة، فهل تقرأ قراءات عميقة أم قراءات سطحية كما في مواقع التواصل الاجتماعي التي هي أقرب للترفيه وقتل الوقت منها إلى الثقافة؟

ونفس الشىء ينطبق على صفة "العصرية". المرأة العصرية كما يراها الناس هي تلك التي تستخدم الهاتف الذكي والحاسوب، ولها دراية واسعة بالأزياء ووسائل التجميل وأثاث البيت (الديكورات) والسيارات والمكيفات والهواتف المحمولة والممثلين والمطربين. هذه هى سمات المرأة العصرية كما يرونها. ولا علاقة لكل هذه السمات بالعمل كما ترون. وربة البيت يمكنها أن تكون مواكبة للعصر تماما مثل المرأة العاملة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

9- العمل شرف

معكم حق، العمل شرف، لكن **هل تقضى المرأة وقتها فى بيتها طوال اليوم تتقلب فى الفراش فى حجرة نومها انتظارا لعودة زوجها؟ أليست هى الأخرى تعمل؟** وهل طالبنا ببقائها فى بيتها إلا لأن لها عملا ينتظرها، ولا يقوم به أحد سواها؟ أمن الضروري أن يكون العمل بصورة معينة دون أخرى؟ **أتحسبون أن تربية الأولاد مهمة يسيرة؟ ألم ينشئوا حديثا كلية، كل مهمتها هى التربية؟ لماذا إذن تحتقرون المرأة التى تخصص كل وقتها لتربية أولادها؟ إن من الخطأ تصنيف النساء إلى امرأة عاملة وامرأة عاطلة. ربة البيت ليست أبدا عاطلة، بل تؤدى مهام جليلة لأسرتها.**

هل يأتي العظماء من عدم؟ هل ينشأون من فراغ؟ ألسنا نعزو عظمتهم فى جزء كبير منها إلى من علموهم وربوهم؟ فلماذا تخجل المرأة من كونها ربة بيت، تربي أجيالا؟ وحتى لو جلست المرأة فى بيتها دون عمل بسبب وجود الخدم، فإنها ستظل تؤدى مهمة جليلة هى توفير الأنس والراحة النفسية والمتعة الجنسية للرجل، وهذه أعمال فى غاية الأهمية، بدليل أن بعض كبار السن قد يستأجرون أناسا يرافقونهم فى بيوتهم حتى لا تقتلهم الوحدة، فهنا تكون كل مهمة الشخص

أن يوفر الراحة النفسية لشخص آخر. كما أن أهم ما تفعله المقاهي والنوادي أنها توفر للإنسان الصحبة والأنس. وفضلا عن ذلك هناك مهنة تحظى باحترام الأمريكيين والأوربيين اسمها "الدعارة"، وهى لا تختلف عما تقدمه المرأة لزوجها. ثم **أليس الحمل عملا يستحق الاحترام؟ أليست الولادة مهمة جليلة لولاها لانقرضت البشرية؟**

إن غياب تقدير المجتمع للمرأة لا يعنى أن المرأة بلا دور. **إن الناس ينظرون إلى العمارة الشاهقة، فيعجبون بها، ولكن لا أحد منهم يبدى إعجابه بالأساس المدفون تحت الأرض، والذي لولاه ما وجدت هذه العمارة. ومن الواجب على المرأة أن تنظر إلى نفسها على أنها الأساس الذي يقوم عليه المجتمع، ولولاه ما قامت نهضة، ولا نشأت حضارة**. وهذا التشبيه الرائع سمعته من الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل غفر الله تعالى له.

ثم ماذا ترى فى ماسح الأحذية وجامع القمامة وعامل المجاري؟

يؤكد العقلاء والمثقفون بكل حماس أن هذه مهن شريفة لا تعيب صاحبها، بل تكرمه لأن المجتمع لا يستغنى عنها، فالمجتمع الحديث سيصاب حتما الشلل إن أضرب عمال المجاري. حسنا، هذا رأى المثقفين المستنيرين، وهو بالتأكيد رأى كل أنصار المرأة، **فما بال هؤلاء القوم يحتقرون عمل المرأة فى بيتها ورعايتها لزوجها وأولادها؟ أليس هذا عمل مهم؟ هل جمع القمامة أكثر أهمية للمجتمع من تربية الأولاد؟ هل إصلاح ماسورة المجاري المسدودة التي تحتوى على البراز أهم من إصلاح خلق الإنسان وتربيته وتعليمه؟**

وماذا تقولون فى رجل يمتلك مزرعة دواجن، فيمضي يومه كله فى إطعام الدواجن وسقيها وتنظيف حظائرها؟ سيقولون: "قطعا هو رجل مكافح، يقوم بعمل نبيل ليس من أجل نفسه فقط، بل من أجل المجتمع والوطن ". حسنا. **لماذا إذن حين تجلس المرأة فى بيتها لتطعم أبنائها الصغار وتسقيهم وتنظفهم يقال عنها أنها متخلفة وعاطلة ولا قيمة لها فى المجتمع؟ هل إطعام الدجاج أكثر أهمية من إطعام الإنسان؟**

إننى أرى احتقارا غريبا من أنصار المرأة لأعمال البيت. قالت إحداهن يوما: "**هل كل وظيفتي فى الحياة أن أكنس وأمسح وأغسل وأغير البامبرز للطفل؟**" ألا فلتعلم هذه الحمقاء أن العمل داخل

البيت ليس حقيرا على الإطلاق بدليل أن آلاف النساء احترفن العمل "كمديرات منزل"، وهذا اسم عصري أنيق اخترنه هروبا من لقب "ربة البيت" الذى يتضمن نفس المدلول. لماذا لا نسمع من أنصار المرأة إدانة واحتقارا لمهنة مديرة المنزل أو الخادمة؟ **أليست مديرة المنزل تقوم بنفس العمل القديم الذي كانت تقوم به أمهاتنا وجداتنا؟ أليست الخادمة تكنس وتغسل وتطبخ وتغير البامبرز للطفل؟**

إن كان أنصار المرأة صادقين مع أنفسهم فليشنوا حملة ضارية على عمل النساء كخادمات. وأنا واثق تمام الثقة أنهن لن يفعلن ذلك، لسبب بسيط هو أنهن لن يجدن من يقوم بأشغال بيوتهن كى يتفرغن للعمل خارج البيت.

إن الحركة النسائية في حقيقة الأمر تشجع عمل المرأة، ليس لأن العمل داخل البيت حقير والعمل خارجه كريم، والدليل على ذلك مهنة الخادمة كما قلنا. الحركة النسائية تشجع عمل المرأة لأنه في الحقيقة وسيلة للتحرر من الرجل، ولهذا تجدهن يرحبن بأي عمل تقوم به المرأة –حتى لو عملت كخادمة– طالما أن هذا سيجلب لها المال، ويجعلها مستغنية عن زوجها. بعبارة أخرى: **المرأة المعاصرة تخجل من تغيير البامبرز لأولادها، وترحب بتغيير البامبرز لأولاد الناس، والسبب أنها لأنها لا تتقاضى أجرا على خدمتها لأولادها. يا لها من سفالة!**

إن تغيير البامبرز يغيظ أتباع الحركة النسائية بشدة، وهو فى نظرهم إهانة ما بعدها إهانة. والمرء يتعجب: أي إهانة والمرأة تفعل ذلك من أجل أولادها؟ إن **أي عمل لخدمة ذوي الرحم هو عمل جليل مهما كان مثيرا للاشمئزاز.** أعرف سيدة كانت تتكلم بفرح شديد وفخر عن خدمتها لأمها المصابة بالزهايمر، وكيف كانت تطعمها، وتغير لها البامبرز. وبشكل عام **فخدمة أي شخص عاجز عمل عظيم مهما بدا قبيحا.** إن الطبيب ينظف الجرح أو الخراج من الصديد والقيح. ومن رأى قدم مريض السكر الملتهبة والطبيب ينظفها لتقيأ مما يرى، ومع ذلك كل الناس تعتبر الطبيب يقوم بمهمة جليلة. والممرضة تغير البامبرز للمريض الراقد في غيبوبة. **ونوال السعداوى وغيرها من محتقرات تغيير البامبرز كان من الممكن أن يُصبن في أي لحظة بالتهاب في الحبل الشوكي يجعلهن يتبولن ويتبرزن دون إرادتهن، فمن ينظف لهن الفراش حينئذ؟ ومن يغير لهن البامبرز؟ هل لا زال هناك من يحتقر عمل المرأة؟**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

10- المجتمع في حاجة لعمل المرأة

مثل هذا الكلام الرنان يبلغ حد المسلمات في وسائل الإعلام. فهل المجتمع فعلا في حاجة لعمل المرأة؟

إجابتنا هي أن المجتمع بصفة عامة ليس محتاجا لعمل المرأة، وذلك لأن المشكلة التى تعاني منها أغلب شعوب العالم هي البطالة، ولن ينهار المجتمع إن توقفت المرأة عن العمل لأن هناك من سيتولى منصبها ويحل محلها. بيد أن الإنصاف يقتضي منا أن نعترف أنه **فى بعض الأحيان يكون المجتمع فعلا محتاجا لعمل المرأة، لكن هذه حالات استثنائية لا تمثل القاعدة،** ومن قبيل ذلك ما حدث أثناء الحرب العالمية في أوروبا حين اضطرت الدول إلى توظيف النساء في المصانع بدلا من الرجال المرابطين على جبهات القتال. وفى دولة مثل إسرائيل حيث عدد السكان قليل يجد المجتمع نفسه في حاجة إلى كل فرد للدفاع عن أرضه، ولذلك تجد حتى النساء يلتحقن بالجيش. هذه ظروف استثنائية. كما أننا يجب أن نأخذ فى الاعتبار حين نشرع قوانيننا أن الدولة الإسلامية الحقة هي الخلافة الإسلامية التي تضم جميع الدول الإسلامية. وفى ظل هذه الدولة إن نقصت الأيدى العاملة فى بلد تم جلب عمالة من بلد آخر، ولن يحتاج أحد فى الغالب لعمل المرأة. ولكن على أي حال إن وجدت مثل هذه الحاجة فى ظروف استثنائية فعلى المرأة أن تلبى حاجة الأمة. ومن المعروف أنه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت النساء تخرج مع الجيوش المحاربة بسبب الحاجة إليهن في مداواة الجرحى، وهى حرفة برعن فيها دون الرجال بسبب انشغال الرجال في الحرب.

وفوق ذلك **هناك مهن لا تقوم بها إلا المرأة أو يكون من الأفضل كثيرا أن تقوم بها المرأة،** ومن الأمثلة على ذلك مهنة التدريس، ففي المجتمع المسلم لا يكون الاختلاط مرحبا به، ويفضل أن تكون هناك مدارس خاصة للذكور، يعمل بها مدرسون وموظفون من الرجال فقط، وتكون هناك مدارس خاصة للإناث يعمل بها مدرسات وموظفات فقط. وهناك أيضا مهنة القابلة التي ارتبطت عبر التاريخ بالمرأة فقط، ولا أدرى لماذا دخل الرجال هذا المجال حتى أصبح أغلب أطباء النساء والتوليد وأكثرهم شهرة من الرجال، وهو شيء يجافى الفطرة والدين. وفى مجال الطب أيضا لابد

من وجود طبيبات للأمراض الجلدية للكشف عن الأمراض الجلدية التي تصيب الأجزاء الخفية من جسد المرأة. ويمكن كذلك أن تشارك المرأة في مجالات الطب الأخرى مثل الجراحة والقلب والباطنة والصدر، فمن الأفضل أن يعالج المرأة المريضة امرأة مثلها، إلا إذا كانت الحالة المريضة صعبة أو نادرة ولا يقدر على علاجها إلا رجل شديد البراعة. ولا شك أن مهنة التمريض هى الأخرى تحتاج إلى المرأة، فمن الأفضل أن يقوم الرجال بتمريض الرجال، وتقوم النساء بتمريض النساء. وهناك مهن أخرى لا تقوم بها إلا المرأة مثل موظفات السجون والموظفات اللائى يقمن بتفتيش النساء فى المطارات.

ويجب أن أعترف بأن **هناك آثارا غير مرغوب فيها ستنشأ من انخراط المرأة فى مجالات العمل المحدودة التي ذكرتها منذ قليل**. نعم ستتأثر الأسرة بعمل المرأة، ولكن هذا شىء لا سبيل إلى مداواته، فالمهن التي ذكرناها من الصعب جدا على أحد غير المرأة أن يقوم بها، وما هذا بالشىء الجديد، فكلنا يعرف كيف ارتضى المجتمع عبر العصور وجود امرأة أو اثنتين فى كل بلد يتخليان بعض الشىء عن أسرتيهما بسبب اشتغالهما بمهنة القابلة. وليعلم أنصار المرأة الذين لا يكفون عن ترديد القول بأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عين امرأة فى وظيفة الحسبة في السوق، ليعلم من يرددون هذا الكلام أن عمر بن الخطاب لم يكن يفعل أكثر من تولية امرأة فى وظيفة لا يصلح لها إلا النساء فقد كان من غير الممكن أن يولى رجل سلطة الرقابة على البائعات بما يجره ذلك من مفاسد لا تخفى على أحد.

نعم ستتأثر الأسرة من هذا العمل المحدود للمرأة، ولكن ستبقى أغلب النساء بلا عمل، وستبقى أسرهن مستقرة. ومن الممكن للدولة أن تقلل من ساعات العمل بالنسبة للمرأة المتزوجة، وتزيدها للمرأة قبل الزواج بحيث تظل المرأة العاملة المتزوجة قادرة على رعاية بيتها. يجب أن نراعى ظروف هذه القلة العاملة من النساء، فنخفف بقدر الإمكان من أعباء العمل عنهن حتى لا تضار أسرهن، فنحن الذين نحتاج إليهن، وهن يؤدين لمجتمعهن خدمات جليلة.

وفضلا عن ذلك فبقاء أغلب النساء بلا عمل سيخلق شعورا عاما فى المجتمع بأن المرأة الصالحة هي تلك التي تحترم زوجها، وتخضع له. وستشعر كل واحدة من القلة العاملة من النساء بأنها ملزمة بالبقاء داخل نفس الإطار الذي ارتضته غالبية أفراد المجتمع. وعلى الأرجح لن تكون الواحدة

منهن مثل المرأة العاملة التي نراها اليوم، وقد وقعت في أسر الغرور والتيه، ولم تعد تحمل لزوجها توقيرا.

ونحب أن ننبه إلى أن **من الواجب على الطبيبة أن تتخلى عن الطمع، فلا تفتح عيادة خاصة أو عيادتين بجوار عملها الحكومي فى المستشفى بهدف زيادة ثروتها،** بل يجب أن تكتفى بأقل قدر من العمل، فتكون قد أفادت النساء المريضات، وفى نفس الوقت لم تَجُرْ على حق أسرتها، وهذا هو العدل. **وإن شعر الزوج يوما أن أسرته وأولاده قد أضيروا بشدة من جراء عمل زوجته كطبيبة، وطلب منها أن تستقيل** أو تعمل نصف عمل أو ثلث عمل أو تحصل على إجازة أو تغلق عيادتها، فعلى الزوجة أن تطيعه، لأن طاعة الزوج فرض ديني على المرأة. أما فى حالة عدم وجود بديل للطبيبة، كأن تكون هي طبيبة النساء والتوليد الوحيدة فى إحدى القرى النائية، فهنا تقدم مصلحة المجتمع على مصلحة الأسرة، ويحق للمرأة أن تعصى زوجها إلى أن تظهر طبيبة أخرى تحل محلها.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

11- العمل لقتل وقت الفراغ

كثير من النساء يعملن لأن الجلوس في البيت يسبب لهن الملل. وهذا الكلام لا يقال فى العلن، ولكنه بالفعل دافع قوى لكثير من النساء للعمل.

ونحن نقول أن وقت الفراغ أمر نسبى، فمن تعود طوال عمره على وقت فراغ معين فلن يشعر بالملل. الملل ينشأ فقط من التعرض لوقت فراغ أطول مما اعتاد عليه المرء. وأذكر أنه في بداية العطلة الصيفية كنا نشعر بملل كبير فى الأيام الأولى بعد انتهاء الدراسة، لكن سرعان ما كان الملل يزول تدريجيا فى خلال أيام أو أسابيع معدودة.

ثم هل لدى المرأة المتزوجة التى لها أولاد وقت فراغ طويل؟

إن مشاغل البيت والأولاد ليست أبدا يسيرة، ورغم أن الآلات أراحت المرأة المعاصرة من بعض متاعب الغسل والكنس والطهي إلا أن البيت اليوم يمتلىء بالأثاث والملابس والأواني، بينما كانت بيوت آبائنا فى غاية البساطة، وبالتالي لم تكن تحتاج إلى جهد كبير للعناية والتنظيف والترتيب،

كما كان الطعام قليلا بسبب الفقر، ولم تكن الأسرة تطبخ كل يوم. ولذا فأعمال البيت اليوم لا تزال تحتاج لجهد كبير. وإضافة إلى ذلك فأي أم لديها أولاد في الدراسة تجدها غارقة معهم في الكتب والمناهج، وهذه مهمة لا يبقى معها أي ملل.

إن المرأة الثرية هي التي قد تشعر بالفراغ لأن هناك من يخدمها، لكن لماذا لا تقوم مثل هذا المرأة بخدمة نفسها، فعلى الأقل هذا مفيد لصحتها ورشاقتها؟

وحتى إن بقى لدى ربة البيت وقت فراغ، فلا أظن أنها ستعجز عن ملئه وهى تعيش في عصر لم يبرع فى شىء كما برع فى ملء وقت الفراغ؛ إن أمامها التلفاز بقنواته التي تجاوز عددها الألف؛ أمامها أيضا الهاتف الذكي والحاسوب وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) التي تحتوى على آلاف المواقع والصحف والمجلات والكتب المجانية. والكتب بالذات تمثل ثروة، فعددها يقدر بعشرات الآلاف، ولو ظل الإنسان يقرأ فيها طوال حياته لما انتهى.

والمرأة المسلمة بحق هي تلك التي توقن أن الله سيحاسبها على الطريقة التى استغلت بها وقتها وعمرها، فتعمل على الانتفاع بوقت فراغها فيما يفيد كالصلاة وقراءة القرآن وقراءة الكتب النافعة. المرأة المسلمة بحق تشعر أن من قبيل فرض العين أن تكون مثقفة وملمة بقضايا الإسلام وهمومه وأن تكون داعية إلى الله بين أهلها وأصحابها، أو على نطاق أوسع إن امتلكت الموهبة. لماذا لا تضع المرأة المسلمة نصب عينيها هدف أن تكون كاتبة أو مفكرة إسلامية، وتستغل وقت فراغها لتحقيق هذا الهدف؟ لماذا تترك المرأة المسلمة المتدينة الساحة للمرأة العلمانية لتصول، وتجول، ويعلو صوتها بكل ما هو غث؟ لماذا لا تنشط المرأة المسلمة للعمل الاجتماعي والخيرى في وقت فراغها؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل هناك نص شرعي يحرم عمل المرأة؟

يظن بعض الناس أنه لا يوجد نص يحرم عمل المرأة، ولهذا تجد النساء المنتقبات يخرجن للعمل دون أي حرج ، وذلك لأن أغلب المنتقبات ينتمين إلى التيار السلفي (الذي نكن له كل تقدير)، وهو يتمسك بشدة بالنصوص. ولما لم يجد السلفيون نصا صريحا يحرم عمل المرأة أفتوا بأنه حلال.

والواقع أنه لا يوجد نص صريح يحرم عمل المرأة، فلا يوجد حديث يقول مثلا: (لعن الله من خرجت من بيتها إلى العمل). ولماذا لا يوجد مثل هذا الحديث؟ السبب بسيط هو أن **مشكلة عمل المرأة لم تكن موجودة في زمن الرسول** عليه السلام. **وكما لا يوجد حديث يقول أن الهيروين والكوكايين حرام، فكذلك لا يوجد حديث يقول أن عمل المرأة حرام. إن غياب النص لا يعنى بالضرورة أن الأمر حلال.**

إن عمل المرأة من الأمور المستجدة، وما أكثر المستجدات التي لم يتعرض لها القرآن والسنة بأحكام صريحة مثل زراعة الأعضاء والاستنساخ وأطفال الأنابيب واستئجار الأرحام والتأمين، وغيرها. **والقرآن لم يتعرض لهذه الأمور لأنها لم تكن موجودة وقت نزوله. ولو أراد الله تعالى أن ينزل في القرآن أحكاما تتعلق بكل الأمور التي ستحدث في المستقبل إلى قيام الساعة لزاد حجم القرآن عشرين ضعفا**، ولامتلأ بأحكام لا داعى لها لأن من الممكن استنباطها بالقياس وغيره من مبادئ أصول الفقه. إن الحلال والحرام لا يحددان بناء على النص وحده، ولو كان الأمر كذلك لتجمدت الشريعة، وعجزت عن مسايرة المتغيرات التي لم تكف عن الظهور طوال أربعة عشر قرنا.

استمعت ذات مرة إلى فتاتين تتحدثان سويا فى أمور الحياة اليومية، فكان كلامهما فى أغلبه باللغة الإنجليزية، ولو كانتا تتحدثان فى موضوع طبي، يتطلب استخدام المصطلحات فربما جاز الأمر، ولكنه كان حديثا عاديا لأقصى حد. فهل التحدث باللغة الأجنبية دون أى داع حلال أم حرام؟ هل إهمال الناس للغة القرآن – حتى كادت تندثر– حلال أم حرام؟ بالتأكيد هو حرام، لكن لا يوجد نص عليه، وهذا المثال يثبت أن من أكبر الكوارث أن يتقيد الناس بالنصوص دون الالتفات لروح الشريعة.

إن بعض الناس يظنون أن كل ما جاء من العقل فهو من قبيل الهوى، وبعضهم يستغل فرصة غياب النص الصريح ليجادلوا بالباطل .

وبناء على ذلك فإننا من الأصل **نرفض أن يسأل سائل: هل هناك "نص" يحرم عمل المرأة؟ والسؤال المقبول هو: هل هناك "دليل شرعي" على تحريم عمل المرأة؟ فالأدلة الشرعية أوسع وأكبر من النصوص.**

وأرجو ألا يفهم من كلامي أنني أريد أن أجعل التحريم والتحليل مستندا إلى العقل وحده. لا ليس هذا مقصدي، وأنا أؤكد أن التحليل والتحريم لا بد أن يستند إلى نص شرعي سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فإن وجد نص صريح يتناول القضية كان بها، وإن لم يوجد فلنبحث عن نص آخر ترتد إليه القضية بشكل غير مباشر.

و**سنقوم فيما يلى بعرض بعض النصوص الشرعية التي يمكن رد تحريم عمل المرأة إليها.** وسيلاحظ القارىء أننا هنا نجمع شتات ما سبق أن ذكرناه متفرقا، ولكن ارتأينا أن نذكره مستقلا حتى تكتمل الصورة فى ذهن القارىء:

1. المرأة التي تخرج للعمل لكي تثبت تفوقها ونجاحها وتميزها وأنها ليست أقل من الرجل هى مخطئة لقول الله تعالى: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** [الحجرات: 13].

2. المرأة التي تعمل كي تتكبر على زوجها وعلى الناس مخطئة لوجود عدد من الآيات والأحاديث الشريفة تنهى عن الخيلاء والغرور والفرح بالدنيا:

- **{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}** [الحديد: 20]
- **{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}** [لقمان: 18]

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: 20]

- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مَخِيلَةً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» متفق عليه، واللفظ للبخاري. وفى رواية مسلم عن ابن عمر: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ**». وروى البخاري عن أبى هريرة: «**لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا**»

فانظر كيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إطالة الثوب بدافع الخيلاء، فما بال الإعلام لا يكف عن تشجيع المرأة على العمل حتى تثبت أنها ليست أقل من الرجل ذكاء وعلما وقدرة؟ إن هذه هي الخيلاء بعينها.

وقد يقول البعض أن الرغبة فى التفوق والتكبر تجعل المرأة مذنبة، لكنها لا تجعل عمل المرأة نفسه حراما، فقد تعمل إحدى النساء، وليس في ذهنها التكبر والتعالي، فيكون عملها حينئذ حلالا. ونحن نقول: الأمر ليس كذلك، **فالمسألة لا تتعلق بنوايا هذه المرأة أو تلك من وراء العمل، بل تتعلق بفلسفة الحركة النسائية نفسها التي تتناقض بشدة مع الإسلام. الحركة النسائية –التي تضغط على الحكومات من أجل عمل المرأة– لا تذكر مبررا لعمل المرأة إلا أن العمل يشرف المرأة، ويرفع مكانتها، ويجعلها مساوية للرجل. وهذا يعني أن الفكر النسائي –الذي لولاه ما عرف العالم شيئا اسمه عمل المرأة– ملوث، وفاسد من الأساس، فهو يتناقض بشكل جذرى مع مبادىء الإسلام التي ترفض التكبر والخيلاء والتعالي، وتعبر أن أكرم الناس هو أكثرهم تقوى. وبعبارة أخرى نقول أن <u>وجود الحركة النسائية حرام وغير مشروع داخل الدولة الإسلامية، وهذا يبدد أكبر قوة داعمة لعمل المرأة.</u>**

3– عمل المرأة يجعلها تُقصر فى رعاية بيتها وأولادها وزوجها. وهناك حديث شريف يجعل المرأة مسئولة أمام الله عن رعاية هؤلاء: «**أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ**

رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وهب أن امرأة مرض طفلها يوما، فبدلا من أن تجلس بجواره، تركته لجارتها ترعاه، ثم خرجت من البيت بحجة أنها تريد شراء بعض البضائع، فظنت الجارة أن هذه البضائع لا غنى عنها، لكنها فوجئت بأنها اشترت مجموعة من الملابس رغم أن دولابها مكتظ بأحدث الأزياء. فهل هذه الأم التي تركت ابنها المريض لقضاء حوائج غير ضرورية، وشراء سلع كمالية مقصرة أم لا؟ قطعا مقصرة. وستُساءل أمام الله تعالى طبقا للحديث السابق. وأغلب النساء العاملات يفعلن ذلك، فهن يهملن أولادهن وأزواجهن دون حاجة ضرورية للعمل.

4- **أحد أهم الأسباب التي تجعل عمل المرأة حراما هو أن هذا العمل يتم في كثير من الأحيان رغما عن إرادة الزوج**، ومن المعلوم أن المرأة مطالبة شرعا بطاعة الزوج ، ومن حق الزوج أن يعاقبها ويضربها إن عصته لقول الله عز وجل: "وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا" النساء 34. وعن أبى هريرة: سُئل رسول الله –صلي الله عليه وسلم –: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ ؟، قَالَ "الَّذِى تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ ، وَلاَ تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ"[185]. وقال رسول الله أيضا: " لو كنت أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولا تؤدي المرأة حق الله عز وجل عليها كله حتى تؤدي حق زوجها عليها كله حتى ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب لأعطته إياه "[186].

لقد أصبح من أكبر المحرمات على الزوج في هذا العصر أن يفكر ولو للحظة فى أن يمنع زوجته من العمل. وإن تجرأ، وحاول ذلك ثارت ثائرة الزوجة ومن ورائها أبوها وأمها، وغالبا يصل الأمر إلى الطلاق رغم أن الزوج ثرى ولا يحتاج لراتب زوجته، ورغم معرفة الزوجة جيدا بأن زوجها حسن الخلق، وأن من المستحيل أن يغدر بها.

---

[185]) إسناده قوي. انظر تعليق المحققين على **"مسند الإمام أحمد بن حنبل"** (12/ 384).

[186]) أخرجه ابن ماجة وابن حبان والبيهقي. وإسناده صحيح على شرط مسلم. انظر: **"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** (3/ 202) للألباني.

من حق أى شيخ أن يفتي بأن عمل المرأة حلال. هذا رأيه. لكن لا مفر من أن يضيف الجملة التالية: "بشرط موافقة الزوج على العمل"، أى أن الزوج إن رفض عمل زوجته أصبح عملها حراما. ولا يُقبل من رجل دين أقل من ذلك لأن طاعة الزوج مبدأ صريح فى القرآن والسنة. وعصيان الزوج مباح فى حالة واحدة هى أن يأمر زوجته بمعصية الله.

5- المرأة التى تهمل زوجها بسبب العمل قد تتسبب فى ارتكابه للفاحشة مع امرأة أخرى، وهي لهذا تتحمل نصيبا من الزنا لأنها كانت تهمل نفسها، وتتهرب من الجماع بحجة أنها مرهقة من العمل. والزنا كبيرة من الكبائر، وقد حرمه الله تعالى، بل نهانا عن مجرد الاقتراب منه، فقال: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: 32]. **والاقتراب من الزنا لا يكون فقط بالشكل المعتاد كالنظر والتبرج، ولكن أي امرأة تهمل زوجها وتحرمه من الجماع فهي قد قربته من الزنا.**

6- عمل المرأة يتضمن تغييرا لخلق الله الذى هيأ الرجل للعمل خارج البيت، وهيأ المرأة للعمل داخل البيت. وهذا التغيير من الشيطان لقوله عز وجل: **{لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا}** [النساء: 118، 119]. وعمل المرأة يتضمن جوانب أخرى لتغيير خلق الله، سبق أن ذكرناها.

7- عمل المرأة يتسبب في اختلاط الرجال بالنساء، وهذا حرام أو مكروه لأنه يقود إلى الزنا أو على الأقل إلى إعجاب المرأة برجل غير زوجها وإعجاب الرجل بامرأة غير زوجته، فتفتر العلاقة بين الزوجين. ومن النصوص التي تفيد كراهية الاختلاط ما روى عن ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لو تَرَكْنَا هذا الباب للنساء! ". قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[187]. **كما كانت النساء تغادر المسجد قبل الرجال حتى لا يحدث الاختلاط بينهما في الطريق،** فقد روى البخاري عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ،

[187]) إسناده صحيح على شرط الشيخين كما قال الألباني. انظر: **"صحيح سنن أبي داود"** (2/ 360). للألباني.

وَيَمْكُثُ هُوَ فِي مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ»، قَالَ: نَرَى – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ، قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ.

قال لي شاب من هواة الجدل يوما: "إنك لا يمكن أن تقول أن عمل المرأة حرام، وأقصى ما يمكن أن تقوله أنه مكروه".

قلت له: على الأقل عمل المرأة يصبح حراما إن تم ضد رغبة الزوج. هنا يصبح العمل حراما لأن طاعة الزوج فرض على الزوجة. ثم تعالى بنا إلى تعريف المكروه. "المكروه" كما قال العلماء هو «ما إن فعله المرء لم يأثم ولم يؤجر وإن تركه أُجر»[188].

وإذا كان عمل المرأة يجعلها تقصر فى واجبها نحو أسرتها، وتمتنع عن الحمل والإنجاب، وتختلط بالرجال، وتفقد صفات النساء، وتكتسب صفات الرجال، وتغير خلق الله، وتتمرد على زوجها، وتسارع إلى الطلاق، فهل هذا حرام أم مكروه؟ هو بلا شك حرام، على الأقل لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.... وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ» متفق عليه. والمرأة العاملة تقصر يقينا في واجباتها نحو أسرتها، وهذا يجعلها آثمة، ويجعل عمل المرأة حراما.

وحتى إن أصر البعض على أن عمل المرأة مكروه، فهذا يعنى أن **المرأة التي لا تعمل أفضل عند الله من المرأة التي تعمل.** وهذا ضد ما تروج له الحركة النسائية، وضد ما يقوله من يسمون بعلماء الدين المستنيرين الذي يؤكدون أن عمل المرأة فضيلة، وقعودها فى البيت رذيلة.

كما يجب أن نلاحظ أنه **لا يوجد نص دينى يشجع المرأة على العمل خارج البيت.** ولو كان عمل المرأة أمرا جليلا كما يصوره الإعلام المعاصر لأشاد به الرسول عليه الصلاة والسلام، ولو بكلمة أو لفتة.

والمسلم الحكيم لا يهمه تصنيف الأمور إلى مكروه وحرام، ويعتبر الاثنين شيئا واحدا، وذلك لأن المسلم يتعامل مع الله، ومن الحماقة أن يعرف الإنسان أن شيئا ما يكرهه الله تعالى، ومع ذلك يفعله حتى لو سمح الله به. **هب أنك تحب زميلتك في العمل،** وأنها أخبرتك يوما بأن

---

[188]) **الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (3/ 77)**

العطر الذي تستعمله يضايقها، ولكنها يمكن أن تستمر فى مقابلتك والتحدث معك رغم ضيقها به، فهل تستمر في استعمال نفس العطر أم تغيره حرصا على مشاعرها؟ يقينا أي رجل في هذا الموقف سيتوقف فورا عن استعمال العطر. لماذا إذن يتساهل الكثيرون حين يقال لهم أن شيئا ما حكمه في الدين أنه مكروه؟ هل الله تعالى أهون علينا من امرأة جميلة؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

احذروا التوسع فى "الضرورة"

المبرر الرئيسي الذي تذكره أغلب النساء للعمل هو أن عمل المرأة بات ضرورة فى ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التى تمر بها البلاد. **وأول رد على هذا المنطق هو أنه يوجب على النساء فى الأحياء الراقية كالمعادى والمهندسين والتجمع الخامس والرحاب أن يتركن أعمالهن لأنهن يعشن فى حالة رخاء.** وأتحدى أن يوافق هؤلاء النساء على ذلك.

ومن أخطر الأشياء أن نتوسع فى مفهوم الضرورة، فهذا يقلب الشريعة رأسا على عقب. إحدى الراقصات ظهرت يوما فى برنامج لتهاجم رجال الدين، وتدعى أنها ترقص كي تطعم إخوتها الفقراء!! وتاجر المخدرات يزعم أنه ما لجأ للحرام إلا بسبب البطالة. والطالب يغش فى الامتحان بحجة أن المناهج أصعب من قدرات الطلاب. والموظف يقبل الرشوة بحجة أن الراتب لا يكفى للنفقة على أولاده. والفتاة ترتدي ملابس ضيقة بحجة أنها إن لم تفعل ذلك فلن تتزوج. كل هؤلاء يدعون البراءة، ويزعمون أنهم مضطرون لفعل المعصية، والله تعالى أباح للمضطر أكل الميتة.

هؤلاء لا يخدعون إلا أنفسهم، **فالضرورة هى حالة دونها الموت. الضرورة حالة تجعل المرء مشرفا على الهلاك، وهؤلاء لن يموتوا إن لم يفعلوا هذه المعاصي.** وإن فعلوها مرة أو عدة مرات، فلماذا يستمرون فى ممارستها؟ لماذا لا تعتزل الراقصة بعد عام أو عامين من العمل فى الملاهي الليلية؟ لماذا لا يترك تاجر المخدرات تجارته المحرمة بعد أن يجمع ثروة معقولة تكفيه بقية عمره؟ لماذا تظل الفتاة على تبرجها بعد أن تتزوج؟ ألم يقرأوا قول الله تعالى حين أباح أكل الميتة والدم ولحم الخنزير: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة: 173]. ومعنى قوله (غير باغ) أي غَيْرَ بَاغٍ لِلَذَّةٍ أَيْ غير طَالِبٍ لَهَا. وقوله (ولا عاد) أى غير مُتَجَاوِزٍ سَدِّ الْجَوْعَةِ، أي يأكل فقط ما يزيل الجوع دون أن يشبع. وهذا تفسير الْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالرَّبِيعِ، وَمُجَاهِدٍ للآية.[189]

وتعرض الشيخ الشعراوي لقصة الفتاتين اللتين قابلهما موسى عليه السلام، فلفت الأنظار إلى أنهما حين اضطرتا للخروج إلى العمل انتهزتا أول فرصة لاحت لهما (وجود موسى عليه السلام) كي يتركا العمل، ويمكثا في بيتهما. يقول الشعراوي: «المرأة التي تخرج إلى مهمة عليها ألا تستمرىء

---

[189]) **تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** (5/ 193). تأليف فخر الدين الرازي. دار إحياء التراث العربى- بيروت- الطبعة الثالثة- 1420 هجرية.

ذلك، بل تأخذها على قدر الضرورة، فإذا وجدت منفذاً لهذه الضرورة، فعليها أن تسارع إلى هذا المنفذ، ولذلك قالت الفتاة لأبيها شعيب: {ياأبت استأجره إِنَّ خَيْرَ مَنِ استأجرت القوي الأمين} [القصص: 26] »[190].

إننا نقول **ليس من قبيل الضرورة أن تخرج المرأة للعمل من أجل شراء سيارة، أو تعليم الأبناء فى مدارس لغات،** أو الذهاب إلى المصيف كل عام، أو أكل اللحم كل يوم، أو شراء أحدث الثياب والجوالات.

على المرأة أن تقلل من نفقاتها، وتستغنى عن وسائل الترفيه قبل أن تقول أنها مضطرة للعمل. وأقسم لكم أنها لن تحتاج للعمل. أعرف أسرة لديها طفلان، وأسرة لديها خمسة أطفال، ولهما نفس الدخل تقريبا، لكن الأسرة الصغيرة تشكو دائما من الظروف الاقتصادية الصعبة، بينما الأسرة الكبيرة لا تشكو. والسبب يكمن فى الرضا. الرضا يجعل الإنسان سعيدا مع الفقر. والرضا ليس مخدرا نخدع به البسطاء، وذلك لأن الله موجود، وسيثيب الراضين فى الآخرة.

ثانيا على الدولة المسلمة وعلى أغنياء المسلمين أن يساعدوا الرجل العاجز أو المريض أو الفقير بدلا من أن يتركوا زوجته تخرج للعمل.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

---

[190]) **تفسير الشعراوي** (11/ 6653). تأليف محمد متولي الشعراوي. الناشر: مطابع أخبار اليوم. 1997 م .

المرأة تعمل فى الحقل مع الرجل

قد يقال أن الحركة النسائية لم تأت ببدعة حين شجعت المرأة على العمل، فقد كانت المرأة المصرية تعمل فى الحقل مع زوجها منذ آلاف السنين دون أن يمتعض من ذلك أحد.

وهذا الكلام فيه مغالطة، **فقد كانت أعمال الزراعة يقوم بها أساسا الرجال، وكانت أعمال البيت يقوم بها النساء وحدهن. لكن فى بعض الأحيان كان من المستحيل أن يقوم الرجل وحده بكل شيء، خاصة فى مواسم الحصاد، فكان لا بد من الاستعانة بالمرأة.** وحصاد القمح بالذات كان مرهقا للغاية، ويحتاج لعدد كبير من الأيدى العاملة، ولم يكن أقارب الفلاح وأصدقاؤه كافين، فكان لا بد من تواجد النساء، وإلا جاعت الأسرة. وحصاد القطن أيضا كان يحتاج لعدد كبير من الأيدى العاملة، ولم يكن الفلاحون الفقراء قادرين على استئجار أنفار للعمل معهم فى جنى القطن، ولهذا كانوا يضطرون للاستعانة بالنساء. وأيضا فى الأيام العادية فى غير مواسم الحصاد كان العمل الأساسى فى الزراعة من نصيب الرجل، **لكن كانت المرأة أحيانا تسد الفراغ إن كثرت أعمال الرجل. وكلما زاد عدد الأبناء الذكور كلما قلت الحاجة لعمل المرأة فى الحقل. وكانت المرأة التى لها أولاد ذكور كثيرون لا يكاد يراها أحد فى الحقل. وكل هذا يثبت أن عمل المرأة فى الحقل كان فقط فى حالة الضرورة.**

الخلاصة هى أن عمل المرأة فى الحقل كان استثنائيا، وكان دوما أقل من عمل الرجل. وفى نفس الوقت كان من المستحيل أن يقوم الرجل بأعمال البيت بدلا من المرأة، فقد كان هذا من قبيل العار. فإن ارتضت الحركة النسائية أن تحتكم للقرية المصرية، وتتخذ منها مرجعية، فعليها أيضا أن تطالب المرأة المعاصرة بأن تؤدى كل أعمال البيت وحدها دون مساعدة من الرجل، وعليها أيضا أن تقبل بتعدد الزوجات، وكثرة الإنجاب، ولبس الحجاب، والعيش في بيت واحد مع حماتها. ولا أظن أن المرأة المعاصرة تقبل ذلك.

ثم إن الحلال والحرام لا يوخذ من الناس، بل يؤخذ من الله. والفلاح المصري القديم لم يكن رسولا يوحى إليه، ولكنه كان بشرا، يصيب ويخطيء. ورغم المزايا الكثيرة للفلاحين القدماء كالشهامة والشجاعة والغياب شبه الكامل للزنا والمخدرات والانحلال، إلا أننا رأينا عيوبا كثيرة لهم كانتشار السرقة والمشاجرات والثأر وانتشار الألفاظ البذيئة. وعلى ذلك فعمل المرأة المصرية فى الحقل قديما

ليس حجة ملزمة لنا. وربما كان من الممكن للرجل أن يستغنى عن مساعدتها فى بعض الأحيان. لا أدرى تماما. ولا يهمنى هذا كمسلم، فدينى آخذه من الكتاب والسنة، لا من عادات الشعوب.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

من يوقف عمل المرأة؟

بعد أن انتهيت من كتابة الصفحات السابقة، شعرت أن الدعوة لمنع عمل المرأة أقرب للخيال، فهي أشبه بالدعوة لإلغاء فوائد البنوك أو حل مجلس الأمن. وتساءلت: لمن أكتب هذه السطور؟ من يستطيع إيقاف عمل المرأة؟ من يقدر على تحويل الكلام إلى واقع؟

لا شك أن **المسئولية الكبرى تقع على الدولة**، التى يجب أن تسن القوانين التى تحظر عمل المرأة إلا للضرورة، كما فى حالة الطبيبات.

وعلى كل ناخب أن يصوت ضد مرشحي البرلمان الذين يؤيدون قوانين الأسرة التى تحابى المرأة ظلما.

وعلى كل رجل أن يختار امرأة غير عاملة ليتزوجها، وأن يشترط عليها ألا تعمل بعد الزواج. وبمرو الوقت ستجد البنات أن الرجال يفضلون المرأة غير العاملة، وهذا سيقلل من حرصهن على العمل حتى لا تقل فرص الزواج المتاحة أمامهن. أما ما يحدث اليوم فهو أن كثيرا من الرجال يفضلون المرأة العاملة طمعا فى راتبها، فأصبحت المرأة تشعر بأن عملها هو ثروتها ورأسمالها، وأنها بدونه لا تساوى شيئا. إن جزءا كبيرا من اللوم يقع على الرجال وما ابتلوا به من جشع وطمع.

وعلى كل أب أن يقنع ابنته بأن تطيع زوجها إن أمرها بالتوقف عن العمل، وعليه ألا ينحاز إليها بشكل آلى فى أى خلاف يقع بينهما، فالأب الذى يقف مع ابنته دائما دون تفكير هو إمعة، وهو أشبه بالدابة التى تطيع صاحبها بمجرد الإشارة دون تفكير. **المفروض أن يقود الأب ابنته، لا أن تقود البنت أباها. والأب العاقل هو من يقف مع ابنته فقط إن كانت على الحق.** وعلى أهل الزوجة أن يتوقفوا عن النظر إلى الحياة الزوجية على أنها معركة بين ابنتهم وبين عدو يتحين الفرصة كى يغدر بها. **وليتذكر كل أب وكل أم أن أمهاتنا وجداتنا وأمهات جداتنا كن ربات بيوت، ومع ذلك لم يفتك بهن أزواجهن.**

وعلى رجال الأعمال وأصحاب المشاريع أن يتجهوا إلى تشغيل الرجال بدلا من النساء، وليعلم الواحد منهم أنه حين يوظف رجلا فهو يفتح بيتا، ويبني أسرة، لكنه حين يوظف امرأة فهو يقوي امرأة ضد زوجها، ويمهد لخراب البيت.

وأخاطب المرأة المسلمة التي شوه عقلها بأفكار الحركة النسائية، ووقعت تحت أسر صديقات السوء ومواقع التواصل الاجتماعي. يجب أن تقتنع المرأة بأن عملها شيء ضد الدين، وأن عليها العودة إلى مملكتها التي هيأها الله تعالى لرعايتها.

وعلى رجال الدين أن يعيدوا مسألة عمل المرأة إلى بؤرة اهتماماتهم، ويعملوا على خلق رأى عام معارض لعمل المرأة. وبمرور الوقت سيصبح هذا الموضوع مطروحا على قائمة أعمال الأحزاب السياسية ومرشحى البرلمان والرئاسة، ليجد فى النهاية طريقه إلى أرض الواقع.

وعلى كل مسلم أن يدعو لاستقلال بلاده من الاحتلال الأجنبى الخفى، فهذا الاحتلال ليس فقط تبعية سياسية وعسكرية واقتصادية، بل هو أيضا تبعية فكرية وتشريعية. ولولا ضغوط المنظمات الدولية التابعة لليهود لما كانت قوانين الأسرة فى بلادنا بهذا الشكل المزري.

إن مهمة التغيير تقع على عاتق أطراف كثيرة. فليبذل كل واحد جهده، وليعمل ما استطاع، وبالله التوفيق. أعرف أن عمل المرأة أصبح اليوم حقيقة راسخة، وأعرف أن الكثيرين سينظرون باستخفاف إلى الصفحات التي كتبناها عن عمل المرأة باعتبار أن منع المرأة من العمل يدخل في باب الخيال. لكن المسلم لا يرهبه انتشار الباطل وقوته وصعوبة تغييره، فليس من شأن المسلم أن يغير الواقع، ويكفيه أن يبين الحق للناس، ويبذل قصارى جهده لإصلاح حياتهم، والنتيجة على الله.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أقوال حكيمة

قرأت كلمات رائعة على الإنترنت لكتاب لا أذكر أسماؤهم ، لكن المولى عز وجل يذكر أسماؤهم، وسيجازيهم بسبب هذه الكلمات خيرا إن شاء. لقد قررت أن أنقل هذه الكلمات لأن الصدق يشع منها. إنها تحمل صرخات أفراد، انصرف عنهم الناس، وتركوهم وسط صحراء جرداء، لا يسمعهم فيها أحد، فما كان منهم إلا أن صرخوا بأعلى صوت، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يواجهوا به شبح الموت. اقرأوا معي:

1- عزيزي عندما تتزوج موظفة عليك أن تتنازل عن 80٪ من حقوقك كزوج وعليك أيضا أن تتنازل قليلا عن رجولتك، وسأشرح لك الأمر. زوجتك تقضي في العمل حوالي 7 ساعات يوميا يعني أكثر مما تقضيه في بيتها لرعايتك ورعاية أبناءك والقيام بشؤون البيت. **زوجتك تخاف من رئيسها في العمل ربما أكثر منك** لأنه يلزمها بالحضور والتقيد بالوقت، ولا يمكن لها أن تخالف تعليماته. ستحس أنه يشاركك في كل شيء فيها، وتحس أنك لست أنت الرجل في هذه المعادلة، فهو الذي يعطي المال، وهو بالتالي الذي يعطي الأوامر، وهو بالتالي محور حياتها واهتمامها. تتصل عليها أنت فترد وأحيانا لا ترد، ويتصل عليها هو فتسارع إلى الهاتف مرعوبة، وتحسّن نغمة صوتها، ثم لا يسمع منها إلا نعم نعم، طيب طيب. أما أنت فنغمة صوتها معك مختلفة، وطبعا لا يمكن أن تطلب شيئا دون أن تسمع التعليقات والاعتراضات والتأففات. زوجتك في العمل ولو كانت شريفة عفيفة فإنها لن تستطيع دفع بعض التحرشات، فهذا يلقي كلمة، وهذا يهمس همسة، أما النظر فحدث ولا حرج. ستلاحظ أن **زوجتك اكتسبت نوعا من الرجولة بحكم عملها خارج بيتها** وحلم أنك ارتبطت بأنثى رقيقة سيصبح كابوسا عندما تصطدم بما تعيشه في الواقع. عزيزي الخيار لك قبل أن تغرق.

2- هل استفاد الرجل من عمل المرأة؟ ربما يكون الرجل قد استفاد مالا لكنه خسر الكثير. **لقد تحولت المرأة بخروجها للعمل إلى أنثى كاملة خارج البيت ولكنها حين تعود للبيت تصبح رجلا** ، ففي العمل تندفع المرأة لإثبات أنوثتها أمام زملائها الرجال، **أما حين تعود للبيت فهي تجد رجلا مضمونا لا يمكنه أن يتخلص منها، وليس عليها أن تثبت له أنوثتها،**

ويمجرد دخولها للبيت تبدأ في الشكوى من التعب والإرهاق، وتعبر عن الرغبة في الخلود للراحة والنوم، ثم تخلع ملابسها الأنيقة لترتدي أي شيء لهذا الرجل البائس الذى تشعر أنه من نوعية أدنى من الرجال الذين تلقاهم في عملها.

3- لن أتزوج امرأة عاملة ولو مت عازبا[191]. لا يمكنني أن أتزوج امرأة تخرج فى السابعة صباحا، وتعود للمنزل الخامسة مساءً منهكة. **لن أتزوج عاملة تأخذ أولادي للمربية أو للجيران أو تتركهم لأمي وتذهب هي لخدمة أبناء الناس ، فتربية أولادها أولى من تربية الغير**، فأنا أتزوج لإراحة أمي، وعلى زوجتي أن تربي أولادي كما ربتني أمي. **لن أتزوج عاملة تخرج متعطرة متجملة، تبتسم للمدير**، وتصبح بالخير على الحارس. وتجتمع مع الأستاذ أو يتصل بها زميلها في العمل يسألها عن فرض الغد أو عن امتحان نهاية الفصل، فأنا بدوي رجعي، أكفر بما يسمى الزمالة، ولا يمكن لتربيتي وغيرتي تحمل هذا. لن أتزوج عاملة تأكل في البيتزيريا بجانب الرجال، **أو أشتري لها العشاء من المطعم لأنها مشغولة في تصحيح أوراق الاختبار، أو تحضير درس الغد**، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن أعتمد على أمي في تحضير ما تطلبه معدتي. لن أتزوج عاملة لأني ذو قوامة عليها ولست ممن تستهويه الشهرية، ولست ديوثا يقبل بعمل زوجته بحجة أن أربعة ملايين مع ربع مليون خير من أربعة ملاين وحدهم. لن تتغير نظرتي للمرأة العاملة، ولو كانت تعمل في جوف الكعبة فأنا رجل وأعرف مكر الرجال. ومشقة الحياة ليست حجة لخروج المرأة للعمل، فعمل المرأة في الغالب يكون للافتخار، **وشراء اللباس ذى الماركات وعلب الماكياج فقط.** وعمل المرأة يفقدها أنوثتها ، فنصف عمرها تقضيه رجل. أنا كمسلم متشبث بدينه أؤمن بأن الاختلاط حرام، وعمل المرأة لغير الضرورة القصوى في أماكن مختلطة حرام بإجماع الفقهاء. **والتي تريد أن تعمل لتحسين ظروفها المعيشية فلها أن تتأكد أن شبابها أفنته مع الكسرة واللبن،** والآن تريد أن توهمنا أنها عاشت بالكافيار والكالامار. وأعرف عقلية النساء، فقد تعودن على الحرية في الثانوية والإقامات الجامعية،

[191]) العازب والعَزَب هو غير المتزوج، والجمع (عزاب). وكلمة (أعزب) الشائعة بيننا الآن ليست صحيحة فى نظر أغلب علماء اللغة، وإن كان البعض يوافق عليها. وفى لسان العرب: (وَلَا يُقال: رَجُلٌ أَعْزَبُ، وأَجازه بَعْضُهُمْ).

ولا يردن رجلا يرغمهن على المكوث في المنزل والعودة لفطرتهن المتمثلة في الآية الكريمة "وقرن في بيوتكن" .

هذه الصرخات لها وقع النغمات على أذن من كان له بقية من عقل ودين.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الباب الرابع: خدمة المرأة لزوجها

أصل القضية

كانت النتيجة الطبيعية لعمل المرأة خارج البيت أن أصبحت غير قادرة على الوفاء بمتطلبات كل من عملها وأسرتها. **وبدلا من أن تعود المرأة إلى صوابها، وتتفرغ لبيتها، وتترك العمل خارجه تفتق ذهنها عن حل عبقرى يتمثل فى ضرورة مشاركة الرجل لها فى أعمال البيت كما تشاركه فى الإنفاق على الأسرة.** فإن قال لها الزوج:"استقيلى من عملك كى ترتاحى، وأتولى أنا الإنفاق على البيت"، اتهمته بأنه يقف فى طريق مستقبلها، ويريد أن يعيدها إلى عصر الحريم.

وقد عثر أنصار المرأة على كنز حين نقبوا فى كتب الفقه، فاكتشفوا أن جمهور الفقهاء يرون أن المرأة ليس مفروضا عليها أن تخدم زوجها. يا له من كنز! لقد عثروا أخيرا على أنصار لقضية المرأة لم يكونوا فى الحسبان. يقول ابن ضويان مثلا: [وليس عليها خدمة زوجها في عجن وخبز وطبخ ونحوه: نص عليه، لأن المعقود عليه منفعة البضع، فلا يملك غيره من منافعها. "لكن الأولى لها فعل ما جرت به العادة" وأوجب الشيخ تقي الدين المعروف من مثلها لمثله][192]. وقال ابن حزم[193]: [وَلَا يَلْزَمُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَخْدِمَ زَوْجَهَا فِي شَيْءٍ أَصْلًا، لَا فِي عَجْنٍ، وَلَا طَبْخٍ، وَلَا فَرْشٍ، وَلَا كَنْسٍ، وَلَا غَزْلٍ، وَلَا نَسْجٍ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ أَصْلًا – وَلَوْ أَنَّهَا فَعَلَتْ لَكَانَ أَفْضَلَ لَهَا وَعَلَى الزَّوْجِ أَنْ يَأْتِيَهَا بِكِسْوَتِهَا مَخِيطَةً تَامَّةً، وَبِالطَّعَامِ مَطْبُوخًا تَامًّا]

ولهؤلاء نقول أن العلماء مهما علت أقدارهم وكثرت أعدادهم معرضون للخطأ، فالكمال لله تعالى وحده. فعلينا أن نعيد تقييم آراء الفقهاء السابقين لنرى مبلغها من الخطأ والصواب ، ونبحث عن الدليل من الكتاب والسنة، فإن وجدناه اتبعناه، وتركنا غيره مهما كان مقام قائله.

وفضلا عن ذلك فمخطيء من يظن أن الفقهاء قد أجمعوا على هذا الرأى، وحسموا الأمر، ولم يعد هناك مكان لقول آخر، فقد ذكر ابن القيم أن المسألة موضع نزاع بين العلماء:

[فَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي ذَلِكَ، فَأَوْجَبَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ خِدْمَتَهَا لَهُ فِي مَصَالِحِ الْبَيْتِ، وَقَالَ أَبُو ثَوْرٍ: عَلَيْهَا أَنْ تَخْدِمَ زَوْجَهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنَعَتْ طَائِفَةٌ وُجُوبَ خِدْمَتِهِ عَلَيْهَا فِي شَيْءٍ،

---

192) **"منار السبيل في شرح الدليل"** (2/ 219). تأليف ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم. تحقيق زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. الطبعة السابعة 1409 هـ-1989م

193) **"المحلى بالآثار"** (9/ 227) تأليف أبو محمد علي بن حزم الظاهري. تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري. دار الفكر – بيروت. الطبعة الثالثة 2003م-1425هـ.

وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ مالك وَالشَّافِعِيُّ وأبو حنيفة وَأَهْلُ الظَّاهِرِ، قَالُوا: لِأَنَّ عَقْدَ النِّكَاحِ إِنَّمَا اقْتَضَى الِاسْـتِمْتَاعَ لَا الِاسْـتِخْدَامَ وَبَذْلَ الْمَنَافِعِ، قَالُوا: وَالْأَحَادِيثُ الْمَذْكُورَةُ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى التَّطَوُّعِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَأَيْنَ الْوُجُوبُ مِنْهَا؟] [194]

فتعالوا معنا نناقش القضية. وبالله التوفيق.

[194]) **"زاد المعاد في هدي خير العباد"** (5/ 170). تأليف ابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة السابعة والعشرون . 1415هـ /1994م

الشريعة تلزم المرأة بأعمال البيت

من أغرب الأشياء أن يُسأل شخص يفترض أنه ذو علم بأمور الشريعة عن خدمة المرأة لزوجها، فيجيب: "قال أبو حنيفة... قال الشافعى... قال ابن حنبل..." ، وينسى أن يستشهد بنص من القرآن أو السنة. يا أعزائى **هناك حديث شريف يحدد مهمة المرأة بأنها رعاية البيت والأولاد**، فقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

«كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، **وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ** وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه.

انظر إلى مهام المرأة التى حددها الحديث تجد أنها (رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ). **وهذه العبارة تتطابق حرفيا فى كل من رواية البخارى ومسلم، وهذا يجعلنا نثق فيها بشدة**. وقوله: "بيت بعلها" يعنى "بيت زوجها".

ولاحظ أن الرسول عليه السلام قال: "بيت بعلها" وليس: "بعلها" ، أى أن الرعاية هنا منصبة على البيت نفسه، ولا تقتصر على تقديم المتعة الجنسية للزوج. ومن البديهى أن عبارة (رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ) تشمل رعاية الزوج نفسه لأن الرجل جزء من بيته.

ولاحظ أيضا **مجيء كلمة (ولده) بعد (بيت بعلها)**، وهذا يعنى أن المقصود ببيت البعل شيئا غير أولاد البعل. **وهذا يفرض علينا أن نفهم أن المقصود من قوله: (بيت بعلها) هو احتياجات البيت المعروفة من تنظيف وترتيب وطبخ.**

إن هذا نص صريح يوجب على المرأة أن تقوم بأعمال البيت المعروفة. ومع الأسف لا يشير أحد إلى هذا الحديث مع أنه يقدم دليلا واضحا كالشمس على وجوب قيام المرأة بأشغال البيت المعهودة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

الصحابيات يقمن بأعمال البيت

لا شك أن عمل المرأة من مستحدثات القرن العشرين، وأنه لم يكن موجودا قبل ذلك إلا قليلا. ولكن كثيرا من الناس هذه الأيام ابتلوا بالجهل، فلم يعودوا يرون البديهيات، وحسبوا أن عودة المرأة إلى البيت بدعة اخترعها الإرهابيون المتطرفون الوهابيون، وأن كبار الفقهاء يقولون بغير ذلك. **وقد قمنا بالتنقيب فى نصوص القرآن والسنة الصحيحة، واستخرجنا نصوصا عديدة تظهر كيف أن أعمال البيت كانت من اختصاص المرأة، ورغم ذلك لم يطالب الرسول عليه الصلاة والسلام النساء بالتوقف عنها، ولم يلزم الرجال الأغنياء بأن يوفروا لزوجاتهم خدما.** اقرأوا، وعودوا إلى الفطرة:

1- أقوى الأدلة على أن أعمال البيت كانت من مهام المرأة هو ما ورد فى القرآن الكريم من آداب زيارة المسلمين لبيوت الرسول إذا دعاهم لوليمة. لقد ورد فى الآية أن المدعوين إن طلبوا من أزواج النبى متاعا فيجب أن يكون الطلب من وراء حجاب. ولا تعنينا هنا مسألة الحجاب، بل يعنينا فقط أن **خدمة المدعوين ستكون من وظيفة زوجات النبي**. و"المتاع" الذى يمكن أن يطلب فى وليمة يشمل الأوانى والأطباق والسكاكين وأكواب الماء والملح أو غير ذلك من لوازم الطعام كإناء به ماء يغسلون منه أيديهم[195]:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا } [الأحزاب: 53]

وهذه الآية تدل أن النساء فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كن المسئولات عن شئون البيت خاصة ما يتعلق بالطعام. وحتى أمهات المؤمنين – **وهن أشرف نساء المسلمين– لم يكن يستنكفن عن خدمة عامة الرجال ممن كانوا أقل منزلة من رسول الله عليه الصلاة والسلام.**

195) المَتاعُ في الأَصل فهو كُلُّ شَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ويُتَبَلَّغُ بِهِ ويُتَزَوَّدُ والفَناءُ يأْتي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا .انظر: "لسان العرب".

2- كانت السيدة فاطمة بنت رسول الله أيضا تعمل فى بيتها، ليس مجرد عمل خفيف، بل عمل شاق، فقد كانت تطحن بالرحى حتى اشتكت من يدها، فطلبت يوما -هى وزوجها على بن أبى طالب- من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يهبهما أحد العبيد ليعمل كخادم فى البيت، ويريحها، فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم، طبعا لأنه لا يمكن أن يجامل ابنته من أموال المسلمين. ولما رفض الرسول أن يمنحهما الخادم عرض عليهما بديلا روحيا يخفف عنهما التعب البدنى، فطلب منهما أن يذكرا الله قبل النوم كل يوم. معنى هذا أن **الرسول عليه السلام أقر الوضع كما هو عليه، فلم يحرض ابنته فاطمة على الامتناع عن القيام بأعمال البيت، ولم يأمر على بن أبى طالب بأن يحضر خادما يساعد زوجته، ولم يأمره أيضا بأن يساعد زوجته بنفسه فى أعمال البيت.** اقرأوا الرواية:

عن علي بن أبى طالب: أَنَّ فَاطِمَةَ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا». فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ». متفق عليه، واللفظ للبخاري.

3- من أهم الروايات التى تثبت أن أعمال البيت كانت من مهام المرأة ما روي عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ:

تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ، وَلاَ شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي المَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: «إِخْ إِخْ» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الفَرَسِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي "

(ناضح): الناضحُ هو الْبَعِيرُ أَو الثَّوْرُ أَو الْحِمَارُ الَّذِي يُسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ (أخرز): الخَرْز هو خياطة الجلد ونحوه، والمقصود هنا خياطة جلد الدلو. (غربه): الغرب هو الدلو (سياسة الفرس): تدريبه وترويضه. (أعجن): أعجن الدقيق

هذه الرواية فى غاية الأهمية، فهى تخبرنا بالأعمال التى كانت تمارسها المرأة فى المجتمع المسلم الأول الذى كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعيش فيه. هنا نجد أن السيدة أسماء بنت أبى بكر كانت تقوم بأشغال البيت مثل عجن الدقيق، وإحضار الماء من البئر، وعلف الفرس (إطعامه) ، وخياطه الدلو الكبير (وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ). ومن الرواية السابقة نعرف أيضا أن **من كان يساعد السيدة أسماء فى صنع الخبز هم نساء الأنصار. وهذا يفيد أن أعمال المنزل كانت من واجبات النساء دون الرجال، وأن السيدة أسماء لم تكن تتطوع بعمل فردي لخدمة زوجها كتعبير عن حبها له، بل كانت تتصرف كغيرها من نساء عصرها.**

ويلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد أسماء بنت أبى بكر، وهى تحمل النوى، ولا بد أنه كان يعلم بغير ذلك من أعمال المنزل التى تؤديها لأنها ابنة أقرب أصحابه أبى بكر الصديق، وكانت أيضا زوجة الزبير بن العوام، وهو كما وصفه الذهبى "حَوَارِيُّ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَابْنُ عَمَّتِهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ" [196]، ومع ذلك **لم يقل الرسول لأسماء: "ليس من واجبك خدمة زوجك". كما لم يرد عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه طالب رجال الأنصار بمساعدة نساء الأنصار فى أعمال البيت كصنع الخبز.**

ونجد من الرواية السابقة أن من أحضر خادما تساعد السيدة أسماء لم يكن زوجها (الخادم هنا جارية)، ولكنه أبوها أبو بكر الصديق كي يريح ابنته. **ولم نسمع أن الرسول عليه السلام طالب الزبير بتوفير خادم بمجرد تحسن حالته المالية، ولم يطلب منه أبو بكر (والد أسماء) نفس**

[196]) **"سير أعلام النبلاء"** للذهبي (1/ 41)

الشىء. كما نعرف من الرواية السابقة أن **السيدة أسماء لم تتوقف عن القيام بأعمال البيت بعد مجىء الخادمة، وإنما أراحتها الخادمة فقط من مهمة سياسة الفرس.**

4- فى إحدى الروايات نجد أن **إحدى النســاء – واســمها أم أســيد– هى التى صــنعت الطعام، وقدمته للناس فى العرس:**

عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: لَمَّا عَرَّسَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ دَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، **فَمَا صَــنَعَ لَهُمْ طَعَامًا وَلاَ قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ** أُمُّ أُسَــيْدٍ، بَلَّتْ تَمَرَاتٍ فِي تَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ مِنَ اللَّيْلِ «فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ صَــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ مِنَ الطَّعَامِ أَمَاثَتْهُ لَهُ فَسَــقَتْهُ، تُتْحِفُهُ بِذَلِكَ». رواه البخارى.

(تَوْر): إناء يُشرب فيه (أماثته): خلطته بالماء[197] (تتحفه): التُّحْفةُ كما فى لسان العرب هى الطُرْفةُ مِنَ الْفَاكِهَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الرَّياحين. والتُّحْفَةُ: مَا أَتْحَفْتَ بِهِ الرجلَ مِنَ البرِّ واللُّطْف

5- **ورد فى ســياق وقائع حادثة الإفك كلاما يفهم منه أن العجين كان من المهام التى تخص النســاء.** والعجين كان أحد أهم أعمال البيوت قديما قبل انتشــار المخابز الآلية التى يشــترى منها الناس الخبز جاهزا. لقد ســأل الرســول عليه الصــلاة والســلام جارية تســمى بريرة عن أحوال الســيدة عائشــة وســلوكها وعيوبها التى لا يعلمها إلا النســاء المقربات منها، **فلم تعب بريرة عليها شيئا غير أنها كانت تغفل عن العجين الذى يصنعه أهلها بسبب صغر سنها، وعدم تقديرها للمسئولية، فتأتى الشاة، وتأكله.**

روى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا –حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا – أن رسول الله عليه الصــلاة والســلام [دَعَا عَلِيًّا، وَأُسَامَةَ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَقَالَ: أَهْلُكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَقَالَتْ بَرِيرَةُ: إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُــهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، **تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ، فَتَأْكُلُهُ**] متفق عليه واللفظ للبخارى.

---

[197]) ماثَ المِلحَ فِي الْمَاءِ: أَذابه؛ وَكَذَلِكَ الطِّينَ... **وكلُّ شــيءٍ مَرَســته فِي الْمَاءِ فَذَابَ فِيه، مِنْ زعفرانٍ وتمرٍ وزبيبٍ وأَقِط، فَقَدَ مثْتَه ومَيَّثْتَه**. وأَماث الرجلُ لِنَفْسِــهِ أَقِطاً إِذا مَرَسْــتَه فِي الْمَاءِ وشــربْتَه. الجوهري: مِثْتُ الشــيءَ فِي الْمَاءِ أَمِيثه لُغَةٌ فِي مُثْتُه إِذا دُفْتَه فِيهِ. وَفِي حَدِيثِ أَبي أُسَــيد: فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الطَّعَامِ أَماثَتْه فَسَقَتْهُ إِياه ؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: هَكَذَا رَوَى أَماثَتْه، وَالْمَعْرُوفُ ماثَتْه. وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ: اللهمَّ مِثْ قلوبَهم، كَمَا يُماثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ (انظر معجم لسان العرب).

(استلبث): تأخر. (يستأمرهما): يشاورهما. (فراق أهله): طلاق عائشة. (إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا): ما رأيت عليها (أغمصه): أعيبها به. (حديثة السن): صغيرة السن. (تنام عن عجين أهلها): تغفل عنه. (الداجن): الشاة التي تألف البيوت، ولا تخرج إلى المرعى[198].

6- ذكر كعب بن مالك في سياق روايته لمقاطعة المسلمين للثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك أن **زوجة الصحابي هلال بن أمية كانت تخدمه:** «حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: **إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟** قَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا»

7- وفى رواية أخرى نجد أن الصحابى **قيس بن صرمة قضى يوما كاملا من أيام رمضان، وهو يعمل، فلما رجع إلى البيت، وحان وقت الإفطار سأل زوجته عن الطعام فلم يجد، فطلبت منه زوجته أن ينتظر حتى تعد له طعاما.** وبقية الرواية لا تهمنا الآن، فالمهم أن **الرجل هو الذى كان يعمل، والزوجة هى التى كانت تمكث فى البيت، وتعد الطعام، وهذا هو التقسيم الطبيعى للأدوار بين الجنسين:**

عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَهُ الْإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ كَانَ صَائِمًا فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارُ **أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لَا وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ** وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ فَأَصْبَحَ فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ} [البقرة: 187] فَفَرِحُوا بِهَا

[198]) أصل الكلمة من: دَجَن بَالْمَكَانِ يَدْجُن دُجوناً: أَقام بِهِ وأَلِفَه. ابْنُ الأَعرابي: أَدْجَنَ، مِثْلُهُ، أَقام فِي بَيْتِهِ، ودَجَن فِي بَيْتِهِ إِذا لَزِمه، وَبِهِ سُمِّيَتْ دَواجن البُيوت، وَهِيَ مَا أَلِف البيتَ مِنَ الشاءِ وَغَيْرِهَا، الْوَاحِدَةُ داجِنة (انظر معجم لسان العرب)

فَرَحًا شَدِيدًا {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الفجر} [البقرة: 187]. رواه ابن حبان، وهو حديث صحيح[199،200].

8- فى غزوة الخندق قام الصحابي جابر بن عبد الله بدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الطعام. ومن ألفاظ القصة نجد أن **المرأة هى ربة البيت، التى تعرف ما به من طعام، وما الذى يمكن أن يؤكل.** وقد قام جابر بذبح الشاة، وتقطيعها لأن هذا يحتاج إلى جهد عضلى، **أما الزوجة فقد طحنت الشعير، وصنعت العجين، وقدمته للرسول عليه السلام لما وصل. كما دعا الرسول عليه السلام امرأة - وليس رجلا- لتساعد فى الخَبز، وهذا يدل على أن الخبز كان من المهام التى تخص النساء:**

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا، **فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟** فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا، **فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا،** ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيَّ هَلًا بِهَلّكُمْ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، **وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**». فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ، **فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا** فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا**» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ.

---

[199]) إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عثمان العجلي، فمن رجال البخاري. انظر تعليق المحقق على كتاب: **"الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"** (8/ 240). تأليف محمد بن حبان بن أحمد بن حبان الدارمي. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م

[200]) صحح الألباني هذا الحديث. انظر: **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه** (5/ 314) للألباني.

(خمصـــا): جوعا. (جرابا): وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه. (داجن): ما يربى في البيوت من الغنم وغيرها ولا يخرج إلى المرعى ، وهو مشتق من الدجن وهو الإقامة بالمكان. (ففرغت إلى فراغي) فرغت امرأتي من طحن الشعير مع فراغي من ذبح البهيمة. (بُرمتها): البُرْمَةٍ هي القِدْرُ. (لا تفضحني) لا تكشف معايبي من الفضيحة. (بك وبك) فعل الله بك كذا وكذا حيث أتيت بناس كثير والطعام قليل. (فبصق) تف من ريقه الشريف صلى الله عليه وسلم لبيان مكرمته عند الله عزوجل. (بارك) دعا بالبركة. (اقدحي) اغرفي. والمغرفة تسمى المقدحة. (لتغط) تغلي وتفور من الامتلاء فيسمع غطيطها أي صوت غليانها والغطيط صوت النائم أيضا[201].

وبالنسبة لقول الرسول عليه السلام: (ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي) ، قال بعض العلماء أن معناه: فلتخبز عندي، وفي بعض النســـخ: "معك"[202]. وفى رأينا أن قول الرســـول: **(فلتخبز معى) يقصد به أن تأتى امرأة لتخبز أثناء قيام الرسول بمهمة أخرى، فكلمة (معى) لا تدل على أن الرسول سيشترك مع المرأة فى صنع الخبز، بل تدل على أنهما سيعملان فى نفس الوقت، لكن لكل منهما عمل مختلف، فالمرأة تخبز، بينما الرسول عليه السلام يقوم بغرف الطعام من البرمة (القدر)، وتوزيع الخبز واللحم على المســـلمين** الذين كان عددهم ألف رجل. واستخدام كلمة (معى) بهذا المعنى ليس غريبا، فهى تشبه قولنا: (الكهربائي سيعمل مع النجار فى البيت يوم الجمعة)، فالمقصود هنا أنهما سيعملان فى نفس الوقت، لكن كل منهما سيصلح أجهزة مختلفة فى البيت.

وقد كان عدد المسلمين الذين دعاهم الرسول عليه الصلاة والسلام للطعام ألف رجل. **وتوزيع الطعام على هذا العدد الكبير يحتاج لوقت طويل جدا، ومن غير المنطقى أن يقوم الرســول بالخَبز وتوزيع الطعام فى نفس الوقت.** وتوزيع الرسول عليه السلام للطعام موجود فى رواية أخرى بالبخارى[203] ، ذكرت أن الرســول عليه الســلام: (قَالَ: «ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا» **فَجَعَلَ**

---

[201]) انظر: معجم "الصحاح"، وكذلك: تعليق مصطفى البغا على صحيح البخارى.

[202]) "**مُخْتَصَر صَحِيحُ الإمَامِ البُخَارِي**"(3/ 44). تأليف محمد ناصر الدين الألبانى. الناشر: مكتَبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض. الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002 م

[203]) نص الرواية كاملا بالبخارى: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: «كَمْ هُوَ» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: " كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: قُلْ لَهَا: **لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ** حَتَّى آتِيَ، فَقَالَ: قُومُوا " فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا» **فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ**، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، **وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ**، قَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ»

(كدية) قطعة صلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول. (معصوب) مربوط من شدة الجوع. (كثيبا) تفتتت حتى صارت كالرمل. (أهيل) ينهال فيتساقط من جوانبه ويسيل من لينه. (أهيم) بمعنى أهيل. (عناق) الأنثى من ولد المعز. (البرمة) القدر. (قد إنكسر) لان وتمكن فيه الخمير. (الأثافي) جمع الأثفية

يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، **وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ)**

(تضاغطوا) تزدحموا. (يخمر) يغطي (البُرمة): القدر. (التنور): الفرن الذى يخبز فيه.

9- فى رواية أخرى مشابهة للسابقة نجد أن **زوجة الصحابى أبى طلحة هى التى تقوم بالعجن والخبز:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَاوِيًا، فَأَتَى أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: **مَا عِنْدَنَا إِلَّا نَحْوُ مُدٍّ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ**، قَالَ: **فَاعْجِنِيهِ، وَأَصْلِحِيهِ** عَسَى أَنْ نَدْعُوَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَأْكُلَ عِنْدَنَا. قَالَ: **فَعَجَنَتْهُ وَخَبَزَتْهُ** ، فَجَاءَ قُرْصًا فَقَالَ: ادْعُ لِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَاسٌ- قَالَ مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ: أَحْسِبُهُ بَضْعَةً وَثَمَانِينَ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبُو طَلْحَةَ يَدْعُوكَ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "أَجِيبُوا أَبَا طَلْحَةَ" ، فَجِئْتُ مُسْرِعًا حَتَّى أَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ وَأَصْحَابُهُ ، قَالَ بَكْرٌ: فَقَفَدَنِي قَفْدًا. وَقَالَ ثَابِتٌ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ بِمَا فِي بَيْتِي مِنِّي ، وَقَالَا جَمِيعًا عَنْ أَنَسٍ: فَاسْتَقْبَلَهُ أَبُو طَلْحَةَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا قُرْصٌ ، رَأَيْتُكَ طَاوِيًا ، **فَأَمَرْتُ أم سليم ، فجعلت ذلك قُرْصًا** ، قَالَ: فَدَعَا بِالْقُرْصِ وَدَعَا بِجَفْنَةٍ ، فَوَضَعَهُ فِيهَا ، وَقَالَ:"هَلْ مِنْ سَمْنٍ؟ " ، قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: وَكَانَ فِي الْعُكَّةِ شَيْءٌ ، فَجَاءَ بِهَا ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو طَلْحَةَ يَعْصِرَانِهَا حَتَّى خَرَجَ شَيْءٌ ، فَمَسَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ سَبَّابَتَهُ ، ثُمَّ مَسَحَ الْقُرْصَ فَانْتَفَخَ ، وَقَالَ:"بِسْمِ اللَّهِ" فَانْتَفَخَ الْقُرْصُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَالْقُرْصُ يَنْتَفِخُ حَتَّى رَأَيْتُ الْقُرْصَ فِي الْجَفْنَةِ يَتَمَيَّعُ، فَقَالَ: "ادْعُ عَشْرَةً مِنْ أَصْحَابِي" ، فَدَعَوْتُ لَهُ عَشْرَةً، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي وَسَطِ الْقُرْصِ ، وَقَالَ: "كُلُوا بِسْمِ الله" فأكلوا حول الْقُرْصِ حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ قَالَ: "ادْعُ لِي عَشْرَةً" فَلَمْ يَزَلْ يَدْعُو عَشْرَةً عَشْرَةً ، يَأْكُلُونَ من ذلك القرص ، حتى أكل منه بضع وَثَمَانُونَ مِنْ

وهي الحجارة التي تنصب وتوضع عليها القدر. (طعيم) مصغر طعام وصغره لقلته. (تضاغطوا) تزدحموا. (يخمر) يغطي (البُرمة): القدر. (التنور): الفرن الذى يخبز فيه

حَوَالَيِ الْقُرْصِ حَتَّى شَبِعُوا ، وَإِنَّ وَسَطَ الْقُرْصِ حَيْثُ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ كما هو[204].

****

أحسب الآن أن المسألة قد حسمت بعد هذه الروايات. ومن السخف أن يقول البعض أن خدمة السيدة فاطمة والسيدة أسماء بنت أبي بكر لزوجيهما تدخل فى باب الفضل والإحسان، ولم تكن من واجباتهم الشرعية[205]، فها قد استخرجنا روايات عديدة تثبت أن **قيام المرأة بأعمال البيت كان ظاهرة عامة، وليس تطوعا من امرأة محسنة.** ثم ما الذى دعاهم لتأويل المدلول الواضح للقصتين على هذا النحو؟ هل استوحوا هذا التأويل من نصوص أخرى من الكتاب والسنة تقول أن خدمة المرأة لزوجها ليست فرضا؟ **هل حدث مرة أن رأى الرسول عليه السلام امرأة تخدم زوجها، فقال لها: (سيجازيك الله خيرا على خدمتك لزوجك، فخدمته ليست فرضا عليك)؟ هل حدث يوما أن جاء رجل يشكو للرسول من أن زوجته لا تخدمه، فأخبره الرسول أن هذا حقها، وأن عليه أن يشترى لها خادما، أو يساعدها بنفسه فى أعمال البيت بعد عودته من العمل؟** لم يحدث شيء من هذا قط.

ويرد ابن القيم على هؤلاء المتأولين بمنطق قاطع، قائلا: **[وَقَوْلُهُمْ: إنَّ خِدْمَةَ فاطمة وأسماء كَانَتْ تَبَرُّعًا وَإِحْسَانًا يَرُدُّهُ أَنَّ فاطمة كَانَتْ تَشْتَكِي مَا تَلْقَى مِنَ الْخِدْمَةِ، فَلَمْ يَقُلْ لعلي: لَا خِدْمَةَ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا هِيَ عَلَيْكَ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُحَابِي فِي الْحُكْمِ أَحَدًا، وَلَمَّا رَأَى أسماء وَالْعَلَفَ عَلَى رَأْسِهَا، والزبير مَعَهُ لَمْ يَقُلْ: لَهُ لَا خِدْمَةَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ هَذَا ظُلْمٌ لَهَا، بَلْ أَقَرَّهُ عَلَى اسْتِخْدَامِهَا، وَأَقَرَّ سَائِرَ أَصْحَابِهِ عَلَى اسْتِخْدَامِ أَزْوَاجِهِمْ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ مِنْهُنَّ الْكَارِهَةَ وَالرَّاضِيَةَ**

---

[204]) إسناده حسن ، رجاله رجال الشيخين غير مبارك بن فضالة فقد روى له البخاري تعليقا وأصحاب السنن وهو صدوق ، وقد صرح بالتحديث ، فانتفت شبهة تدليسه ، وأبو طلحة: هو زيد بن سهل الأنصاري زوج أم سليم والدة أنس. وهو في"مسند أبي يعلى" ، وأخرجه الفيريابي في"دلائل النبوة" عن هدبة بن خالد ، بهذا الإسناد ، وأورده الحافظ ابن كثير في"شمائل الرسول" عن أبي يعلى، وقال بإثره: وهذا إسناد على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه ، ثم ذكر لحديث أنس هذا طرق كثيرة تحت عنوان ذكر ضيافة أبي طلحة الأنصاري رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ظهر في ذلك اليوم من دلالات النبوة في تكثير الطعام النذر حتى عم منه هنالك من الضيفان وأهل المنزل والجيران ثم قال: فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه شاهد ذلك على ما فيه من اختلاف عنه في بعض حروفه ، ولكن أصل القصة متواترة لا محالة كما ترى ، ولله الحمد والمنة ، فقد رواه عن أنس بن مالك: إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وبكر بن عبد الله المزني ، وثابت بن أسلم البناني، والجعد بن عثمان ، وسعد بن سعيد أخو يحيي بن سعيد الأنصاري ، وسنان بن ربيعة ، عبد الله بن أبي طلحة ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ، ومحمد بن سيرين ، والنضر بن أنس، ويحي بن عمارة بن أبي حسن ، ويعقوب بن عبد اله بن أبي طلحة. انظر تعليق شعيب الأرنؤوط على الحديث فى " **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"** (12/ 94).

[205]) قال ابن حزم: [قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: لَا حُجَّةَ لِأَهْلِ هَذَا الْقَوْلِ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَا مِنْ غَيْرِهَا: أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَمَرَهُمَا بِذَلِكَ إنَّمَا كَانَتَا مُتَبَرِّعَتَيْنِ بِذَلِكَ، وَهُمَا أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْمَبَرَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَنَحْنُ لَا نَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ إنْ تَطَوَّعَتْ الْمَرْأَةُ بِهِ، إنَّمَا نَتَكَلَّمُ عَلَى سِرِّ الْحَقِّ الَّذِي تَجِبُ بِهِ الْفُتْيَا وَالْقَضَاءُ بِإِلْزَامِهِ] نقلا عن: **"المحلى بالآثار"** (9/ 228) لابن حزم.

هَذَا أَمْرٌ لَا رَيْبَ فِيهِ. وَلَا يَصِــحُّ التَّفْرِيقُ بَيْنَ شَــرِيفَةٍ وَدَنِيئَةٍ وَفَقِيرَةٍ وَغَنِيَّةٍ **فَهَذِهِ أَشْــرَفُ نِسَــاءِ الْعَالَمِينَ، كَانَتْ تَخْدِمُ زَوْجَهَا وَجَاءَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ الْخِدْمَةَ، فَلَمْ يُشْكِهَا]**[206].

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

[206]) **"زاد المعاد في هدي خير العباد"** (5/ 170)

المهر والمتعة وأشياء أخرى

من ينادون بأن المرأة ليس من واجبها أن تقوم بأعمال البيت يرتكبون مغالطة شنيعة: إنهم يقولون أن المرأة ليس عليها خدمة الزوج لأن الرجل يدفع المهر مقابل استمتاعه بالزوجة، أى مقابل ممارسة الجماع معها، وما دامت المرأة قد قدمت المتعة للرجل، فقد فعلت كل ما هو مطلوب منها، وليس عليها شيء آخر. ونحن نرفض هذا الكلام تماما.

وفى البداية **نحن لا ننكر أن المهر مقابل الاستمتاع**، فهذا يستند إلى حديث: " أَيُّما امرأةٍ نَكَحَتْ بغير إذن مواليها؛ فنكاحها باطل (ثلاث مرات) ، فإن دخل بها؛ فالمهر لها بما أصاب منها، فإن تشاجروا؛ فالسلطان وَلِي من لا وَلِي له"[207]. وقال ابن قاسم: "المهر في مقابلة الاستمتاع".[208] ومع ذلك أنكر بعض العلماء هذه القاعدة على أساس أن كلا من الرجل والمرأة يستمتع بالآخر[209]. ونحن لا نتفق معهم لأن من المعروف علميا أن شعور الرجل بالحاجة إلى الجماع أشد من شعور المرأة، وهذا يبرر دفع الرجل للمهر، فهو الأشد رغبة من المرأة.

ومع ذلك فقاعدة "**المهر مقابل الاستمتاع**" **ليست مطلقة، أى أنها ليست القاعدة الوحيدة التى تحكم العلاقة بين الرجل وزوجته.** ولو كانت هذه هى القاعدة الوحيدة لجاز لنا أن نقول أن الرجل لا واجب عليه تجاه زوجته غير المهر، فلا يحق لها أن تطالبه بالنفقة والطعام والشراب والكساء والدواء. ولا أحد يقبل بذلك، وهو ضد القرآن والسنة. وإن سرنا وراء نفس هذا المنطق فسنجد أن الزوجة ما دامت قد أعطت الزوج متعة الجماع فليست ملزمة بإرضاع طفلها، وعلى الزوج أن يوفر لها مرضعة. كما ستصبح الزوجة غير مطالبة بأن تسهر بجوار ابنها المريض، وسيكون

---

[207]) قال الألباني: [حديث صحيح، و صححه ابن معين وابن الجارود وابن حبان والحاكم والذهبي وابن عدى وابن الجوزي، وقال الترمذي: " حديث حسن ". إسناده: حدثنا محمد بن كثير: أخبرنا سفيان: أخبرنا ابن جريج عن سليمان ابن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة. حدثنا القعنبي: ثنا ابن لهيعة عن جعفر- يعني: ابن ربيعة- عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... بمعناه. قال أبو داود: " جعفر لم يسمع من الزهري، كتب إليه ". قلت: هذا حديث صحيح، ورجال الإسنادين إلى ابن شهاب ثقات؛ غير ابن لهيعة، فهو سيئ الحفظ، فيصلح للمتابعة.وابن جريج إنما يخشى من تدليسه، وقد صرح بالتحديث في رواية عبد الرزاق وغيره عنه، كما حققته في "الإرواء" ؛ فالإسناد جيد، ويتقوى بطريق ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة. وكون هذا لم يسمع من الزهري- كما جزم به المصنف- لا يضر؛ ما دام أن الزهري كتب إليه، والكتابة حجة]. انظر: "**صحيح سنن أبي داود**" (6/ 320) للألباني.

[208]) **الإحكام شرح أصول الأحكام** (4/ 38). تأليف عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي. الطبعة الثانية، 1406 هـ

[209]) قال الألبانى: وقول بعضهم: "إن عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام" مردود بأن الاستمتاع حاصل للمرأة أيضا بزوجها فهما متساويان في هذه الناحية". انظر: "**آداب الزفاف في السنة المطهرة**". صفحة 288.

على الزوج أن يستأجر ممرضة. وإن اتسخت ملابس طفلها فستتركها كما هي لأنها ملزمة بالجماع فقط! أهذا معقول؟ إن منطقهم يؤدى إلى نتائج شنيعة.

إننا نوافق على أن المهر مقابل الجماع، فهذا ما يقول به الحديث، لكننا لا نوافق أبدا على اتخاذ هذا سبيلا لاستنتاج أن المرأة لا يجب عليها خدمة زوجها، فهذا ما لا وجود له فى أى حديث من الأحاديث. إن من الخطأ الفادح أن نلخص الزواج فى كلمتين: المهر والجماع. وما الفرق إذن بين الزواج والزنى؟ أوليس الزانى يدفع هو الآخر أجرا لفتاة الليل مقابل لقائه الحرام معها؟ الواقع أن الزواج به من الحقوق والواجبات أكثر من المهر والجماع. **ولو كان كل ما هو مطلوب من المرأة تجاه زوجها أن تسلمه جسدها كل يوم، لما فرض الله على المرأة أن تطيع زوجها في الأمور الأخرى، ولما أعطى الزوج الحق فى أن يعاقبها إن عصته فى غير الفراش.**

إن الرجل يقدم للزوجة المهر وفى المقابل تقدم المرأة له المتعة. هذه معادلة لكنها ليست كل شىء إذ أن **الرجل يفعل ما هو أكثر من تقديم المهر: إنه يقدم للمرأة النفقة والغذاء والكساء والدواء والحماية، فماذا تقدم المرأة مقابل ذلك الشىء الإضافى؟** لا بد أن هناك معادلة أخرى: الرجل يعمل خارج البيت لينفق على المرأة، والمرأة تخدم زوجها وأولادها داخل البيت. وبدون ذلك لن يكون هناك عدل فى العلاقة الزوجية.

يقول الألبانى: (ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أوجب على الزوج شيئا آخر لزوجته ألا وهو نفقتها وكسوتها ومسكنها فالعدل يقتضي أن يجب عليها مقابل ذلك شيء آخر أيضا لزوجها وما هو إلا خدمتها إياه)[210].

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

[210]) **"آداب الزفاف في السنة المطهرة "** للألباني. صفحة 288

المرأة لا تخدم زوجها فقط

عبارة: (خدمة المرأة لزوجها) عبارة مضللة لأنها توهم بأن المرأة تتعب فى البيت من أجل زوجها فقط، بينما الحقيقة أن أغلب عمل البيت يرتبط بالأولاد، فالأولاد هم الذين لا يصبرون على الطعام، وهم الذين يجعلون الفوضى تدب فى البيت؛ وهم الذين يلعبون، فتتسخ ملابسهم بمجرد أن يرتدوها؛ وهم الذين لا يحسنون الأكل، فيقع الطعام على الأرض؛ وهم الذين يحتاجون لمن ينظفهم بعد البول والبراز، ومن يراقبهم طوال الوقت حتى لا يكسروا الأثاث، وحتى لا يؤذوا أنفسهم. والأولاد هم أكثر من يمرض، فتسهر الأم بجوارهم. وإن كان لها طفل رضيع فهو الذى يبقيها طوال الليل مستيقظة بسبب الجوع أو المغص أو الحر أو البرد.

يمكن أن نقول أن **المرأة إن كانت تتعب فى البيت قيراطا من أجل الزوج فهى تتعب من أجل الأولاد أربعة وعشرين قيراطا، فضلا عن أنها تتعب من أجل نفسها أيضا،** فإن كانت الأسرة مكونة من ستة أفراد فالزوج يحتاج على أكبر تقدير إلى سدس المجهود الذى تبذله المرأة من أجل الأسرة كلها، والحقيقة أنه يحتاج إلى ما هو أقل من ذلك (ربما 10%) لأن الطفل الواحد يأخذ مجهودا من الأم أضعاف ما يأخذه الرجل الكبير. إذن **طرح القضية بطريقة: "هل يجب على المرأة خدمة زوجها أم لا؟" يعد تزييفا للواقع. والمرأة التى تتهرب من أعمال البيت هى فى الحقيقة تتهرب من رعاية أولادها، وهى أخس مما تظنون.**

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

خدمة البيت لا تدعو للخجل

ما العيب أن يعمل إنسان من أجل راحة إنسان آخر؟ أليس رئيس الجمهورية خادما للشعب؟ أليس الطبيب خادما للمرضى؟ كلنا خدام. والله تعالى يخبرنا أن كل إنسان منا مسخر لخدمة الآخرين: **(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)** [الزخرف: 32]

وكلمة "سخريا" التى استخدمها القرآن كلمة قاسية، لكنها تسرى على كل الناس، فكل إنسان مسخَّر ومسخَّر له، وهذا يدعو كل خادم لأن لا يخجل من خدمته للآخرين، وذلك لأن الآخرين أيضا يخدمونه.

ثم أليس الزوج هو الآخر خادما لزوجته؟ ألا يعمل بشكل دءوب كل يوم ليلبى لها احتياجاتها؟ وإن قيل : فلماذا إذن يستنكف الرجل من العمل فى البيت؟ قلنا هذا قياس خاطيء، ومن واجب الرجل أن يشعر بالخجل من العمل فى البيت، ليس لأن العمل فى البيت حقير، ولكنه لأن فيه تشبه بالنساء، ومن العار على الرجل أن يتشبه بالمرأة، كما أن من العار على المرأة أن تتشبه بالرجل، وهذا لا يختلف عن رجل خرج للشارع وهو يضع أحمر شفاه أو يرتدى حذاء بكعب عال.

لقد تمردت المرأة المعاصرة على عمل البيت، وكأنه سبة، لم تستطع أن تتحمل عارها وحدها، فسعت إلى أن يشاركها فيها زوجها. ألا فلتعلم هذه المرأة أن رموز الإسلام من النساء كن يخدمن أزواجهن، وذلك فى عصر كانت وسائل الراحة فيه شبه معدومة. **أتخجل إحداكن مما كانت تعمله السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجة على بن أبى طالب، وأم الحسن والحسين؟** لقد كانت السيدة فاطمة تعمل فى بيتها، وتطحن بالرحى حتى كلت يديها، فعن علي بن أبى طالب: أن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق ، فلم تصادفه ، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء أخبرته عائشة ، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبنا نقوم فقال: على مكانكما ، فجاء فقعد بيني وبينها ، حتى وجدت برد قدمه على بطني فقال: "" ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضجعكما؛ فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبرا ثلاثا وثلاثين؛ فهو خير لكما من خادم " .

وأســـماء بنت أبى بكر هى الأخرى كانت تعمل فى بيتها، وتشـــقى فى خدمة زوجها، وقالت فى ذلك: "تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ، وَلاَ شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي المَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَـارِ، وَكُنَّ نِسْـوَةَ صِـدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ....." متفق عليه ، واللفظ للبخارى.

أيتها المرأة المعاصرة: ارفعى رأسك، فأنت تتشبهين بخيرة نساء العالمين.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل مهنة الخادمة حلال أم حرام؟

الحل الذى تقدمه بعض الزوجات للتهرب من عمل البيت هو الاســـتعانة بخادمة. ونحن نرى أن هذا أمر لا يجوز شرعا فى أغلب الأحوال.

إننا لا يمكن من حيث المبدأ أن نحرم وظيفة الخادم، فمن حكمة الله تعالى أن رفع بعض الناس على بعض، وميز بعضهم على بعض حتى يحتاج كل واحد للآخرين مصداقا لقوله تعالى : **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: 32]**. الفقير مسخر لخدمة الغنى، والغنى مسخر لخدمة الفقير. ولو كان الناس كلهم أصحاب ملايين لما رضي أحد بأن يعمل سباكا أو نجارا، وإن انفجرت ماسورة مجاري غرقت الشوارع فى القذارة، ولم يصلحها أحد.

ليس هناك من حيث المبدأ غبار على أن يقوم إنسان غنى بالتماس الراحة عن طريق مساعدة إنسان آخر فقير مقابل أجر. ومع ذلك فالخدمة فى البيوت تمثل حالة خاصة لأنها تتعارض مع مبدأ آخر من مبادىء الشريعة ألا وهو ضرورة تجنب الاختلاط بين الرجال والنساء وضرورة أن تبقى المرأة قريبة من أهلها وتحت رقابتهم باستمرار. لابد إذن من **ضوابط لوجود الخدم فى البيوت**.

وبالنسبة لهذه المسألة سنجد أن عصرنا يختلف عن عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين كان الخدم فى الغالبية العظمى من الحالات من العبيد، وهذا ما نعرفه من خلال مراجعتنا للروايات التى تحتوى على كلمة "خادم" أو "يخدم" أو"أخدم". وحتى لو كان بعض هذه الأحاديث ضعيفا فسيظل صالحا للاستشهاد به لأن من اخترعوا هذه الروايات كانوا ولا شك يعبرون عن الظروف الاجتماعية السائدة فى عصر الرسول والعصر القريب منه. وإليكم الآن بعضا من هذه الروايات ، مع ملاحظة أننا لا يهمنا مضمونها بقدر ما يهمنا أن نعرف منها أن مهنة الخادم كانت مرتبطة أساسا بالرقيق. وانتبه إلى أن كلمة (خادم) فى اللغة تشير إلى الشخص الذى يخدم سواء كان رجلا أو امرأة:

- عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **إِنَّ لِي جَارِيَةً، هِيَ خَادِمُنَا وَسَانِيَتُنَا، وَأَنَا أَطُوفُ عَلَيْهَا، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ**، فَقَالَ: «اعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»، فَلَبِثَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْجَارِيَةَ قَدْ حَبِلَتْ، فَقَالَ: «قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا» رواه مسلم . **وهنا نجد بوضوح أن الخادمة كانت جارية يحل لصاحبها جماعها.**

- **فى رواية أخرى نجد أن السيدة فاطمة كانت تريد من الرسول عليه السلام أن يعطيها عبدا، تتخذه خادما.** عن عَلِيٌّ، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، **وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ**، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا – أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا – فَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، **فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**» متفق عليه، واللفظ للبخارى.

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «**إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ خَادِمًا** فَلْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا، وَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا، وَخَيْرِ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ» "[211]. ولاحظ هنا أن **الخادمة تُشترى، وهذا يعنى أنها أمة، وليست حرة.**

- وفى إحدى الروايات نجد **سبعة إخوة يمتلكون خادمة واحدة، فضربها أحدهم يوما، فأمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعتقوها عقابا لهم، وهذا يدل على أنها لم تكن حرة:** عن هلال بن يساف قال: كُنَّا نَبِيعُ الْبَزَّ فِي دَارِ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ، **فَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ**، فَقَالَتْ لِرَجُلٍ شَيْئًا، فَلَطَمَهَا ذَلِكَ الرَّجُلُ. فَقَالَ لَهُ سُوَيْدُ بْنُ مُقَرِّنٍ: أَلَطَمْتَ وَجْهَهَا؟! لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ **وَمَا لَنَا إِلَّا خَادِمٌ فَلَطَمَهَا بَعْضُنَا، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يعتقها**. وهذا حديث صحيح، رواه البخاري فى الأدب المفرد.[212]

---

[211]) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ حِبَّانُ بْنُ عَلِيٍّ، وَقَدْ وُثِّقَ عَلَى ضَعْفِهِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ. انظر: **"مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"** للهيثمي (10/ 141).

[212]) **صحيح الأدب المفرد**. صفحة 87

- **وفى إحدى الروايات نجد رجلا يقدم تعويضا عن جريمة ارتكبها ابنه، وكان التعويض مائة شاة وخادم. وطبعا لا يمكن لأحد أن يقدم خادما كتعويض إلا إذا كان هذا الخادم من الرقيق:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، قَالاَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ، وَكَانَ أَفْقَهَ مِنْهُ، فَقَالَ: صَدَقَ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ» فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا فِي أَهْلِ هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، **فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَخَادِمٍ**، وَإِنِّي سَأَلْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي جَلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيبَ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، المِائَةُ وَالخَادِمُ رَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَيَا أُنَيْسُ اغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَسَلْهَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا» فَاعْتَرَفَتْ فَرَجَمَهَا. متفق عليه، واللفظ للبخارى.
- وفى إحدى الروايات **وعد الرسول عليه السلام أحد أصحابه بأن يعطيه خادما من الأسرى. وفى ذلك العصر كان الأسير الذى لا يدفع فدية يتحول إلى عبد:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي الْهَيْثَمِ: " **هَلْ لَكَ خَادِمٌ؟** ". قَالَ: لَا. قَالَ: "**فَإِذَا أَتَانَا سبيٌ، فأتِنا**". فَأُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْسَيْنِ لَيْسَ مَعَهُمَا ثالثٌ، فَأَتَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اخْتَرْ مِنْهُمَا". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اخْتَرْ لِي. فَقَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، خُذْ هَذَا؛ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي، وَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا". فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: مَا أَنْتَ بِبَالِغٍ مَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أن **تعتقه. قال: فهو عتيق**" وهذا حديث صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد.[213]

ومن الأحاديث السابقة يتبين لنا أن الخدم فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كانوا من الرقيق. **ولم أجد من الروايات ما يقول بأن هناك امرأة حرة أقامت فى بيت قوم غرباء كخادمة.** والسبب فى ذلك أن الإسلام حذر من الاختلاط بين الرجال والنساء. والحديث التالي يثبت ذلك: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ» متفق عليه.

---

[213]) **صحيح الأدب المفرد**. صفحة 113

وفى هذا الحديث الأخير حذر الرسول عليه السلام من اختلاط الرجال بالنساء، فلما تساءل أحد الصحابة عن اختلاط المرأة بالحمو (أحد أقارب زوجها) رفض الرسول عليه السلام ذلك، بل حذر من الأقارب بدرجة أشد لأن التساهل معهم قد يفضى إلى الخطيئة. و"الحمو" فى هذا الحديث[214] – كما بيَّن النووي– كلمة تشير إلى أحد أَقَارِبُ الزَّوْجِ غَيْرُ آبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ فَأَمَّا الْآبَاءُ والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها، وانما المراد الأخ وابن الْأَخِ وَالْعَمُّ وَابْنُهُ وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ وَعَادَةُ النَّاسِ الْمُسَاهَلَةُ فِيهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الْحَمْوُ الْمَوْتُ" فَمَعْنَاهُ أَنَّ الْخَوْفَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ وَالشَّرُّ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ وَالْفِتْنَةُ أَكْثَرُ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَالْخَلْوَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْهِ بِخِلَافِ الأجنبى[215].

أعلم أن الكثيرين سيتهموننا بالتشدد، لكن العيب فيهم، وليس فينا. ولن نقول لهم شيئا إلا أن **نذكرهم بحادثة الإفك الشهيرة التى كان سببها مجرد خلوة وقعت بين رجل صالح وامرأة صالحة فى ظروف اضطرارية،** حيث ترك جيش المسلمين السيدة عائشة وحدها فى الصحراء، فعثر عليها صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ، فاصطحبها معه بدلا من أن يتركها تموت، فترتب على ذلك إشاعات واتهامات استمرت لأكثر من شهر حتى نزل الوحى معلنا براءة أم المؤمنين. فما بالك بما يحدث فى عصرنا من خلوة للرجال بالنساء لفترات طويلة كل يوم فى الشركات والمكاتب والبيوت؟ إننا فى ضياع.

إن من المعروف أن الرجل المسـلم يحق له أن يجامع جاريته، فلا حرج إذن فى أن تقيم الجارية فى بيت سـيدها، ففى هذه الحالة سـتكون شـبيهة بالزوجة. و**من الخطأ أن يقول البعض بكل سـطحية أنه مادامت وظيفة الخادمة كانت معروفة على عهد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم فهذا دليل على جواز اتخاذ الخادمات فى البيوت اليوم. هذه مغالطة، فالخدم فى الماضـى كانوا من العبيد، وقد ولى عصر الرق،** ولم يعد هناك مبرر شرعى لقبول تواجد امرأة حرة فى بيت قوم غرباء؟

---

[214]) قال النووي: (اتَّفَقَ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الاحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وبن أخيه وبن عَمِّهِ وَنَحْوِهِمْ. وَالْأُخْتَانِ أَقَارِبُ زَوْجَةِ الرَّجُلِ وَالْأَصْهَارُ يَقَعُ عَلَى النَّوْعَيْنِ). انظر: **"المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"** (14/ 154)

وفى معجم لسـان العرب: حَمْوُ المرأَة وحَمُو ها وحَما ها: أَبو زَوْجها وأَخُو زَوْجِهَا، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْ قِبَلِه. يُقَالُ هَذَا حَمُوها ورأَيت حَمَاها وَمَرَرْتُ بحَمِيها، وَهَذَا حَمٌ فِي الِانْفِرَادِ. وكلُّ مَنْ وَلِيَ الزوجَ مِنْ ذِي قَرابته فَهُمْ أَحْماء المرأَة، وأُمُّ زَوجها حَمَاتُها، وكلُّ شَيْءٍ مِنْ قِبَلِ الزَّوْجِ أَبوه أَو أَخوه أَو عَمُّهُ فَهُمُ الأَحْماءُ، والأُنثى حماةٌ، لَا لُغَةَ فِيهَا غَيْرُ هَذِهِ.

[215]) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"** (14/ 153)

ولم أجد من الأحرار من عمل كخادم سوى بعض الرجال، أغلبهم خدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التطوع.

وأول هؤلاء أنس بن مالك، الذى كان غلاما ابن ثمان أو عشر سنين حين جاءت به أمه متطوعة ليخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى عنه: "قَدِمَ رَسُوْلُ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – المَدِيْنَةَ وَأَنَا ابْنُ ثَمَانِ سِنِيْنَ، فَأَخَذَتْ أُمِّي بِيَدِي، فَانْطَلَقَتْ بِي إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! لَمْ يَبْقَ رَجُلٌ وَلاَ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلاَّ وَقَدْ أَتْحَفَكَ بِتُحْفَةٍ، وَإِنِّي لاَ أَقْدِرُ عَلَى مَا أُتْحِفُكَ بِهِ إِلاَّ ابْنِي هَذَا، فَخُذْهُ، فَلْيَخْدُمْكَ مَا بَدَا لَكَ. قَالَ: فَخَدَمْتُهُ عَشْرَ سِنِيْنَ، فَمَا ضَرَبَنِي، وَلاَ سَبَّنِي، وَلاَ عَبَسَ فِي وَجْهِي" [216].

وثانيهم سَفينة أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الذى كَانَ عَبْداً لأُمِّ سَلَمَةَ، فَأَعْتَقَتْهُ، واشترطت عليه أن يخدم الرسول عليه الصلاة والسلام. وفى هذا يقول سفينة: "كنت مملوكاً لأمِّ سلمة، فقالت: أعتِقُكَ وأشترِطُ عليكَ أن تَخْدِمَ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – ما عِشْتَ، فقلتُ: إن لم تشترطي عليَّ ما فارقت رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – ما عِشْتُ، فاعتقتني واشترَطَتْ عليَّ"[217]

والثالث هو رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ ، وكان مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ[218]. خَدَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عنه أنه قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَارِي، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَوَيْتُ إِلَى بَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِتُّ عِنْدَهُ، فَلَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ: " سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ رَبِّي" حَتَّى أَمَلَّ أَوْ يُغْلِبَنِي فَأَنَامَ فَقَالَ ذَاتِ يَوْمٍ: " يَا رَبِيعَةُ، سَلْنِي فَأُعْطِكَ "، فَقُلْتُ: أَنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ وَتَذَكَّرْتُ أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ مُنْقَطِعَةٌ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ أَنْ يُنَجِّيَنِي مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: " مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ " قُلْتُ: مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنِّي عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ فَانِيَةٌ، وَأَنْتَ مِنَ اللهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ ، قَالَ: " إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ "[219] وروى عنه أيضا: كُنْتُ أَخْدُمُ

---

[216]) رَوَاهُ: التِّرْمِذِيُّ. وروى أيضا عن أَنَسٌ، قَالَ: جَاءتْ بِي أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ أَزَّرَتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا، وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! هَذَا أُنَيْسٌ ابْنِي، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ، فَادْعُ اللهَ لَهُ. فَقَالَ: (اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ). **انظر: سير أعلام النبلاء** (3/ 398) للذهبي.

[217]) أخرجه أبو داود. وإسناده حسن من أجل سعيد بن جُمهان، فهو صدوق حسن الحديث. وأخرجه ابن ماجه ، والنسائي في "الكبرى" من طريقين عن سعيد بن جُمهان، به. وهو في "مسند أحمد" . انظر تعليق المحققين على كتاب **"سنن أبي داود"** (6/ 76). تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السِّجِسْتاني. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م

[218]) "تاريخ الإسلام" للذهبي (2/ 640)

[219]) **"معرفة الصحابة"** (2/ 1089). تأليف أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. دار الوطن للنشر، الرياض. الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م

النَّبِيَّ صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ: " يَا رَبِيعَةُ، أَلَا تَتَزَوَّجُ " قُلْتُ: يَا رَسُــولَ اللهِ، مَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ امْرَأَةً، وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْ خِدْمَتِكَ شَيْءٌ"[220]

والرابع غلام يهودى خدم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، وكان على ما يبدو حرا. روى أَنَسٍ رَضِــيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ».

والخامس هو قيس بن سعد بن عبادة الذى دفعه أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخدمه. عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: " دَفَعَنِي أَبِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْدُمُهُ ". وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: " كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ مِنَ الْأَمِيرِ "[221]. وعن قيس بن سعد بن عبادة. " أن أباه دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخدمه، قال: فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وقد صليت، فضربني برجله وقال " ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله "[222].

وفى رواية أخرى نجد أن يعلَى بن مُنْيَة[223] لم يكن له عبد يخدمه ، **فبحث عن رجل حر يستأجره لفترة محددة** وكان ذلك مقابل أجر اتفقا عليه: " آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغزو، **وأنا شيخ كبير ليس لي خادم، فالتمست أجيرا يكفيني**، وأجري له سهمه، فوجدت رجلا، فلما دنا الرحيل أتاني فقال: ما أدري ما السهمان وما يبلغ سهمي؟ فسم لي شيئا، كان السهم أو لم يكن، فسميت له ثلاثة دنانير، فلما حضرت غنيمته، أردت أن أجري له سهمه فذكرت الدنانير، فجئت النبي

---

[220]) **"معرفة الصحابة"** لأبي نعيم (2/ 1090)

[221]) **"معرفة الصحابة"** لأبي نعيم (4/ 2308)

[222]) أخرجه الترمذي والحاكم وأحمد والخطيب في " التاريخ ". وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ". وقال الحاكم: " صحيح على شرط الشيخين ". ووافقه الذهبي! كذا قالا، وميمون هذا لم يحتج الشيخان به، وإنما روى له البخاري تعليقا ومسلم في المقدمة، فهو صحيح فقط. انظر: **"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** للألباني (4/ 327)

[223]) روى الحاكم عن يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ قوله: «يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ أُمَيَّةُ أَبُوهُ، وَمُنْيَةُ أُمُّهُ». انظر: **"المستدرك على الصحيحين"** للحاكم (3/ 478)

صلى الله عليه وسلم، فذكرت له أمره، فقال: "" ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة، إلا دنانيره التي سمى"[224]

وهناك ملاحظة مهمة بشأن هؤلاء الخدم الأحرار، وهى أنهم جميعا كانوا من الرجال. وحتى الرسول صلى الله عليه وسلم – وهو من هو فى التقوى والعفاف– لم يسمح لامرأة غريبة من غير ما ملكت يمينه أن تخدمه.

إذن **من ثبت من الأحرار أنهم عملوا كخادمين كانوا جميعا من الرجال الذين لا يخشى عليهم من العمل عند الغرباء،** أما فى عصرنا الحاضر فأغلب الخدم من النساء، وهؤلاء يخشى عليهن من مضايقة أهل البيت الذى يعملن فيه.

مهنة الخادم إذن من حيث المبدأ مباحة، لكن لا بد من ضـوابط صـارمة، تحول بينها وبين أن تصبح سببا لوقوع مفاسد جمة. وفى رأينا أن هذه الضوابط هى:

- **أن تكون الخادمة كبيرة السن،** وظهرت عليها علامات الشيب بوضوح حتى لا تكون هدفا لنظرات آثمة من الرجال الذين تخدمهم. وإن طبقنا هذا الشرط فسنجد أن المتاح من الخادمات سيكون قليلا جدا.
- **يجب أن تلجأ الأسرة للبحث عن خادمة فى أضيق الحدود، كما فى حالة وفاة الزوجة أو مرضها، وعدم وجود أقارب يمكنهم تقديم المساعدة للأسرة.** يجب أن تكون الخادمة هى الحل الأخير. ومن الأفضل فى مثل هذه الحالات أن يبحث الرجل عن زوجة ثانية تحمل عن الجميع أعباء المعيشة. ولا شك أن تعاون الأقارب يمكن أن يحل تماما المشاكل من هذا النوع. أعرف رجلا توفيت زوجته، وتركت له خمسة أبناء صغار، فكان أقارب هذا الرجل يتناوبون كل يوم على مساعدته فى أعمال البيت، كما لو كانت زوجته لا تزال حية.
- **إن لم توجد مثل هذه الخادمة الكبيرة فلتستعن الأسرة بخادمة صغيرة تؤدى أعمال البيت بشرط أن يكون الزوج والأولاد الذكور الكبار غائبين عن البيت،** ولا يوجد بالمنزل إلا الزوجة والبنات والأطفال. ومع ذلك ففى ظل انتشار كاميرات المراقبة داخل البيوت فى هذا العصر لا

---

[224]) أخرجه أبو داود والحاكم وعنه البيهقي. وقال الحاكم:" صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي! وعبد الله بن الديلمي - وهو ابن فيروز - لم يخرج له الشيخان، وكذلك عاصم بن حكيم الذي في الطريق إليه، وهما ثقتان، فالإسناد صحيح فقط. انظر: "**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**" (5/ 273)

تأمن الخادمة على نفسها، فقد تنقل الكاميرات صورها دون أن تشعر للزوج والأبناء الذكور وهم خارج المنزل. فإن تأكدت الخادمة من عدم وجود مثل هذه الكاميرات قامت بعملها. ولكن مع الأسف من السهل هذه الأيام إخفاء الكاميرات فى أماكن يصعب اكتشافها إلا على المتخصصين.

- **يجب أن تكون الخدمة فى الصباح ، ثم تذهب الخادمة إلى منزل أسرتها بعد الظهر لتبيت فيه دون أن تكون مقيمة إقامة كاملة لدى مخدوميها. وهذا يتطلب أن تكون الخادمة مقيمة في نفس البلد.** إن من المرفوض تماما أن تبقى امرأة بعيدة عن بيت أهلها لفترات طويلة دون أن يعلموا عنها شيئا. ولكن مع الأسف هذا لايرضى كثيرا من النساء العاملات اللائى يعتمدن على الخادمات فى كل صغيرة وكبيرة طوال النهار والليل لأنهن لا يرجعن إلى بيوتهن إلا فى المساء كل يوم. والحل هنا أن تستقيل المرأة من عملها.

إننا نسأل أى أسرة تريد خادمة فى بيتها: هل تقبلون أن تتركوا ابنتكم تبيت كل يوم فى منزل غريب بعيدا عنكم؟ وهل تقبلون أن تختلى ابنتكم برجال غرباء مهما بلغت أخلاقهم؟ إن قبل أحدكم هذا لابنته فليقبله لبنات الناس.

إنه إذا كان اختلاط الرجال بالنساء فى الأماكن العامة كالأسواق والمساجد مكروها، فالاختلاط خلف أبواب البيوت المغلقة بعيدا عن أعين الناس أشد خطرا. كما أن المرأة حين تعمل فى البيت فإن ذلك يتطلب منها التخلى عن التحفظ فى اللباس والوقار فى الحركات، فتخلع الزائد من الملابس وأغطية الرأس، وتدخل أماكن يُتحرج من الدخول إليها فى الأحوال العادية مثل غرف النوم والحمامات، وتطلع على ملابس الرجال والنساء وهى تقوم بغسلها وترتيبها. وما أقبح ذلك.

ثم إن **الخادمة قد تجد نفسها مضطرة للسكوت عن المضايقات** وسماع ما لا يجوز من الكلام الفاحش الموجه إليها من الزوج أو الأبناء المراهقين، وذلك حتى لا تفقد عملها فى هذا البيت. وهناك شىء آخر على قدر كبير من الأهمية ألا وهو التفاوت الكبير فى المستوى الاجتماعى والمالى بين أصحاب البيت والخادمة. إن هذا التفاوت قد يجعل المرأة تنظر بإعجاب إلى من تعمل لديهم، وربما تسقط صريعة أمام أول كلمة غزل من رجل فى البيت الذى تعمل فيه. **ولا تقل لى أن الفتاة الشريفة تستطيع الحفاظ على نفسها،** فالمسألة ليست دائما فى قبضة الخادمة، وهناك

من الظروف ما هو أقوى من الإنسان، **وارتكاب الفاحشة يتحدد بعدد من العوامل، ليست المرأة سوى واحد منها، وتكفى لحظة ضعف واحدة كى ينهار كل شيء. وفى المسائل المتعلقة بالزنا يكون سد الذرائع فى غاية الأهمية**، ولهذا أمر الله المؤمنين والمؤمنات، ليس فقط بترك الزنا، ولكن أيضا بغض البصر الذى يؤدى إليه.

ومن المفيد هنا أن نورد أمثلة لبعض ما يحدث للخادمات على أرض الواقع حتى لا يبقى كلامنا منحصرا فى دائرة الخطاب النظرى:

على موقع العربية على الانترنت[225] نقرأ – نقلا عن رويترز – موضـــوعا عن الخادمات فى المغرب ، وفيه نجد فيه ما يلى: تقول ناشطة حقوقية ومساعدة اجتماعية أن **الفتيات الصـغيرات الخادمات في المغرب غالبا ما يسـقطن في مشـاكل اجتماعية خطيرة ولا يكون أمامهن طريق سـوى التحول إلى الدعارة في مراهقتهن أو يتم اسـتغلالهن من طرف رب الأسـرة أو أحد أبنائه او أقاربه فتتحول الفتاة الخادمة إلى أم عازبة.**

وإذا كانت وظيفة الخادمة تحمل مخاطر جمة للخادمة نفســـها، فهي فوق ذلك تحمل مخاطر مماثلة للأسـرة التى تخدمها. ومن يدخل إلى شـبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) سـيجد الكثير والكثير من **الحكايات العجيبة عن الكوارث التى تحدث للأسـر على أيدى الخدم ابتداء من الزنا وانتهاء بالسحر**. وإليكم بعض الأمثلة على هذه الحكايات:

على موقع ســى إن إن العربية ورد خبر عن **أصــغر أب فى البحرين، وهو صــبى عمره ١٣ عاما، أقام علاقه مع خادمة إندونيســية عمرها ٣٢ عاما** موجودة فى بيت أســرته، فحملت، وأخفت حملها عن الأسـرة حتى داهمها المخاض، فوضـعت مولودا فى الحمام، وتم التأكد –من خلال تحليل دى. إن. إيه– من أن الصـبي هو الأب. وذكر الخبر أن هذه مجرد حالة واحدة من بين ثلاث حالات مماثلة[226].

---

225) **الخادمات الصغيرات في المغرب بين "الدعارة" ولقب "أم عازبة".** العربية نت. نشر فى 27 أبريل 2007. تم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022 https://www.alarabiya.net/articles/2007%2F04%2F27%2F33923

226) **أصغر أب فى البحرين عمره 13 عاما.. أنجب من خادمة إندونيسية.** موقع سى إن إن العربية. نشر بتاريخ 14 سبتمبر 2014. تم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022

http://arabic.cnn.com/middleeast/2014/09/14/bahrain-indonesian-maid

أما الكلام عن ظاهرة السحر فهو ليس إشاعات تلوكها الألسنة، ولكنها ظاهرة شديدة الشيوع، وحذر منها كبار المسئولين. فعلى موقع سبوتنيك الروسى العربى[227] نجد موضوعا عن ظاهر سحر الخادمات فى السعودية. يقول الخبر: (حذر عضو هيئة كبار العلماء، المستشار في الديوان الملكي السعودي، الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد المطلق، من **الخادمات المشتبه بهن في ممارسة السحر والشعوذة وكتابة الطلاسم والحرز في بيوت العمل.** وخلال تلقيه اتصالا هاتفيا من إحدى السيدات حول هذا الأمر، أجاز الشيخ المطلق تفتيش أغراض الخادمات في حال كن بموضع الشك والريبة والاتهام. بحسب صحيفة "سبق" الإلكترونية. وفي برنامج "سؤال على الهاتف" رد عضو هيئة كبار العلماء على المتصلة بالقول: إذا كنتم تتهمون الخادمة يجوز التفتيش، لأن بعض الخادمات، أصلحهن الله، يأخذن معهن أشياء فيها سحر، شعور أو غير ذلك، فالناس يفتشونها ليتقوا أذاها". من جهته كان المدرب في وحدة السحر بالرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ أحمد الخثلان، قد حذر الأُسر، في وقت سابق عبر برنامج "لماذا؟"، على القناة السعودية الأولى، من **أن 90 بالمئة من الخادمات اللاتي يتم استقدامهن للعمل في المنازل يجلبن معهن طلاسم وحروزا** لحماية أنفسهن فقط، وليس من أجل القيام بسحر الأسرة، مؤكدا أن علاج هذه الظاهرة ليس بتغيير الخادمات الواحدة بدل الأخرى، ولكن يكون من خلال مناصحتهن من خلال مكاتب الدعوة والإرشاد. بدورها **حذرت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت سابق من قيام الخادمات بأعمال السحر والشعوذة، ودعت العائلات إلى ضرورة متابعة عمل الخادمة في البيت** والحرص على تثقيفها دينيا والإحسان إليها).

ونشرت جريدة الرياض[228] موضوعا عن الخادمات الساحرات فى السعودية، فكان مما ذكرته اعترافات خادمة آسيوية، دبّت الغيرة بقلبها من زوجة كفيلها ومحبته لها، **فعملت على خلط دمائها مع الشاي الذي يشربه مكفولها بغية أن تسخره لها وتجعله يتعلق بها** ويكره زوجته،

---

[227]) **فى السعودية..تحذير من "سحر الخادمات" والهيئة تجيز التفتيش**. موقع سبوتنيك عربى. الخبر منشور بتاريخ: 22 نوفمبر 2018. وتم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022م.
https://arabic.sputniknews.com/20181122/%D8%B3%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9-1036934282.html

[228]) **خادمات بتهمة «سحر و شعوذة».. «الله يستر علينا !»**. صحيفة الرياض. عدد 16712. نشر بتاريخ 27 مارس 2014م- 26 جمادى الأولى 1435. وتم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022م.

https://www.alriyadh.com/921794

مضـيفةً: "كان كفيلي لا يلقي لي بالاً، فكنت أطلب منه الجوال باسـتمرار وكان يرفض، ويطلب مني أن تكون طلباتي لزوجته وليسـت له مباشـرة. كان يزداد الغيظ بقلبي، عندها **بدأت بتلويث إبرة السكر الخاصة به بدمي، وأخذت شعري، ووضعته في الأرز والسكر والدقيق وكل مكان في المنزل**، واحتفظت بشعر زوجته، ثم طلبت السفر، فلاحظ الكفيل تغير لون الشاي، ليكتشف فيما بعد أني لوثته، فاستدرجني إلى مركز الشرطة، وتم إيداعي في السجن."

وفى صـحيفة الاتحاد الإماراتية[229] نشرت سـعاد جواد قصـة **خادمة أرادت الانتقام من سـيدتها، فعملت سـحرا جعل ابنـها الصـغير يصـاب بالتشـنجات والشـلل.** ولما فتشت الشرطة أمتعتها عثرت على **قنينـة صـغيرة فيها سـائل كريه الرائحة.** وعند سؤال الخادمة أخبرتهم بأنها **كانت تعد للأسرة خلطة خاصـة من أجل أن يحبوها ولا يؤذوها، فقد وضـعت (بولاً) في القنينـة،** ثم وضـعت فيه بعض الطلاسم، وكان عليها أن تتركه لمدة شهر بعد أن تحكم إغلاقه، ثم تبدأ بوضع قطرات منه في الطعام، وعندها سيحبها جميع من في المنزل.

وفى جريدة "الاقتصـادية"[230] نشر موضـوع مخيف عن **سلسـلة من جرائم القتل البشـع للأطفال، ارتكبتـها خادمات من إثيوبيا يعملن فى السعودية.** والدافع لارتكاب هذه الجرائم البشعة هو اعتقاد الإثيوبيات أنه لا سـبيل أمامهن للتكفير عما سـبق أن اقترفنه من ذنوب أو جرائم، إلا بتقديم "قربـان"، فتبحث الواحدة منهن ببشـاعة عن هذا "القربـان" منسـلخة عن أي قيم أو أخلاق". والضـحية أو "القربان" يكون دائما طفلاً، لأنه ضـعيف، وقتله أسـهل، كما أنهن يعتقدن أن بعض الأطفال يمتلكون أرواحا شريرة، ويجب التخلص منهم.

كل هذه القصص حقيقية ، ومثلها كثير لأن الخادمة إنسانة غريبة عن الأسرة ، وليس لديها وازع يجعلها تحرص عليهم، ولهذا تسارع إلى الانتقام منهم بأبشع الوسائل إن أحست يوما بالظلم. إن الأم لو ضربت ابنتها فإن البنت لا يمكن أن تفكر فى الانتقام من والدتها لأنها تعلم أن الأم فعلت ذلك حرصا على مصلحتها، أما الخادمة فترد الصاع صاعين.

---

[229]) **سحر الخادمة الخفي.** بقلم سعاد جواد. صحيفة الاتحاد الإماراتية. نشر بتاريخ 4 مارس 2005م. تم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022م.
https://www.alittihad.ae/article/1283/2005/%D8%B3%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%AF%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%81%D9%8A

[230]) **"فوبيا الخادمات" تربك البيت السعودي.. والآباء الأكثر قلقا.** بقلم نوير الشمرى. جريدة "الاقتصادية". نشر الخبر بتاريخ 20 يوليو 2013م. وتم الدخول للموقع بتاريخ 6 مايو 2006م.

https://www.aleqt.com/2013/07/20/article_771848.html

إن بيوتنا يجب أن يكون لها خصوصية، وأن تكون محاطة بسياج من القدسية، وألا تكون أرضا مســتباحة للغرباء. إن كل بيت له أســـراره وعوراته التى لا يجوز أن يطلع عليها أحد ، ففى أحد البيوت قد يتشـــاجر الرجل كثيرا مع زوجته، وفى بيت ثان تتكلم المرأة مع حماتها بأســلوب غير لائق، وفى بيت ثالث تغضـب الابنة من أهلها الذين يريدون أن يزوجوها من رجل لا تحبه، وفى بيت رابع يسـخر الزوج باستمرار من زوجته لأنها ثرثارة، وفى بيت خامس يكتشـف الأب أن ابنه مدمن مخدرات. وهكذا لا يخلو بيت من الأسرار. ومن غير البعيد أن تقوم الخادمة بإفشاء أسرار البيت على عادة النساء اللائى لا يحفظن سرا، أو على سبيل الانتقام من سوء المعاملة.

أليس من الحكمة بعد كل هذا أن نقول بكل اطمئنان أن الاسـتعانة بالخادمات حرام، إلا فى حالة الضرورة القصوى؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المشكلة حديثا تختلف عن المشكلة قديما

إذا تأملنا بعض الشيء لوجدنا أن مسألة خدمة المرأة لزوجها كما كان الفقهاء فى الماضى يبحثونها تختلف تماما عن القضية التى يثيرها أنصار المرأة اليوم، بالرغم من اشتراكهما فى نفس العنوان. **فى الماضى كانت الفكرة تتلخص فى السؤال الآتى: هل أعمال البيت فرض على المرأة أم أن على الزوج أن يوفر خادما يريحها؟ أما اليوم فالمشكلة تتلخص فى سؤال آخر: هل أعمال البيت فرض على المرأة وحدها أم يجب على الرجل أن يشاركها فيها؟** فى الماضى كان القضية اقتصادية بحتة، فقد كانت المرأة تريد خادمة تريحها، والرجل يعترض بسبب ضيق ذات اليد، أما اليوم فقد أصبحت المرأة تعمل خارج البيت مثل الرجل، ولهذا أصبحت ترى أن من غير العدل أن تتحمل وحدها مهام البيت، ومن الواجب على الرجل أن يساعدها فى أشغال البيت مثلما تساعده فى الإنفاق على الأسرة.

هذه هى القضية اليوم، فمن الخطأ الاستشهاد بكلام الفقهاء القدامى حول قضية حديثة ما كان لخيال أحدهم أن يتصور حدوثها. **ويقينا كان أبو حنيفة سيصعق إن نُبأ أنه سيأتى يوم تهجر فيه النساء البيوت من أجل العمل جنبا إلى جنب مع الرجال الغرباء،** ولا يعُدن لأزواجهن إلا بعد انتصاف النهار أو قبيل غروب الشمس، لتصرخ الواحدة منهن فى وجه زوجها لأنه لا يساعدها في أعباء البيت، مع أنه لو طلب منها أن تستقيل من عملها لرفضت حتى لا تتخلى عن السلاح الذى يقويها فى وجهه!

ثم إن **الفقهاء لما أعفوا المرأة من أعمال البيت كان هدفهم أن يخففوا العبء عنها. ولو علم أحدهم أن رأيه سيستغل لإعفاء المرأة العاملة المعاصرة من أشغال البيت لضرب كفا بكف، وقال: "ما هذا العبث؟ لقد أردت أن أريح المرأة من العمل فى البيت فإذا بها تعمل خارجه عملا أشق وأصعب!**" إن الفقهاء القدامى فى واد، والمرأة المعاصرة فى واد آخر. **لقد طبقت الحركة النسائية فتاوى الفقهاء على ظروف لم يكن يتخيلها هؤلاء الفقهاء على الإطلاق.** هذا تزوير متعمد لآراء الفقهاء.

ويبدو لنا أن رأى **جمهور الفقهاء الذين أعفوا المرأة من أعمال البيت نبع من ظروف عصرهم،** فقد نشأت المذاهب الأربعة بعد عصر الفتوحات، حين كان المسلمون يعيشون فى ثراء، وكانت

أعداد الرقيق كبيرة، وكان كثير من هؤلاء العبيد يعملون كخدم فى البيوت. لكن **غالبية المسلمين فى عصر الرسول عليه السلام وفى عصرنا وفى أغلب العصور فقراء، كما أن الرق قد أُلغى فى العالم كله، ومن غير المقبول أن تعمل المرأة الحرة فى بيت قوم غرباء عنها، وهذا يجعل توفير خادم فى كل بيت أمرا مستحيلا.** وهنا نسأل الفقهاء: هل يكون عمل المرأة حينئذ فى بيتها تفضـــلا منها أم واجبا؟ طبعا هو واجب وفرض لأن الرجل مشـــغول فى عمله خارج البيت، فهل تتقلب الزوجة طوال اليوم على الفراش، ولا تقوم منه إلا لتجلس أمام المرآة، وتترك زوجها وأولادها دون طعام ونظافة بحجة أن على زوجها أن يوفر لها خادما؟ **لقد بنى الفقهاء القدامى رأيهم استنادا لحالة الثراء الاستثنائية التى مر بها المجتمع المسلم فى عصرهم. ولو صح رأيهم فمن الخطأ تعميمه وتطبيقه على عصرنا.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

آراء بعض كبار الفقهاء

يفرح أنصار المرأة برأى زعماء المذاهب الفقهية الكبرى حول خدمة المرأة لزوجها، ويعتبرون أن مكانة هؤلاء تحسم القضية. ولأولئك الذين تستهويهم منزلة الشخص – بصرف النظر عن حجته– نقدم الآن آراء لعدد من كبار الفقهاء من القدماء والمحدثين حول هذه القضية:

تعرض **الشيخ محمد أبو زهرة** رحمه الله إلى مسألة خدمة المرأة لزوجها، فرأى أنها واجبة عليها، خلافا لما ذهب إليه أغلب الفقهاء، وبين أن **رأى هؤلاء الفقهاء لا تؤيده نصوص السنة النبوية، كما أنه ليس محل إجماع**. يقول أبو زهرة:

«وللزوج على زوجته حق رابع **ذكرته السنة النبوية، ولم يذكره فقهاء الحنفية**، وهو القيام على شئون البيت ورعايته، والعمل فى البيت من كنس، وتنظيف بما يليق به حال زوجها من يسر أو عسر، **وهو حق جرى العرف به فى كل العصور، وجاء به الهدي النبوي الكريم**. ولهذا قالت طائفة من فقهاء السلف: **إن عليها خدمة البيت والأولاد، وبه قال أبو ثور من أصحاب الشافعي**، ولكن قال أبو حنيفة ومالك والشافعي إن عقد الزواج للعشرة الزوجية لا للاستخدام وبذل المنافع، فليس من مقتضاه خدمة البيت والقيم بشئونه، وإن إعداد البيت واجب على الزوج، وحق للمرأة، ولذلك قال تعالى: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ} [الطلاق: 6] إلا إذا كانت من بيئة يقوم نساؤهم بذلك. وليس فى أدلة الشرع ما يلزم المرأة بخدمة زوجها وأولادها وبيتها. **أما غير هؤلاء الأئمة، فقد قالوا: إن الخدمة واجبة عليها فى الدائرة التى تحددها حال الزوج المالية ومرتبته الاجتماعية التى تعلو بها زوجته، فإن كان ذا مال يخدم بالخدم والحشم، ويكون عليها الإشراف لا الخدمة، وإلا فعليها الخدمة**، وذلك لما فى الآثار الصحاح التى تثبت أن **نساء النبي صلى الله عليه وسلم كن يقمن بخدمة البيت، ونساء الصحابة كن كذلك**. ولقد قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج الزبير بن العوام: "كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكانت له فرس، فكنت أسوسها، وكنت أحش لها[231]، وأقوم عليها". ولقد ذهبت السيدة

[231]) حَشَشْتُ الحَشيشَ: قطعته. والحشيش: ما يبس من الكلأ. ولا يقال له رَطْباً حَشيشٌ. انظر الصحاح

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدة نساء العالمين إلى أبيها تشكو إليه ما تلقى فى يديها من الرحى»[232].

وبعد ذلك يلجأ الشيخ أبو زهرة إلى منطق بسيط، فيقول: «والعرف جار بأن خدمة البيت بما يليق بمثل زواجها واجبة عليها. **وإن الرجل الذى لا خادم له إن جعلنا خدمة البيت ليست عليها تكون عليه، فيقوم بالخدمة فى البيت والعمل فى الخارج، وذلك ليس من العدل فى شيء.** وأن الله سبحانه وتعالى جعل للرجال على النساء درجة، فقال تعالى: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} [البقرة: 228]. وهذه الدرجة تقتضي أن تكون خدمة البيت فوق ما بيناه من أثر، وعرف، وعدل. **ولهذا نرى أنه ليس من الشرع الإسلامي فى شيء من يقول: إن المرأة ليست عليها خدمة بيتها أو القيام على شئونه وطهي طعامها، وهو بعيد عن الإسلام بعده عن المألوف المعروف»**[233].

ويقول الشيخ سيد سابق تعليقا على ما روى عن قيام السيدة فاطمة بنت رسول الله والسيدة أسماء بنت أبى بكر بأعمال البيت:

«ففي هذين الحديثين ما يفيد بأن على المرأة أن تقوم بخدمة بيتها، كما أن على الرجل أن يقوم بالانفاق عليها. وقد شكت السيدة فاطمة رضي الله عنها ما كانت تلقاه من خدمة، **فلم يقل الرسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي لا خدمة عليها وإنما هي عليك. وكذلك لما رأى خدمة أسماء لزوجها لم يقل لا خدمة عليها، بل أقره على استخدامها. وأقر سائر أصحابه على خدمة أزواجهن.** مع علمه بأن منهن الكارهة والراضية.... وقد جرى عرف المسلمين في بلدانهم في قديم الأمر وحديثه بما ذكرنا. ألا ترى أن **أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كانوا يتكلفون الطحين والخبز والطبيخ وفرش الفراش، وتقريب الطعام وأشباه ذلك،** ولا نعلم امرأة امتنعت عن ذلك، ولا يسوغ لها الامتناع، بل كانوا يضربون نساءهم إذا قصرن في ذلك، ويأخذنهن بالخدمة. فلولا أنها مستحقة لما طالبوهن»[234]

وتعرض ابن تيمية رحمه الله لهذه المسألة، فانحاز إلى الرأى القائل بأن أعمال البيت من واجبات المرأة، وذلك لأن من مقتضيات المعاشرة بالمعروف أن تعاون المرأة زوجها كما يعاون الصاحب

---

[232]) **الأحوال الشخصية**. تأليف الشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 166-167. الطبعة الثالثة 1957م. دار الفكر العربي. القاهرة- مصر.
[233]) **الأحوال الشخصية**. تأليف محمد أبو زهرة. صفحة 167.
[234]) **"فقه السنة"** (2/ 202). تأليف سيد سابق. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الثالثة، 1397 هـ - 1977 م

صاحبه. كما أن الرجل هو سيد المرأة (طبقا لآية: الرجال قوامون على النساء)، وهي أيضا **أسيرة عند الرجل** (طبقا لحديث: فإنما هن عوان عندكم[235])، **ومن الطبيعي أن يخدم الإنسان سيده والأسير آسره[236]**. يقول ابن تيمية:

«وَتَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ عَلَيْهَا أَنْ تَخْدُمَهُ فِي مِثْلِ فِرَاشِ الْمَنْزِلِ؛ وَمُنَاوَلَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْخُبْزِ، وَالطَّحْنِ، وَالطَّعَامِ لِمَمَالِيكِهِ، وَبَهَائِمِهِ: مِثْلُ عَلَفِ دَابَّتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؟ **فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا تَجِبُ الْخِدْمَةُ، وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ**، كَضَعْفِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: لَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْعِشْرَةُ وَالْوَطْءُ، **فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مُعَاشَرَةً لَهُ بِالْمَعْرُوفِ؛ بَلْ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ الَّذِي هُوَ نَظِيرُ الْإِنْسَانِ وَصَاحِبُهُ فِي الْمَسْكَنِ إنْ لَمْ يُعَاوِنْهُ عَلَى مَصْلَحَةٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَاشَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ. وَقِيلَ – وَهُوَ الصَّوَابُ – وُجُوبُ الْخِدْمَةِ؛ فَإِنَّ الزَّوْجَ سَيِّدُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ وَهِيَ عَانِيَةٌ (أسيرة) عِنْدَهُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: وَعَلَى الْعَانِي وَالْعَبْدِ الْخِدْمَةُ؛ وَلِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ**»[237].

ووصف المرأة بالأسيرة كما سبق أن أوضحنا هو تعبير مجازي عن خضوعها لقيود الزوجية، ولا يقصد به على الإطلاق إهانة المرأة، وكيف يهين الرسول عليه السلام المرأة في نفسه اللحظة التي يوصى بها الرجل قائلا: (استوصوا بالنساء خيرا)؟ ثم إن الأسير في الإسلام ليس مهانا كما هو شائع عند غير المسلمين، ولكنه موضع شفقة وعطف ورحمة طبقا لقوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا } [الإنسان: 8، 9].

ويتفق ابن القيم مع ابن تيميه فى رأيه، فيؤكد أن التعامل بين الزوجين يجب أن يكون بالمعروف، والمعروف أن تخدم المرأة بيتها، والمنكر أن يكنس الزوج ويطحن ويخبز ويقوم بغير ذلك من أعمال

---

235) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ، وَوَعَظَ، فَذَكَرَ فِي الحَدِيثِ قِصَّةً، فَقَالَ: أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، **فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ**، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً، أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ. رواه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن القيم فى الزاد. انظر: **"آداب الزفاف في السنة المطهرة"**، صفحة271.

236) وصف المرأة بالأسيرة هو تعبير مجازي عن خضوعها لقيود الزوجية، ولا يقصد به إهانة المرأة، وكيف يهين الرسول عليه المرأة، في نفسه اللحظة التي يوصى الرجل بها؟ ثم إن الأسير في الإسلام ليس مهانا، ولكنه موضع شفقة وعطف ورحمة طبقا لقوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا } [الإنسان: 8، 9].

237) **الفتاوى الكبرى لابن تيمية** (3/ 232). دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1408هـ - 1987م

البيت، بينما تجلس زوجته مرفهة: «وَاحْتَجَّ مَنْ أَوْجَبَ الْخِدْمَةَ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ مَنْ خَاطَبَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِكَلَامِهِ، **وَأَمَّا تَرْفِيهُ الْمَرْأَةِ وَخِدْمَةُ الزَّوْجِ وَكَنْسُهُ وَطَحْنُهُ وَعَجْنُهُ وَغَسِيلُهُ وَفَرْشُهُ وَقِيَامُهُ بِخِدْمَةِ الْبَيْتِ فَمِنَ الْمُنْكَرِ**، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 228] [الْبَقَرَةِ:228] ، وَقَالَ: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} [النساء: 34] [النِّسَاءِ: 34] **وَإِذَا لَمْ تَخْدِمْهُ الْمَرْأَةُ، بَلْ يَكُونُ هُوَ الْخَادِمَ لَهَا، فَهِيَ الْقَوَّامَةُ عَلَيْهِ**. وَأَيْضًا: فَإِنَّ الْمَهْرَ فِي مُقَابَلَةِ الْبُضْعِ، وَكُلٌّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ يَقْضِي وَطَرَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، فَإِنَّمَا أَوْجَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَفَقَتَهَا وَكُسْوَتَهَا وَمَسْكَنَهَا فِي مُقَابَلَةِ اسْتِمْتَاعِهِ بِهَا وَخِدْمَتِهَا، وَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْأَزْوَاجِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعُقُودَ الْمُطْلَقَةَ إِنَّمَا تَنْزِلُ عَلَى الْعُرْفِ، وَالْعُرْفُ خِدْمَةُ الْمَرْأَةِ وَقِيَامُهَا بِمَصَالِحِ الْبَيْتِ الدَّاخِلَةِ، **وَقَوْلُهُمْ: إِنَّ خِدْمَةَ فاطمة وأسماء كَانَتْ تَبَرُّعًا وَإِحْسَانًا يَرُدُّهُ أَنَّ فاطمة كَانَتْ تَشْتَكِي مَا تَلْقَى مِنَ الْخِدْمَةِ، فَلَمْ يَقُلْ لعلي: لَا خِدْمَةَ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا هِيَ عَلَيْكَ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُحَابِي فِي الْحُكْمِ أَحَدًا، وَلَمَّا رَأَى أسماء وَالْعَلَفَ عَلَى رَأْسِهَا، والزبير مَعَهُ لَمْ يَقُلْ: لَهُ لَا خِدْمَةَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ هَذَا ظُلْمٌ لَهَا، بَلْ أَقَرَّهُ عَلَى اسْتِخْدَامِهَا، وَأَقَرَّ سَائِرَ أَصْحَابِهِ عَلَى اسْتِخْدَامِ أَزْوَاجِهِمْ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ مِنْهُنَّ الْكَارِهَةَ وَالرَّاضِيَةَ هَذَا أَمْرٌ لَا رَيْبَ فِيهِ**. وَلَا يَصِحُّ التَّفْرِيقُ بَيْنَ شَرِيفَةٍ وَدَنِيئَةٍ وَفَقِيرَةٍ وَغَنِيَّةٍ **فَهَذِهِ أَشْرَفُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، كَانَتْ تَخْدِمُ زَوْجَهَا وَجَاءَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ الْخِدْمَةَ، فَلَمْ يُشْكِهَا**، وَقَدْ سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمَرْأَةَ عَانِيَةً، فَقَالَ: («اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ»). وَالْعَانِي: الْأَسِيرُ، وَمَرْتَبَةُ الْأَسِيرِ خِدْمَةُ مَنْ هُوَ تَحْتَ يَدِهِ وَلَا رَيْبَ أَنَّ النِّكَاحِ نَوْعٌ مِنَ الرِّقِّ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: النِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ عِنْدَ مَنْ يُرِقُّ كَرِيمَتَهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَى الْمُنْصِفِ الرَّاجِحُ مِنَ الْمَذْهَبَيْنِ وَالْأَقْوَى مِنَ الدَّلِيلَيْنِ.[238].

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

[238] **"زاد المعاد في هدي خير العباد"** (5/ 170)

استئصال الأوضاع الفاسدة وليس البناء عليها

إن وجدت أوضاع فاسدة فالمنطق يقضى بأن نزيل تلك الأوضاع الفاسدة، لا أن نبحث عن حلول، تعالج المشاكل التى ترتبت عليها. على سبيل المثال إن كان ابنك يكثر من مطالبتك بالمال لأنه يريد ألا يكون أقل من زملائه المترفين، فالحل ليس بأن تبحث عن وظيفة أخرى لتوفر له النفقات، ولكن الحل أن ترفض تدليله، وتقنعه أن يرضى بحاله. وإن عانيت يوما من ألم فى ساقك بسبب ورم خبيث، فليس من الحكمة أن تكتفي بتناول حبوب تخفف الألم. والصواب أن تبحث عن طبيب يستأصل الورم نفسه.

وبالمثل إذا كان عمل المرأة يمثل انحرافا عن سـنة الله فى الكون، فالمفروض أن نعود إلى الفطرة، ونمنع عمل المرأة خارج البيت بدلا من أن نطالب الرجال بمشاركة زوجاتهم فى أعمال البيت. فلتمكث المرأة فى البيت ، ولن تحتاج من زوجها مساعدة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

متى يعمل الرجل فى البيت مع زوجته؟

فى بعض الأحيان تجد ربة البيت صعوبة فى الوفاء بأشغال المنزل بسبب مرضها، وفى هذه الحالة لن تكون هناك مشكلة فى أن يساعدها الرجل فى أعمال المنزل، بل إنه إن تقاعس عن مساعدتها يكون آثما لأنه يتوانى عن تخفيف آلام مريض، فعن ابن أبي عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**".[239]

وعلى ذلك فغير المقبول فقط هو أن تنشغل المرأة بعملها خارج البيت، ثم تطالب زوجها بمعالجة هذا الوضع الفاسد بأن يشترك معها فى تحمل أعباء المنزل. إن **عمل الرجل فى البيت يجب أن يكون استثناء فى حالات الضرورة، مثلما كان عمل المرأة خارج البيت مسموحا به كاستثناء فى حالات الضرورة.**

ولكن هناك فرق بين امرأة مريضة فعلا، وامرأة مدللة، تشكو من التعب والإرهاق دون مرض حقيقي. وكثير من النساء يشكين بشكل دائم من آلام فى الجسم والبطن والرأس دون وجود مرض حقيقي، ولكن بسبب الحالة النفسية أو الوهم. وكل الأطباء يعرفون هذا جيدا.

وعلى المرأة التى تشعر أنها مريضة أن تستقيل من عملها أولا، فإن ظلت بعدها تشعر بالتعب، وأكد الأطباء أن لديها مرضا حقيقيا عضويا، وأن شدته تتناسب مع شكواها فحينئذ يجب على زوجها أن يساعدها فى أعمال البيت.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

239) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والحميدي والحاكم وصـححه ووافقه الذهبي والخطيب في " التاريخ " وأبو الفتح الخرقي في " الفوائد الملتقطة " كلهم عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو مرفوعا. وقال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح ". وصححه الخرقي أيضـا. قلت: ورواه العراقي في " العشـاريات " من هذا الوجه مسـلسـلا بقول الراوي: " وهو أول حديث سـمعته منه " ثم قال: " هذا حديث صحيح ". وصححه أيضا ابن ناصر الدين الدمشقي. انظر: "**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**" (2/ 594)

تغيير خلق الله

قلنا فى موضع آخر أن **عمل المرأة يمثل تغييرا لخلق الله. وبالمثل عمل الرجل داخل البيت يعد تغييرا لخلق الله.** وتغيير خلق الله يعد جريمة تعهد إبليس بنشرها فى الأرض: (وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً) [النساء: 119].

إننا لا نرفض اشتغال الرجل بأعمال البيت بسبب احتقارنا لهذه الأعمال، فنحن نوقن أن الإنسان لا ينال الكرامة عند الله إلا بالتقوى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]. **وبفرض أن عمل المرأة فى البيت حقير فى نظر الناس فإن الحقير فى نظر الناس قد يكون كريما فى نظر الله.** كل ما فى الأمر أننا نرفض تغيير فطرة الله.

لقد تغيرت الفطرة التى فطر الله الناس عليها فى السنوات الأخيرة ، فأصبحنا نرى الفتيات يتكاسلن عن تعلم أشغال البيت، **وصار من الشائع أن نسمع عن رجل تزوج حديثا، ليفاجأ أن امرأته لا تحسن الطهى، فيخيم النكد على البيت من أول يوم.** ووصلت الوقاحة بكثير من الأمهات أن أصبحت تقول بكل جرأة لخطيب ابنتها أن البنت لا تجيد الطهي، وذلك حتى لا يتوقع منها الكثير بعد الزواج. ووصل الخنوع ببعض الشباب إلى أن يعد خطيبته بأن يساعدها فى أعمال البيت بعد الزواج كى ترضى عنه.

إن الفتيات اليوم يعرفن كل شىء عن المطربين والفنانين ولاعبى الكرة، لكنهن لا يرين – ولا يرى أهلهن– عيبا أن يجهلن كل شىء عن أعمال البيت. إن هناك تغيرا جذريا فى قيم المجتمع، فقديما كانت البراعة فى أعمال البيت من أهم مزايا المرأة، أما اليوم فلم تعد هذه ميزة كبيرة، بل صارت الفتاة تفخر أحيانا بجهلها لشئون البيت على اعتبار أن وظيفتها ومستقبلها العلمي أهم وأجدر، وأن أعمال البيت من اهتمامات الرعاع.

وهنا قد يثار الاعتراض التالى: إن قيام الرجل بأعمال البيت ليس شيئا ضد الفطرة ، فالأب الذى ماتت زوجته يعمل لأولاده كل ما كانت تعمله أمهم فى البيت، والشاب الذى يدرس فى بلد غريب يخدم نفسه، ومن الرجال من يمتهن وظيفة الطبخ أو كى الملابس أو يعمل فى شركات متخصصة

للنظافة، وهذه المهن لا تختلف عما تؤديه المرأة فى البيت من أشغال. ولم يشعر أحد قط بأن ممارسة الرجل لهذه الأعمال ضد الفطرة.

ونحن نقول أنه إن كان الرجل يعيش مع زوجة، فعلى المرأة الاضطلاع بأعمال البيت ، وعلى الرجل العمل خارج البيت، بحيث يكون لكلا الزوجين مهمة خاصة ومجال محدد للعمل بما يتلاءم مع قدراته ومتطلبات الأسرة. أما إن كان الرجل يعيش وحده دون أسرة فلا عيب أن يعمل كل شىء لنفسه فى البيت، ولا يمكن أن يقال حينئذ أنه يؤدى أعمالا أنثوية.

إن أعمال البيت ارتبطت بصفة الأنوثة ليس لأنها أنثوية فى ذاتها، ولكن لأنه حين نشأت الأسرة تاريخيا تم تقسيم العمل بحيث كان نصيب المرأة العمل الخفيف، الذى يلائم بنيتها الضعيفة، ويسمح بتواجدها مع الأولاد، بينما كان نصيب الرجل العمل الشاق خارج البيت.

إن عمل المرأة فى البيت أنثويا، لكنه ليس أنثويا كارتداء الفساتين الملونة، أو وضع مساحيق التجميل على الوجه، أو ارتداء العقد والحلق، أو ترقيق الصوت. أعمال البيت تكون أنثوية فقط إذا وجد زوجان فى أسرة، فهنا فقط تكتسب هذه الأعمال طابع الأنوثة، ويتحتم أن تؤديها المرأة.

إن عمل البيت له طابع أنثوى نسبى، لا مطلق. وبنفس المنطق نقول أن عمل المرأة خارج البيت لا يمكن اعتباره ذكوريا أو ضد الفطرة إذا كان الزوج ميتا أو مريضا.

أتدرى ما يشبه هذا؟

إنه يشبه الطبيب والممرض. إن إنقاذ حياة المريض يتطلب وجود كل من الطبيب والممرض، فالطبيب يشخص المرض ويكتب العلاج، بينما الممرض يركب القسطرة الوريدية (الكانيولا)، ويعطى العلاج والمحاليل. وفى الأحوال الطبيعية يرفض الطبيب أن يعمل كممرض، ويرفض الممرض أن يعمل كطبيب خضوعا لمبدأ تقسيم العمل. ولكن إن وجد الطبيب يوما مريضا ملقى على قارعة الطريق فإنه سيقوم بدور كل من الطبيب والممرض، فتراه يشخص المرض، ثم يذهب لأقرب صيدلية ليحضر الحقن والمحاليل، ويعطيها للمريض بنفسه بدلا من الممرض. وبالمثل إن قابل الممرض مصابا فى الشارع فسيمارس مهام كل من الطبيب والممرض. إذن فى الأحوال الطبيعية لا يجوز للطبيب أن يلعب دور الممرض، ولا يجوز للمرض أن يلعب دور الطبيب، لكن إن غاب

أحد الطرفين أصبح من واجب الآخر أن يتحمل المسئولية كلها. هذا وضع استثنائي. **ونفس هذا الوضع الاستثنائي يسرى على الأسرة فى بعض الأحيان، فإن كان الرجل يعيش وحده دون زوجة – كأن يكون مقيما فى بلاد غريبة أو تكون زوجته متوفاة – فلا عيب أن يؤدى عمل البيت لأن عمل البيت فى هذه الحالة لن يكون فى الحقيقة أنثويا، أما إن تواجد مع زوجته فالعيب أن يؤدى عملها لأن العمل يستحق فى هذه الحالة أن يوصف بالأنثوى**[240].

وربما قيل للتدليل على أن عمل الرجل فى البيت ليس ضد الفطرة أنه قديما على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان هناك رجال عبيد يعملون فى البيوت كخدم، فترى الخادم الذكر يقوم مثلا بطبخ الطعام لسيده. والرسول صلى الله عليه وسلم لم ينكر ذلك، بل أوصى بأن يعطى السيد للخادم بعضا مما يطبخ: "إذا جاء خادم أحدكم بطعامه قد كفاه حره وعمله، فإن لم يقعده معه ليأكل، فليناوله أكلة من طعامه"[241].

وللرد على ذلك نقول أن حالة الرق حالة استثنائية. كما أن الأصل فى الرق أن يتولى العبيد الذكور الأعمال الشاقة خارج البيت، وتتولى الإناث (الإماء) الأعمال السهلة داخل البيوت، وهذه هى الفطرة. لكن أحيانا يكون العبد ملكا لسيد فقير أو متوسط الحال، وليس لديه أعمال أو أراض أو ماشية أو تجارة يقوم عليها العبيد، فهل يجلس العبد دون عمل، ليأكل ويشرب وينام دون أن يستفيد منه سيده، أم أن المنطق يقضى بأن يقوم العبد بأعمال المنزل بدلا من زوجة سيده؟ إن الشيء الأكثر مجافاة للفطرة فى هذه الحالة أن يعيش الإنسان عالة على الآخرين دون عمل يقدمه. ثم لماذا لا نفترض أن هؤلاء العبيد أسندت إليهم الأعمال المنزلية تخفيفا عليهم بسبب ضعف أجسامهم أو نحافتهم أو كبر سنهم أو إصاباتهم السابقة فى حروب أو حوادث؟

نخلص من كل هذا إلى أن عمل الرجل في البيت ليس فى ذاته ضد الفطرة، ولكن ما هو ضد الفطرة تبادل الأدوار بين الزوجين، أى قيام الرجل بأشغال البيت فى ظل وجود زوجته، أو عمل المرأة خارج بيتها فى ظل وجود زوجها.

---

[240]) على القارىء ألا يفهم أننى أقول بأن المرأة أقل مكانة من الرجل مثل الطبيب الصغير الذى هو أقل مكانة من الطبيب الكبير ، ليس هذا مقصدى وإنما وجه التشابه أن هناك أفعالا يكون فى بعض الأحيان من غير اللائق أن نفعلها بينما فى أحيان أخرى يكون من اللائق أن نفعلها . وحين نقول أن عمل البيت غير لائق للرجل فليس ذلك لأن عمل البيت فى ذاته حقير ولكن لأنه عمل يرتبط بالجنس الآخر وتشبه جنس بجنس خطأ وحرام ولا يليق سواء تشبه الرجل بالمرأة أو تشبهت المرأة بالرجل.

[241]) رواه أحمد عن حماد بن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار سمعت أبا هريرة مرفوعا. وهذا سند صحيح على شرط مسلم . انظر: " **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**" (3/ 35)

وقد يقول البعض أن أصل الحياة الزوجية هو التعاون بين الرجل والمرأة، وهذا يوجب على الرجل مساعدة زوجته فى البيت، ويوجب على المرأة مساعدة زوجها على نفقات المعيشة بالعمل خارج البيت، والله تعالى يقول: "**وتعاونوا على البر والتقوى**"؟

ونحن نقول: **أوليس من قبيل التعاون أيضا أن يعمل الرجل خارج البيت فقط، بينما تعمل المرأة داخل البيت فقط؟ هل من المحتم أن يكون التعاون فى نفس المجال بحيث يعمل الزوج والزوجة معا فى البيت، ويعملان معا خارج البيت؟ هل تعاون أفراد الجيش يحتم عليهم أن يعملوا جميعا فى سلاح المدفعية، ويعملوا جميعا فى سلاح الطيران، ويعملوا جميعا فى سلاح البحرية؟** وهل تعاون لاعبى فريق كرة القدم يوجب على كل لاعب أن يجيد اللعب فى خط الدفاع وخط الوسط وخط الهجوم فى نفس الوقت؟ أوليس تقسيم العمل والتخصص فيه شكل من أشكال التعاون؟

إن المرأة فى البيت تؤدى وظيفة مهمة، إنها ليست عاطلة، بل تتعاون مع زوجها لأنها تريحه من مهمة تربية الأولاد وتعليمهم وتنظيف البيت وإعداد الطعام. والرجل الذى يعمل خارج البيت هو الآخر يتعاون مع زوجته حيث أنه يوفر لها المال اللازم للغذاء والكساء والدواء. ولو كان الرجل يعيش وحده لاضطر للعمل خارج البيت وداخله، ولو كانت المرأة تعيش وحدها لاضطرت للعمل خارج البيت وداخله، ولصارت الحياة شاقة مرهقة للاثنين، لكن **بالزواج تحقق التعاون، وأصبح على كل من الزوجين ممارسة مهنة واحدة. إن تعاون الرجل والمرأة موجود منذ خلق آدم وحواء، وليس مِنة تمتن بها الحركة النسائية على البشرية.**

ولا أنسى تحقيقا نشر فى كثير من الصحف الغربية منذ عدة سنوات عن ثلاث نساء سحاقيات تزوجن من بعضهن، وعشن جميعا كأزواج فى نفس البيت، فتكفلت إحداهن بالعمل خارج البيت لكسب المال والإنفاق على الأسرة، بينما تخصصت الثانية فى تنظيف المنزل، وتخصصت الثالثة فى إعداد الطعام. فهؤلاء السحاقيات أقرب للفطرة فى هذا الجانب من أنصار الحركة النسائية، فقدن وجدن أن من الأفضل للجميع أن تتخصص كل واحدة فى وظيفة بعينها بدلا من أن تعمل كل واحدة كل شىء.

إننى أقول بكل صراحة أن المرأة التى تعمل خارج البيت وداخله، بينما يعمل زوجها خارج البيت فقط، هذه المرأة مظلومة مظلومة مظلومة، ولا بد من رفع الظلم عنها، وهذا ممكن لو استقالت

من عملها وجلست فى بيتها. ولا تخشوا من قلة الدخل، فالمهم البركة. سمعت مؤخرا طبيبا دخله الشهرى عشرة آلاف جنيه، ولديه بنتان، ويريد تحديد النسل لأن راتبه لن يكفى مزيدا من الأطفال. نقلت هذا الكلام لأحد العمال في المستشفى، فضحك، وقال أن دخله أربعة آلاف جنيه فقط فى الشهر، ولديه خمسة أولاد، وهو يحمد الله على نعمته. ولست أشك فى أن من السهل على الناس اليوم الاستغناء عن كثير من الكماليات. على سبيل المثال لما ارتفعت الأسعار مؤخرا بشدة اضطرت السيدات إلى صنع الطعام بالقدر الكافى بالضبط لأفراد الأسرة، ولم يعد أحد يلقى بقايا الطعام، وتكيف الناس بسهولة مع الوضع الجديد، ولم يمت أحد من الجوع. وبالمثل بعض الناس يصرون على الانتقال من مكان لمكان بالتاكسى، لكن كثيرا من الناس ينتقلون بالميكروباص الرخيص. واليوم كثير من الناس يشترون ثلاث أو أربع قطع من الثياب الجديدة كل عام، لكننا ونحن صغار كنا نشترى ثوبا واحدا كل عام أو عامين، ولم نشعر قط بالحرمان. **إن مالا قليلا مع رضا أفضل من مال كثير مع سخط. وهذا واقع، وليس مجرد مواعظ.**

ويجب أن يكون واضحا تماما أن معارضتنا لعمل الرجل المعاصر فى البيت ليست نابعة من تحيزنا لبنى جنسنا، **فنحن لا نرضى أبدا أن تتحمل المرأة المعاصرة مسئوليات خارج البيت وداخله أكبر من تلك التى يتحملها الرجل. والرجل الذى يرضى بهذه المهزلة ظالم، والمرأة التى تعتبر هذا إنجازا حمقاء، أما المرأة التى تثور على هذا الظلم فأمامها حل بسيط: أن تستقيل من عملها، وتجلس فى بيتها مرتاحة مكرمة**، ولا أظن أن المرأة المعاصرة تحب ذلك لأنها كما تعلمون تتمسك بالعمل، وتعتبره مسألة حياة أو موت، وذلك بهدف الاستقواء أمام الزوج بالراتب، أو من أجل التسلية، أو إثبات الذات، أو الاختلاط بالرجال، أو تقليد الأخريات. فبأى حق يشكين؟

أما الرجل الذى يرفض العمل داخل البيت لأنه يغار على رجولته، فنحن نقول له: وأين كانت رجولتك حين جعلك الطمع تبحث عن موظفة كى تتزوجها، وتستفيد من راتبها؟ الحل بيدك: اطلب من زوجتك أن تبقى فى البيت، وتستقبل من وظيفتها، ولن يكون من حقها بعد ذلك أن تطالبك بالمساعدة فى أعمال المنزل.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل كان الرسول يساعد زوجاته؟

من أكثر الحجج التى يسوقها أنصار المرأة قولهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يساعد زوجاته فى البيت، فيخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخيطه. فلننظر معا إلى نصوص الأحاديث التى تفيد ذلك:

عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ يَصْنَعُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِهِ؟ فَقَالَتْ: "**كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حضرت الصلاة خرج**"[242].

وعن عروة قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: "**يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ**". **(وفي رواية قَالَتْ: "مَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ فِي بيته: يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخيط")**[243]. وخصف النعل يعنى وضع بعضها على بعض وخرزها.

وعن عَمْرَةَ: قِيلَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَاذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ **قَالَتْ: " كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ؛ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ**."[244] وفى صحيح ابن حبان: عَنْ عَمْرَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ: أنها سُئِلَتْ: مَا كَانَ عَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: **مَا كَانَ إِلَّا بَشَراً مِنَ الْبَشَرِ؛ كَانَ يَفْلِي ثَوْبَهُ، ويَحْلُبُ شَاتَهُ، ويَخْدُمُ نَفْسَهُ**[245].

وعَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سُئِلْتُ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: " **كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ**". رواه أحمد[246]

ويمكننا أن نقول ما يلى بخصوص هذه الروايات:

أولا:

إن الشيء المهم الذى لم يلتفت إليه أحد هو أن عبارات: (كان بشرا من البشر) و (يعمل ما يعمل الرجل فى بيته) أو (ما يصنع أحدكم فى بيته) تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن

242) **"صحيح الأدب المفرد"**. صفحة 203
243) **"صحيح الأدب المفرد"** صفحة 203
244) **"صحيح الأدب المفرد"**. صفحة 203
245) **"التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان"** (8/ 199)
246) حديث صحيح على شرط مسلم. انظر: **"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** (2/ 275)

يفعل شيئا غير معتاد فى بيته ، **وأنه كان يتصرف مثل كل الرجال. ولو كان الرسول يقتسم مع زوجاته أعمال البيت أو يساعدهن فى جزء كبير منها لكان مختلفا عن الشأن المتعارف عليه عند العرب فى ذلك الوقت، ولما فات زوجاته أن ينقلن ذلك للناس باعتباره شـــيئا غريبا بمقاييس هذا العصر**. ويؤكد ذلك مثلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم انقطعت نعله ذات مرة، فتولى على بن أبى طالب مهمة خصفها، وسماه الرسول عليه السلام بخاصف النعل، وهذا يدل على أن خصف النعل لم يكن حكرا على الرسول صلى الله عليه وسلم، بل كان يفعله غير من الرجال: عن أَبى سَعِيدٍ الْخُدْرِىَّ قال كُنَّا جُلُوساً نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَخَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ بَعْضِ بُيُوتِ نِسَائِهِ. قَالَ فَقُمْنَا مَعَهُ فَانْقَطَعَتْ نَعْلُهُ فَتَخَلَّفَ عَلَيْهَا عَلِىٌّ يَخْصِفُهَا فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَمَضَيْنَا مَعَهُ ثُمَّ قَامَ يَنْتَظِرُهُ وَقُمْنَا مَعَهُ فَقَالَ «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ ». فَاسْتَشْرَفْنَا وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ «لاَ وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ». قَالَ فَجِئْنَا نُبَشِّرُهُ. قَالَ وَكَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ.[247]

إن الرسول صلى الله عليه وسلم كما نرى لم يكن مختلفا عن قومه. ولو كان يقتسم مع زوجاته أعمال البيت بينما كل رجال العرب يحجمون عن ذلك لجاز لنا أن نقول أن الرسول كان يستن للرجال سنة المشاركة الكاملة لنسائهم فى أعمال البيت، ولمَا فات الرواة أن ينقلوا مثل تلك الأخبار.

ويجب أن نؤكد أن أحد لم يقل أن الرجل العربى كان يحجم عن عمل أى شىء ولو بسيط فى بيته كما لو كان هذا عارا. هذا شىء لم يقل به أحد، وهو غير واقعى، وكل ما نؤكد عليه أن العبء الأكبر لهذه الأعمال كانت تتحمله المرأة. فقيام الرسول عليه السلام أو بعض الصحابة بعمل أشياء بسيطة فى البيت لا يغير من الصورة العامة شيئا ، وهى أن أعمال البيت الأساسية كانت من نصيب المرأة.

ثانيا:

في إحدى روايات الأحاديث السابقة **نلاحظ تكرار ضمير الغائب "الهاء" في (ثوبه– نعله– شاته)، وهذا يعنى أن الرسول عليه السلام كان يقوم بأعمال شخصية، تخصه هو، ولا تخص البيت**

---

[247]) أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم وأحمد وأبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر. وهو صحيح على شرط مسلم. انظر: **"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** (5/ 639)

كله. والأعمال الشخصية لا يبرع فيها أحد أكثر من الإنسان الذى تخصه، فالرجل هو أدرى الناس بثوبه وبنعله لأنهما يلازمانه طوال اليوم، وهو يعرف عيوبهما أكثر من أى أحد آخر. كما نلاحظ أن الرجل أدرى بنعال الرجال وأدرى بثياب الرجال من المرأة، وبالتالي فالرسول صلى الله عليه وسلم – بحكم كونه ذكرا– كان أقدر من نسائه على إصلاح نعله وثوبه. وأذكر الآن أن الرجل الفلاح فى القرية المصرية كان يخيط بنفسه السرج (البردعة) أو "الغبيط" الذى يوضع على الحمار، بينما كانت المرأة تخيط ثياب أفراد الأسرة المقطوعة. فنفس العمل (الخياطة) كان يؤديه كل من الرجل والمرأة، ولكن كل منهما فى مجال تخصصه، فالرجل بحكم ارتباطه الشديد بالحمار طوال اليوم فى حقله كان أقدر على تفهم احتياجاته ولوازمه، فكان هذا استثناء من ارتباط المرأة المعروف بأمور الخياطة، باعتبارها أحد الأعمال المنزلية المعهودة.

ومن الأعمال الشخصية الأخرى التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعملها أنه كان يَفْلِي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه. **وقوله: (يَفْلي ثوبه)** أى يتتبع ما فيه من هوام البدن، **أى يزيل ما به من حشرات. وهذا عمل شخصي، لا يمكن أن يتركه الإنسان لغيره ليقوم به.**

وبالنسبة لحلب الشاة، فربما يقال أن المفروض أنه من وظائف المرأة. ونحن نقول حقا فى القرى المصرية كانت المرأة هي التى تقوم بعملية الحلب، لكن هذا يختلف عن زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، ففى مصر كل الفلاحين يربون البقر والجاموس، وقليلا ما يربون الخراف، وإن ربوها فإنهم لا يحلبونها، ولا يشربون ألبانها. ومن المعروف أن البقر والجاموس حيوانات أليفة جدا، وقليلة الحركة، ومن السهل حلبها. وقد كنت أرى جدتي تجلس على مقعد صغير تحت البقرة لتحلبها فى هدوء تام. **أما الشاة –التى كان العرب فى زمن الرسول يحلبونها– فهى كثيرة الحركة، ولا تثبت على حال، وتميل للنفور والابتعاد، ولا تستسلم لمربيها، خلافا للبقر والجاموس، ولهذا يتطلب حلبها جهدا أكبر، وهذا يناسب الرجال.** وإن سرت فى أى قرية لوجدت البقرة أو الجاموسة تسير فى هدوء، مستسلمة لصاحبها الذى يقودها بواسطة حبل فى رقبتها، أما الخراف، فهي تتحرك هنا وهناك بشكل عشوائي، وتميل دائما للبعد عن صاحبها، ولهذا لا بد لراعي الغنم من عصا كى يردها كلما شردت. وأذكر أننى كنت أقود البقرة أو الجاموسة كل يوم من الحقل للبيت وأنا طفل صغير دون عناء يذكر، لكن ذات مرة ربط والدى شاة بحبل فى رقبتها، وأمرني أن آخذها لأحد

الرعاة الذي كان يبعد عنا بمسافة 2 كيلومترا كي يربيها لنا، فكانت رحلة عذاب لا أنساها بسبب تمرد الشاة، ورفضها الحركة ورائي إلا بالدفع والضرب.

<u>ثالثا:</u>

كان للرسول عليه الصلاة والسلام أكثر من زوجة ، وكان يبيت عند كل واحدة فى ليلة معينة مع أنه كان يمر عليهن جميعا كل يوم، فعن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت له : يا ابن أختي كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عندها[248].

المهم أن **يوم مبيت الرسول عليه السلام عند الواحدة من زوجاته كان أشبه بيوم عيد لأنه يتكرر مرة واحدة كل أحد عشر يوما[249]، فهل يتوقع أن تمتنع الواحدة من زوجاته فى هذا اليوم عن أداء أعمال البيت انتظارا لمجيء رسول الله عليه السلام ليقوم بها بدلا منها، أم أن الأرجح هو أن يأتي الرسول ليجد كل شيء جاهزا ونظيفا ومرتبا؟** وطبعا من غير المعقول أن يمر الرسول عليه السلام كل يوم على جميع زوجاته ليقوم بأشغال البيت بدلا منهن جميعا؟ إن افتراض مشاركة الرسول لزوجاته فى أعمال البيت افتراض سخيف. وعلينا أن نفهم قول السيدة عائشة عن الرسول عليه الصلاة والسلام: "**كان يكون في مهنة أهله**" أنه لا يعنى أكثر من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يساعد زوجاته فى بعض الأعمال غير الأساسية فى البيت (كما سنرى فى البند التالى)، ولا تعنى قط أنه كان يقوم بقدر مساو أو شبه مساو لما يقومون به.

<u>رابعا:</u>

لماذا يتكلم البعض بثقة مدعيا أن خدمة الرسول عليه السلام لأهله كانت درسا يلقنه للرجال كى يقوموا بأعمال البيت مع نسائهم؟ **لماذا لا نقول أن من أعمال المنزل ما يصعب على المرأة القيام به لأنه يتطلب قوة جسمانية كبيرة**، ويوجب على الرجل تقديم العون، وهذا لا يجافى الفطرة؟ مثلا

---

[248]) قال الألبانى: إسناده حسن، وأخرجه الحاكم، وقال: " صحيح الإسناد " ، ووافقه الذهبى. انظر: "**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**" (7/ 85)

[249]) روى الطبرى أن رَسُـولَ اللَّهِ ص تزوج خمس عَشْـرَةَ امْرَأَةً، دَخَلَ بِثَلاثَ عَشْـرَةَ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِحْدَى عَشْـرَةَ، وَتُوُفِّيَ عَنْ تِسْـعٍ. انظر: "**تاريخ الطبري**" (3/ 160)

فى القرى فى الماضى كان طحن القمح مهمة يتعاون فيها الرجال والنساء، فالمرأة تقوم بغسل القمح فى الترعة، والرجل هو المسئول عن حمل عبوات القمح والدقيق الثقيلة على الحمار إلى الطاحونة. وفى البيوت الحديثة يكون الرجل هو الأقدر على تغيير أنبوبة البوتاجاز، ونقل الأشياء الثقيلة مثل المراتب والأثاث، وإصلاح بعض الأدوات وأعطال السباكة والكهرباء، وغير ذلك من المهام التى يبرع فيها الرجال. وبالمثل سنجد أن زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام إن قالت له احمل عنى هذا الشيء الثقيل، فإنه سيحمله بلا تردد؟ **وعلى هذا الوجه يجب أن يفهم قول عائشة عن الرسول: "كان يكون فى مهنة أهله".**

خامسا:

أريد أن يذكر لى أحدهم رواية تقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعد لزوجاته الطعام أو يغسل لهن الثياب أو يكنس لهن الدار أو يصنع لهن العجين ثم يخبزه. لا يوجد، بل العكس هو الصحيح، فقد سبق أن أوردنا روايات عديدة تظهر أن المرأة فى المجتمع الإسلامى كانت هى المرأة الطبيعية التقليدية المعروفة التى تقوم بخدمة الرجل. وقد ذكرنا مثلا كيف أخبرنا القرآن أن الرسول صلى الله عليه وسلم إن دعا أصحابه إلى طعام فى بيته فإن أمهات المؤمنين هن اللائى كن يقمن بالإشراف على الوليمة وخدمة الضيوف، وهذا مدلول عبارة: "وإذا سألتموهن متاعا" فى قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الأحزاب: 53]

سادسا:

يجب أن نقول لكل امرأة تتشدق بالأحاديث التى تفيد مساعدة الرسول لأهله: " **زوجات الرسول عليه السلام لم يكنَّ يذهبن للعمل بالخارج، وبعد ذلك يشكين من ثقل أعمال البيت، ويطلبن العون من الرسول عليه الصلاة والسلام. لقد كانت زوجات الرسول متفرغات للبيت بشكل تام.** ولا شك أن الرجل إن وجد أن زوجته المتفرغة للبيت قد تعبت يوما من كثرة العمل أو مرضت فمن المحتم عليه أن يساعدها على سبيل الرحمة، لكن أى رحمة تستحقها امرأة خرجت برغبتها للعمل من أجل التسلية أو إثبات الذات أو شراء كماليات يمكن الاستغناء عنها أو اكتساب قوة فى صراعها مع زوجها؟"

****

نقول باختصـار أن ما كان الرسـول عليه السـلام يفعله فى بيته يختلف عما تُوهمنا به الحركة النسائية. كان الرسول يعمل ما يلـي:

1. الأعمال الشخصية.
2. الأعمال الشاقة التى تحتاج للقوة العضلية.
3. نســاء الرســول لم يكن يعملن خارج البيت، ولذا كان من الطبيعي أن يســاعدهن حتى فى الأعمال غير الشاقة إذا كثرت أو تراكمت عليهن، أو كانت المرأة مريضة أو مسنة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟

حين يقول أنصار المرأة بكل ثقة أن جمهور الفقهاء قد قضوا بأن المرأة لا يجب عليها خدمة زوجها فعلينا أن نسألهم: **الآن فقط تعودون إلى كلام الفقهاء القدامى؟ أوليس نفس هؤلاء الفقهاء هم الذين أجمعوا على أن من الضرورى أن ترتدى المرأة الحجاب، وأن تطيع زوجها، وألا تصوم إلا بإذنه، وألا تسافر إلى بإذنه، وإن سافرت يكون معها أحد محارمها، وأن من حقه أن يتزوج عليها، وكل هذا ترفضونه؟ أتأخذون من الشريعة ما يعجبكم، وتتركون ما لا يعجبكم؟**

انظر مثلا إلى ابن حزم الذي يمكن للبعض أن يستشهد برأيه حين **أعفى المرأة من خدمة زوجها. إنه إن أكمل قراءة كلامه لوجده يأمر المرأة بطاعة زوجها إن دعاها إلى الجماع، وينهاها عن صوم التطوع إلا بإذنه، وهذه رجعية فى نظر الحركة النسائية.** يقول ابن حزم: [وَلَا يَلْزَمُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَخْدِمَ زَوْجَهَا فِي شَيْءٍ أَصْلًا، لَا فِي عَجْنٍ، وَلَا طَبْخٍ، وَلَا فَرْشٍ، وَلَا كَنْسٍ، وَلَا غَزْلٍ، وَلَا نَسْجٍ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ أَصْلًا – وَلَوْ أَنَّهَا فَعَلَتْ لَكَانَ أَفْضَلَ لَهَا وَعَلَى الزَّوْجِ أَنْ يَأْتِيَهَا بِكِسْوَتِهَا مَخِيطَةً تَامَّةً، وَبِالطَّعَامِ مَطْبُوخًا تَامًّا وَإِنَّمَا عَلَيْهَا أَنْ تُحْسِنَ عِشْرَتَهُ، **وَلَا تَصُومَ تَطَوُّعًا وَهُوَ حَاضِرٌ إلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تُدْخِلُ بَيْتَهُ مَنْ يَكْرَهُ، وَأَنْ لَا تَمْنَعَهُ نَفْسَهَا مَتَى أَرَادَ**] [250]

وأعجب من ذلك أن يستند بعضهم إلى قاعدة أن المهر مقابل الجماع، ويؤكدون أن الرجل ليس له حقوق أخرى على الزوجة، ومع ذلك تجدهم يؤكدون أن الرجل ليس من حقه أن يجامع زوجته إلا برضاها، ويسمون الجماع القسرى بالاغتصاب الزوجى، مخالفين بذلك نفس القاعدة الفقهية التى استندوا إليها من قبل، والتي تقضي بأن المرأة التي أخذت المهر فليس لها أن تمتنع عن زوجها.

إنهم يسيرون على نفس خطى اليهود الذين قال لهم الله عز وجل: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 85] ؟

هذه هى الحركة النسائية باختصار: حركة انتهازية بلا مبادىء سوى منفعتها.

---

250) **"المحلى بالآثار"** (9/ 227) لابن حزم

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الباب الخامس: الحركة النسائية في أحضان الشيطان

الحماة تفضح الحركة النسائية

لا أبالغ إذا قلت أن **الصراع الأخطر داخل الأسرة ليس بين الزوج والزوجة، بل بين الزوجة والحماة**[251]. الحماة تحاول فرض سيطرتها على زوجة ابنها منذ أول لحظة فى الزواج. وفى المقابل تكون الزوجة الجديدة قد تلقت دورة تدريبية مكثفة فى بيت أمها قبل الزواج عن فنون التعامل مع الحماة، وأساليب إيقافها عند حدها، ومنعها من التدخل فى شئونها. ويجد الرجل المسكين نفسه طرفا فى صراع طاحن بين قوى عظمى ثلاثة هم الزوجة وأمها وأمه. ويكون عليه أن يرضيهم جميعا فى نفس الوقت. وما أصعبها من مهمة! واليوم ازداد الصراع شراسة، وتسبب فى ارتفاع معدلات الطلاق بشكل رهيب.

والعبرة التي نستخلصها من هذه الظاهرة هي أن **الرأى العام قد وقع ضحية للحركة النسائية التى صورت المرأة، وكأنها الطرف المظلوم فى صراع وجودي مع الرجل، مع أن صراع الزوجة مع الحماة لا يقف شراسة وخطورة، وكل منهما امرأة.**

ومن أكبر مهازل العصر أن تشن الزوجة حربا شعواء على زوجها لأنه يحب أمه، ويسمع لها، ولا يريد أن يغضبها، فإذا كبرت هذه الزوجة، وتزوج ولدها نسيت كفاحها المجيد ضد حماتها، وانتقلت للمعسكر الآخر، لتتقمص دور الحماة التى لا ترضى لابنها أن يقع تحت سيطرة زوجته، فتقوم بممارسة نفس الظلم الذى صرخت منه فى يوم من الأيام.

نحن أمام فضيحة فكرية تضرب الحركة النسائية فى مقتل، فقد رأينا أن **مشكلة المرأة لا تنحصر فى زوجها فقط، بل تكمن على الأقل بدرجة مساوية فى حماتها. ولهذا فإزالة متاعب المرأة لا يتأتى بأن نشجعها على التمرد على الرجل، لأنها إن كسبت بهذا التمرد الجولة الحالية كزوجة كان عليها أن ترتضي خسارة جولة المستقبل كأم** (كى تكون متسقة مع نفسها)، وستعيش حينئذ فى عزلة عن ولدها الذي تسيطر عليه زوجته، وتمنعه من البر بأمه.

---

[251]) (الحماة) كلمة عربية فصيحة. حماة المرأة هي أمُّ زوجها، لا لغةَ فيها غير هذه. انظر معجم: **"الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"** (6/ 2319). تأليف أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م

إن من قبيل التبسيط المخل القول بأن الصراعات الزوجية تدور بين الرجل والمرأة. والحقيقة أن الصراع بين المرأة والمرأة لا يقل ضراوة، بل يزيد. ومفكرو الحركة النسائية يغضون الطرف بشكل خبيث عن صراع الزوجة مع الحماة. **ولا أجد تفسيرا لذلك إلا أن هدفهم تدمير الأسرة** لأن **تسليط الضوء على صراع الزوجة مع الحماة يعنى ببساطة أن قضية المرأة قضية وهمية، وأن تقوية المرأة مقابل زوجها داخل الأسرة يستحيل أن يكون انتصارا لقضية المرأة، لأن كل قوة تحققها الزوجة داخل الأسرة يقابلها نقص فى قوة الحماة، فتبقى محصلة مكاسب النساء ثابتة.**

إن هذا يجبرنا على إعادة تعريف الحركة النسائية كما يلي: الحركة النسائية ليست حركة من أجل مساواة المرأة بالرجل، ولا لنصر المرأة على الرجل، ولكنها فى الحقيقة حركة من أجل تدمير مؤسسة الأسرة. وما انحيازها الكاذب للمرأة إلا حيلة لخلق صدع بين الزوج والزوجة، ينتهي بالطلاق وضياع الأولاد، أو يؤدي إلى عزوف الجماهير عن الزواج، لترتد البشرية فى النهاية إلى حالة حيوانية، يقضى فيها كل رجل شهوته متى شاء مع أى امرأة، ثم يتركها لتحمل، وتتحمل وحدها مسئولية تربية الأولاد، أو تلقى بهم فى ملجأ، أو فى دار حضانة لا يتعلمون فيها خلقا ولا دينا. وهذا غاية أمل إبليس.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الحركة النسائية وحكومة العالم الخفية

هل هناك حكومة عالمية خفية؟

العالم الذى نراه الآن لا يحكمه الملوك، ولا الرؤساء، ولا الوزراء، ولا الأمم المتحدة، ولا مجلس الأمن. العالم تديره حكومة خفية منذ أكثر من قرنين من الزمان. وهذه الحكومة لا أحد يفصح عن هويتها حتى لا يتعرض مستقبله – وربما حياته– للخطر. وحتى رؤساء أمريكا وروسيا وفرنسا وانجلترا والصين لا يجرأون على انتقاد هذه الحكومة الخفية، بل إنهم ما كانوا ليصلوا لمناصبهم لولا رضا هذه القوة عنهم.

والكتب التى تكشف أسرار هذه الحكومة الخفية نادرة، وأقدمها من تأليف اللواء الاسكتلندي "شيريب سبيريدوفيتش"[252]، وعنوانه "حكومة العالم الخفية" أو "اليد الخفية" "The secret World Government"[253] الذى ألف عام 1926م، وله ترجمة عربية. ينقل مؤلف الكتاب أقوال ساسة مشاهير يؤكدون وجود حكومة خفية. كتب دزرائيلى (رئيس وزراء بريطانيا) سنة 1844م: «**يُحكم العالم الآن بأشخاص مختلفين اختلافا شديدا عمن يتخيلهم الناس الذين لا يعلمون بواطن الأمور**». وتصور "بسمارك" المستشار الحديدى[254] **وجود قوى غير مرئية ، ولكنه لم يشخصها، وسماها "ما لا يُسبر غوره"**. وقرر "لامارتين" الشاعر والسياسي الفرنسى المعروف وجود "اليد الخفية". وقال مازيني الفيلسوف والسياسي الإيطالى الشهير: «إننا نرغب فى قهر كل خطر، بيد أن **هنالك خطرا غير مرئى له وطأته علينا جميعا. من أين يأتى؟ وأين هو؟ لا أحد يعلم أو على الأقل لا أحد يفصح عنه. إنها مجموعة سرية منظمة تخفى حتى علينا، نحن العريقين فى أعمال الجمعيات السرية**»[255].

الجكومة الخفية هي عائلة روتشيلد اليهودية! تلك هي الإجابة التي يقدمها المؤلف، ويخصص لها كتابه كله. عائلة روتشيلد أصبحت تقرر مصائر كبرى دول العالم منذ بداية القرن التاسع عشر، وذلك بفضل ثروتها الخرافية التى تجعل أعتى الدول تركع أمامها خاصة فى أوقات الحروب، كما

---

[252]) عاش فى روسيا، ثم هاجر منها إلى الولايات المتحدة عقب الثورة البلشفية.

[253]) **"The secret World Government" or "The hidden Hand".** By Maj-Gen Count Cherep-Spiridovivh. The Anti-Bolchevist Publishing Association. New York City. 1926

[254]) بسمارك هو رئيس وزراء مملكة بروسيا بين عام 1862-1890م، ويعتبر مؤسس الامبراطورية الألمانية.

[255]) **كتاب "حكومة العالم الخفية"** تأليف شيريب سبيريدوفيتش. ترجمة مأمون سعيد. تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش. دار النفائس. بيروت-لبنان. الطبعة التاسعة.

تمكنها من تجنيد السياسيين وصناع القرار والعملاء فى كل المناصب الحساسة، بما فى ذلك إشعال الثورات وإسقاط العروش، وهزيمة الجيوش، وتنصيب رؤساء الدول. وينقل المؤلف قول ورنر سومباري: "بدأ عصر الروتشيلديين سنة 1820م، وفى منتصف القرن أصبح معروفا أن **قوة الروتشيلديين هي الوحيدة فى أوربا**"[256]. وكتب اليهودي راثينو، دكتاتور ألمانيا سابقا: "ثلاثمائة رجل، يعرف كل منهم الآخرين، يتحكمون فى قدر أوروبا ومصيرها، وينتخبون خلفا لهم من بطانتهم. **وهؤلاء اليهود الألمان يقبضون على وسائل تقضي على كل دولة لا تذعن لمخططاتهم**"[257].

لقد دأب اليهود على إشعال الحروب والانقلابات والاضطرابات فى العالم لأنهم يعادون كل أمة غير يهودية، ويسمون بقية شعوب العالم "الجوييم" أو الأغيار. وقد أشعل اليهود وعملاؤهم الماسون الثورات المعادية للدين فى فرنسا وروسيا وألمانيا. وقال السيد غ. ب. غوش: "لم تكن هناك ثورات فرنسية وروسية وألمانية، بل ثورات يهودية فى فرنسا وروسيا وألمانيا".[258] كما كانوا السبب فى إشعال الحرب الأهلية الأمريكية بغية تقسيم الولايات المتحدة إلى دولتين متصارعتين[259]. وهم الذين اغتالوا الرئيس لنكولن وغارفيلد وويلسون ومكينلي وتوماس ستين[260] وقيصر روسيا بولس[261]. ويؤكد كثير من الماسونيين ومنهم الماسوني السابق ورجل الدولة السيد هوغويتز أن قتل الملك لويس السادس عشر ذي القلب الرحيم، والملك غوستاف الثالث، وقتلى الثورة الفرنسية قررتها المؤتمرات الماسونية قبل أربع أو خمس سنوات فى ولیامزباد، وأنغولزنادت وفرانكفورت. ولكن قصر ولیامزباد كان يديره أمشيل روتشيلد الذي سكن فرانكفورت وأدارها. وعميله وايزهاوبت يهودي من أنغولزنادت، وهكذا فإن كل القتل الذي نسب عن حق إلى الماسونية إنما كان بتقرير من أمشيل (روتشيلد)[262].

ولقد أصبح العَلَم الأحمر (الدرع الأحمر– روتشيلد) منذ سنة 1789م رمزا عالميا لسفك الدماء. فقد أكد اليهودي الدكتور أوسكار ليفي أن "اليهود دبروا هذه الحرب العالمية". وجميع الحروب، وما

256) **"حكومة العالم الخفية"**. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 47.
257) **"حكومة العالم الخفية"**. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 211
258) **حكومة العالم الخفية**. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 81، 86.
259) **حكومة العالم الخفية**. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 180.
260) **حكومة العالم الخفية**. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 143.
261) **حكومة العالم الخفية**. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 123.
262) **حكومة العالم الخفية**. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 89.

يتبعها من سفك للدماء، من تدبير مجالس اليهود التنفيذية، أي المحافل الماسونية التى تديرها الهيئة اليهودية المركزية، أى الحلف الإسرائيلي العالمي فى باريس[263].

وقد كانت الأسرار التى أذاعها المؤلف عن مؤامرات اليهود مرعبة، فكان جزاء جرأته غير المسبوقة صارما، ففى العام الذي نشر فيه كتابه، أوردت صحيفة "نيويورك تايمز" خبر العثور على جثته مخنوقًا بالغاز. وفي ظروف غامضة أيضا، اغتيل "وليام جاي كار"، مؤلف كتاب "أحجار علي رقعة الشطرنج"[264]، الصادر عام 1958، والذي فضح مؤامرات الحلف اليهودي الماسوني على العالم، وقدم تفاصيل كثيرة عن دور الماسونيين عبدة الشيطان فى تخريب العالم.

وفى السنوات الأخير شاهدنا كيف أوصل اليهود رجلهم ترامب إلى منصب رئاسة الولايات المتحدة، فأضر بمصالح أمريكا بشكل لم يسبق له مثيل، وفى النهاية حاول أن يفكك الولايات المتحدة من خلال طعن غير مسبوق فى نتائج انتخابات الرئاسة، ودفع الغوغاء إلى الاعتداء على مبنى الكونجرس (يناير 2021م).

ووفقا لموقع بى بى سى العربى فإن الميارديريز **اليهودى شيلدون أديلسون (الملقب بصانع الملوك) هو الذي أوصل ترامب إلى السلطة نظير قرار نقل سفارة أمريكا إلى القدس**[265]. وتؤكد الموسوعة البريطانية على دعم شيلدون أديلسون الهائل لترامب وللحزب الجمهوري (وصفته بمتبرع من الوزن الثقيل Mega–donor)، وكذلك لبنيامين نتانياهو رئيس وزراء إسرائيل المتطرف[266]. وأكدت صحيفة نيويورك تايمز على نفس الحقائق، فذكرت أن **شيلدون كان أكبر متبرع لحملة ترامب،** وذلك بمبلغ 52 مليون دولار. كما **كان الملياردير اليهودى من أكبر داعمى الرئيس جورج بوش** عام 2004م، وأعلن يوما أنه على استعداد لإنفاق مائة مليون دولار لهزيمة الرئيس باراك أوباما.

---

263) **حكومة العالم الخفية**. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 70-71.

264) **"حكومة العالم الخفية"**. دكتور فوزى فهمى. صحيفة الأهرام المصرية. 22 يونيو 2016

265) **شيلدون أديلسون: إمبراطور القمار و"صانع الملوك" الذي نقل سفارة أمريكا إلى القدس.** موقع BBC NEW العربي. 13 يناير 2021م. تم الدخول إلى الموقع يوم 18 يناير 2022م. https://www.bbc.com/arabic/world-55646048

266) **Sheldon Adelson**. Encyclopedia Brittanica. https://www.britannica.com/biography/Sheldon-Adelson ; accessed May 18, 2022.

وتجلى تأثير شيلدون عام 2014م **عندما ذهب إليه فى لاسفيجاس أربعة مرشحين محتملين للرئاسة، ساجدين، وطالبين المباركة والدعم المالى**[267].

والعلاقة بين اليهودية والماسونية تبدو غامضة للكثيرين، لكن مؤلف كتاب الحكومة الخفية –فى نسخته الإنجليزية– **يرى أنهما شيء واحد، وأن عائلة روتشيلد اليهودية هى التى تتحكم فى الماسونية**[268]. ويقول المؤلف: "**لا شك أن روح الماسونية يهودية تماما... والتشابه الملحوظ بين الطقوس اليهودية والماسونية** تم فضحه فى كتاب "سبب اضطراب العالم" و "الثورة العالمية"، اللذين يجب أن يقرأهما كل شخص ذكي... ويؤكد إم. كوبين دالبانسيللى أن **القوة الخفية التى تتحرك خلف الماسونية هي الحكومة الخفية للشعب اليهودي**. وقد تم إثبات ذلك آلاف المرات... إن الصرخة الماسونية "نيكوم" (الانتقام بالعبرية) وكثير من الأسماء العبرانية (هيكل سليمان، الأسر العبرانى، وقتل حيرام، وغيرها) فى طقوسهم يثبت هذا بشكل كاف. **وكثير من المحافل الماسونية خُلقت بواسطة الحكومة اليهودية الخفية لغرض محدد،** أى لفترة معينة أو لعمل معين. وبمجرد أن تمضى هذه الفترة أو يؤدَّى هذا العمل أو يفشل فإن **الجمعية السرية يتم حلها، ويتم حتى اغتيال قادتها حتى لا يعلم المسيحيون أو يخمنوا أبدا من كان وراءها**[269].

وبروتوكولات حكماء صهيون تؤكد أن الماسونية مجرد ستار يستعمله اليهود للتخفى. تقول البروتوكولات: «إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا»[270].

ونحن نؤكد أن الأصل هم اليهود الذين يملكون المال، فلا قيمة لأى تنظيم فى غياب الدعم المالي. **واليهود يستعملون الماسونية كذراع لتنفيذ عملياتهم القذرة فى العالم، حتى يبقوا فى الظل، بينما تلقى المسئولية عن جرائمهم على تنظيمات غير يهودية، أو فى أسوأ الأحوال يتم اعتبار اليهود مجرد شريك فى الأحداث ولاعب واحد بين لاعبين آخرين، وبهذا يظل العالم فى غفلة عن مخربيه**

---

267) **Sheldon Adelson, Billionaire Donor to G.O.P. and Israel, Is Dead at 87.** By Robert D. McFadden. The New York Times. Jan. 12, 2021. https://www.nytimes.com/2021/01/12/business/sheldon-adelson-dead.html ;accessed May 18, 2022.

268) **"حكومة العالم الخفية".** تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 57.

269) **"The secret World Government" or "The hidden Hand".** By Maj-Gen Count Cherep-Spiridovivh. Page 56.

270) **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون**. البروتوكول الرابع. صفحة: 78.

الحقيقيين. وفضلا عن ذلك فإن أعداد اليهود قليلة، ولا تكفى لتنفيذ مخططاتهم التخريبية فى مختلف دول العالم، **ولا بد من أعوان من غير اليهود،** ولا أحد أفضل من الماسون عبدة الشيطان الذين يتفقون مع اليهود فى الرغبة فى تدمير العالم. ثم إن **اليهود أصحاب ثروة، وصاحب المال عادة لا ينفذ الجرائم بنفسه، بل يستأجر من يقوم بكل شىء،** وكل ما عليه أن يدفع الثمن، ويبتسم فى هدوء، وهو يرى هلاك أعدائه. فالماسون مجرد أجراء لدى اليهود.

وقد يظن البعض أن الماسون عبدة الشيطان هم الذين يسيطرون بسحرهم على اليهود، لكن الواقع أن اليهود مشهورون من الأصل بممارسة السحر قديما وحديثا، والسحرة هم أنفسهم عبدة للشيطان. وقد أشار شيريب سبيريدوفيتش فى كتابه المذكور إلى أن أمشيل ماير Amschel Mayer **مؤسس عائلة روتشيلد قد علم أولاده جميع الحيل الشيطانية القبالانية**[271]. والقبالاه هى مذهب يهودى باطني غنوصى حلولى غارق فى السحر.

إذن **الماسونية مجرد قفاز يرتديه اليهود وهم ينفذون جرائمهم** حتى لا يتركوا أثرا، وحتى لا تتلوث أيديهم بالدماء، فلا يدخلون فى صراع وجها لوجه مع العالم. وفى عبارة موجزة نقول: **اليهود يسيطرون على الماسونية، والشيطان يسيطر على الاثنين. فالحلف اليهودى الماسوني هو حلف الشيطان بلا جدال.**

إن اليهود فى غاية الذكاء، فهم لا يريدون فقط أن يبقوا فى الظل، بل يبالغون فى التخفي بأن يخلقوا كيانات غير يهودية، يحيطونها بالسرية والغموض. وهذه الكيانات تحير الناس، فينقبون وراءها حتى يصيبهم الإعياء، فيصبحون أكثر عجزا عن اكتشاف مَن خلقها. إن اليهود يضعون سرا أمام السر، وحجابا أمام الحجاب. وهذه النظرية تجعلنا نفهم التنظيمات الغامضة الأخرى التى ظهرت فى وقت أحدث مثل مجموعة "بيلدربيرج" التى تضم 120 شخصية من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، والتى لا يعرف العالم عما يدور فى اجتماعاتها أى شىء[272]. إن اجتماع بيلدربيرج

---

271) **"حكومة العالم الخفية"**. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 52.

272) يقول الدكتور فوزى فهمى: (ولقد أسهم رئيس الاستخبارات الأمريكية "بيديل سميث"، بجهد متميز في تأسيس تلك المجموعة، وتبني الأمير الهولندي "بيرنهارد" الدعوة إلي المؤتمر الأول في فندق "بيلدربيرج" ببلدة أوستوبيك الهولندية، بدعم من رجل الأعمال الأمريكي "ديفيد روكفيلر"، وأيضًا من أباطرة المال أبناء عائلة "روتشيلد". صحيح أنه بعد عشر سنوات انكشف سر هذه المجموعة، لكن الصحيح كذلك أن أجندة مؤتمرها ما زالت سرية، ولا يحظي المؤتمر بتغطية علنية لفعالياته، كما لا تسجل مضابط اجتماعاته، ولا تتخذ فيه قرارات، ولا تجري عمليات تصويت، ولا يصدر عنه أي بيان، وهناك ما يشبه الإجماع بأن هذا المؤتمر يعد الأكبر في العالم، إذ يضم 120 عضوًا من قادة العالم، والملوك، وكبار الساسة، ومديري كبار الشركات ممن يحكمون العالم اقتصاديًا وماليًا وسياسيًا، وثمة ظاهرة تكشف نفاذ هذه الجماعة وسلطتها، إذ حضر جورج بوش الأب للمشاركة في المؤتمر عام 1985، ثم أصبح رئيسًا عام 1988، وحضر بيل كلينتون عام 1991، وأصبح رئيسًا بعد عام، وحضر توني بلير عام 1993، ثم أصبح رئيس

يثير عاصفة من التساؤلات كلما انعقد، وذلك بسبب غموضه وسريته، ويعتبره الكثيرون –كما يقول الصحفي أندرو ميللر– امتدادا عصريا للماسونية[273]. وهذا الغموض يؤدى خدمة كبرى لليهود لأنه يضلل العالم، ويصرف بصره عن المجرم الحقيقيي، فيظن أن من يتآمرون على البشرية ينتمون إلى بلاد مختلفة وأديان مختلفة، بينما الحقيقة أن كل هؤلاء دمى فى أيدي اليهود.

الحكومة الخفية والحركة النسائية والشيوعية

أختى المسلمة: إن صرخت فى وجه زوجك يوما: «أنا مثلك، ولا تنتظر مني أن أقول: "سمعا وطاعة"، فقد انتهى عصر الجواري، وولى زمن "سى السيد"»، إن حدث منك هذا **فاعلمي أنك قد صرت تلميذة مخلصة لحكومة العالم الخفية**، التى خططت منذ أكثر من قرن من الزمان كى تصل بك إلى هذه المرحلة المتقدمة من التمرد على الله.

إن الحركة النسائية ما هى إلا انقلاب وتمرد ضد الحاكم الذى عينه الله تعالى قائدا للأسرة. ولا يهم هذه الحركة الدمار الهائل الذى سيخلفه هذا الانقلاب، بل إن هذا الدمار هو فى الواقع الهدف الذي من أجله أشعلوا نيران الحرب مع الرجل، **فهدم الأسرة هو الغاية التى من أجلها نشأت الحركة النسائية. وخراب الأسرة يعقبه دمار الأمم.**

ومَن الذي يخطط لهذا الخراب الشامل؟ إنه الحلف اليهودي الماسوني. ولا إجابة أخرى.

أعلم جيدا أن كثيرا من السذج سيستخفون بكلامنا قائلين: ربما كان لك الحق فى الكلام عن مؤامرات اليهود السياسية، لكن ما علاقة اليهود بالحركة النسائية؟ **لماذا تصرون على أن تحشروا اليهود فى كل شيء، وتحملوهم حتى خلافات الرجل مع زوجته؟**

ونحن نقول أن **من المباديء الأساسية التي يؤمن بها اليهود أنهم سيكونون فى أمان طالما ظل غير اليهود فى صراعات. وهم لهذا يعملون دائما على بث الفرقة بين كل البشر.** تقول "بروتوكولات حكماء صهيون"، وهو كتاب مرعب، يشرح الخطوط العريضة لمنهج زعماء اليهود فى إفساد الشعوب غير اليهودية، التى يسمونها "الجوييم" (الأمميين أو الأغيار): « قد يتمكن

وزراء بريطانيا عام 1997، وحضر رومانو برودي عام 1999، وأصبح في العام نفسه رئيسًا لمفوضية الاتحاد الأوروبي). انظر **مقال: "حكومة العالم الخفية"**. صحيفة الأهرام المصرية).

[273]) **"هل من حكومة خفية تدير العالم؟"** مقال بقلم إميل أمين. موقع "إندبندنت" عربية. 15 مايو 2021م.

الأمميون فترة من أن يسوسونا، ولكنا مع ذلك **لسنا في حاجة إلى الخوف من أي خطر ما دمنا في أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتهم بعضهم بعضاً**، وهي كراهية متأصلة لا يمكن انتزاعها. **لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً**. ومن هذا كله تتقرر حقيقة أن أي حكومة منفردة لن تجد لها سنداً من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا[274]»

ومن النص السابق تجد أن اليهود يعملون على التفرقة بين الناس على جميع المستويات الشخصية والقومية والدينية. والتفرقة على المستوى الشخصي تشمل –ولا شك– التفرقة بين الرجل والمرأة، فهذه أعظم تفرقة يمكن أن تباعد بين شخص وشخص، إذ أنها ستضرب كل بيت على ظهر الأرض. **وهذا النص الخطير يجبر المرء على الأقل أن يشك فى وجود صلة ما بين اليهود والحركة النسائية، لكن الشك يتحول إلى يقين حين نقرأ نصا أشد خطورة عن خطط اليهود:**

«فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأممين، وأهميتها التربوية»[275].

وفى هذا النص الخطير نجد أن اليهود يريدون القضاء على الشعوب غير اليهودية (الأمميين)، ووسيلتهم فى ذلك أن **يجعلوا كل إنسان يشعر بأهميته المستقلة كفرد، وليس كعضو فى جماعة، وهذا سيؤدى حتما إلى هدم الأسرة. وهدم الأسرة ليس أمرا هينا، لأن الأسرة هي أساس تربية الأفراد**. وقد نجح اليهود في ذلك، فها هى المرأة قد نسيت أنها أم وراعية لأسرة، وصارت تعتبر نفسها امرأة فقط، ولم يعد يهمها أن تثبت كفاءتها كزوجة، فالمهم نجاحها الفردى فى العمل. فأى بقاء للأسرة بعد ذلك؟

274) **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون**. البروتوكول الخامس. صفحة 81.
275) **الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون**. البروتوكول العاشر. صفحة 99. ترجمة: محمد خليفة التونسي. مطبعة دار الكتاب العربي- القاهرة – 1951م.

إن خطة هدم الأسرة التى وردت فى بروتوكولات حكماء صهيون قرأها العالم لأول مرة عام 1902م[276]، وذلك قبل أن تكتسح الحركة النسائية العالم، وتدمر الأسرة بهذا الشكل المريع، **وهذا دليل دامغ على أن الحركة النسائية من صنع اليهود.**

إن المرأة المعاصرة تؤمن إيمانا راسخا بمبدأ الحرية والمساواة، **ولكن زعماء اليهود – وهم يتآمرون على العالم– يعترفون فيما بينهم سرا أن الحرية بدون الإيمان بالله مضرة بالشعوب، وأن الحرية فى وجود المساواة الكاملة بين البشر مضرة لأن المساواة الكاملة ضد الطبيعة.** وهذه الاعترافات يخفيها اليهود عن الشعوب رغبة فى إفسادهم. إليكم كلامهم:

«**يمكن ألا يكون للحرية ضرر**، وأن تقوم الحرية في الحكومات والبلدان من غير أن تكون ضارة بسعادة الناس، **لو أنها كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله**، وعلى الأخوة الإنسانية، **نقية من أفكار المساواة التي هي مناقضة مناقضةً مباشرة لقوانين الخَلْق**، والتي فرضت التسليم. إن الناس محكومين بمثل هذا الايمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم (هيئاتهم الدينية) وسيعيشون في هدوء واطمئنان تحت إرشاد أئمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض. وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن **ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية**»[277].

والجملة الأخير حقا مخيفة، وهو تصور حال المرأة اليوم، بعد أن نجح النظام العالمي اليهودي فى انتزاع فكرة الله من قلبها، وأحلوا مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية مثل الراتب والوظيفة والأزياء والأجهزة الكهربية وغيرها من أعراض الدنيا. وطبعا اليهود لا يقصدون المسيحيين وحدهم، ولكن هذا هو الدين الذى كتبت البروتوكولات على أرضه.

وفي موضع آخر تقول البروتوكولات: «لم يعد الأمميون قادرين على التفكير فى مسائل العلم دون مساعدتنا.... الحق وحده بين كل العلوم وأعظمها قدرا هو ما يجب أن يعلَّم فى المدارس، وذلك هو علم حياة الإنسان والأحوال الاجتماعية، وكلاهما يستلزم **تقسيم العمل، ثم تصنيف الناس فئات**

---

[276]) نشرت بروتوكولات حكما صهيون لأول مرة في روسيا عام 1902 م بواسطة الأستاذ سرجي نيلوس. وقد وقعت هذه الوثيقة في يده عام 1901م عبر صديق شخصي له اسمه أليكس نيقولا، الذي تلقاها من سيدة فرنسية، سرقتها من أحد زعماء اليهود فى وكر من أوكارهم الماسونية السرية في فرنسا. الخطر اليهودي انظر: **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون.** صفحة 7-9.

[277]) **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون.** البروتوكول الرابع. صفحة 78-79

وطبقات. وإنه لحتم لازم أن يعرف كل إنسان فيما بعد أن **المساواة الحقة لا يمكن أن توجد، ومنشأ ذلك اختلاف طبائع أنواع العمل المتباينة»**[278].

والشفقة التي يظهرها النظام العالمي اليهودى على المرأة هو تكرار لنفس الأسلوب الذى استخدموه من قبل حين اخترعوا "الشيوعية"، فقد كان اليهود يمدون أيديهم إلى العمال، ويوهمونهم أنهم يشفقون عليهم من ظلم الأغنياء، مع أنهم فى الحقيقة يستخدمونهم لتمزيق العالم. تقول بروتوكولات حكماء صهيون فى نص شديد الخطورة:

«**إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال، جئنا لنحررهم من هذا الظلم**، حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين. **ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للانسانية**، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية.... **إننا نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كل من يصدوننا عن سبيلنا.** وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها، أي نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا».[279]

إن الشيوعية حركة إلحادية أنشأها اليهود فى العصر الحديث، وهي تتلخص فى جملة واحدة: **«تدمير الأمم من خلال تأجيج صراع وجودي بين الفقراء والأغنياء».** ونفس المنهج يتم تكراره من خلال الحركة النسائية التى يمكن تلخيصها فى جملة واحدة هي: «**تدمير الأمم من خلال تأجيج صراع وجودي بين الرجل والمرأة».**

الشيوعية دعت إلى المساواة الكاملة بين الأغنياء والفقراء فى الثروة، وهذا ضد فطرة الله[280]، والحركة النسائية دعت كذلك إلى المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، وهذا أيضا ضد فطرة الله. وقد ظل العالم لمدة سبعين عاما مخدوعا بشعار المساواة الذى رفعته الشيوعية حتى تبين للشعوب الشيوعية أن المساواة الكاملة بين الأغنياء والفقراء مستحيلة، وأنها لم تؤد إلا إلى الفقر والإفلاس،

---

[278]) **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون.** البروتوكول الرابع. صفحة 74-74.

[279]) **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون.** البروتوكول الثالث. صفحة 73-74.

[280]) هذا ضد الفطرة لأن الله تعالى أراد أن يتفاوت الناس فى الأرزاق حتى يستفيد بعضهم من بعض: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: 32].

فتساقطت الأنظمة الشيوعية واحدا تلو الآخر فى مشهد غاية فى الإثارة. ورغم ذلك لم تتعلم المرأة الدرس!

والعلاقة بين الشيوعية واليهودية العالمية تدخل فى باب **الأسرار الفكرية، التى لا يتكلم عنها أحد فى وسائل الإعلام أبدا**. وقد عشت فى السنوات الأخيرة من حياة الشيوعية، وشاهدت بعينى تساقط دولها واحدة بعد الأخرى، وكان الجدل محتدما على الصحف بين أنصار الشيوعية وأعدائها العرب، لكن لم يكن أحد يشير إلى علاقة الشيوعية الآثمة باليهود، ومع ذلك فالبراهين على تلك العلاقة أكثر سطوعا من الشمس. يقول "ويليام جاي كار" فى كتابه الخطير "أحجار على رقعة الشطرنج" أن الشيوعية الحديثة تم تأسيسها عام 1773 م من قِبل مجموعة من بارونات المال العالميين اليهود، واستعملوها منذئذ لإقامة دولة إلحادية العقيدة تقوم على الدكتاتورية الشاملة[281].

كما كان **قائد الثورة الشيوعية لينين متزوجا من يهودية،**[282] و**تزوج ستالين خليفته أيضا بيهودية، وتزوج نائب ستالين مولوتوف هو الآخر من يهودية**[283].

وهذه الصلة الخفية مذكورة فى "بروتوكولات حكماء صهيون" التى تقول عن كارل ماركس مؤسس الشيوعية: «**لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. ولاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل**»[284].

كان كارل ماركس (1818–1883م) ألمانيا من أصل يهودي. وكان عمه حاخاما من حاخامات اليهود، ولكنه انفصل رسميا من السلك الكهنوتي الأعلى. وفى عام 1848م نشر ماركس "البيان الشيوعي". **وقد كان رءوس المجمع النوراني اليهودى** (النورانيون هم الماسون عبدة الشيطان) **هم الذين صمموا العقيدة الإلحادية المادية التى نشرت فى "البيان الشيوعي" الذى كتبه ماركس.**[285،286]

[281]) **أحجار على رقعة الشطرنج: التطبيق العملى للبروتوكولات**. صفحة 32-33. تأليف ويليام غاى كار. دار الحرية للنشر والتوزيع. القاهرة. 2013.
[282]) **أحجار على رقعة الشطرنج**. صفحة 141.
[283]) **أحجار على رقعة الشطرنج**. صفحة 205
[284]) **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون.** البروتوكول الثاني. صفحة 70
[285]) **أحجار على رقعة الشطرنج**. صفحة 32-33
[286]) **أحجار على رقعة الشطرنج**. صفحة 55-56

ويقول الحاخام لويز برونس: «**كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاى ماركس** كان فى روحه واجتهاده وعلمه ونشاطه وكل ما قام به وأعد له من فكر وأسلوب **أشد إخلاصا لإسرائيل من الكثيرين** الذين يتشدقون اليوم بأدوارهم فى مولد الدولة اليهودية»[287].

كما **كان ماركس شديد الإعجاب ب**"**موشه هيس**" **واضع أسس الفكرة الصهيونية**، وقال عنه يوما: «إننى قد اتخذت هذا العبقري قدوة لى ومثالا... لما يتحلى به من دقة فى التفكير وتوارد فى الخواطر وتوافق فى الآراء مع عقيدتي وما أؤمن به... فهو رجل نضالى فى الفكر والسلوك»[288].

ويذكر الدكتور عمر حليق أن **الغالبية الساحقة من زعماء الثورة البلشفية الشيوعية الروسية كانوا من اليهود.** و« **الماركسية فى جذورها اجتهاد يهودي. هذه حقيقة يعتز بها اليهود أنفسهم، ويعلمها كل مطلع على أصول الفكر الماركسي وعلى تاريخ حركاته فى كل مكان**»[289]. و«**لينين نفسه يهودي الأصل**[290]. **وزوجته ورفيقة حياته فى العمل الماركسي يهودية أيضا.** وكذلك **الأغلبية الساحقة من زملائه وأعوانه فى الحركة الماركسية** خارج الاتحاد السوفيتى وداخله فى **سدة الحكم البلشفي** وفى أيام المنفى، أمثال "تروتسكي" و "رادك" و "روزا لوكسمبرج"، وعشرات غيرهم فى أقطاب الحركة الماركسية اليهود من مختلف الجنسيات»[291].

ويقول الأستاذ أحمد راتب عرموش أن الشيوعية "فكرة يهودية"، وضعها كارل ماركس "اليهودي". ويؤكد ذلك أنه **فى عهد لينين (عام 1918م) تألفت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى –وهى أعلى سلطة فى الاتحاد السوفيتي– من 12 عضوا، تسعة منهم من اليهود**، ويضاف إليهم لينين، الذي كانت أمه يهودية وزجته يهودية. **وفى عهد ستالين (سنة 1936م) تألفت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى من 59 عضوا، منهم 56 يهوديا**، والثلاثة الآخرون كانوا متزوجين من يهوديات، ومنهم ستالين نفسه[292].

---

[287]) **"موسكو وإسرائيل: عرض مدعم بالوثائق لجهود موسكو فى خلق إسرائيل وإبقائها"**. صفحة 31. تأليف الدكتور عمر حَليق. الدار السعودية للنشر. جدة. 1967م.

[288]) **"موسكو وإسرائيل: عرض مدعم بالوثائق لجهود موسكو فى خلق إسرائيل وإبقائها"**. صفحة 31. تأليف الدكتور عمر حَليق. الدار السعودية للنشر. جدة. 1967م.

[289]) **"موسكو وإسرائيل: عرض مدعم بالوثائق لجهود موسكو فى خلق إسرائيل وإبقائها"**. صفحة 17.

[290]) اعتمد المؤلف على آخر وأوسع ترجمة دقيقة لحياة لينين صدرت (حتى تأليف كتابه) عن مؤلف أمريكي يهودي عاصر لينين. Luis Fischer: Life of Lenin (1965)

[291]) **"موسكو وإسرائيل: عرض مدعم بالوثائق لجهود موسكو فى خلق إسرائيل وإبقائها"**. صفحة 26.

[292]) انظر مقدمة الأستاذ أحمد راتب عرموش لكتاب **"حكومة العالم الخفية"** (صفحة 32-33)..

وفى الأسبوع الأول من حكم لينين الشيوعى عام 1917م أصدرت الحكومة السوفيتية قرارين، أولهما اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون، وثانيهما التأييد الكامل لحق اليهود فى وطن قومي لهم فى فلسطين[293].

وقد استمرت سيطرة اليهود على الأنظمة الشيوعية، فيقول الأستاذ محمد خليفة التونسي عن اليهود: [ونحن نلمس سطوة دولتهم القائمة فعلاً في استيلائهم على الحكم في روسيا، **فالمكتب السوفيتي هناك الآن (يقصد في عام 1951م) يتألف من سبعة عشر عضواً: منهم أربعة عشر يهودياً صريحاً وثلاثة من أصول يهودية أو من صنائع اليهود، وزوجات الثلاثة يهوديات[294]. وأعضاء المكتب الشيوعي الأعلى في بولندا** أحد عشر منهم سبعة يهود صرحاء. **وتسيطر على سير الأمور في رومانيا الآن** أنا بوكر اليهودية الشيوعية. **وأعضاء المجلس الشيوعي في المجر** خمسة كلهم يهود. **وتشيكوسلوفاكيا** في قبضة ثمانية رجال منهم خمسة يهود][295].

والحركة الشيوعية فى العالم العربي نشأت أيضا بدعم من اليهود، **فالذي مول الشيوعيين فى مصر هو بنك "كوريل" اليهودي** الفرنسي المستمصر، وذلك طبقا لوثائق الحركة اليسارية المصرية التي نشرها هنري كوريل نفسه، وطبعها ووزعها الحزب الشيوعى الفرنسي عام 1956م. **واليسار الماركسى فى العراق أيضا مدين لليهود** فى التمويل والتنظيم والحضانة، أمثال المليونير "قطاف" وغيره. **وفى سوريا** قام بالمهمة يهودى يتكلم العربية اسمه "شامي".[296، 297]

وأعترف أنني **ظللت لسنوات طويلة أستخف بما يقال عن علاقة اليهودية العالمية بالشيوعية،** وأقول كيف يروج اليهود – وهم أصحاب دين سماوي– للشيوعية التي هي حركة إلحاد متطرفة؟ لكننى شاهدت بعينى دليلا عمليا دامغا حين رأينا جميعا رئيسا يهوديا يمنح تأييدا لم يسبق له مثيل للإلحاد فى دولته المسلمة. لقد أصبت بارتباك فكرى، ولم يستطع عقلي أن يهضم هذه العلاقة

---

[293]) **"موسكو وإسرائيل: عرض مدعم بالوثائق لجهود موسكو فى خلق إسرائيل وإبقائها"**. صفحة 31.

[294]) يقول الأستاذ محمد خليفة التونسى: [ولا يزال أغلب أعضاء المجلس السوفيتي الشيوعي الذي يحكم روسيا الآن (يقصد عام 1951م) من اليهود الصرحاء، وهم سبعة عشر هم: ستالين رئيسه، وكاجانو فيتش نائبه، ثم ل.ب. بيريا، وك.ا. فيرشيلوف، وت.م. مولوتوف، وم. شفيرنيك، وكيرتشينسنين، وجوركين، واليا إيرهميرج رئيسة الدعاية، وديفنسكي، وحينسبرج، وميخليس، وفرمين، وجودي، ولوزوفسكي، وكافتانوف، وبيتر ليفنتسكي. وهم يهود صحراء الا ثلاثة منهم: ستالين، وفيرشيلوف، ومولوتوف. ولكن زوجاتهم يهوديات. والثلاثة بين يهودي الأم أو الجدة أو صنيعة مجهول النسب من صنائع اليهود]. انظر: مقدمة كتاب **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون**. صفحة 56.

[295]) **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون.** صفحة 29

[296]) **"موسكو وإسرائيل: عرض مدعم بالوثائق لجهود موسكو فى خلق إسرائيل وإبقائها"**. صفحة 29.

[297]) تم إنشاء أول حزب شيوعي فى مصر على يد المدعو "روز نبرع"، وهو صاحب مخزن لبيع الجواهر فى الإسكندرية عام 1921م، ثم تطورت هذه الحركة على يد جماعة من اليهود فى مصر اسمها جماعة الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني التى أسسها ومولها "بنك كوريل" اليهودي فى القاهرة. انظر: **"موسكو وإسرائيل: عرض مدعم بالوثائق لجهود موسكو فى خلق إسرائيل وإبقائها"**. صفحة 43.

الغريبة لفترة طويلة، ولم أجد لها تفسيرا إلا فى **بروتوكولات حكماء صهيون** التى ذكرت منذ أكثر من قرن أن **اليهود يعملون على هدم كل الأديان حتى لا يبقى فى الأرض إلا دينهم وحده،** كما أنهم **سيستعينون بالإلحاد لهدم الديانات الأخرى، لكن هذا سيكون فقط لفترة مؤقتة.** اقرأ ما يقولون:

«حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض **لن نبيح قيام أي دين غير ديننا،** أي الدين المعترف بوحدانية الله الذي ارتبط حظنا باختياره إيانا، وبه أيضا تقرر حظ العالم ومصيره. ولهذا السبب **يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان.** وإذ تكون **النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين** فلن يدخل هذا في موضوعنا، ولكنه سيَضرِب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وَكل الينا – بعقيدته الصارمة الثاقبة النظر حقا– واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا»[298].

وقد أكد ويليام جاي كار على فكرة مشابهة، فقد نشر رسالة لزعيم عبدة الشيطان الجنرال "بابيك" موجهة إلى مازينى عام1871 م، وهي تفيد أن **عبدة الشيطان يشجعون الإلحاد كوسيلة لهدم الأديان الأخرى، لكنهم فى النهاية سيدمرون كلا من المسيحية والإلحاد معا:**

«سوف نطلق العنان للحركات الإلحادية والحركات العدمية الهدامة ، وسوف نعمل لإحداث كارثة إنسانية عامة تبين بشاعتها اللامتناهية لكل الأمم نتائج الإلحاد المطلق ، وسيرون فيه منبع الوحشية ومصدر الهزة الدموية الكبرى. وعندئذ سيجد مواطنو جميع الأمم أنفسهم مجبرين على الدفاع عن أنفسهم حيال تلك الأقلية من دعاة الثورة العالمية، فيهبون للقضاء على أفرادها محطمى الحضارات. وستجد الجماهير المسيحية آنئذ أن فكرتها اللاهوتية قد أصبحت تائهة غير ذات معنى، وستكون هذه الجماهير متعطشة إلى مثال تتوجه إليه بالعبادة. وعندئذ يأتيها النور الحقيقى من عقيدة الشيطان الصافية التى ستصبح ظاهرة عالمية، والتى ستأتى نتيجة لرد الفعل العام لدى الجماهير بعد تدمير المسيحية والإلحاد معا وفى وقت واحد»[299]

---

[298]) **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون.** البروتوكول الرابع عشر. صفحة 120

[299]) **أحجار على رقعة الشطرنج.** تأليف ويليام جاى كار. صفحة 18

ومن يقارن هذه الرسالة بالنص الأخير من بروتوكولات حكماء صهيون يجد تشابها فى دعم الإلحاد كضرورة مؤقتة يعقبها سيادة الدين اليهودى أو عبادة الشيطان للعالم. ولا فرق كما قلنا بين اليهود وعبدة الشيطان.

نخلص من كل هذا إلى هناك حكومة عالمية خفية يتزعمها اليهود وعملاؤهم الماسون عبدة الشيطان. وهذه الحكومة تسعى لتدمير البشرية من خلال تأجيج الصراعات السياسية والعسكرية والاجتماعية. **وكما دمر اليهود نصف دول العالم من خلال تأجيج الصراع بين الأغنياء والفقراء نراهم الآن يكررون نفس السياسة، ولكن هذه المرة من خلال إشعال صراع بين الرجل والمرأة. وصراع المرأة مع الرجل أخطر بكثير من الصراع الذي جلبته الشيوعية بين الأغنياء والفقراء لأنه يضع كل أسرةٍ على صفيح ساخن، ويجعل الخراب شاملا، لا يغادر أحدا.**

ومن السذاجة أن تظن المرأة أن النظام العالمي الذي يحركه المال اليهودي يتعاطف حقا مع قضيتها. هذا النوع من البشر لا يعرف التعاطف، ولا يسمع عن الرحمة. إنهم شياطين فى ثياب بشر . **وهم حين يؤيدون أحد الأطراف، فهذا لا يكون بدافع الاقتناع بقضيته، بل رغبة فى تدمير الجميع.** يقول شيريب سبيريدوفيتش: «كان الروتشيليديون يمدون جيوش نابليون بالمؤن والعتاد وفى الوقت ذاته كانوا يقومون بالشيء نفسه مع خصومه. فالروتشيلديون لا يمتون إلى أى جانب بصلة، وهم على استعداد للثراء على حساب الأصدقاء والأعداء سواء بسواء»[300]. كما كان اليهود يساعدون الجانبين فى الحرب الأهلية الأمريكية[301]. وفى الحرب العالمية الأولى جاب الجواسيس اليهود كل الأقطار المسيحية، محرضين المعسكرين المتحاربين على إفناء بعضهم بعضا[302]. واليوم نرى اليهود يوزعون أنفسهم على الأطراف المتصارعة فى حرب روسيا وأوكرانيا التى تهدد بإشعال حرب عالمية. فرئيس أوكرانياهو زيلنسكي اليهودى. وفى نفس الوقت أكبر داعمى الرئيس الروسي بوتين هو رومان أبراموفيتش الملياردير الروسى اليهودى الذى يحمل جنسية برتغالية وإسرائيلية. وقد جمدت بريطانيا ممتلكاته ردا على دعمه لبوتين[303]. كما اضطر ذوكربيرج اليهودى صاحب

300) **"حكومة العالم الخفية"** تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 71.
301) **"حكومة العالم الخفية"** تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 82.
302) **"حكومة العالم الخفية"** تأليف شيريب سبيريدوفيتش. صفحة 56-57.
303) **التحقيق مع حاخام بشأن مساعدته في منح الجنسية البرتغالية للملياردير الروسي رومان أبراموفيتش**. موقع BBC NEWS العربى. 13 مارس 2022. تم الدخول للموقع يوم 17 مايو 2022. https://www.bbc.com/arabic/sports-60725164

موقع فيسبوك إلى فرض عقوبات على روسيا بسبب حربها على أوكرانيا، وقابلت روسيا العقوبات بحجب الموقع فى روسيا[304].

هؤلاء هم اليهود: ذئاب ترعى الغنم! فهل من متعظ؟

اليهودي "دُور كايم" يمهد لهدم الأسرة

اليهود متخصصون فى نشر الأفكار الهدامة. يقول الأستاذ عباس العقاد: "**ولن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها. وهي أن إصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية**، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان. **فاليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية** التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان. **واليهودي دُركيم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة**. ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب. **واليهودي – أو نصف اليهودي – سارتر وراء الوجودية** التي نشأت معززة لكرامة الفرد، فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال. ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية، بل الأزياء الفكرية كلما شاع منها في أوروبا مذهب جديد. ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة والتدبير المقصود"[305]

وقل مثل ذلك في العلامة **سيجموند فرويد اليهودي الذي هو من وراء علم النفس** يرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والفنية والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية، كي يبطل قداستها، ويخجل الإنسان منها ويزهده فيها، ويسلب الإنسان الإيمان بسموها ما دامت راجعة إلى أدنى ما يرى في نفسه وبهذا تنحط في نظره صلاته بأسرته نظره صلاته بأسرته ومجتمعه والكون وما وراءه[306].

ونضيف إلى هؤلاء **فلسفة ما بعد الحداثة العدمية التى تكتسح العالم الآن نظريا وعمليا، والتى يُعد اليهودي جاك دريدا أهم روادها**، وشاركه فى الزعامة الماركسيون الفرنسيون. والماركسية كما

---

304) **روسيا تعلن حجب فيسبوك.. وشركة ميتا تعلق.** موقع CNN بالعربية. 4 مارس 2022. تم الدخول للموقع يوم 17 مايو 2022.
https://arabic.cnn.com/business/article/2022/03/05/russia-is-blocking-facebook-in-the-country

305) **جريدة "الاساس"** بتاريخ 21 - 4 - 1950. نقلا عن مقدمة كتاب: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون. صفحة 38-39.

306) من مقدمة الأستاذ محمد خليفة التونسي لكتاب **"الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون"**. صفحة 39

قلنا هى صنيعة اليهودية. وقد تكلمنا عن "ما بعد الحداثة" فى كتابنا "ما بعد الحداثة تجتاح ديار الإسلام"[307].

ونتوقف عند دُركايم (أو دوركايم Durkheim) الذي انتقد العقاد دعوته إلى إبطال دور الأسرة في تطور الفضائل والآداب. إن دُركايم يهودي ذائع الصيت، وهو يعتبر مؤسس علم الاجتماع الحديث، لكنه كان مثل ماركس، يكتب كمفكر ملحد. أكد دُركايم على أن دور الأسرة فى التربية والأخلاق دور صغير مقارنة بالدور الهائل للمَدْرسة. **ويبدو لنا أن تهميش دُركايم لدور الأسرة كان بمثابة إعلان مبادىء أو دستور، طبقه اليهود حرفيا فى أوروبا وأمريكا، وكثير من دول العالم، فأفضى إلى تفكك أسرى تام**. يقول دُركايم:

«فالمدارس العامة بحكم وضعها هي الأداة المنظمة للتربية الوطنية، وفضلا عن ذلك فإنه **على العكس مما يشاع كثيرا من أن الأسرة هي التى يجب أن تضطلع وحدها بعبء التربية الأخلاقية** فإننى أقرر أن ما تقوم به المدرسة من التكوين الخلقي للطفل يمكن بل يجب أن يكون على غاية كبيرة من الأهمية. **فإن جزءا كبيرا من هذه الثقافة الأخلاقية بل أهم جزء فيه لا يمكن تلقينه فى أى مكان آخر**. فلو استطاعت الأسرة وحدها أن توقظ وتنمي العواطف الأسرية اللازمة للحياة الخلقية أو بمعنى أعم التى تكون أساس العلاقات الفردية البسيطة، فإن هذه **الأسرة بحكم تكوينها البسيط لا تستطيع أن تكون أداة صالحة لإعداد الطفل للقيام بواجباته فى الحياة الاجتماعية. فالأسرة حسب تعريفها عضو لا يمكنه القيام بتلك الوظيفة الخلقية**. وعلى ذلك فإذا اتخذنا المدرسة مركزا لبحثنا فذلك لأننا **ننظر إليها على أنها خير مركز يحقق لنا الثقافة الأخلاقية** فى السن التى نحن بصددها[308]».

ويقول دُركايم أيضا:

«فمن البديهي أن الغايات العائلية يجب أن تخضع للغايات الوطنية، لمجرد كون الوطن جماعة اجتماعية من نوع أرفع. ونظرا لأن الأسرة أقرب إلى الفرد، فإنها تمثل غاية أقرب إلى النزعة الشخصية، ومن هنا كانت أقل مرتبة.... وإن الشئون العامة فى مختلف أنواعها، من سياسية

---

[307]) **ما بعد الحداثة تجتاح ديار الإسلام**. تأليف د. محمد سعيد المكاوي. الناشر: منصة أمازون للكتب الرقمية. 1442هجرية-2020م. رقم أمازون: B08HC6WL1J

[308]) **التربية الأخلاقية**. صفحة 19-20. تأليف إميل دُركايم. ترجمة السيد محمد بدوي. مراجعة على عبد الواحد وافي. المركز القومي للترجمة. القاهرة – 2015م.

وتشريعية ودولية...إلخ والأحداث الاقتصادية والعلمية والفنية التى تؤثر فى كيان الأمة بأكمله **كل هذه كفيلة بإخراج الفرد عن المحيط العائلي**، وتحويل انتباهه إلى موضوعات أخرى. بل إن **النشاط العائلي بالمعنى الصحيح قد ضاق نطاقه، ما دام الطفل غالبا ما يترك بيت الأسرة فى سن صغيرة جدا**، ليتلقى خارجه تعليما عاما، وما دام يتركه نهائيا على أي حال حين يصل إلى حد النضوج، ولا يحتفظ هو الآخر بالأسرة التى يؤسسها حوله سوى فترة قصيرة. **وهكذا يميل مركز الثقل فى الحياة الأخلاقية – وهو المركز الذى كان ينحصر من قبل فى الأسرة– إلى التحول رويدا رويدا، فى صورة تصبح معها الأسرة عضوا ثانويا فى جسم الدولة».**[309]

ويؤكد دُركايم أن **المجتمع كلما ازداد رقيا صار دور الأسرة فيه أكثر هامشية. وهذه فكرة فى غاية الخطورة لأنها توحي بأن الأسرة نظام بالٍ، ينتمي إلى العصور البدائية، وأن إهمالها ضرورة لمن أراد التطور:**

« فإن الواقع يؤكد أنه **بقدر ما تتقدم المجتمعات وتزداد تركزا** فان قدر الحياة العامة للمجتمع – أى تلك الحياة التى يشترك فيها جميع أفراده، وتتخذ من الجماعة السياسية أصلا وغاية– يرتفع فى نفوس الأفراد، بينما **يتضاءل فى نفس الوقت الدور النسبي، بل المطلق، للحياة العائلية».**[310]

وحجة دُركايم أن الطفل يمر بمرحلتين عمريتين: المرحلة الأولى فى البيت والمرحلة الثانية فى المدرسة. وفى المرحلة الأولى يكون الطفل صغيرا، وقواه العقلية ضعيفة، وبالتالى غير مؤهل لتعلم الأخلاق إلا بشكل خافت بدائي. أما المرحلة الثانية فتكون مدارك الطفل قد اتسعت، وهنا يمكن غرس الأخلاق بشكل حقيقى فى وجدان الطفل بواسطة المدرسة. و **هذا الافتراض ساقط لأنه يوهمنا أن صلة الإنسان تنقطع تماما بعائلته بمجرد دخوله المدرسة**، وأن آباءه يكُفُّون عن تلقينه القيم والأخلاق منذ ذلك الحين، تاركين المهمة كاملة لمُدرسيه. كما أن من السذاجة الدعوة لإهمال دور مؤسسة تربوية خطيرة كالأسرة بحجة أن مؤسسة تربوية أخرى ستقوم مقامها اسمها المدرسة. **لماذا لا نستفيد من الاثنين معا؟** ثم إن الواقع يؤكد أن تأثير الأسرة على أخلاق الإنسان أهم بكثير من تأثير المدرسة لأنه فى الغالب **لا أحد فى الحياة أحرص على خُلق الإنسان من أسرته**، وما يحدث فى الواقع هو أن المدارس تهمل التربية لانشغالها الكامل بالعلم والدراسة والامتحانات. فالطالب إن

---

[309]) **التربية الأخلاقية**. تأليف إميل دُركايم. صفحة 73-74.

[310]) **التربية الأخلاقية**. تأليف إميل دُركايم. صفحة 73-74.

ساء سلوكه حملت أسرته عاره، وقال الناس أن أسرته لم تعرف كيف تربيه، ونادرا ما يلقى أحد باللائمة على المدرسة. ونحن لا ننكر أن المدرسة يمكن أن يكون لها دور مهم فى التربية، وقد كان معلمونا منذ أربعين سنة يحرصون على تعليمنا الأخلاق، لكن بأقصى درجات التفاؤل يمكنك أن تقول أن دور المدرسة مساو لدور الأسرة. أما إلغاء دور الأسرة، وإسناده إلى المدرسة فمحض عبث.

وقد يظن البعض أن دُركايم لم يفعل شيئا أكثر من أنه سلب من الأسرة دورها الخلقي، وأوكله إلى المدرسة، فكانت المحصلة واحدة. لكن الحقيقة أن **الأخلاق التى ينادى دُركايم بتعليمها للنشء ليست الأخلاق التى جاء بها الدين، ولكنها أخلاق دنيوية عقلية محضة، أى أخلاق إلحادية؛** يقول دُركايم:

«فلقد استقر عزمنا على أن تكون التربية الخلقية التى نلقنها لأبنائنا فى المدارس **ذات صبغة دنيوية محضة.** ونعنى بذلك **التربية التى لا تستند إلى المبادىء التى تقوم على الديانات المنزلة،** وإنما ترتكز فقط على أفكار ومباديء، يبررها العقل وحده، أى أنها فى كلمة واحدة تربية عقلية خالصة»[311]. و«الرباط الوثيق الذى كان يربط قديما الأخلاق بالدين أخذ بمضي الزمن ينحل شيئا فشيئا. وإذا كنا الآن نطالب بفصل مجال الدين عن مجال الأخلاق فإننا لا نفعل سوى أن نسير مع مجرى التاريخ. وليس الانقلاب الذى يحدث الآن إلا نتيجة لتطورات بدأت منذ زمن بعيد»[312].

وعلى ذلك فدُركايم يريد تقليص دور الأسرة فى تربية النشء لأنه يعلم أن الأسر تعلم أبناءها الأخلاق القائمة على الدين، أما إذا انتقلت مهمة التربية إلى المدرسة فهناك سيتعلم النشء الأخلاق الإلحادية لأن مناهج التعليم ينفرد بوضعها المثقفون من خارج المؤسسات الدينية.

ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد **فدُركايم يفهم الأخلاق فهما شاذا، فهو لا يهتم بالأخلاق الفردية، بل بالأخلاق الجماعية. إنه لا يهتم بالحب والشفقة والعطف والعدل والصدق والأمانة، ولكن الأخلاق فى نظره تنحصر فى حب الوطن والعمل العام،** أى العمل من أجل مصلحة المجتمع

---

311) **التربية الأخلاقية**. تأليف إميل دُركايم. صفحة 5.

312) **التربية الأخلاقية**. تأليف إميل دُركايم.. صفحة 9

بأسره. وبما أن المدرسة هى التى تعلم الطفل هذه الأمور، وبما أن الأسرة فى نظره عاجزة عن ذلك، فهذا يوجب أن تكون المدرسة فى الصدراة، وأن يتراجع دور الأسرة. يقول دُركايم:

«وهكذا نرى فى الحقيقة أن **إحسان فرد إلى فرد يحتل مكانة ثانوية فى نظام السلوك الأخلاقي**. ولكن ليس فى هذا ما يدعو إلى العجب؛ إذ أن ذلك الإحسان لا يستحق مكانة أرفع من هذه. ففى وسعنا أن نثبت بسهولة أن ذلك النوع من الإيثار يكون عادة ذا نتائج قليلة الأهمية. **فالواقع أننا لو نظرنا إلى الفرد فى ذاته، مقتصرين على قواه الخاصة، لما وجدنا أن فى وسعه تغيير حالة المجتمع. فليس فى وسعنا أن نقوم بتأثير فعال على المجتمع إلا إذا ربطنا بين قوى الأفراد بحيث نضع قوى جمعية فى مقابل قوى جمعية أخرى**. ويمكننا أن نلاحظ أن الشرور التى يحاول الإنسان الفردى شفاءها أو التخفيف منها ترجع فى أساسها إلى أسباب اجتماعية. فيمكن القول –بغض النظر عن حالات استثنائية خاصة– أن طبيعة البؤس فى أى مجتمع ترجع إلى حالة الحياة الاقتصادية، وإلى الظروف التى تطبق فيها، أى إلى تنظيم الحياة نفسها»[313].

ودُركايم هنا يقع فى خطأ فادح، فالنص السابق يقول أن قدرة الفرد على تغيير المجتمع محدودة. وهذا شيء لا مشاحة فيه، لكن هذا لا يثبت فى الحقيقة أكثر من ضرورة تعاون الأفراد من أجل مزيد من الفاعلية فى إصلاح المجتمع من خلال سلطة الدولة والأحزاب والبرلمانات والصحافة والفكر. ومنطقه هذا لا يثبت أن الأخلاق الفردية (أى الإحسان الذى يقوم به الفرد تجاه الآخرين) بلا قيمة. **هب أن دوركايم تاه ذات مرة فى الصحراء، وكاد يموت من العطش، فقابله أحد تلاميذه، فرفض التلميذ أن يقدم لأستاذه شربة ماء بحجة أنه مقتنع بأن الأخلاق الفردية بلا قيمة، وأن اللائمة تقع على الحكومة التى لم تضع علامات إرشادية على الطرق. فهل هذا التصرف يعجب دركايم؟ إن الأخلاق الفردية مهما كان تأثيرها محدودا فقيمتها هائلة، ولهذا اعتبر الإسلام أن إنقاذ إنسان واحد من الموت يعتبر فى نظر الله مثل إحياء الناس جميعا:** {مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: 32]. كما أن الإصلاح الواسع النطاق (من خلال الحكومات والبرلمانات والأحزاب) هو فى جوهره متفق مع الإصلاح الفردى، لأن **نفس القيم**

[313]) **التربية الأخلاقية**. تأليف إميل دُركايم. صفحة 82-83

والمباديء يتم نشرها فى الحالتين، فالفرد يعطف على المريض، والحكومة أيضا تعطف على المرضى؛ والفرد يمنع ابنه من الزنا، والحكومة أيضا تمنع المواطنين من الزنا.

ودُركايم يرتكب مغالطة شنيعة حين يظن أن الأسرة منعزلة عن الوطن، وأن مصلحتها ضد مصلحته على الدوام، مع أن شواهد الواقع والتاريخ تبرهن أن الأسرة يمكن أن تكون أكبر عون للوطن، فكم من أم دفعت ابنها إلى الجهاد! ألا تذكرون أسماء بنت أبي بكر التى حضت ابنها عبد الله بن الزبير على الجهاد بغية النصر أو الموت؟[314] ألا تذكرون الشاعرة الشهيرة الخنساء التى شهدت موقعة القادسية، ومعها أربعة بنين لها، فحثتهم على الجهاد حتى استشهدوا جميعا، ففرحت بهم؟[315] إن كلتا المرأتين فضلتا المصلحة العليا للوطن على مصلحة الأسرة (الوطن هنا هو الأمة الإسلامية). والأمثلة كثيرة.

إن دُركايم يضحي بالدور التربوي للأسرة بكل هذه السهولة لأنه من الأصل لا يقيم وزنا للأخلاق التى تربى عليها الأسر أبناءها. إنه يرفض اعتبار أن الأخلاق أتت من الله، أو من داخل نفس طيبة، وإنما هي من صنع المجتمع نفسه. والأدهى أن أخلاق المجتمع "ضرورية"، وعَصِيَّة على التغيير[316]. لقد حول دُركايم المجتمع إلى إله، ونسب إليه ما كان ينسبه الناس إلى الله عبر التاريخ، فهو يقول:

«ففى كل مرة نتدبر فيها لنعلم كيف يجب علينا أن نسلك، نجد صوتا يتكلم فينا، ويهيب بنا قائلا: هو ذا واجبك. وعندما نتخاذل عن أداء ذلك الواجب الذى بين لنا على هذا النحو، يعلو ذلك

---

[314]) قالت أسماء بنت أبى بكر لابنها قبل موته بعشر ليال: وَاللَّهِ مَا أَشْتَهِي أَنْ أَمُوتَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ أَحَدُ طَرَفَيْكَ، **إِمَّا أَنْ تُقْتَلَ فَأَحْتَسِبُكَ، وَإِمَّا أَنْ تَظْفَرَ فَتَقَرَّ عَيْنِي، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْرِضَ علي خطة فلا تُوَافِقُ، فَتَقْبَلَهَا كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ**. انظر: **"تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام" (2/ 787).** تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 2003 م

[315]) **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (7/ 89). تأليف عز الدين ابن الأثير. تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. 1415هـ - 1994 م

[316]) يقول دركايم: «فقد بينا أن هدف الأخلاق هو أن تجعل الفرد يتعلق بجماعة أو بجماعات اجتماعية عديدة، وأن الروح الأخلاقية تقتضي هذا التعلق ذاته. فمعنى ذلك إذن أن الأخلاق قد جعلت من "أجل" المجتمع. ولكن ألا يدل هذا بالأحرى على أن **الأخلاق خلقت "بفعل" المجتمع؟**.... إذا كان المجتمع هو غاية الأخلاق، فإنه أيضا مبدعها. **أما الفرد فلا يحمل فى ذاته تلك الأحكام الأخلاقية التى تبدو وكأنها قد رسمت مقدما،** على الأقل فى خطوطها العامة، بحيث لا يكون على الفرد بعد ذلك إلا أن يحددها وينميها.... **فما يثبت أن الأخلاق من عمل المجتمع هو أنها تتنوع وتختلف بحسب اختلاف المجتمعات.** فأخلاق المدن الإغريقية والرومانية ليست كأخلاقنا، كما أن أخلاق القبائل البدائية ليست كأخلاق المدنية.... ولكن إن تكن هناك واقعة أثبتها التاريخ على نحو لا يترك مجالا للشك فيها، فتلك هي أن **أخلاق كل شعب ترتبط ارتباطا مباشرا بطبيعة الشعب الذي يمارسها**.....أما **الفكرة القائلة أن الرومان كان في وسعهم أن يسلكوا في أخلاقهم سبيلا يختلف عن السبيل الذى سلكوه فهي سخف تاريخي بحق. فهم لم يكونوا عاجزين عن تغييرها فحسب، بل ما كان ينبغي لهم أن يحاولوا ذلك.** ولو فرضنا أنه قد وقعت معجزة فتحت أمام أذهانهم أفكارا مشابهة لتلك التي تقوم عليها أخلاقنا الحالية، لما أمكن المجتمع الروماني أن يحيا. ولكن الأخلاق سبيل إلى الحياة، لا إلى الموت. والنتيجة هي أن **لكل نوع اجتماعي الأخلاق الضرورية له،** كما أن لكل نوع بيولوجي الجهاز العصبى الذى يمكنه من حفظ ذاته. **فالأخلاق إذن من صنع المجتمع نفسه، وهي تعكس بامانة تركيب ذلك المجتمع**. وكذلك الحال حتى فيما يسمى بالأخلاق الفردية. **فالمجتمع ذاته هو الذى يفرض علينا كل شىء، حتى واجباتنا بإزاء أنفسنا**. وهو الذى يدفعنا إلى أن نحقق فى ذاتنا أنموذجا مثاليا، ويدفعنا إلى ذلك لأن فيه نفعا حيويا له. والواقع أن المجتمع لا يمكنه أن يحيا إلا وجدت بين أعضائه أوجه تشابه كافية، أى إذا تكررت لديهم جميعا – على درجات متفاوتة- الخصائص الأساسية لمثل أعلى متحد، وهو المثل الأعلى الجمعي.... **فإذا كان المجتمع ذاته هو الذي شرع القواعد الأخلاقية،** فلا بد أن يكون هو أيضا الذي أضفى عليها تلك السلطة التى نعزوها إليها، والتى نحاول تفسير مصدرها». انظر: **التربية الأخلاقية**. تأليف إميل دُركايم. صفحة 84-86

الصوت ذاته محتجا على فعلنا. ولما كان ذلك الصوت يتكلم بلهجة الآمر، فإنا **نحس دائما بأنه لا بد صادر عن كائن يعلو علينا.** غير أننا لا نتبين بوضوح من هو أو ما هو ذلك الكائن. ولهذا لجأ خيال الشعوب– من أجل تفسير ذلك الصوت الخفي الذى تختلف لهجته عن لهجة الصوت الإنساني– **لجأ ذلك الخيال إلى أن يعزوه إلى كائنات علوية تسمو على الإنسان، وأصبحت هذه الكائنات موضوعا للعبادة.** وهنا لا تكون العبادة سوى المظهر الخارجي للاعتراف بالسلطة التى تعزى إليها. **وعلينا نحن أن نزيل عن هذه النظرة ما علق بها فى خلال التاريخ من صور أسطورية، وأن نصل إلى الحقيقة من وراء الرمز، أما تلك الحقيقة فهي المجتمع – هي المجتمع الذي بث فينا، حين عمل على تكويننا خلقيا، تلك المشاعر التي تملي علينا سلوكنا بلهجة آمرة صارمة،** أو تثور علينا بمثل هذه القوة عندما نأبى أن نمتثل لأوامرها. **فضميرنا الأخلاقي لم ينتج إلا عن المجتمع، ولا يعبر إلا عنه.** وإذا تكلم ضميرنا، فإنما يردد صوت المجتمع فينا. ولا شك فى أن اللهجة التى يتكلم بها هي خير دليل على السلطة الهائلة التي يتمتع بها»[317].

كان هذا نموذج لفكر احتفى به اليهود، وروجوا له فى العالم، ليس فقط ليسمموا أفكار البشر، ولكن ليهدموا الأسرة، ويدمروا أخلاق المجتمع. وقد تحقق لهم ما أرادوا بنجاح ساحق.

****

وبعد، إن العالم يشهد الآن فصولا متلاحقة لحرب عالمية باردة كتلك التى دارت فى القرن العشرين بين أمريكا وروسيا. والحرب هذه المرة أشد اتساعا، فهي تدور داخل كل بيت بين الرجل والمرأة. إن هذه الحرب الباردة لا يُسمع فيها أصوات الرصاص، ولا طلقات المدافع، ومع ذلك فهي فى غاية الشراسة. وفى بعض اللحظات يزداد التوتر إلى درجة حرجة، فيقع الطلاق. والخطير أن لحظات التوتر زادت بشكل كبير، مما أدى إلى زيادة رهيبة فى معدلات الطلاق داخل بلاد المسلمين. وأقسم لكم أن الأيدى الخفية لبعض الزعماء الذين يتلقون الأوامر من تل أبيب مسئولة

---

[317]) يقول دُركايم: «ففى كل مرة نتدبر فيها لنعلم كيف يجب علينا أن نسلك، نجد صوتا يتكلم فينا، ويهيب بنا قائلا: هو ذا واجبك. وعندما نتخاذل عن أداء ذلك الواجب الذى بين لنا على هذا النحو، يعلو ذلك الصوت ذاته محتجا على فعلنا. ولما كان ذلك الصوت يتكلم بلهجة الآمر، فإنا نحس دائما بأنه لا بد صادر عن كائن يعلو علينا. غير أننا لا نتبين بوضوح من هو أو ما هو ذلك الكائن. ولهذا لجأ خيال الشعوب- من أجل تفسير ذلك الصوت الخفي الذى تختلف لهجته عن لهجة الصوت الإنساني- لجأ ذلك الخيال إلى أن يعزوه إلى كائنات علوية تسمو على الإنسان، وأصبحت هذه الكائنات موضوعا للعبادة. وهنا لا تكون العبادة سوى المظهر الخارجي للاعتراف بالسلطة التى تعزى إليها. وعلينا نحن أن نزيل عن هذه النظرة ما علق بها فى خلال التاريخ من صور أسطورية، وأن نصل إلى الحقيقة من وراء الرمز، أما تلك الحقيقة فهي المجتمع – هي المجتمع الذي بث فينا، حين عمل على تكويننا خلقيا، تلك المشاعر التي تملي علينا سلوكنا بلهجة آمرة صارمة، أو تثور علينا بمثل هذه القوة عندما نأبى أن نمتثل لأوامرها. فضميرنا الأخلاقي لم ينتج إلا عن المجتمع، ولا يعبر إلا عنه. وإذا تكلم ضميرنا، فإنما يردد صوت المجتمع فينا. ولا شك فى أن اللهجة التى يتكلم بها هي خير دليل على السلطة الهائلة التي يتمتع بها» . نقلا عن: **التربية الأخلاقية**. تأليف إميل دُركايم. صفحة 87-88

بشكل مباشر عن انتشار الطلاق في شعوبنا. وإذا خلا الواحد منهم إلى نفسه انفجر ضاحكا من هؤلاء الحمقى الذين يقتتلون حتى الموت، بينما عدوهم اليهودى ينام قرير العين بعد أن مزق جيرانه، وحول جيوشهم إلى نيران صديقة تتبنى قضيته، وترفع رايته.

لقد انتهت الأسرة منذ زمن فى بلاد الغرب، فلم يعد لديهم ما يخسرونه، أما فى بلاد الإسلام فالأسرة لا تزال حاضرة، لكن مرضا خطيرا ألم بها، وأصابها بالاختناق، وإن لم نتدخل بشكل عاجل لفظت أنفاسها الأخيرة.

وكما أدت الشيوعية إلى خراب هائل فى نصف دول العالم، ستؤدى الحركة النسائية إلى خراب مماثل، لكن الخراب هذه المرة سيلحق بالعالم كله.

وقد وجدت الشيوعية صعوبة شديدة فى التسلل إلى بلاد المسلمين لأن المسلمين رفضوا الإلحاد، أما اليوم فقد اخترقت الحركة النسائية كل بلاد المسلمين تحت راية تجديد الخطاب الديني، وتكريم الإسلام للمرأة، ومسايرة روح العصر. لقد هزم المسلمون أنفسهم، قبل أن يهزمهم عدوهم.

وفى القرن الماضي وقفت أمريكا ومعها الغرب فى وجه الشيوعية حتى أسقطوها، لكن **مَن يقف اليوم فى وجه الحركة النسائية؟** لا أحد. كل المنظمات وكل الدول وكل وسائل الإعلام انحازت إلى صف المرأة.

لقد كان من المفترض أن يقف العالم الإسلامى ليحارب إبليس وحركته النسائية، وينقذ البشرة من هذه الهجمة العاتية، لكن حراس العقيدة سلموا مفاتيح المدينة المقدسة إلى الأعداء من أجل قطعة شيكولاته أو ابتسامة رضا من صاحب نفوذ!

إن الخراب قادم لا محالة إن لم يظهر جيل جديد من المسلمين الذين يدركون خطورة حكومة الشيطان اليهودية التي تحكم العالم. فلنستعد لحرب تكسير عظام. ولن يكسر دين الله أحد.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الحركة النسائية تتجاوز الخطوط الحمراء

أي شخص يخبرك أنه يؤيد الحركة النسائية أو حقوق المرأة فاعلم أنه وقح، وفى دينه خلل خطير. الحركة النسائية فكر شيطاني، بدأ صغيرا، ثم كبر، وتجرأ، إلى أن تحول إلى كفر صريح، ليس فقط في الغرب، بل في عقر دار الإسلام.

لقد وصل الانحطاط بكثير من أتباع الحركة النسائية إلى اعتبار أن **الوثنية التي كانت منتشرة فى العالم القديم مظهر من مظاهر الرقى والاستنارة لأن كثيرا من الآلهة التى عبدها الأقدمون كانت لإناث. وتحسر بعضهم على اندثار عبادة اللات والعزى ومناة بعد ظهور الإسلام لأن هذه أوثان لإناث**، فاللات مثلا هي مؤنث (الله)، والعزى هي مؤنث (العزيز). ومن الرجعية في نظرهم محاربة أى شيء أنثوى حتى لو كان صنما من حجارة!

ومن قبيل الخبل أن قام بعض أنصار المرأة منذ حوالي خمسة عشر عاما بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، فجعلوه كتابا مؤنثا، وتكلموا عن الله عز وجل بصيغة المؤنث، فبدلا من أن يقولوا مثلا: (He guides) قالوا: (She guides)

لقد استفحل خطر الحركة النسائية، وباتت محاربة هؤلاء المجانين واجبا على كل مسلم ومسلمة، **فالمسألة لم تعد تقف عند حد المناداة بحقوق المرأة المسلوبة، بل وصل تعظيم المرأة إلى حد التقديس والتأليه**. ولسنا نسيء الظن بهم، فهذه حقيقتهم التي لم تعد تخفى إلا على ساذج. إن من كان له شيء من البصر فلا بد أن يلاحظ أنهم يحبون المرأة أكثر من حبهم لله، ويَذكُرون "المرأة" أكثر من ذكرهم لله، بل إن إحداهن كانت تفخر بأنها تحفظ نصوص اتفاقية "السيداو" عن ظهر قلب، وفى نفس الوقت لم تكن تحسن تلاوة الآيات التي تستشهد بها من القرآن.

وقد أصبحت الحركة النسائية في السنوات الأخيرة البوابة الأولي للإلحاد. والطريق معروف: **فى البداية تتخلى المسلمة عن النظر إلى الإسلام كوحدة واحدة، وحزمة متماسكة، وتبدأ في النظر إلى دينها من زاوية حقوق المرأة فقط، وكأن الإسلام دين نزل من السماء لتحقيق هدف وحيد هو إنصاف المرأة**، ولا شأن له بعد ذلك بالحياة.

هذه بداية الكارثة. وفى هذا السياق **تشرع المرأة في تأويل نصوص القرآن لتتفق مع ما تتطلع إليه من حقوق للمرأة،** ثم تخطو خطوة أخرى، فتخلع الحجاب، ثم خطوة أبعد، **فتنكر الأحاديث النبوية التي ترى أنها تهين المرأة.** وبعد قليل **تبدأ في التململ من القرآن نفسه،** فهو يبدو في عينيها ضئيلا مقارنة بالاتفاقيات الدولية التي منحت المرأة حقوقها كاملة. وتكون الخطوة التالية أن تعيد التفكير في الإسلام ذاته، فتتكون لديها قناعة بأن **القرآن يجب أن يبقى محصورا بين دفتي المصحف دون أن يكون له دور في حياة المسلم المعاصر، وهذه هي العلمانية.** وبعد قليل تجد المرأة في نفسها هوى تجاه مقولة أن الإسلام دين صحراوي، يعبر عن نظرة مجتمع متخلف للمرأة، وأن هذا الدين لا يمكن أن يكون قد نزل من لدن خالق الكون، **وهنا تتحول المرأة إلى اللادينية،** فتعلن أنها تؤمن بإله للكون، لكنه ليس إله الإسلام، ولا إله أي دين من الأديان. **واللادينية لا تختلف عمليا عن الإلحاد،** وهي ليست أكثر من محاولة لتجميل الوجه القبيح له، فالملحد واللاديني يتفقان في أن كليهما لا يشعر بإلزام من دين أو خلق، كلاهما لا يعبد الله، كلاهما لا يصلى ولا يزكى، كلاهما لا يعرف الحلال ولا الحرام، كلاهما لا يؤمن بالبعث ولا الجنة ولا النار. **وفى النهاية تكتمل الجرأة، فتعلن المرأة أنها صارت ملحدة.**

لقد أخذت العلاقة تنكشف أكثر وأكثر بين الحركة النسائية والإلحاد في السنوات الأخيرة. ويكفي أن تلاحظ أن كل الملحدين يتحمسون لقضية المرأة. وأتباع الحركة النسائية فى المقابل إما ملحدات صراحة، أو يتعاطفن مع الإلحاد، أو يسكتن عنه، وكأنه لا يضر الدين فى شيء.

والمحلدون يتبنون قضية المرأة، ليس لأنهم يحبون الحق، ويكرهون ظلم المرأة، ولكن لأن المرأة المعاصرة تريد حقوقا تتعارض مع شريعة الإسلام، ولذا فأي انتصار للمرأة هو هزيمة مؤكدة للإسلام الذى لا يطيقونه.

إننا نحذر بشدة كل مسلم ومسلمة من إلقاء السمع إلى مقولات الحركة النسائية، فليس بعدها إلا الطوفان والغرق. اللهم قد بلغت. اللهم فاشهد.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ما بعد المساواة

وماذا بعد؟ إلى أين يصل السباق؟ إن المرأة لا تكف عن محاولة اللحاق بالرجل، وقد وصل بها الجنون إلى حال يرثى لها، فحتى الرياضات العنيفة لم تسلم من طمع المرأة، التي أصبحت تمارس الملاكمة والمصارعة وألعاب القوى، بل رأينا نساء تمارس رياضة رفع الأثقال وكمال الأجسام، فكانت الواحدة منهن ذات عضلات منتفخة متضخمة كالرجال تماما، ولولا وجهها وشعرها لما علمنا أنها امرأة. ما أقبحه من منظر! لقد أعمتهن الغيرة الحمقاء. ولو سار الرجل وراء منطقهن لحلق شاربه ولحيته، ووضع المساحيق على وجهه، ورقق صوته، وتمايل فى مشيته، وارتدى الفساتين القصيرة كى يثبت أن المرأة ليست أكثر جمالا من الرجل!

ومع الأسف تحقق ما كنت أظنه خيالا، فها هو العالم يموج بأخبار عن المتحولين جنسيا transgender. والواحد من هؤلاء خلقه الله ذكرا كاملا، ولديه أعضاء تناسلية سليمة، وفى سن البلوغ ينبت له شارب ولحيه، وتتضخم عضلاته، ويغلظ صوته، ولكنه فى وقت ما من الأوقات (فى سن المراهقة أو الكبر أو حتى الطفولة) يشعر برغبة فى أن يحيا بين الناس كأنثى، وليس كذكر، فيتخذ لنفسه اسم امرأة، ويرتدي ملابس النساء، ويحلق لحيته وشاربه تماما، ويستخدم أدوات التجميل، وربما يتعاطى أدوية تقلل من هرمونات الذكورة، وتزيد من هرمونات الأنوثة، فيصبح شكله مثل المرأة، رغم أنه يمتلك أعضاء الذكر التناسلية. والعكس أيضا يمكن أن يحدث مع البنت، التى تشعر فى وقت من الأوقات أنها غير راضية عن أنوثتها، وأنها تريد أن تعيش بين الناس كذكر، فتتناول العقاقير التى تزيد من نسبة هرمون الذكورة، وتقلل من هرمونات الأنوثة، فتصبح كالذكر فى شكلها، وتنمو لها العضلات والشارب واللحية، ويغلظ صوتها.

وتسمى هذه الحالات فى الطب "كراهية النوع" gender dysphoria ، أى كراهية الإنسان لجنسه البيولوجي، لكن هذا المصطلح قليل الاستخدام. والميول الجنسية Sexual orientation للمتحولين جنسيا مختلفة، والواحد منهم قد يجامع كلا من الذكر والأنثى.

وفى بطولة طوكيو للألعاب الأولمبية عام 2020م سمح لرجل من نيوزيلده أن يشارك فى بطولة رفع الأثقال كامرأة لأول مرة فى التاريخ بعد أن تمكن من خفض نسبة هرمون الذكورة لديه.

ولا شــك أن هذه حالات شــاذة، وكانت موجودة عبر التاريخ، لكنها تزايدت بشــدة فى الســنوات الأخيرة، إذ تقدر نسبة المتحولين جنسيا بحوالى 0.5 فى المائة، أى واحد بين كل 200 شخص من عمر 18–64 عاما. بل أظهرت عدة دراســـات كبيرة أجريت على الأمريكيين من خلال الإنترنت أن 30–40% من المشــاركين عرَّفوا هوية النوع الخاصــة بهم على أنها شــيء مختلف عن كل من الرجل والمرأة[318]. والإعلام العالمى يتآمر بشـــكل غريب لتغيير خلق الله، وأخبار المتحولين جنســـيا تملأ المواقع الإخبارية المهمة، والهدف هو أن تصـــبح هذه الأخبار عادية ومألوفة، فيســـهل تقبل الناس لوجود هؤلاء المجانيين بينهم، ومن يعترض ســـيتعرض للاتهام بالتعصــب وعدم قبول الآخر. وشــهد العقدان الأخيران موجة من البحوث حول هذه الظاهرة التى حظيت بالاعتراف من الكيانات العلمية الكبرى، فمثلا فى توصــيات إرشــادية للجمعية النفســية الأمريكيــة[319] American Psychological Association نجـد تعـاطفـا كبيرا مع هؤلاء المنحرفين، فقد كان دافعهم لإعداد هذه التوصـــيات ما يرون أنها مشـــاكل اجتماعية ونفســـية، يتعرض لها المتحولون جنسـيا كالتمييز والشـعور بالعار والاكتئاب والميل للانتحار، فجاءت هذه التوصـــيات بهدف مســـاعدة الأطباء النفســيين على تقديم رعاية واعية ومقدِّرة وداعمة لهويات وخبرات المتحولين جنسيا.

وتقدم أولى هذه التوصيات **أساسا فلسفيا أو مبررا منطقيا للتعاطف مع ظاهرة التحول الجنسي،** فتقول: «يتفهم علماء النفس أن النوع gender هو بنية غير مزدوجة، تســمح بمدى من هويات النوع أو الجنس، وأن هويـة النوع gender identity للشـــخص قد لا تتمـاشـــى مع الجنس المخصـص له عند الولادة (ذكر وأنثى). وهوية النوع تعرف على أنها الإحســاس الفطرى العميق للشخص بأنه بنت أو امرأة أو أنثى أو ولد أو ذكر أو مزيج من الذكر والأنثى أو نوع بديل. وفى كثير من الثقافات والتقاليد الدينية نُظر إلى النوع على أنه بناء مزدوج، ذو صــنفين، يســتبعد كل منهما الآخر، هما الذكر والأنثى أو الولد والبنت أو الرجل والمرأة. وهذه التصــنيفات التى يســتبعد كل منها الآخر تتضـمن افتراضـا بأن هوية النوع تتماشـى دائما مع الجنس المحدد للشـخص عند

318) **American Psychological Association**. Guidelines for Psychological Practice With Transgender and Gender Nonconforming People. American Psychologist .Vol. 70, No. 9, 832–864. http://dx.doi.org/10.1037/a0039906
319) **American Psychological Association**. Guidelines for Psychological Practice With Transgender and Gender Nonconforming People.

الولادة. وبالنسبة للمتحولين جنسيا فإن هوية النوع تختلف عن الجنس الممنوح للشخص عند الولادة بدرجات متفاوتة، كما تُجرب ويُعبر عنها خارج ازدواجية النوع».

وكما ترون فهذا المنطق يقوم على التفرقة بين مصطلحين الأول هو "النوع" (الجندر) gender والثاني هو "الجنس" Sex. الجنس هو التصنيف الذى يمنحه المجتمع للإنسان عند ولادته بناء على شكل أعضائه التناسلية، فيكون إما ذكرا أو أنثى. أما النوع فهو الشعور الداخلي لدى الإنسان بالذكورة أو الأنوثة، والذي قد لا يتماشى مع شكل أعضائه التناسلية.

وهذه التفرقة شديدة الخبث لأنهم يقدمونها كمبرر لشرعية ظاهرة التحول الجنسي، مع أن المنطقى أن يقدموا المبرر لشرعية هذه التفرقة بين النوع (الجندر) والجنس ذاتها. أقصد أنهم يقولون أن علينا أن نتقبل ظاهرة التحول الجنسى لأن بعض الناس يشعرون بهوية تختلف عن الهوية التى توجبها أعضائهم التناسلية. ونحن نقول: هذا هراء **لأن وجود شعور مناقض للواقع لدى شخص ما لا يجعل هذا الشعور مشروعا، يكفى أنه يخالف الواقع، وهذا يوجب علينا أنه نصفه بالكذب. إن الإنسان العاقل يحرص بشدة على الحقيقة، ويستفزه أن يشعر الناس بخلافها. والمصيبة تكون أكبر إن كان هذا الشعور الزائف ضارا بالإنسان أو المجتمع.** هب أن إنسانا قال لك أنه يعتقد أن الأرض غير كروية، كما يشاع هذه الأيام، فهل نوافقه الرأى أم نثبت له أنه مخطىء حتى لو كان هذا الرأى غير ضار بأحد؟ طبعا أى إنسان عاقل محترم سيغضبه هذا الاعتقاد الوهمي. وبالمثل **يجب علينا أن نرفض الشعور الداخلى للمتحول جنسيا، ونبين له أولا أن شعوره كاذب، ولهذا فهو مرفوض فى ذاته، وثانيا أن هذا الشعور ضار،** لأنه سينتج لنا شخصا بلا فائدة، فلا هو رجل ولا هو امرأة. المرأة إن تحولت إلى رجل ستترك رجلا آخر بلا إشباع جنسي، وستترك أولادا بلا رعاية، أو لن تنجب من الأساس، وبعد أن تتحول إلى رجل لن تكون رجلا حقيقيا، ولن تشبع الرغبة الجنسية لامرأة بكفاءة. والعكس صحيح إن تحول رجل إلى امرأة، فهو سيترك امرأة بلا إشباع لرغبتها الجنسية، وسيترك أولاده بلا رجولة تربيهم وترشدهم، كما أنه سيتحول إلى امرأة زائفة لا تشبع رغبة الرجل، وإن أشبعت رغبته فلن تنجب منه، وإن أنجبت فلن تجيد رعاية الأولاد. وبالجملة يؤدى التحول الجنسي إلى خسارة المجتمع لأنوثة المرأة وذكورة الرجل، وسينخفض حتما معدل الإنجاب، وسيخيم شبح الانقراض كما نرى فى أوروبا الآن.

يا إخواني **من الحماقة الشديدة أن يتقبل المجتمع المشاعر الداخلية للإنسان، وهو يعلم أنها تتناقض مع الواقع؟ هب أن إنسانا مصاب بعقدة الاضطهاد، ويعتقد أن كل الناس تتآمر عليه، مع أن المحيطين به يعاملونه بشكل طبيعي، فهل نتقبل مشاعر هذا الشخص أم نسارع إلى علاجه ونساعده على تغيير ما يحس به من أوهام؟** وقد تصاب امرأة بمرض فقدان الشهية العصبي، فتواصل الامتناع عن تناول الطعام ظنا منها أنها بدينة، مع أنها صارت نحيفة، ولكن مخها صار يعمل بطريقة مختلة، فهل نقول لها من حقك أن تكوني مقتنعة بأنك بدينة أم نجبرها على تناول الطعام حتى لا تموت؟ وانظر إلى المدمن: إنه يشعر بأن الهيروبين أكثر أهمية من الطعام، فهل نقدم له هذا المخدر له بالمجان أم نجبره على العلاج؟

وإضافة إلى ما سبق نراهم يقدمون لنا التفرقة بين النوع والجنس، وكأنها تفرقة طبية أو علمية تسري على كل البشر، مع أنها لا تتعلق إلا بقلة قليلة من منهم، والجمهرة العظمى من الناس لا يخصهم مطلقا الفرق بين النوع والجنس. إن هذا الفرق كان يجب أن يبقي حبيسا داخل المراجع الطبية والنفسية، باعتباره ظاهرة مرضية نادرة شاذة، لكنهم أخرجوه من بطون الكتب، وضخموه، ونشروه، وعمموه على كل البشر، وكأنهم يقولون أن من الطبيعي جدا ألا يرضى الإنسان عن الجسد الذي خلقه الله له، ومن حقه أن يتحول إلى شكل آخر.

ولا تقتصر المصيبة على رغبة الذكر فى التحول إلى أنثى، ورغبة الأنثى فى التحول إلى ذكر، فقد دبت الفوضى فى ثنائية الذكر والأنثى، وكثير من المتحولين جنسيا يريدون الحياة فى حالات هى خليط من الذكورة والأنوثة، فكثرت المصطلحات، وما فتأت تتطور. ومصطلح شذوذ النوع Genderqueer مصطلح عام يشير إلى شخص لا تتماشى هويته الجنسية مع الفهم الثنائي للنوع أو الجنس، أى أن هذا الشخص لا يُعرف نفسه على أنه ذكر كامل أو أنثى كاملة. وهذا المصطلح يتعلق بالهوية الجنسية، وليس بشكل الأعضاء التناسلية وقت الولادة، ومع ذلك

فهو لا يستبعد الخنثى[320،321،322]. وهؤلاء الأشخاص قد يعيدون تعريف فكرة النوع، أو يرفضون من الأساس فكرة الجنس أو النوع. والواحد من هؤلاء قد يعتقد أنه:

1. رجل وامرأة فى نفس الوقت (bigender, pangender androgyne)
2. أو أنه ليس رجلا ولا امرأة (genderless, agender, gender neutral, neutrois)
3. أو أنه يتنقل بين الأجناس، أى لديه سيولة جنسية (genderfluid).

وهناك أيضا ما يسمى بشهوة ارتداء ملابس الجنس الآخر Cross–dressing، وهذه فئة من الناس تهوى فقط ارتداء ملابس الجنس الآخر، فالذكر يشتهي ارتداء ملابس الأنثى، والأنثى تشتهي ارتداء ملابس الذكر.

وهناك ما يسمى بالروح الثنائية Two–spirit ، وهو مصطلح متداول لدى بعض سكان أمريكا الشمالية الأصليين للإشارة إلى شخص يُعتقد أن له روح ذكر وروح أنثى فى نفس الوقت. ومثل هؤلاء الأشخاص كانوا يحظون بالتقدير وأحيانا الخوف باعتبار أن لهم قوى روحية خارقة. وكانوا أحيانا يرتدون ثياب رجل، وأحيانا ثياب أنثى.

وهناك الممثلات بملابس الرجال Drag King حيث تقوم امرأة بأداء دور رجل فى مسرحية أو فيلم بأن ترتدى زى الرجل، وتغير صوتها، وتضع شارب ولحية. وعكس هؤلاء ممثلون بملابس نساء Drag Queen.

وبالنسبة لتلك الفئة من المتحولين جنسيا الذين يتناولون العقاقير أو يجرون الجراحات لتغيير الجنس فهؤلاء خصص لهم مصطلح آخر هو transsexual، وهؤلاء قلة بين المتحولين جنسيا بسبب ارتفاع تكلفة هذه الخدمات الطبية.

وظاهرة المتحولين جنسيا لم تعد مجرد ظاهرة فردية فى هذه الدولة أو تلك، ولكنها أصبحت حقا من حقوق الإنسان، يخضع لحماية مباشرة من الأمم المتحدة، وهذا يجعل أي دولة تفكر

---

320) **Genderqueer and non-binary genders**. Page 5. Edited by Christina Richards, Walter Pierre Bouman, Meg-John Barker. Palgrave Macmillan; London, United Kingdom. 2017.
321) **Genderqueer**. By Julian Honkasalo. Lambda Nordica. Vol. 25 No. 1 (2020): Queer Concepts for the 2020s. DOI: https://doi.org/10.34041/ln.v25.614
322) **American Psychological Association**. Guidelines for Psychological Practice With Transgender and Gender Nonconforming People.

ألف مرة قبل أن تتطاول على حقوق المتحولين جنســيا. يقول تقرير[323] لحملة "حر ومتســاوى" التابعة للأمم المتحدة UN Free & Equal (وهى حملة عالمية للدفاع عن الشواذ بأنواعهم[324]) عام 2017: «لقد أكدت الأمم المتحدة على حق المتحولين جنسيا فى الاعتراف القانوني بهويتهم الجنسية وتغيير جنسهم فى الوثائق الرسمية، بما فيها شهادات الميلاد– دون التعرض لمتطلبات صعبة ومهينة. وهذا الحق يتم انتهاكه فى كثير من دول العالم».

ويكمل التقرير مؤكدا رفض الأمم المتحدة اعتبار المتحولين جنسيا مرضـى: «غالبا ما يوصف الأطفال والكبار المتحولين جنسيا بأنهم مرضـى بناء على هويتهم الجنسية أو تعبيرهم الجنسـي. إن كون المرء متحول جنسيا هو جزء من التنوع الثري للطبيعة البشرية. وقد نبهت الأمم المتحدة على أن النظر إلى التحول الجنسـي على أنه مرض هو أحد الأسـباب الجذرية لانتهاكات حقوق الإنســان التى يواجهها المتحولون جنسـيا». وقد خلص التقرير إلى توصـيات واجبة التنفيذ، من بينها التوفير المجاني للوسـائل الطبية لتحويل الجنس مثل الهرمونات والعمليات الجراحية، وكذلك اتخاذ إجراءات كفيلة باحترام الهوية الجنسـية للمتحولين جنسـيا فى السـجون، وتوفير الحماية لهم من العنف والتمييز.

وقد أســفرت الضـــغوط الدولية عن تعديل بعض الدول لقوانينها، فعلى ســبيل المثال أصـــدرت الأرجنتين عام 2012م قانونا يمنح المتحولين جنسـيا حق طلب لتغيير جنســهم واســمهم الأول وصورهم فى الوثائق الرسمية بدون الحاجة لتشخيص طبى. وفى عام 2014 م صارت الدنمارك أول دولة أوربية تبيح تغيير الجنس بدون تشـــخيص طبى، مع إلغاء المتطلبات الســـابقة مثل التدخل الجراحي، والتعقيم الإجباري[325].

[323]) **Transgender**. United Nations Free & Equal. 2017. Accessed January 30, 2022 https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:0HfgJ25pTSgJ:https://www.unfe.org/wp-content/uploads/2017/05/UNFE-Transgender.pdf+&cd=4&hl=ar&ct=clnk&gl=eg&client=firefox-b-d

[324]) تدافع هذه الحملة عن أنواع محددة من الشواذ يختصرون في أحرف LGBTI التى تشير إلى السحاقيات Lesbian واللواطيين Gay ومزدوجى التوجه الجنسي Bisexual (أى ميل الشخص لمن هم من نفس جنسه ولأولئك الذين يختلفون عنه فى الجنس، كرجل يقيم علاقات جنسية مع رجال ونساء) والمتحولون جنسيا، وأخيرا الخنثى Intersex (أى الأشخاص الذين ولدوا بأعضاء تناسلية بين الذكر والأنثى). وتوجز هذه الحملة أهدافها فى الجملة التالية: (الحملة العالمية للأمم المتحددة ضد رهاب المثلية Homophobia ورهاب التحول الجنثى Transphobia)

https://www.unfe.org/about-2/

[325]) **Transgender people.** The GAP report 2014. Page 225. Copyright © 2014. Joint United Nations Programme on HIV/AIDS (UNAIDS).

لقد خلق الله تعالى الناس من ذكر وأنثى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير} [الحجرات: 13]. لكن جاء إنسان العصر الحديث المتحضر ليمحو الذكورة والأنوثة، ويجعل الإنسان بلا هوية ثابتة، فيستوي عنده أن يكون ذكراً أو أنثى، أو لا هذا ولا ذاك. **والخطوة الأولى التى أدت إلى هذا الهراء هى الحركة النسائية التى رسخت فكرة التساوى الكامل بين الذكر والأنثى، أو ضيقت الفرق بين الاثنين إلى درجة هامشية جدا، فأصبح من السهل أن يتخذ المرء خطوة التحول من جنس إلى آخر، فقد أصبحت هذه قفزة صغيرة فى عصر مساواة الجنسين.**

وقد يقول البعض، ولكن ظاهرة المتحولين جنسيا غير موجودة فى بلاد المسلمين.

ونحن نقول: نعم هي غير موجودة الآن لمجرد أن دورها لم يحن بعد، لكنها ستطرق أبوابنا حتما، وستتسلل إلى داخل بيوتنا فى خلسة، وسنفاجأ بأنها تُفرض علينا فرضا، كما فرض علينا الزنا والعري والشذوذ من قبل. لا بد من وقفة حازمة ضد الحركة النسائية. وأكبر الخطأ أن نهادنها أو نقبل بالحلول الوسطى، فهى لن تَجُر علينا إلا الخراب، والسبب بسيط جدا هو أن الحركة النسائية لها زعيم اسمه إبليس، وصعب جدا أن ينتصر ابن آدم على إبليس فى صفقة منافع متبادلة، فكل تنازل تقدمه للشيطان هو بُعد عن الحق وقرب من جهنم. أنا لا أبالغ، بل أتكلم حرفيا. إبليس يعنى إبليس، فالماسونية العالمية التى تدعم قضايا المرأة والزنا والشذوذ هى حرفيا حركة لعبدة الشيطان. واليهود الذين يمولون الماسونية مشهورون بالسحر قديما وحديثا. أفيقوا من فضلكم، فالطوفان قادم، وسنبكى حتما إن لم نتحرك، وحينئذ لن ينفع الندم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

تم الكتاب بحمد الله

18 يونيو 2022م

18 ذو القعدة 1443 هجرية

المراجع العربية

الكتب

1. **أحجار على رقعة الشطرنج: التطبيق العملى للبروتوكولات**. تأليف ويليام غاى كار. دار الحرية للنشر والتوزيع. القاهرة. 2013.

2. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. تأليف عز الدين ابن الأثير. تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. 1415هـ – 1994 م

3. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**. تأليف محمد ناصر الدين الألبانى. إشراف: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الثانية 1405 هـ – 1985م

4. **اعترافات مصطفى محمود**. حوار أجراه الصحفي محمود فوزى. دار النشر هاتييه. الطبعة الرابعة. 1991م.

5. **الإصابة في تمييز الصحابة**. تأليف ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى – 1415 هـ

6. **الإحكام فى أصول الأحكام**. تأليف أبو محمد علي بن حزم الظاهري. تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس. دار الآفاق الجديدة، بيروت.

7. **الأحوال الشخصية**. تأليف الشيخ محمد أبو زهرة. الطبعة الثالثة 1957م. دار الفكر العربي. القاهرة– مصر.

8. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**. تأليف محمد بن حبان بن أحمد بن حبان الدارمي. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى، 1408 هـ – 1988 م

9. **الإحكام شرح أصول الأحكام**. تأليف عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي. الطبعة الثانية، 1406 هـ.

10. **البداية والنهاية**. تأليف أبو الفداء بن كثير الدمشقي. تحقيق علي شيري. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى 1408، هـ – 1988م

11. **التاريخ الكبير**. تأليف محمد بن إسماعيل البخاري. الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن. طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

12. **التربية الأخلاقية.** تأليف إميل دُركايم. ترجمة السيد محمد بدوي. مراجعة على عبد الواحد وافي. المركز القومي للترجمة. القاهرة – 2015م.

13. **الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة.** تأليف أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْنِي. دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان. مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن. الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م

14. **الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون.** ترجمة: محمد خليفة التونسي. مطبعة دار الكتاب العربي- القاهرة – 1951م.

15. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.** تأليف أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م

16. **المستدرك على الصحيحين.** تأليف: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. يشمل الكتاب تضمينات الإمام الذهبي فى التلخيص والميزان والعراقي فى أماليه والمناوي فى فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، 1411 – 1990

17. **المستصفى فى علم الأصول.** تأليف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م

18. **الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب.** تأليف محمد ناصر الدين الألباني. غراس للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، 1422 هـ

19. **المجتبى من مشكل إعراب القرآن.** تأليف أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة. 1426 هـ

20. **المحلى بالآثار**. تأليف أبو محمد علي بن حزم الظاهري. تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري. دار الفكر – بيروت. الطبعة الثالثة 2003م-1425هـ.

21. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.** تأليف محيى الدين يحيى بن شرف النووى. دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الثانية، 1392 هجرية.

22. **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه.** مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان. ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان علاء الدين الفارسي. مؤلف التعليقات الحسان: محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، 1424 هـ – 2003 م

23. **الفتاوى الكبرى.** تأليف أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1408هـ – 1987م

24. **المفاتيح في شرح المصابيح.** تأليف الحسين بن محمود مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ، المشهورُ بالمُظْهِري. تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية. الطبعة الأولى، 1433 هـ – 2012 م

25. **العوامل الخمسة للشخصية ، وعلاقتها بالاكتئاب لدى المرضى المترددين على مركز غزة المجتمعي – برنامج غزة للصحة النفسية.** رسالة ماجستير ، مقدمة من الباحث/ نضال عبد اللطيف الشمالي. إشراف الدكتور نبيل كامل دخان. كلية التربية. الجامعة الإسلامية– غزة. 2015م– 1436 هجرية.

26. **الكامل في التاريخ.** تأليف عز الدين بن الأثير. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م

27. **المتمنين.** تأليف أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا. تحقيق محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم – بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1418هـ – 1997م

28. **المعجم الكبير.** تأليف أبو القاسم الطبراني. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. الطبعة الثانية. مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

29. **آداب الزفاف في السنة المطهرة.** تأليف محمد ناصر الدين الألباني. دار السلام. الطبعة الشرعية الوحيدة 1423هـ/2002مـ

30. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام.** تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 2003 م

31. **تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري.** تأليف محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي). دار التراث – بيروت. الطبعة الثانية – 1387 هـ

32. **تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن**. تأليف محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. تحقيق أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م

33. **تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن**. تأليف أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ شمس الدين القرطبي. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م.

34. **تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**. تأليف فخر الدين الرازي. دار إحياء التراث العربى- بيروت- الطبعة الثالثة- 1420 هجرية.

35. **تفسير الشعراوي**. تأليف محمد متولي الشعراوي. الناشر: مطابع أخبار اليوم. 1997 م

36. **جريدة** "**الاساس**" في 21. 4. 1950. نقلا عن كتاب: "الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون". صفحة 38-39. ترجمة محمد خليفة التونسي.

37. **جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»**. تأليف جلال الدين السيوطي. تحقيق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر. الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة - مصر. الطبعة الثانية. 1426 هـ - 2005 م

38. حكومة العالم الخفية. تأليف شيريب سبيريدوفيتش. ترجمة مأمون سعيد. تقديم وتحرير: أحمد راتب عرموش. دار النفائس. بيروت- لبنان. الطبعة التاسعة.

39. **زاد المعاد في هدي خير العباد**. تأليف محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة السابعة والعشرون . 1415هـ /1994م

40. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة الأولى (لمكتبة المعارف). عام النشر: جزء 1 - 4: 1415 هـ - 1995 م؛ جزء 6: 1416 هـ - 1996 م؛ جزء 7: 1422 هـ - 2002 م

41. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة** . تأليف محمد ناصر الدين الألباني. دار المعارف، الرياض - الممكلة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، 1412 هـ / 1992 م

42. **سنن أبي داود**. تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السِّجِسْتاني. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م

43. **سير أعلام النبلاء**. تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق محمد أيمن الشبراوي. دار الحديث- القاهرة. 1427هـ-2006م

44.**صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**. تأليف محمد بن إسماعيل البخاري.حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني. دار الصديق للنشر والتوزيع. الطبعة الرابعة، 1418 هـ - 1997 م

45.**صحيح البخاري**. تأليف محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري. شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا الناشر: دار ابن كثير- دمشق- بيروت، ودار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق. الطبعة الخامسة 1993م- 1414هجرية.

46.**صحيح مسلم**. تأليف الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي – بيروت

47.**صحيح سنن أبي داود**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. الناشر مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت. الطبعة الأولى ، 1423 هـ - 2002 م

48.**ضعيف الجامع الصغير وزيادته**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني.أشرف على طبعه: زهير الشاويش. الناشر: المكتب الإسلامي. الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة.

49.**غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامى- بيروت- الطبعة الثالثة 1405 هجرية.

50.**فتح الباري شرح صحيح البخاري**. تأليف ابن حجر العسقلاني. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. دار المعرفة – بيروت، 1379هـ.

51.**فقه السنة**. تأليف سيد سابق. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الثالثة، 1397هـ - 1977م

52.**لسان العرب**. تأليف جمال الدين ابن منظور. الطبعة الثالثة. دار صادر – بيروت، 1414 هـ.

53.**لماذا آمنتُ بالآخرة**. تأليف د. محمد سعيد المكاوي. الناشر: منصة أمازون للكتب الرقمية. 1442هـ-2021م. رقم أمازون: B0957DJ4RV

54.**ما بعد الحداثة تجتاح ديار الإسلام**. تأليف د. محمد سعيد المكاوي. الناشر: منصة أمازون للكتب الرقمية. 1442هـ-2020م. رقم أمازون: B08HC6WL1J

55.**مسند الإمام أحمد بن حنبل**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

56.**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. تأليف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. تحقيق حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي، القاهرة. 1414 هـ ، 1994 م

57.**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**. تأليف أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري. دار الفكر، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1422هـ – 2002م.

58.**معجم اللغة العربية المعاصرة**. تأليف دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. الناشر: عالم الكتب. الطبعة الأولى، 1429 هـ – 2008 م

59.**منار السبيل في شرح الدليل**. تأليف ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم. تحقيق زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. الطبعة السابعة 1409 هـ–1989م

60.**مُخْتَصَر صَحِيحُ الإمَامِ البُخَارِي**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. مكتَبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض. الطبعة الأولى، 1422 هـ – 2002 م

61.**معرفة الصحابة**. تأليف أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. دار الوطن للنشر، الرياض. الطبعة الأولى 1419 هـ – 1998 م.

62. **موسكو وإسرائيل: عرض مدعم بالوثائق لجهود موسكو فى خلق إسرائيل وإبقائها**". تأليف الدكتور عمر حَليق. الدار السعودية للنشر. جدة. 1967م.

63.**نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**. تأليف محمد بن علي الشوكاني. تحقيق عصام الدين الصبابطي. دار الحديث، مصر. الطبعة الأولى، 1413هـ – 1993م

64.**هل أهان الإسلام الرقيق؟ نظرات جديدة فى قضية قديمة**. تأليف: دكتور محمد سعيد المكاوى. دار فينكس للنشر والتوزيع. م2019.

65.**هل من حكومة خفية تدير العالم؟** مقال بقلم إميل أمين. موقع "إندبندنت" عربية. 15 مايو 2021م.

مواقع الإنترنت

1. **بعد عامين من إطلاقه.. هل نجح برنامج "أطفال بلا مأوى" في مكافحة ظاهرة "أطفال الشوارع"؟** بوابة الأهرام. بتاريخ 25 يونيو 2019م. تم الدخول للموقع يوم 11 مايو 2022م.
https://gate.ahram.org.eg/News/2237399.aspx

2. **ارتفاع كبير في عدد أطفال الشوارع في مصر**. تقرير/ عمرو جميل. موقع بى بى سى. 12 أبريل–2014م. تم الدخول للموقع يوم 11 مايو 2022.
https://www.bbc.com/arabic/multimedia/2014/04/140412_egypt_street_children

3. **توربيني جديد بالمنيل: اغتصب 40 طفلا وقتل اثنين حاولا الهروب من جحيم**. تحقيق: هاني بركات. بوابة الأهرام. 30 مارس 2013م. تم الدخول للموقع يوم 11 مايو 2022.
https://gate.ahram.org.eg/daily/News/201572.aspx

4. **خالد الجندي:عدم سن قانون يحمي المرأة من ضرب زوجها ضد الإسلام**. عبد الصمد ماهر. بوابة الأهرام. 1-2-2021. تم الدخول للموقع يوم 11 مايو 2022م.
https://gate.ahram.org.eg/News/2569467.aspx

5. "**مشروع قانون في "النواب" يقضي بحبس الزوج من 3 لـ 5 سنوات إذا ضرب زوجته**". محمود حسين. موقع اليوم السابع: الأحد، 24 يناير. تم الدخول للموقع يوم 11 مايو 2011م.

6. "**خالد الجندى: ضرب الزوجات غير موجود فى الإسلام**". رقية جمال. صحيفة المستقبل. 2020. تم الدخول إلى الموقع يوم 10 يوليو 2021م.
https://www.elmostaqbal.com/384468/2020/04/28/%d8%ae%d8%a7%d9%84%d8%af%d8%a7%d9%84%d8%ac%d9%86%d8%af%d9%89-%d8%b6%d8%b1%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b2%d9%88%d8%ac%d8%a7%d8%aa-%d8%ba%d9%8a%d8%b1-%d9%85%d9%88%d8%ac%d9%88%d8%af-%d9%81%d9%89-%d8%a7%d9%84/

7. **روسيا تعلن حجب فيسبوك.. وشركة ميتا تعلق**. موقع CNN بالعربية. 4 مارس 2022. تم الدخول للموقع يوم 17 مايو 2022.
https://arabic.cnn.com/business/article/2022/03/05/russia-is-blocking-facebook-in-the-country

8. "**ما قاله شيخ الأزهر عن ضرب المرأة: ولي الأمر من حقه أن يعدِل عن هذا المباح**". هديل هلال. جريدة الشروق. 2 فبراير 2022. تم الدخول إلى الموقع يوم 21 مارس 2022م.
https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=02022022&id=13eff091-1093-402a-8983-d01e46729ab3

9. **الإيطالي جاكوبس يحصد ذهبية سباق 100 متر، ويحطم الرقم الأوروبي**. جريدة الشرق الأوسط. 1 أغسطس 2021. تم الدخول على الموقع يوم 6 يونيو 2022.

10. "**العنف الأسري في مصر: قضية "ضرب الزوجة" تعود إلى الواجهة من جديد**". تحقيق وائل حسين. القاهرة. موقع بى بى سى. 3 فبراير 2022. تم الدخول للموقع يوم 11 مايو 2022م.

https://www.bbc.com/arabic/middleeast-60251406

11. "**الحلقة 30 من رمضان الموافق 4 يونيه 2019 ودعوة الإمام الطيب إلى إلغاء ضرب الزوج لزوجته تماما**". أحاديث شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب على المصرية. الفيديو مرفوع على موقع اليوتيوب يوم 5 يونيو 2019م
https://www.youtube.com/watch?v=qXczHPYAsW4&t=906s

12. "**الحلقة 26 من رمضان 31 مايو وحكم ضرب الزوجة. برنامج أحاديث شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب على المصرية**". الفيديو مرفوع على موقع يوتيوب بتاريخ 1 يونيو 2019م.
https://www.youtube.com/watch?v=9aiiS9K4IuE

13. **الخادمات الصغيرات في المغرب بين "الدعارة" ولقب "أم عازبة"**. العربية نت. نشر فى 27 أبريل 2007. تم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022
https://www.alarabiya.net/articles/2007%2F04%2F27%2F33923

14. **التحقيق مع حاخام بشأن مساعدته في منح الجنسية البرتغالية للملياردير الروسي رومان أبراموفيتش**. موقع بى بى سي نيوز العربى. 13 مارس 2022. تم الدخول للموقع يوم 17 مايو 2022. https://www.bbc.com/arabic/sports-60725164

15. **أصغر أب فى البحرين عمره 13 عاما.. أنجب من خادمة إندونيسية**. موقع سى إن إن العربية. نشر بتاريخ 14 سبتمبر 2014. تم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022
http://arabic.cnn.com/middleeast/2014/09/14/bahrain-indonesian-maid

16. "**إحصاءات عقود الزواج والطلاق في مصر خلال 2020.. إليكم كم بلغت**". موقع سي. إن. إن العربي. 16 نوفمبر 2021م. تم الدخول للموقع يوم 16 يونيو 2022م.
https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2021/11/16/marriage-divorce-rates-in-egypt-infographic

17. **فى السعودية..تحذير من "سحر الخادمات" والهيئة تجيز التفتيش**. موقع سبوتنيك عربى. الخبر منشور بتاريخ: 22 نوفمبر 2018. تم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022م.
https://arabic.sputniknews.com/20181122/%D8%B3%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%AA%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9-1036934282.html

18. **حكومة العالم الخفية**. مقال للدكتور فوزى فهمى. صحيفة الأهرام المصرية. 22 يونيو 2016.

19. **خادمات بتهمة «سحر وشعوذة».. «الله يستر علينا !»**. صحيفة الرياض. عدد 16712. نشر بتاريخ 27 مارس 2014م- 26 جمادى الأولى 1435. تم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022م.
https://www.alriyadh.com/921794

20. "**سحر الخادمة الخفي**". بقلم سعاد جواد. صحيفة الاتحاد الإماراتية. نشر بتاريخ 4 مارس 2005م. تم الدخول للموقع يوم 6 مايو 2022م.
https://www.alittihad.ae/article/1283/2005/%D8%B3%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%AF%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%81%D9%8A

21. "**شيلدون أديلسون: إمبراطور القمار و"صانع الملوك" الذي نقل سفارة أمريكا إلى القدس**. موقع BBC NEW العربي. 13 يناير 2021م. تم الدخول إلى الموقع يوم 18 يناير 2022م.
https://www.bbc.com/arabic/world-55646048

22. "**فوبيا الخادمات" تربك البيت السعودي.. والآباء الأكثر قلقا**. بقلم نوير الشمرى. جريدة "الاقتصادية". نشر الخبر بتاريخ 20 يوليو 2013م. تم الدخول للموقع بتاريخ 6 مايو 2006م.
https://www.aleqt.com/2013/07/20/article_771848.html

23. فيديو.. نقيب المأذونين: 88% من حالات الطلاق في مصر خلال عام 2021 كانت خُلعا. صحيفة الشروق. 14 فبراير 2022م. تم الدخول للموقع يوم 14 يونيو 2032م.
https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=14022022&id=fefca67d-ce6c-4a55-8658-f9421b60968d

24. **هل من حكومة خفية تدير العالم؟** مقال بقلم إميل أمين. موقع "إندبندنت" عربية. 15 مايو 2021م.

المراجع الأجنبية

1. **African Studies Center**. Uniersity of Pennsylvania. https://www.africa.upenn.edu/NEH/kreligion.htm ; accessed March 18, 2022.

2. **African Studies Center**. Uniersity of Pennsylvania. https://www.africa.upenn.edu/NEH/ureligion.htm ; accessed March 18, 2022

3. **American Psychological Association**. Guidelines for psychological practice with transgender and gender nonconforming people. American Psychologist.Vol. 70, No. 9, 832–864. http://dx.doi.org/10.1037/a0039906

4. **Anarchism**. By Arif Dirlik. Encyclopedia Brittanica. https://www.britannica.com/topic/anarchism/English-anarchist-thought ; Accessed May 26, 2022.

5. **'Baby machines': Eastern Europe's answer to depopulation.** By Shaun Walker. *The Guardian*. March4, 2020. https://www.theguardian.com/world/2020/mar/04/baby-bonuses-fit-the-nationalist-agenda-but-do-they-work

6. **Chinese 'mistress' is stripped naked and beaten senseless in backlash against booming country's 'concubine culture'.** By Matthew Blake. Published on October 13, 2014. Accessed January 21, 2022. http://www.dailymail.co.uk/news/article-2791108/mob-rule-chinese-adulteress-stripped-naked-beaten-senseless-latest-attack-kind.html?ito=social-facebook

7. **Costa PT, Terracciano A, McCrae RR.** Gender differences in personality traits across cultures: robust and surprising findings. J Pers Soc Psychol. 2001;81(2):322-331.

8. **Costa, Paul & Mccrae, R..** (1992). Neo PI-R professional manual. Psychological Assessment Resources. 396. https://www.researchgate.net/publication/240133762_Neo_PI-R_professional_manual

9. **Cystic fibrosis transmembrane conductance regulator; CFTR**. https://omim.org/entry/602421#geneStructure ; accessed June 6, 2022.

10. **DeYoung CG, Quilty LC, Peterson JB**. Between facets and domains: 10 aspects of the Big Five. J Pers Soc Psychol. 2007 Nov;93(5):880-96. doi: 10.1037/0022-3514.93.5.880. PMID: 17983306.

11. **Domestic violence against women and girls**. UNICEF. United Nations Children's Fund. Innocenti Research Centre. Florence, Italy; June 2000.

12. **Dictatorship (Political science).** Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/topic/dictatorship ; accessed on May 27, 2022.

13. **Eliot L, Ahmed A, Khan H, Patel J.** Dump the "dimorphism": Comprehensive synthesis of human brain studies reveals few male-female differences beyond size. Neurosci Biobehav Rev. 2021 Jun;125:667-697. doi: 10.1016/j.neubiorev.2021.02.026.

14. **Europe needs many more babies to avert a population disaster**. *The Guardian*. https://www.theguardian.com/world/2015/aug/23/baby-crisis-europe-brink-depopulation-disaster ; accessed September 12, 2021

15. **Feingold A**. Gender differences in personality: A meta-analysis. Psychological Bulletin 1994; 116 (3), 429–456.

16. **Fischer AH, Rodriguez Mosquera PM, van Vianen AE, Manstead AS**. Gender and culture differences in emotion. Emotion. 2004 Mar;4(1):87-94. doi: 10.1037/1528-3542.4.1.87.

17. **Garibaldi LR and Chemaitilly W.** Physiology of puberty. In Robert M. Kliegman et al (editors). Nelson Textbook of Pediatrics. Chapter 577. 21st edition. Philadelphia, PA : Elsevier Inc., 2020.

18. **Genderqueer and non-binary genders**. Page 5. Edited by Christina Richards, Walter Pierre Bouman, Meg-John Barker. Palgrave Macmillan; London, United Kingdom. 2017.

19. **Genderqueer**. By Julian Honkasalo. Lambda Nordica. Vol. 25 No. 1 (2020): Queer Concepts for the 2020s. DOI: https://doi.org/10.34041/ln.v25.614

20. **Horrot attack: Student's lip was bitten off by her ex… because he wanted to 'leave his mark' for her next boyfriend.** By Anna Duff. 2019. THE SUN. https://www.thesun.co.uk/fabulous/7594201/students-lip-bitten-off-ex-leave-his-mark/

21. **Hundreds die alone and bodies undiscovered for months.** Published December 21, 2021. https://sverigesradio.se/artikel/hundreds-die-alone-and-bodies-undiscovered-for-months ; accessed February 8, 2022

22. **Hyde JS. 2005.** The gender similarities hypothesis. *Am. Psychol.* 60:581–92

23. **Jaffee S, Hyde JS.** Gender differences in moral orientation: a meta-analysis. Psychol Bull. 2000;126(5):703-26.

24. **Kajonius P, Mac Giolla E.** Personality traits across countries: Support for similarities rather than differences. PLoS One. 2017 Jun 16;12(6):e0179646.

25. **Korean life: Religion**. https://www.korea.net/AboutKorea/Korean-Life/Religion

26. **Laurel Hubbard: First transgender athlete to compete at Olympics.** BBC News. June 2021; https://www.bbc.com/news/world-asia-57549653; Accessed on September 12, 2021

27. **Lippa RA.** Sex differences in personality traits and gender-related occupational preferences across 53 nations: testing evolutionary and social-environmental theories. Arch Sex Behav. 2010;39(3):619-636. doi:10.1007/s10508-008-9380-7.

28. **Mac Giolla, E. and Kajonius, P.J.** Sex differences in personality are larger in gender equal countries: Replicating and extending a surprising finding. Int J Psychol. 2019; 54: 705-711. https://doi.org/10.1002/ijop.12529

29. **McCrae RR, Terracciano A**; Personality Profiles of Cultures Project. Universal features of personality traits from the observer's perspective: data from 50 cultures. *J Pers Soc Psychol*. 2005;88(3):547-561. doi:10.1037/0022-3514.88.3.547

30. **Melissa Hines.** Neuroscience and sex/gender: looking back and forward. J. Neurosci. 2020; 40(1):37– 43.

31. **National Center for Injury Prevention and Control**. Costs of intimate partner violence against women in the United States. Atlanta (GA): Centers for Disease Control and Prevention; 2003. https://www.cdc.gov/violenceprevention/pdf/ipvbook-a.pdf

32. **Ritchie SJ, Cox SR, Shen X, et al.** Sex differences in the adult human brain: Evidence from 5216 UK Biobank participants. Cerebral Cortex. 2018; 28 (8): 2959–2975.

33. **Roy F. Baumeister, Kathleen R.Catanese, and Kathleen D. Vohs.** Is there a gender difference in strength of sex drive? Theoretical views, conceptual distinctions, and a review of relevant evidence. Personality and Social Psycheology Review. 2001; 5 (3): 242-273.

34. **Ruigrok AN, Salimi-Khorshidi G, Lai MC et al**. A meta-analysis of sex differences in human brain structure. Neurosci Biobehav Rev. 2014; 39 (100): 34–50

35. **Sara A. Murphy, Peter A. Fisher, Chet Robie**. International comparison of gender differences in the five-factor model of personality: An investigation across 105 countries, Journal of Research in Personality, Volume 90, 2021, 104047, https://doi.org/10.1016/j.jrp.2020.104047.

36. **Schmitt DP, Realo A, Voracek M, Allik J**. Why can't a man be more like a woman? Sex differences in Big Five personality traits across 55 cultures [published correction appears in J Pers Soc Psychol. 2009 Jan;96(1):118]. *J Pers Soc Psychol*. 2008;94(1):168-182. doi:10.1037/0022-3514.94.1.168

37. **Sheldon Adelson**. Encyclopedia Brittanica. https://www.britannica.com/biography/Sheldon-Adelson ; accessed May 18, 2022.

38. **Sheldon Adelson, Billionaire Donor to G.O.P. and Israel, Is Dead at 87.** By Robert D. McFadden. The New York Times. Jan. 12, 2021.

https://www.nytimes.com/2021/01/12/business/sheldon-adelson-dead.html ;accessed May 18, 2022.

39. **Stoet G, Bailey DH, Moore AM, Geary DC** (2016) Countries with Higher Levels of Gender Equality Show Larger National Sex Differences in Mathematics Anxiety and Relatively Lower Parental Mathematics Valuation for Girls. PLoS ONE 11(4): e0153857. doi:10.1371/journal.pone.0153857

40. **Stoet G, Geary DC.** Sex differences in mathematics and reading achievement are inversely related: within- and across-nation assessment of 10 years of PISA data. PLoS One. 2013;8(3):e57988. doi: 10.1371/journal.pone.0057988.

41. **The secret World Government" or "The hidden Hand".** By Maj-Gen Count Cherep-Spiridovivh. The Anti-Bolchevist Publishing Association. New York City. 1926

42. **Tjaden P, Thoennes N**. Extent, Nature, and Consequences of Intimate Partner Violence: Findings from the National Violence Against Women Survey. Washington (DC): U.S. Department of Justice, Office of Justice Programs, National Institute of Justice; 2000. NCJ 181867.

43. **Transgender people.** The GAP report 2014. Copyright © 2014. Joint United Nations Programme on HIV/AIDS (UNAIDS).

44. **Transgender**. United Nations Free & Equal. 2017. Accessed January 30, 2022 https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:0HfgJ25pTSgJ:https://www.unfe.org/wp-content/uploads/2017/05/UNFE-Transgender.pdf+&cd=4&hl=ar&ct=clnk&gl=eg&client=firefox-b-d

45. **UNICEF, 'A league table of teenage births in rich nations'**, *Innocenti Report Card* No.3, July 2001. UNICEF Innocenti Research Centre, Florence

46. **Vi ser den mörka sidan av samhället.** published December 21, 2021. https://www.svt.se/nyheter/inrikes/over-400-personer-lag-doda-minst-en-manad-innan-de-hittades ; accessed February 8, 2022

47. **Weisberg YJ, Deyoung CG, Hirsh JB.** Gender Differences in Personality across the Ten Aspects of the Big Five. *Front Psychol*. 2011; 2:178. Published 2011 Aug 1. doi:10.3389/fpsyg.2011.00178

كتب أخرى للمؤلف

- هل أهان الإسلام الرقيق؟ نظرات جديدة في قضية قديمة
- هل معجزات الأنبياء مستحيلة؟
- أكذوبة الملحد الطيب: إثبات فساد الأخلاق في غياب الدين
- ما بعد الحداثة تجتاح ديار الإسلام
- لماذا آمنتُ بالآخرة؟